جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم النحو والصرف والعروض

مستويات الخطاب

دراسة نحوية تطبيقية في الصحيح من الأحاديث القدسية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية

إعداد: إيمان إسماعيل علي الذوادي

إشراف:
أ.د / محمد عبد المجيد الطويل

أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

سورة العلق (١)

الإهداء

أهدي هذا البحث الذي أدعو الله أن يتقبله ويجعله علما ينتفع به

إلى:

أمي/ أمينة عبدالحميد الحسيني و أبي/ إسماعيل علي يوسف الذوادي

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد...

فأشكر الله تعالى على فضله حيث أتاح لي إنجاز هذا البحث، فله الحمد أولا وآخرا.

ثم أشكر أستاذي المشرف على الرسالة:

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد المجيد الطويل

الذي حثني على البحث وقوى عزيمتي، فله من الله الأجر ومني كل التقدير حفظه الله ومتعه بالصحة والعافية ونفع بعلمه.

وأشكر أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم عليّ بقبول مناقشة هذه الرسالة، فهم أهل لسدِّ مواطن القصور فيها وتقويمها وتهذيبها.

والشكر موصول لإدارة كلية دار العلوم والقائمين عليها الذين قدموا لي المساعدة لإنجاز هذا البحث فلهم الشكر والتقدير.

****

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم إني أسألك علما نافعا، وعملا متقبلا خالصا لوجهك الكريم ومرضاتك، وبعد:

فقد خلق الله عز وجل الإنسان وعلمه البيان، وخص النبي العدنان بكمال الفصاحة، وأنطقه بجوامع الكلم، وآتاه بحكمته أسرار البلاغة وفصل الخطاب، وقد اهتم الإنسان بلغته وأخذ يتفكر فيها ويؤصل قواعدها، ويتدبر ألفاظها ومعانيها، ليميز بذلك البين من الملتبس، ويسبر آلية انتظامها ورصفها. واللغة العربية من أكثر اللغات التي حظيت باهتمام الدارسين على مر الأزمنة، لأنها لغة القرآن، وحاملة مفاهيمه وتعاليمه.

وفي العصر الحديث ظهرت مناهج ومدارس عديدة تبنت جهود السابقين وأطرتها، ومن بين هذه الجهود ظهرت اللسانيات الحديثة وبرز فيها علم النص أو ما يسمى بنحو النص، وهو توجه نهض على أكتاف نحو الجملة والقواعد التركيبية، لتتسع به دائرة التحليل النصي، وتتسع به دائرة البحث اللغوي وصولا إلى لسانيات الخطاب، والنحو الوظيفي، فيشمل الفهم والتأويل كل جزيئات الخطاب وتفاصيله، ما ظهر منها بين مفردات الجمل وتراكيبه، وما كان كامنا تحت بنياته الدلالية والتداولية.

وقد جاء الدرس اللساني الحديث بمفاهيم جديدة حول لسانيات الخطاب ونظرية النحو الوظيفي، فالخطاب هو كل البنى النحوية المكونة للنص، وهو السياق الذي يتشكل فيه النص ويتكون، وباستراتيجياته المختلفة يعمل على توجيه الروابط التركيبية، والوظائف الاتصالية للتراكيب النصية، وتعدد الدلالات.

والنحو الوظيفي هو نحو خطاب يهتم بوصف وتفسير خصائص العبارات اللغوية مع ربطها بمقامات إنتاجها والأغراض التواصلية التي تروم تحقيقها، وانطلاقا من هذه المفاهيم بدأ

الدارسون المحدثون بتطبيق هذه التوجهات على الشعر، ثم على القرآن الكريم، باعتبار أن اللغة المتضمنة للخطاب القرآني لغة معيارية، فكانت هدفا بارزا للدراسات والأبحاث اللغوية وفق المناهج الحديثة، كنظرية التلقي والخطاب والحجاج في الخطاب القرآني، وما ورد فيه من تداولية وأفعال كلامية، واستراتيجيات خطابية.

وأما الدراسات المطبقة على الأحاديث النبوية الشريفة وفق منهج لسانيات الخطاب ونظرية التلقي وتحليل مستويات الخطاب فهي ـ حسب اطلاع الباحث ـ قليلة، ولعل هذه التجربة المتواضعة بالبحث في هذا الموضوع تمثل خدمة بسيطة للحديث القدسي ببيان قوة خطابيته، بالتركيز على كونه فعلا تواصليا حيا، دون التقليل من أهمية كونه نصا مدونا، وأهمية دراسته ضمن مجاله النصي، حيث النص هو وسيلة لبلوغ مفهوم الخطاب.

إن البحث يركز على خطابية الحديث القدسي التي كانت أوضح مراحلها في فترة ما قبل تدوينه وتحويله إلى نص محفوظ، هذه الفترة التي نادرا ما التفات الدارسون إليها في رجوعهم الاضطراري لفهمه، وذلك من خلال تحليل السياق الخطابي للحديث القدسي، وهو سياق أرحب أفقا من السياق النصي ويتكامل معه ويتعاضد به، ويتطلب تحليل التراكيب والأبنية المكونة للخطاب، وإبراز للآليات التي اعتمدها للتعامل مع المخاطبين والمتلقين له على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم (المتلقي الفعلي، والمتلقي الضمني، والمتلقي المفسر والمؤول، والمتلقي المنكر، والمعارض)، واستخلاص العناصر المكونة لمستوياته النحوية والمعجمية والتركيبية والتداولية، وبيان دور الروابط المختلفة (النحوية والدلالية والمعجمية) في ترابطه وانتظامه، وفق مناهج الخطاب التي انتهجها اللغويون القدامى والمحدثين، والغاية من كل ذلك هي استخلاص ملامح خطابيته، والوقوف على عناصر ترابطه التي حفظت له فهمه وأبقت له أثره في الإقناع باستمالة العقول وتوجيه النفوس، رغم تنوع أنماط المخاطبين واختلافهم عبر الأزمنة.

وإذا كان الخطاب القرآني خطابا مقدسا بالإجماع، فإن الحديث النبوي ما هو إلى سليل ذلك الخطاب المقدس، فالرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، والحديث القدسي فيه يُنقل كلام الله على لسان نبيه الكريم، ولغة خطابه بذلك هي أقرب إلى لغة القرآن الكريم، فهو خطاب ثري مناسب للتحليل وبيان قيمة الأدوات والكلمات الواردة فيه، وكيفية انتظام معانيه، فكان كلا متماسكا منسجما مع سياق الموقف ومستويات المتلقين.

وفي تطبيق نظريات المنهج اللساني الحديث على الخطاب في الأحاديث القدسية، توسيع للمباحث اللغوية وتجديد في الأدوات العلمية في دراسته، فهذه النظريات اللسانية ما هي إلا وليدة رؤىً عربية قديمة وجدت الخطاب والنص والسبك والنظم وكل علوم اللسانيات في نصوصها الشرعية (القرآن والحديث) فاستخرجتها وتحسست ذائقتها، وقدمتها لجيل آخر بلورها في مناهج وسبكها في نظريات، ثم إن القرآن الكريم والحديث الشريف نصوص مقدسة مطلقة عبر الزمان متعالية في كل مكان، تقبل بذاتها ما يتناسب معها من نظريات ومناهج وتستبعد ما لا يتناسب وقداسة أسلوبها.

والحديث الشريف هو خطاب حي، منطوق في الأصل منذ قيل، ونص مكتوب منذ دون، وهو خطاب جاء نتاجا حيا للتفاعل الحياتي اليومي بين الرسول ﷺ وبين المسلمين والمشركين على حد سواء، قيل في أوقات مختلفة، ومناسبات شتى، ولمخاطبين ليسوا بالضرورة نفس الجماعة، أو الأفراد الذين استمعوا للنبي ﷺ، بل هو لمتلقٍ كوني يتنوع بتنوع العصور والأزمنة، وعليه تنوعت استراتيجيات خطابه وتعددت آليات حجاجه فجمعت الإقناع بالإمتاع.

والحديث القدسي يحتوي من معان دقيقة تتصل بموضوعات (التقرب من الله، والحب الإلهي، والطمع بالرحمة والمغفرة، والترغيب والترهيب والحث على الخير والزجر عن الشر) وكلام الله تعالى مع مخلوقاته وحواره معهم، يختزل فوائد نفيسة ولغة نظم رصيفة، وهو كالمنجم البكر

الذي لم تستخرج خيراته، وكالموئل يرتوي منه كل ناهل، لا ينضب علما وتأملا، يفتح للباحث قراءات جديدة، وآفاقا بيانية واسعة في سماء البحث اللغوي وتحليل الخطاب لم يُلتفت إليها بعد.

ومن خلال هذه المقدمة الموجزة سأطرح موضوع البحث، وأسباب اختياره وأهميته، وإشكالياته وهدفه.

موضوع البحث:

يدور البحث في ثلاثة محاور: الأول (نظرية الخطاب والتلقي) والثاني (تحليل مستويات الخطاب) والثالث (الأحاديث القدسية الصحيحة) ويرتكز على كلمات مفتاحية هي (علم اللغة، الخطاب، مستويات الخطاب، النحو الوظيفي، الأحاديث القدسية، الاتساق والانسجام، الدلالية، الاستراتيجيات الخطابية، التداولية، الحجاجية)، وفي هذه المحاور بعد تجديدي في آلية البحث اللغوي التطبيقي على نصوص الأحاديث القدسية.

أسباب اختيار البحث وأهميته

. قلة الدراسات اللغوية التطبيقية لنصوص الأحاديث القدسية، وذلك بتحليلها وفق منهج لسانيات الخطاب.

. خدمة للأحاديث القدسية، وذلك بإضافة جهد متواضع إلى جهود السابقين في دراسة الحديث القدسي دراسة نحوية تهتم بتراكيبه وروابطه وتعدد دلالات معانية، بهدف الوقوف على مقاصده الخطابية.

. قراءة الأحاديث القدسية قراءة لسانية تداولية على ضوء أحدث الدراسات التواصلية المعاصرة، للتعرف على مستوياته التركيبية والاستراتيجيات الخطابية التي بني عليها.

. إبراز المعاني الرقيقة التي تشتمل عليها الأحاديث القدسية، والتي تحمل النفس على القرب من الله تعالى، فالسنة النبوية تمثل المصدر الثاني للدين الإسلامي، وهي مصدر من مصادر التوثيق

اللغوي، والحديث القدسي فرع منها، وهو يتوسط القرآن الكريم والحديث النبوي، ويعد من جملة السنة النبوية الشريفة، لكون راويه هو النبي ﷺ، وله صيغ متعددة منها (قال الله، يقول الله تعالى، قال ربكم، أوحي الله إليّ) أو ما شابه ذلك من الصيغ التي تثبت القول لله تعالى عن طريق إسناد فعل القول إليه، أو ما يؤدي معناه إسنادا صريحا مما ينبه السامع، ويثير في نفس المتلقي الهيبة لجمال معانيه وترابط نظمه، فيا لروعة القول وقائله، ويا لبلاغة الخطاب.

. الرغبة في الاستفادة من المباحث الجديدة في علم اللغة ولسانيات الخطاب والنحو الوظيفي، بتطبيقها على نصوص الأحاديث القدسية، وذلك بتحويل النظر إلى هذه النصوص من كونها نصوصا مقفلة، إلى محاولة العودة إلى ما قبل تدوينها، فترة التواصلية في التلقي وشفاهية الخطاب.

. تحري أثر هذا النوع من المباحث في الدراسة لما له من دور في صقل عقل الباحث، وتطوير أسلوب البحث لديه، فهو مدخل غني متداخل المعارف والاختصاصات، والباحث حين يفكر بمستويات الخطاب، فهو يفكر بكل الصلات الصوتية والمعجمية والنحوية والدلالية والتداولية والحجاجية، وبالبنى السطحية والبنى العميقة فيه، وبكل العلاقات الداخلية والخارجية المحيطة به، فيتدرب تفكيره على شمولية النظر، ودقة استقراء التفاصيل، ولهذا كبير الأهمية في الفهم والتفكير.

. محاولة عرض أبعاد نظرية الخطاب الحديثة، وإبراز أهمية النحو الوظيفي في دراسة النصوص باعتباره نحو خطاب يهتم بالبنية الكبرى المكونة للنصوص.

. بيان دور العرب القدماء في تأسيس النظريات التي انطلق منها الدرس اللساني الغربي الحديث في علم اللغة واللسانيات، ومحاولة تأصيله وإثرائه بمزاوجته بالجهد الذي بذله علماء العربية الأوائل.

. توضيح العلاقة التكاملية التي تربط الخطاب بالنص، من خلال دراسة الخطاب في مجاله النصي.

. البحث عن مستويات الخطاب في الحديث القدسي بروابطها المتنوعة ودرجة تواجدها، وأثرها في إحداث البيان واتساق الخطاب فيه والتأثير والإقناع.

فرضيات ومشكلات الدراسة. ينطلق البحث من فرضيات هي:

. هل لمفهوم الخطاب جذور متأصلة في الدرس العربي القديم ؟

. هل لتحول الحديث القدسي من كونه خطابا إلى كونه نصا بعد مرحلة التدوين أثر على الدراسات ومناهج البحث التي طبقت عليه لدراسته؟

. هل المتلقي للحديث القدسي له دور في فهمه، وتوسيع آفاق دلالاته؟

. هل مستويات الخطاب في الحديث القدسي لها دور في جعل خطابه متوازنا ومتناسبا مع المخاطبين به على اختلاف أنماطهم؟

. هل تعدد الأصوات والمشار إليه في خطاب الأحاديث القدسية من الخصائص الخطابية التي تميزه عن الحديث النبوي والقرآن الكريم؟

. هل يمكن تطبيق ما توصلت إليه المدارس اللسانية الحديثة في دراستها للخطاب والنحو الوظيفي على الحديث القدسي؟

. هل للحديث القدسي بصمة أسلوبية تميزه عن ما سواه من النصوص المقدسة (القرآن الكريم والحديث النبوي) ؟

. هل يمكن أن تشكل استراتيجيات الخطاب معيارا به يمتاز الحديث القدسي، عن الحديث النبوي والقرآن الكريم؟

هدف البحث:

من منطلق الفرضيات السابقة أرى أن الهدف الرئيس من هذا البحث هو تحليل لغة الحديث القدسي وفق مستويات تحليل الخطاب، من زاوية تلقي الخطاب التواصلي، وتحليله وفق نظرية نحو الخطاب الوظيفي، ومن زاوية البعد التداولي المبني على السياق اللغوي والمقامي، للوصول إلى الخصائص الخطابية التي اتسم بها الخطاب في الأحاديث القدسية، وبيان آلية الترابط بين مستوياته، ودور هذه المستويات في تركيبه وتعزيز أواصر العلاقات التي يتألف منها، والتي حفظت له معانيه ومقاصده، وقوة حجاجيته، وأبقت له قوته التأثيرية في نفوس المخاطبين.

الدراسات السابقة

تم الوقوف على عدد من الدراسات التي اهتمت بموضوع مستويات الخطاب في الحديث القدسي من قريب أو بعيد، ورغم أن دراسة الخطاب كانت مجالا لعدد كبير من الأبحاث العلمية، وكذلك دراسة الأحاديث النبوية متعددة ومتنوعة تزخر بها المكتبات، فإن هناك قلة في الأبحاث اللغوية والنحوية التي خصصت للخطاب ومستوياته وتطبيقاته على الأحاديث النبوية والقدسية خاصة.

ومن أهم الدراسات التي اعتمد عليها البحث:

أولا: الرسائل العلمية:

١. بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، لعودة خليل أبو عودة، رسالة دكتوراه في النحو، من الجامعة الأردنية١٩٨٨م، طبعت بدار البشير، الأردن ١٩٩١م، وهي دراسة ثرية وعميقة تتألف من (٧٢٦) صفحة، عرض فيها الباحث الأنماط والتراكيب اللغوية في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين (صحيح البخاري ومسلم)، وقسم البحث فيها إلى جمل خبرية (اسمية وفعلية ومكملة كجملة الاستفتاح،

والحال والنعت) وجمل إنشائية (كالاستفهام، والأمر، والنداء، والنهي، والتعجب، والقسم) وجمل شرطية (المحفوظة الرتبة، وغير المحفوظة الرتبة) وختم بحثه بخصائص لغة الحديث، وتوصياته بضرورة الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، كمعيار ومقياس لغوي له أساسه القوي والسليم. وقد استفدت من أسلوب الباحث ونمط تفكيره في تقسيمه لأنماط الجمل، واستخلاصه للتراكيب النحوية منها، بهدف فهم نصوص الحديث بأسلوب لغوي متعمق.

٢. الأحاديث القدسية ـ دراسة في البنية اللغوية والنظم الأسلوبي، علي عبد الله النعيم، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤م. تناول فيها الباحث نصوص الأحاديث القدسية ومضامينها، وتجليات الظاهرة الأسلوبية في نصوص الأحاديث القدسية (الحوار والسرد) وأثر الحديث القدسي في رسالة الغفران والكوميديا الإلهية .

٣. الأحاديث القدسية. دراسة أسلوبية، محمد متولي أحمد، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٥م. وهي من الدراسات التي أولت عناية خاصة بالحديث القدسي والموازنة بين الصحيح منه والموضوع، من خلال وقوف الباحث على البصمة الأسلوبية المميزة للغة الحديث القدسي الصحيح، وتشتمل الرسالة على ثلاثة فصول، الأول (الأحاديث القدسية نظرة وصفية) الثاني (ظواهر سياقية في الأحاديث القدسية) الثالث (الخبر الباطل).

٤. الرابط اللفظي في لغة الحديث الشريف، لحامد علي منيفي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، سنة ١٩٩٩م. وهو بحث اتبع فيه الباحث المنهج الوصفي والتحليلي، وقسمه إلى جانب نظري رصد فيه قواعد ظاهرة الربط من مصادرها النحوية، وجانب تطبيقي رصد فيه أنماط الضمير الرابط وصور استخدامه في الحديث الشريف. وقسم الروابط إلى قسمين: روابط معنوية كالإسناد والعموم والمعنى، وروابط

لفظية كالربط الظاهر، والربط بالضمير، والربط بالأداة. وما يميز هذا البحث هو الفصل الرابع الذي خصصه الباحث للقيمة الدلالية للرابط اللفظي والذي حصره في الجوانب التالية (الإيجاز والاختصار، أمن اللبس، المطابقة، التوكيد، التفخيم والتهويل، الإشادة بالمتحدث، التلذذ بذكر المكرر) وهو في بحثه ركز على التنظير، وحصر التطبيق على بضعة أحاديث نبوية.

٥. الخطاب وأثره في بناء نحو النص . تطبيق على المعلقات السبع، لعبد المهدي هاشم الجراح، رسالة دكتوراه في اللغة العربية والنحو، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، ٢٠٠٢م. وهذه الرسالة تركز على النحو كمدخل لفهم النصوص الشعرية، تناول فيها الباحث المباحث التالية: الروابط التركيبية النصية في المعلقات السبع، ظاهرة الوصل والترابط الإسنادي، والترابط الإحالي في معلقة امرئ القيس، والجيد في هذا البحث هو تركيز الباحث على البعد النحوي التطبيقي واستنباطه من خلال النص الشعري ذاته.

٦. تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث . دراسة مقارنة في النظرية والمنهج، لمها محمود العتوم، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية،٢٠٠٤م. وهذه الدراسة تدخل في حيز دراسات نقد النقد، لأنها تدرس مفهوم الخطاب كما تقدمه الدراسات العربية اللغوية والأدبية المعاصرة، فتقف عند الخطاب في الشعر والنثر والرواية والنقد العربي الحديث، وتأخذ نماذج تطبيقية لتتبع مفهوم الخطاب كالخطاب الشعري عند محمد مفتاح ومحمد خطابي نموذجا، والخطاب في الرواية عند سعيد يقطين، ومفهوم الخطاب لدى النقاد كيمنى العيد، وصلاح فضل. وهي دراسة تصلح لأن تكون أساسا يرتكز عليه الباحث في دراسة الخطاب وتحليله للمرور من خلاله إلى معرفة أصول هذا المفهوم، والقدرة على استخدامه استخداما صحيحا.

٧. الخصائص التركيبية للأحاديث القدسية ـ دراسة في البنية التركيبية للحديث القدسي، لأيمن حامد أحمد، رسالة ماجستير في اللغة والنحو، من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠٤م، وهو بحث يعتمد على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي الإحصائي في دراسة البنية التركيبية للأحاديث القدسية، ويركز على أنماط الجملة في كل حديث قدسي صحيح، ويقسم أنماط الجملة إلى التراكيب التالية: جملة فعلية فعلها ماض، جملة فعلية فعلها مضارع، جملة فعلية فعلها مضارع منصوب، جملة معطوفة على جملة فعلية سابقة، جملة اسمية، جملة فعلية فعلها ماض. والجديد في هذا البحث هو الجداول الإحصائية لأنماط الجمل التي ذيل بها الباحث كل حديث قدسي تطرق إليه، مبينا دلالة هذه الأعداد الإحصائية لأنماط الجمل في كل حديث.

٨. الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية ـ باب الذكر والدعاء ـ أنموذجا، حورية رزقي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير، الجزائر، ٢٠٠٦م. وهي رسالة احتوت على ثلاثة فصول، تدور حول نشأة التداولية وأصولها الفلسفية، وفيها تطبيق على عدد بسيط من الأحاديث القدسية، وتحليلها وفق منهج التداولية في خمسة مستويات التقريريات والوعديات والأمريات والإيقاعيات والبوحيات.

٩. لسانيات الخطاب القرآني: مظاهر الاتساق والانسجام، للدكتورة خديجة أيكر، رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في اللغة وعلوم القرآن، بجامعة شعيب الدكالي، المملكة المغربية٢٠٠٧م، وهي دراسة ثرية تركز على مستويات تحليل الخطاب، متمثلة في الأصوات والصرف والتركيب، باعتبارها الأساس في الدرس اللغوي الذي يفضي إلى مستويات أعلى كالدلالة والأسلوب والتداول، مع التركيز على المستوى التركيبي كعامل مهم من عوامل تماسك الخطاب، باعتبار أن المعنى الأساس المراد بالخطاب يكمن في البنية التركيبية العميقة التي يمكن الوصول إليها عن طريق دراسة البنية السطحية وما طرأ عليها من تحولات، حيث الانتقال من المستوى السطحي إلى المستوى التأويلي بأدوات منهجية

حديثة مستقاة من اللسانيات ومناهج تحليل الخطاب مع مراعاة خصوصيات القرآن الكريم، بغية فهمه واكتشاف آليات اتساقه وانسجامه.

١٠. الأحاديث القدسية (دراسة بلاغية) لمروة إبراهيم شعبان، رسالة ماجستير في اللغة العربية والبلاغة، من كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة ٢٠٠٧م، وهو بحث يقوم على المنهج الوصفي التحليلي، ويركز على الجانب البياني للأحاديث القدسية كالاستعارة المكنية والتصريحية والكناية، وأنواع البديع كالطباق والجناس والسجع.

١١. التماسك النصي ودور المعاني النحوية في أحاديث العبادات في صحيح مسلم، لمحمد البدري عبدالعظيم، رسالة دكتوراه في النحو، من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة،٢٠٠٧م، تناول فيها الباحث الإحالة، وأدوات العطف وأدوات الشرط والقسم والتشبيه والقصر والحذف والتكرار، وأثر العلاقات النحوية كالبدلية والوصفية، والملابسة، والتعدية في تحقيق التماسك النصي في لغة الحديث الشريف.

١٢. الأحاديث القدسية ـ دراسة لغوية نصية في ضوء نحو النص، بخيت فوزي جاب الله، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة سوهاج، مصر٢٠٠٩م، وهي دراسة وصفية عرض فيها الباحث عناصر التماسك النصي في الأحاديث القدسية، في أربعة فصول، هي (السبك النصي) والثاني (الحبك النصي) و(السياق النصي) و (القصدية النصية) و (الإعلامية النصية) و(القبولية النصية) .

١٣. التماسك النصي في الأحاديث القدسية الصحيحة ـ دراسة في علم النحو النصي، رسالة دكتوراه، إسلام أبو النصر علي، كلية التربية قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة عين شمس، ٢٠١٠م. قدم فيها الباحث تعريفا للحديث القدسي وعرض أهم موضوعاته، وتطرق لبعض النواحي البلاغية والأسلوبية كالتكرار والأسلوب القصصي في الأحاديث القدسية، ومما يؤخذ على البحث هو سطحية الطرح فالباحث حين كان يتطرق

للفكرة لا يعرضها بشكل دقيق متعمق فيه بل اكتفى بطرحها بشكل موجز مع التطبيق بمثال واحد لا يتعرض من خلاله للتحليل والاستنباط الدلالي.

١٤. المتلقي في الخطاب القرآني، حكيمة بو قرومة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٠م. وهي رسالة تناولت موضوع التلقي بشكل دقيق وفصلت في خطابية القرآن الكريم. عرضت فيها الكاتبة أنواع المتلقين في الخطاب القرآني، والاستراتيجيات الخطابية للخطاب القرآني ومقاصد البنية النصية فيه.

١٥. الخصائص التركيبية للحديث القدسي والحديث النبوي ـ دراسة نحوية دلالية موازنة، لأسعد أحمد الدق، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، القاهرة، ٢٠١١م، اتبع فيها البحث المنهج الإحصائي في تحليل التراكيب النحوية لجمل الأحاديث الواردة في صحيح البخاري، ثم عقد بين نمط الجملة في الحديث القدسي، والحديث النبوي الشريف.

١٦. دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي ـ دراسة تطبيقية في صحيح الأحاديث القدسية، محمد عرباوي، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، ٢٠١١م. تدور حول أربعة فصول، الأول: حول لسانيات النص، والثاني: دور الروابط في الاتساق والانسجام، والثالث: دور الروابط الإحالية في اتساق وانسجام الحديث القدسي، والرابع: دور الروابط غير الإحالية في اتساق وانسجام الحديث القدسي. وهو بحث يُعتبر كقاعدة ينطلق منها الباحث في دراسة الأحاديث القدسية، وذلك لتسلسل عرض الأفكار فيه، وغناه بالتطبيقات.

١٧. معطيات نحو الجملة ونحو النص في اتساق الخطاب ـ دراسة وتطبيق، أحمد عبد البديع غريب، رسالة دكتوراه، قسم النحو والصرف والعروض، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠١٣م. تناول فيها الباحث معنى الجملة ومعنى النص والعلاقة بين النص والخطاب،

ومعطيات نحو الجملة كعناصر بنائها وتقسيمها ووسائل ترابط أجزائها، ومعطيات نحو النص كالسياق، والإحالة والاستبدال، والتكرار، والوصل والفصل، والمناسبة.

١٨. أفعال الكلام في الأحاديث القدسية الشريفة ـ مقاربة تداولية، أحمد عبد العزيز محمد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة دمياط، ٢٠١٤م. وهي رسالة تركز على التنظير للأفعال الكلامية ونشأة التداولية وظهورها في الفكر العربي الحديث، ولم أطلع على الرسالة كاملة وإنما وقفت على جزء بسيط متاح منها على الصفحة الإلكترونية لاتحاد المكتبات المصرية.

الرسائل العلمية ذات الصلة بالحديث النبوي الشريف والنحو:

كتبت في موضوع النحو والأسلوبية في الحديث النبوي الشريف رسائل علمية كثيرة منها:

١. خصائص تراكيب الإجمال والتفصيل في أحاديث صحيح البخاري، دراسة نحوية، حنان محمد، رسالة ماجستير، دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠١٣م.

٢. أثر السياق في مبنى تراكيب الحديث النبوي الشريف ـ دراسة لغوية في صحيح مسلم، أحمد رفعت، رسالة ماجستير، دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠١٣م.

٣. صحيح البخاري ومعايير النصية ـ دراسة نصية في كتاب العلم، مصطفى محمد، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة طنطا، ٢٠١١م.

٤. الجملة الناقصة في صحيح البخاري، بخيت فوزي جاب الله، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة سوهاج، ٢٠٠٥م.

٥. الاستثناء في الحديث النبوي ـ دراسة نحوية في صحيح مسلم والبخاري ـ أحمد سيد حامد، رسالة ماجستير، دار العوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م

٦. تراكيب الحديث الشريف ـ دراسة نصية من خلال فتح الباري بشرح صحيح البخاري، حنفي أحمد بدوي، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ٢٠٠٧م.

٧. المشترك اللفظي في الحديث النبوي من خلال صحيح البخاري، أماني محمد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة ٢٠٠٦م.

٨. التوجيه النحوي للأحاديث النبوية المختلفة الرواية في الصحيحين، عاطف أحمد عثمان، رسالة دكتوراه، دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م.

٩. المشتقات في الحديث النبوي من خلال صحيح مسلم، عبد الحميد عوض، رسالة ماجستير، دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٠. إطالة بناء الجملة العربية في صحيح مسلم، نعيم محمد، رسالة ماجستير، دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤م.

١١. خصائص الأسلوب في نصوص صحيح البخاري، مصطفى عطية، رسالة ماجستير، دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٢. التركيب الشرطي في الحديث النبوي في الصحيحين ـ دراسة نحوية، ميلود مبلاد، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م.

١٣. دراسة الجملة في أحاديث الأقوال فيما اتفق عليه الشيخان، سعيد سعد، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٤م.

١٤. السبك والحبك في لغة الحديث الشريف ـ دراسة تطبيقية على صحيح مسلم، سهام علي، رسالة دكتوراه، كلية الألسن، قسم اللغة العربية، جامعة عين شمس، ٢٠١٤م.

١٥. الربط الإحالي في لغة الحديث النبوي الشريف في كتاب (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) جرجيس طه، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٤م.

١٦. عناصر الربط النصي في الحديث الشريف ـ صحيح البخاري نموذجا، نحاس فتحي، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ٢٠٢١م.

الكتب العربية ذات الصلة بدراسة الخطاب:

١. لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م.

٢. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د.محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٥م.

٣. اللغة والخطاب الأدبي، سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

٤. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٦م .

٥. تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٧م.

٦. بنية الخطاب من الجملة إلى النص، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط١، ٢٠٠١م.

٧. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ـ تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

٨. استراتيجيات الخطاب ـ مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٩. الخطاب وخصائص اللغة العربية ـ دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط١، ٢٠١٠م.

١٠. لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط١، ٢٠١٠م.

١١. الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.
١٢. النص والخطاب ـ مباحث لسانية عرفنية، الأزهر الزناد، دار محمد علي الحامي للنشر، تونس ط١، ٢٠١١م.
١٣. تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي، نعيمة الزهيري، دار الأمان، الرباط، المغرب ٢٠١٤م.

الكتب المؤلفة في موضوع الأحاديث القدسية في العصر الحديث:

١. الأحاديث القدسية ـ جمعا ودراسة، د. عمر علي عبد الله، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٥هـ
٢. الجامع في الأحاديث القدسية، د.عبدالسلام محمد علوش، المكتب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
٣. الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، دار الصحابة للتراث للنشر والتوزيع، طنطا، مصر، ط١، ١٩٨٩م.
٤. الأحاديث القدسية الصحيحة، زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط٣، ٢٠٠٤م.
٥. الأحاديث القدسية الصحيحة، محمد متولي الشعراوي، دار الروضة للنشر والتوزيع، د.ط.ت
٦. جامع الأحاديث القدسية ـ موسوعة جامعة مشروحة ومحققة ـ عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٥م
٧. الأحاديث القدسية (في الصحاح والسنن)، محمد عيد درويش، دار العلم الحديث، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٣م.
٨. أدب الأحاديث القدسية، محمد الصايم، دار البشير، القاهرة، مصر، ١٩٩٠م.

المنهج المتبع في البحث

يقوم البحث على جانبين: جانب نظري لمستويات الخطاب والنحو الوظيفي، وجانب تطبيقي على الأحاديث القدسية الصحيحة. والمنهج المتبع فيه هو المنهج الوصفي التحليلي.

ومنهج البحث يترتب من آليات هي:

- تتبع جهود علماء العربية في اهتمامهم بدراسة الخطاب ومستويات التحليل.
- البحث في مصطلحي نظرية الخطاب والنحو الوظيفي في اللسانيات الحديثة (الغربية والعربية).
- جمع الأحاديث القدسية الصحيحة، بالاعتماد على كتاب (الصحيح المسند من الأحاديث القدسية) جمع وتعليق الشيخ مصطفى بن العدوي، وعددها مئة وخمسة وثمانون حديثا قدسيا مسندة ومعزوة إلى مصادرها مع التعليق عليها. ومما يؤخذ على الكتاب أنه أورد فيه إلى جانب الأحاديث القدسية الصحيحة أحاديث حسنة لا تصل لمستوى الصحيح، فتم انتقاء الصحيح منها فقط.
- الوقوف على كل حديث قدسي صحيح بالرجوع إلى الأصول الوارد ذكره فيها للتأكد من دقة نقله.
- حصر ما يقارب المائة حديث قدسي صحيح، ورد فيها اللفظ القدسي صريحا كمادة للدراسة.
- تقديم الحديث الوارد في صحيح البخاري ومن ثم صحيح مسلم إن كان قد ورد بأكثر من رواية ولأكثر من جامع للحديث.
- دراسة مستويات الخطاب في الحديث القدسي من خلال الاطلاع على الروايات الأخرى الصحيحة له، وشروح علماء الحديث كابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) في كتابه (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) والنووي (٦٧٦هـ) في كتابه (صحيح مسلم بشرح النووي).

- استقراء ما في الأحاديث القدسية من مستويات نحوية ومعجمية، ودلالية وتداولية، والوقوف على تنوع استراتيجياته الخطابية.
- استنتاج الخصائص الخطابية والبصمة الأسلوبية التي تتميز بها لغة الأحاديث القدسية .
- محاولة الخلوص إلى نتائج كلية للخطاب في الحديث القدسي من خلال تلخيص نتائج المستويات النحوية والمعجمية والدلالية والتداولية، وتلخيص استراتيجياته الخطابية والحجاجية، وخصائصه الأسلوبية والحوارية.

خطة البحث:

تدور هذه الأطروحة حول مستويات الخطاب في الأحاديث القدسية ـ دراسة نحوية تطبيقية، وفق مستوى الخطاب كفعل تواصلي، ومستوى الخطاب كنظرية لتحليل النصوص، ومستوى تعدد المخاطبين في الأحاديث القدسية، ومستوى تنوع تلقيهم للخطاب القدسي.

والبحث يتكون من: مقدمة وتمهيد، وستة فصول.

المقدمة

وفيها عرض لموضوع البحث وتفصيل لعناصر عنوانه (مستويات الخطاب في الأحاديث القدسية ـ دراسة نحوية تطبيقية) وذكر للكلمات المفتاحية التي سيرتكز البحث عليها وهي (علم اللغة، الخطاب، التلقي، مستويات الخطاب، النحو الوظيفي، الحديث النبوي، الأحاديث القدسية، المعجمية، الدلالة، التداولية، الاستراتيجيات الخطابية، الحجاج). وفيها ذكر لأسباب اختيار الموضوع وأهميته، والدراسات السابقة وموقف الباحثة منها، والفرضيات التي ستنطلق الدراسة منها والمنهج المتبع في البحث.

التمهيد (الأحاديث القدسية لغة واصطلاحا)، ويقع في مباحث:

المبحث الأول ـ الحديث لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني (تعريف الأحاديث القدسية):

. تعريف الأحاديث القدسية.

. الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم.

. الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي.

. صيغ الأحاديث القدسية.

. الخلاف حول ألفاظ الأحاديث القدسية.

. تدوين الأحاديث القدسية.

. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث.

. كتب الأحاديث القدسية.

المبحث الثالث (نصوص الأحاديث القدسية):

. مضامين الأحاديث القدسية.

. مدونة نصوص الأحاديث القدسية الصحيحة.

الفصل الأول (الخطاب بين التلقي والنحو الوظيفي) ويقع في مباحث هي:

المبحث الأول . الخطاب لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني (تطور مفهوم الخطاب):

أ . الخطاب في الفكر اللغوي العربي القديم.

ب . الخطاب في الدراسات اللسانية الحديثة.

المبحث الثالث: (الحديث القدسي بين الخطاب والنص)

. الفرق بين الخطاب والنص

. الحديث القدسي نص وخطاب.

. النص القدسي في مراتب الخطاب.

. النحو الوظيفي والخطاب.

. الخطاب ونحو النص.

المبحث الرابع: (التلقي في الأحاديث القدسية)

عناصر الخطاب (المرسل، المتلقي، الرسالة، السياق والمقام، العلاقات التخاطبية).

. نظرية التلقي في الخطاب.

. أنواع المتلقين في الأحاديث القدسية.

المبحث الخامس: مستويات التحليل اللغوي للخطاب.

الفصل الثاني (المستوى النحوي للخطاب) ويقع في مباحث:

المبحث الأول (الخطاب والتركيب):

أ . دراسة نظرية للمستوى النحوي في الخطاب.

ب . البنية التركيبية للخطاب.

جـ . التراكيب ومستويات الخطاب.

د . الاتساق النحوي في الخطاب.

هـ ـ دور الروابط النحوية في اتساق الخطاب.

المبحث الثاني (الاتساق بالروابط النحوية في الأحاديث القدسية):

أولا ـ الاتساق بالإحالة:

أ. الربط الإحالي بالضمائر

ب ـ الربط الإحالي باسم الإشارة

جـ ـ الربط الإحالي بالاسم الموصول

د ـ الربط الإحالي بأدوات المقارنة

ثانيا ـ الاتساق بالأداة.

ثالثا ـ الاتساق بالحذف.

رابعا ـ الاتساق بالاستبدال: الاستبدال الاسمي، الاستبدال الفعلي، الاستبدال القولي.

خامسا ـ الاتساق بالتوازي التركيبي.

الفصل الثالث (المستوى المعجمي للخطاب) ويقع في مباحثين:

ـ المبحث الأول: دراسة نظرية للمستوى المعجمي.

ـ المبحث الثاني: أدوات المستوى المعجمي (التكرار والتضام).

١. التكرار في الأحاديث القدسية.

٢. التضام في الأحاديث القدسية.

الفصل الرابع (المستوى الدلالي للخطاب) ويقع في مباحث:

ـ المبحث الأول: دراسة نظرية للمستوى الدلالي في الخطاب.

ـ المبحث الثاني: أدوات الانسجام الدلالي في الأحاديث القدسية

. المبحث الثالث: السياق في الأحاديث القدسية:

. السياق اللغوي الداخلي.

. السياق المقامي الخارجي.

. المبحث الرابع: العلاقات السياقية في الأحاديث القدسية.

. المبحث الخامس: السياق والخطاب في الأحاديث القدسية.

الفصل الخامس (المستوى التداولي للخطاب في الأحاديث القدسية) ويقع في مباحث:

. المبحث الأول: تعريف التداولية.

. المبحث الثاني . العناصر التداولية في الخطاب.

. المبحث الثالث: أصناف الأفعال الكلامية في الأحاديث القدسية.

المبحث الرابع: التراكيب النحوية المتداولة في الأحاديث القدسية:

أ) الأفعال الكلامية المباشرة: النداء، الاستفهام.

ب) الأفعال الكلامية غير المباشرة: الوعد والوعيد بأسلوب الأمر والنهي .

الفصل السادس (استراتيجيات الخطاب في الحديث القدسي) ويقع في مباحث:

. المبحث الأول: استراتيجيات الخطاب في الأحاديث القدسية

. المبحث الثاني: الحجاج في الأحاديث القدسية.

. المبحث الثالث: الخصائص الخطابية في الأحاديث القدسية

الخاتمة

المصادر والمراجع

الفهارس الفنية

التمهيد

الأحاديث القدسية لغة واصطلاحا

المبحث الأول (الحديث لغة واصطلاحا):

للأحاديث القدسية مكانة عظيمة، فهي من جملة الوحي لأنها تنسب إلى الله تعالى، وقد اشتملت على نصوص مختلفة في ألفاظها، ومتكاملة في معانيها، وهي تشترك مع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في جملة المفاهيم والتوجيهات، ولطافة الخطاب ورقته، ومزية الخطاب فيها أنه موجه فيها بشكل مباشر من رب العالمين للبشرية كلها.

تعريف الحديث لغة:

يتكون هذا المصطلح من كلمتين (حديث)، و(قدسي) فما المراد من كل منهما؟ وما هو الخيط اللغوي الذي يربط بينهما ؟

الحديث لغة:

تدور معاني كلمة (حديث) في معاجم اللغة العربية حول ثلاثة معان هي: الجديد من الأشياء والمبتدع، والتخاطب والحديث نفسه، وابتداء الشيء. يقول الفراهيدي (١٧٥هـ) في كتاب العين: " وشابة حَدَثة: [فتية] في السن... والحديث: الجديد من الأشياء. ورجل حِدْث: كثير الحديث. والحَدَث: الإبداء"[١]. ويعرفه الأزهري (٣٧٠هـ) في التهذيب" الحَدِيثُ: ما يُحدِّثُ به المحَدِّثُ تحديثا... ومُحدَثات الأمور: ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على غيرها "[٢]. وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٥هـ): " الحاء والدال والثاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن، يقال حدث أمر بعد أن لم يكن. والرجل الحَدَثُ: الطريّ السن. والحديثُ من هذا، لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء. ورجل حدِثٌ : حسن الحديث" [٣]. ومعنى الخبر، واضح عند الرازي (٦٦٦هـ) في (مختار الصحاح) يقول:

---

(١) جـ ٣، ص:١٧٧

(٢) تهذيب اللغة: جـ٤، ص:٤٠٥ ـ ٤٠٦

(٣) جـ٢، ص:٣٦

"الحديث الخبر قليله وكثيره وجمعه (أحاديث) على غير القياس...واستحدث خبرا وجد خبرا جديد ..." [1].

وأكد ابن منظور (٧١١هـ) في لسان العرب ما ذكره السابقون من معان وزاد عليها معنى الوضوح والجلاء، يقول: " الحَدِيثُ: نقيض القديم ... حَدَثَ الشيءُ يَحْدُثُ حُدُوثا وحداثة، وأحدثه هو، فهو مُحْدَثٌ وحَديث، وكذلك استحدثه... والحُدُوث: كون شيء لم يكن... واستحْدَثْتُ خبرا، أي وجدت خبرا جديدا ... وأخذ الأمر بحِدْثانِه وحَدَاثَته أي بأوله وابتدائه... ويقال: صار فلان أحْدُوثة أي أكثروا فيه الأحاديث... ويقال للرجل الصادق الظّنّ: مُحَدَّثٌ، بفتح الدال مشددة ... والمِلهَم: هو الذي يُلقى في نفسه الشيء، فيُخبرُ به حدسا وفراسة، وهو نوع يخُصُ اللهُ به من يشاء من عباده الذين اصطفى ... ومُحادَثةُ السيف: جلاؤُه. وأخذ الرجلُ سيفَه، وحادَثه إذا جلاه... والحَدَثُ: الإبْداءُ ..." [2].

و(الحديث): اسم مفعول من مادة (ح د ث) على وزن (فعيل). و(الحديث) هو الشأن الحادث أي الذي وقع مؤخرا. أو هو: ما كان بعد أن لم يكن. وعلى هذا أطلق لفظ (الحديث) ليكون مقابلا لكلمة (القديم). فالحديث ضد القديم، كما أُطلق (الحديث) ليدل على ما أحدثه الإنسان من كلام، فكلام المرء حادث.

ومما سبق يتبين أن أكثر معاني (الحديث) اللغوية هي الجديد والخبر، والخبر مرادف للحديث، فلا فرق بين الحديث والخبر. وعلى هذا جاء قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ [3] أي خبر موسى، وقوله سبحانه ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [4] أي جديد.

---

(١) ص١٢٥

(٢) جـ٢، ص: ١٣١ ـ ١٣٤

(٣) سورة النازعات: ١٥

(٤) سورة الأنبياء: ٢

و(القدسي) لغة:

التنزه والطهر. وفي كتاب العين (القُدْسُ): "تنزيه الله، وهو القدوس والمقدس، والقُداسُ: الجمان من فضة" [١]، وقال الأزهري (٣٧٠هـ): " القُدوس وهو الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص ... وفي التنزيل ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[٢] الزجاج: معنى نقدس لك أي نُطهِّر أنفسنا لك، وكذلك نفعل بمن أطاعك نُقَدّسه ونُطهّره. ومن هذا قيل للسّطل القَدَس لأنه يُتَقدّس منه أي يُتَطهّر، ومن هذا بيت المقدس أي البيت المطهر الذي يتطهر به من الذنوب وقوله (الملك القدوس) القدوس الطاهر: وهو من أسماء الله ... والقدوس المبارك ... والقَادِسُ السفينة العظيمة، والقُدْسُ تنزيه الله، وهو القُدّوس والمقدّس والمتقدّس ... وقَدْسٌ: جبل وقيل جبل عظيم ... والقَداس: الحجر الذي يلقى في البئر ليعلم قدر مائها " [٣].

وفي معجم مقاييس اللغة " القاف والدال والسين أصل صحيح، وأظنه من الكلام الشرعي الإسلامي، وهو يدل على الطُّهْر. ومن ذلك الأرض المقدَّسة هي المطهَّرة. وتسمى الجنّة حَظِيرة القُدْس، أي الطُّهر. وجبرائيل عليه السلام رُوح القُدُس. وكل ذلك معناه واحد " [٤].

وفي لسان العرب" القُدُوس من القُدْس وهو الطهارة، وقُعُول بالضم من أبنية المبالغة ... وقُدْس، بضم القاف وسكون الدال، جبل معروف، وقيل: هو الموضع المرتفع الذي يصلح للزراعة. والقُدُس والقُدْس، بضم الدال وسكونها، اسم ومصدر، ومنه قيل للجنة: حضيرة القُدْس. والتقديس: التطهير والتبريك. وتقَدّس أي تطهّر ... والقُدْسُ: البركة ... وروح القُدُس: جبريل عليه السلام... والقادِسُ والقَدَّاس: حصاة توضع في الماء قَدْرا لري الإبل، والقادِس: السفينة، وقيل: السفينة العظيمة... وقُدّس، بالتسكين جبل، وقيل جبل عظيم في

---

(١) الخليل بن أحمد ، جـ٥، ص: ٧٣

(٢) سورة البقرة: ٣٠

(٣) معجم تهذيب اللغة ، جـ ٨، ص:٣٩٥ ـ٣٩٧

(٤) ابن فارس، جـ ٥ ، ص: ٦٣

نجد" [١]. وفي معجم الصحاح: (القُدْس) بسكون الدال وضمها الطّهر اسم ومصدر ومنه قيل للجنة حظيرة القدس. وروح القدُس جبرائيل عليه السلام ... و(قُدُّوس) بالضم اسم من أسماء الله تعالى وهو فُعُّول من (القدْس) وهو الطهارة) [٢].

فوردت في المعاجم اللغوية تحت الجذر (قدس) كل المعاني المرتبطة بالطهر والتقديس ولكن لم يرد فيها أي إشارة لربطه بالأحاديث القدسية. وقد وردت مادة (قدس) في القرآن الكريم في عشرة مواضع[٣]، منها ستة مواضع متعلقة بمعنى الطهر ونطهر والقدّوس ونقدّس والمقدّسة أما كلمة القدس فقد وردت في أربعة مواضع فقط بمعنى روح القدس وهو جبريل عليه السلام.

ووردت مادة (قدس) في الحديث النبوي الشريف بالمعاني السابقة نفسها، كقوله ﷺ: ((كيف يقدّس الله أمة لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم))[٤] أي كيف يطهّر، ووردت بمعنى التنزيه في قوله ﷺ: ((عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس))[٥]، وقوله ﷺ: ((إن الله يؤيد حسان بروح القدس))[٦]. وبهذا، يعود أصل اسم الأحاديث القدسية (بضم القاف والدال أو بضمة فسكون) نسبة إلى الطهر وإلى اسم القدوس وهو اسم من أسماء الله تعالى بمعنى الطاهر، وهي التسمية الغالبة والأكثر شيوعا.

---

(١) ابن منظور: جـ٦، ص: ١٦٨ ـ ١٧٠
(٢) الرازي: ص:٥٢٣ـ ٥٢٤
(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي: ص ٥٣٨
(٤) سنن ابن ماجة: رقم الحديث ٥٠٠
(٥) سنن الترمذي: رقم الحديث ٣٥٨٣
(٦) سنن الترمذي: رقم الحديث٢٨٤٦

الحديث اصطلاحا:

أطلق لفظ (الحديث) ليدل على ما أُ ثِر وأُ سنِد إلى رسول الله ﷺ من كلام، فكل كلام نبوي جاء بعد: (قال رسول الله) أو (عن رسول الله) أو قال صحابي (سمعت رسول الله يقول) فهو حديث نبوي. ثم توسع معنى الحديث . في المصطلح . ليدل على كل قول أو فعل أو تقرير أو وصف خُلُقي أو خِلقي لرسول الله ﷺ (١).

****

(١) **دراسات في علوم الحديث، د.إسماعيل سالم ، ص: ١٠ ـ ١١**

المبحث الثاني (الأحاديث القدسية وتدوينها)

تعريف الحديث القدسي:

الحديث القدسي " هو ما رواه النبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى على غير النسق القرآني ونظمه وإعجازه" [١] فسُمي حديثا: لشبهه بالحديث النبوي، في كون كل منهما مروي بالسند إلى قائله، وسمي قدسيا: لأنه أسند إلى الله تعالى من حيث أنه هو المتكلم به والمنشئ له، فنسبته إلى الله نسبة إنشاء.

فالحديث القدسي هو كل حديث أسند فيه الرسول ﷺ قولا إلى الله سبحانه وتعالى ولم يرد في القرآن الكريم، فهو كلام منزل من الله لا لغرض الإعجاز وبهذا يفترق عن القرآن الكريم الذي هو كلام الله المنزل بألفاظ معينة بغرض الإعجاز من اللوح المحفوظ " وليس للحديث القدسي قوة إعجاز خاصة كالقرآن الكريم، ولكنة لجلالة نسبه، ولطف موضوعه كان له موقع خاص في السمع، واستقبال مميز في النفس، وأثر ظاهر في الشعور والوجدان " [٢].

وهو نمط خاص من النصوص الإسلامية المقدسة، يدل سنده وطريقة روايته على أنه يختلف عن القرآن الكريم وعن الحديث النبوي الشريف، وهو يلتقي مع الحديث النبوي في بعض الوجوه.

وقد عُرفت الأحاديث القدسية بعدة تسميات، منها تسميتها الأحاديث الإلهية نسبة إلى الإله تعالى ذكره، وهي التسمية الأكثر ورودا في كتب السلف عندما يذكرون هذه الأحاديث، فقد وردت عند ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) في كتاب (فتح الباري بشرح صحيح البخاري)[٣]، وابن حجر الهيتمي (٢٨٠هـ) في (الفتح المبين لشرح الأربعين) [٤].

---

(١) جامع الأحاديث القدسية، أبو عبدالرحمن عصام الدين الصبابطي: جـ١، ص:١٣
(٢) المرجع السابق: جـ١، ص:١٩
(٣) جـ١،ص: ١٨، ٧٢، ٩٤
(٤) ص: ٢٦٩،٢٦٢،٢٠١

وتُسمى الأحاديث الربانية لقربها من تسمية الأحاديث الإلهية، وتسمى بأسرار الوحي. وقد ذكر هذا المسمى (أسرار الوحي) حسن الجلبي (٨٨٦هـ) في حاشيته (التلويح على التوضيح) في الركن الأول، عند بيان معنى القرآن[١] كما ذكره (المناوي) في خاتمة كتاب (الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية).

الفرق بين الأحاديث القدسية والقرآن الكريم:

القرآن الكريم كلام الله المدون في اللوح المحفوظ والذي نزل به جبريل عليه السلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لا يتطرق إليه الخطأ معجز بلفظه ومعناه وأسلوبه، وثبت نقله كله بالتواتر، وهو معجزة باقية نزل للتحدي بخلاف الحدث القدسي الذي يجوز روايته بالمعنى، عند من أجاز ذلك، وهو كلام الله لفظا ومعنى لكنه ليس بمعجز، وليس له حكم القرآن، منقول بطريق الآحاد كما هو الحال في بقية الأحاديث النبوية، وفيه الصحيح والحسن والضعيف.

قال ابن حجر الهيتمي (٩٧٤ هـ) " فائدة يعم نفعها، ويعظم وقعها، في الفرق بين الوحي المتلو وهو القرآن، والوحي المروي عنه ﷺ عن ربه عز وجل، وهو ما ورد من الأحاديث الإلهية، وتسمى القدسية. اعلم أن الكلم المضاف إليه تعالى أقسام ثلاثة: أولها وهو أشرفها: القرآن، لتميزه عن البقية بإعجازه من أوجه قدمناها أول الكتاب، وكونه معجزة باقية على مر الدهر، محفوظة من التغيير والتبديل، وبحرمة مسه للمحدث، وروايته بالمعنى، وبتعينه في الصلاة، وبتسميته قرآنا، وبأن كل حرف منه بعشر حسنات، وبتسمية الجملة منه آية وسورة... ثانيها: كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل تغييرها وتبديلها. ثالثها: بقية الأحاديث القدسية، وهي ما نقل إلينا آحادا عنه ﷺ، مع إسناده لها عن ربه، فهي من كلامه تعالى، فتضاف

---

(١) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي: ص ٢٨٠

إليه، وهو الأغلب، ونسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء، لأنه المتكلم بها أولا، وقد تضاف إلى النبي ﷺ، لأنه المخبر بها عن الله تعالى، بخلاف القرآن، فإنه لا يضاف إلا إليه تعالى، فيقال فيه: قال الله تعالى، وفيها: قال رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه "[1] .

الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي الشريف:

اشتملت كتب الحديث النبوي الشريف ومصادره الأولى على ضربين أساسيين من الأحاديث، أحدهما: الأحاديث التي أضافها الرسول ﷺ إلى الله عز وجل، وتسمى الأحاديث القدسية، أو الإلهية أو الربانية. وثانيهما: الأحاديث التي ينتهي سندها إلى الرسول ﷺ، وتسمى الأحاديث النبوية. وعبارة الحديث النبوي في مصادر السنة تشمل الحديث القدسي أيضا، باعتبار أن الرسول ﷺ هو الذي يروي هذه الأحاديث عن الله تعالى [2].

أما من حيث الموضوعات فأغلب موضوعات الحديث القدسي حوار بين الله تعالى وعبده، حول الخوف والرجاء، والترغيب في الخير والطمع بالرحمة الإلهية، والترهيب والزجر عن الشر، وهي بعيدة إلى حد ما عن النواحي التشريعية والاختلافات الفقهية والأحكام [3]، بخلاف موضوعات الأحاديث النبوية التي تتطرق لتفصيل ما ورد في القرآن الكريم والأحكام وتشريعات حياة العبد والمجتمع المسلم.

صيغ الأحاديث القدسية:

للحديث القدسي صيغ متعددة منها: (قال الله عز وجل . يقول الله . قال ربكم . أوحى الله إليّ أن)، وقد اشتهرت رواية هذه الأحاديث بصيغتين: الأولى أن يقول راويها: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه، والثانية أن يقول: قال الله تعالى، فيما رواه عنه رسول الله ﷺ

(١) الفتح المبين بشرح الأربعين: ص ٤٣٢ ـ٤٣٣
(٢) ينظر: دراسات في السنة النبوية الشريفة، د. صديق عبد العظيم : ص٥١
(٣) الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٢٩٤

أو ما أشبه ذلك من الصيغ التي تثبت القول للرب تبارك وتعالى عن طريق إسناد فعل القول أو ما يؤدي معناه إسنادا صريحا إليه، وهما صيغتان تنصان على الرواية، وهناك صيغ أخرى يعرف بها الحديث القدسي من خلال سياقه، وقد تأتي بصيغة البناء للمجهول، منها:

. (نادى منادٍ) ثم يظهر في نهاية الحديث أن المنادي هو الله عز وجل من خلال كلمة معينة تدل على ذاته سبحانه، كقوله ﷺ في حديث الاحتضار: ((.... فينادي منادٍ في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا عليه بابا إلى الجنة ....)) (١).

. (...فيُقال)، هكذا على ما لم يسم فاعله، ولكن يأتي في الحديث ما يدل على أن الذي يخاطب العبد هو الله، كأن يكون جواب العبد: (نعم ربنا، أي ربّ) فيدل على أن السائل هو الله عز وجل، فيُعرف حينئذ أنه الحديث قدسي بهذه الدلالة (٢).

ويأتي الحديث القدسي بصيغ أخرى تعبّر عن الوحي، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((قرصت نملة نبيا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: أن قرصتك نملة، فأحرقت أمة تسبح الله)) (٣).

وقد يرد في بعض الأحاديث جزء قدسي صريح يسبقه كلام للنبي ﷺ، ومن شواهده قول رسول الله ﷺ: ((يعجب ربكم من راعي غنم في رأس شظية بجبل يؤذن بالصلاة ويصلي، فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف مني قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة))(٤).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد : ٤/ ٢٨٧، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٥، رقم ١١٦

(٢) ينظر جامع الأحاديث القدسية، لأبي عبد الرحمن عصام الدين الصبابطي: جـ١، ص: ١٣. ١٤

(٣) صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: رقم ٣٠١٩، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٧٣، رقم ١٧٥

(٤) أخرجه أبو داود: رقم ١٢٠٣ ، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٠، رقم١٢٩، رقم ١٧٥

ونصوص الحديث القدسي تشير إلى أن المتكلم فيها هو الله تعالى، وليس الرسول ﷺ، وأن دور الرسول ﷺ هو رواية هذا القول عن الله تعالى، أو حكايته عنه، أو نسبته إليه. ومن شواهده ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: ((قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة)) (١). ومنه ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ...)) (٢).

فالأحاديث القدسية ينسبها الرسول ﷺ إلى الله عز وجل على ثلاث كيفيات، أولاها: الرواية عنه، وثانيها: القول المنسوب إلى الله، كأن يقول: قال الله أو يقول الله، وثالثها: على سبيل الحكاية عن الله كقولهم: فيما يحكيه عن ربه. والمتتبع لنصوص الأحاديث القدسية الصحيحة يجد أن عدد الأحاديث القدسية التي جاءت منسوبة إلى الله تعالى على أنها من قوله تعالى تفوق تلك التي جاءت على سبيل الرواية أو الحكاية على الرغم من اشتهار صيغ الرواية في الحديث القدسي.

الخلاف حول ألفاظ الحديث القدسي:

أشكلت ألفاظ الأحاديث القدسية علماء السلف، فهل هي مضافة إلى الله تعالى باعتبارها من قوله، أو أنها مما يرويه رسول الله ﷺ عنه، ولا خلاف أن معانيها من الله تعالى، وإنما الخلاف على لفظها، هل هو لفظ رباني أم نبوي؟ ويمكن تصنيف الآراء الواردة في ذلك إلى قسمين:

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥٥٩ ، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤٥، رقم ١٦٢

(٢) صحيح البخاري: رقم ٦٥٠٢ ، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٩، رقم ٥١

الأول: أن لفظ الأحاديث القدسية ومعناها من الله تعالى، ويكون بإحدى طرق الوحي المعروفة، الوحي المباشر والإلهام والمنام وبواسطة جبريل عليه السلام [١] وهو رأي ابن حجر الهيتمي (٩٧٣هـ) السابق ذكره، في قوله عنها: "الأحاديث القدسية هي ما نقل إلينا آحادا عنه ﷺ مع إسناده لها عن ربه، فهي من كلامه تعالى، فتضاف إليه، وهو الأغلب، ونسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء، لأنه المتكلم بها أولا، وقد تضاف إلى النبي ﷺ لأنه المخبر بها عن الله تعالى بخلاف القرآن فإنه لا يضاف إلا إليه تعالى، فيقال فيه: قال الله تعالى، وفيها قال رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه " [٢].

وابن حجر العسقلاني عند شرحه لحديث ((أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر)) [٣] يقول:" وهذا من الأحاديث الإلهية، وهي تحتمل أن يكون النبي ﷺ أخذها عن الله بلا واسطة أو بواسطة "[٤] ويرى الزرقاني (١٣٦٧هـ) أن " الحديث القدسي أوحيت ألفاظه من الله على المشهور والحديث النبوي أوحيت معانيه في غير ما اجتهد فيه الرسول والألفاظ من الرسول"[٥].

الثاني: أن لفظ الأحاديث القدسية من الرسول ﷺ ومعناها من الله تعالى. ويقف أغلب من كتبوا في الحديث من السلف ومن العلماء المعاصرين مع هذا الرأي، من غير بيان للأسباب التي حملتهم على ذلك التفضيل، يقول أبو البقاء الكفوي (١٠٩٤هـ): "القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحي جلي، وأما الحديث القدسي فهو ما كان لفظه من عند الرسول ﷺ، ومعناه من عند الله بالإلهام أو المنام" [٦] ويقول الطيبي (٧٤٣هـ): " القرآن هو اللفظ المنزّل به

---

(١) ينظر الأحاديث القدسية جمعا ودراسة، د.عمر علي عبدالله : جـ١، ص: ١٤ ـ ١٥

(٢) الفتح المبين بشرح الأربعين، ص: ٤٣٢ ـ ٤٣٣

(٣) صحيح البخاري: رقم٨٤٦، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٦، رقم١٣

(٤) فتح الباري: ٢/ ٦٠٨

(٥) منهال العرفان في علوم القرآن: جـ ١/ ص ٣٧

(٦) الكليات: ص ٧٢٢

جبريل على النبي ﷺ للإعجاز، والحديث القدسي إخبار الله رسوله معناه بالإلهام أو بالمنام، فأخبر النبي ﷺ أمته بعبارة نفسه، وسائر الأحاديث لم يضفها إلى الله تعالى، ولم يروها عنه تعالى" [١].

ويقول الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) " الحديث القدسي هو من حيث المعنى من عند الله تعالى ومن حيث اللفظ من رسول الله ﷺ فهو ما أخبر الله تعالى به نبيه بإلهام أو منام فأخبر عليه السلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه، فالقرآن مفضل عليه لأن لفظه منزل أيضا " [٢] والملا علي القاري(١٠١٤هـ) يقول في تعريف الأحاديث القدسية: " هو ما يرويه صدر الرواة، وبدر الثقات عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات عن الله تبارك وتعالى تارة بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام وتارة بالوحي والإلهام والمنام، مفوضا إليه التعبير بأي عبارة شاء من أنواع الكلام" [٣] فيؤكد بهذا أن لفظها من رسول الله ﷺ، وهو ما ذهب إليه المناوي (١٠٣١هـ) في كتابه (الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية) وهو الرأي الذي استقر عليه أغلب العلماء. ولا توجد تبريرات وأسباب تؤيد هذا الرأي عند من تبنوه من السلف، ولكنهم استقروا عليه لأنهم يقارنون الحديث القدسي بالقرآن الكريم الذي يكون مقيدا باللفظ المنزل من اللوح المحفوظ من عند الله تعالى.

أما المعاصرون ممن تبنوا هذا الرأي فلم يخرجون عن نصوص الأوائل في شيء بل تبعوهم في عدم تعليل حكمهم على الأحاديث القدسية بأن لفظها من الرسول ﷺ، يقول إبراهيم النعمة: " الحديث القدسي ينسب إلى الله تعالى، ويحكيه ويرويه الرسول عن الله تعالى، فيكون معناه من عند الله يلقيه عز وجل إلى الرسول بكيفية من كيفيات الوحي، وألفاظه تكون من

---

(١) فيض القدير، المناوي: جـ٤،ص٤٦٨

(٢) التعريفات: ص ١١٣

(٣) كتاب الأحاديث القدسية الأربعينية: ص١٠

الرسول ﷺ، وقد نُسب الحديث إلى الله تعالى من باب النسبة لمضمونه لا النسبة لألفاظه"[١].

ومن أشهر العلماء المعاصرين الذين تبنوا الرأي القائل بأن الحديث القدسي معناه من الله تعالى ولفظه من عند رسوله ﷺ الدكتور محمد دراز في كتابه (النبأ العظيم) عند حديثه عن الحديث القدسي بقوله: " أنه منزل بمعناه فقط، وهو أظهر القولين عندنا، لأنه لو كان منزلا بلفظه لكان له من الحرمة والقدسية في نظر الشرع ما للنظم القرآني، إذ لا وجه للتفرقة بين لفظين منزلين من عند الله " [٢] وواضح أن منطلقه من استبعاد القول الثاني أنه لو كان بلفظه ومعناه من الله لأصبح قرآنا. ومن الذين عللوا إضافة الحديث القدسي إلى الله معنى فقط، محققا كتاب (المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية) فذكرا في مقدمة الكتاب أن الأحاديث القدسية معناها من الله ولفظها من الرسول ﷺ، وإضافتها إلى الله تعالى " اهتمام بشأنها، وتنبيه على مكانتها العالية في التوجيه ﷺ، وإثارة الشعور" [٣]، وقد ذكر الدكتور صبحي الصالح بأن الأحاديث القدسية تتميز بـ " نفحة من عالم القدس، ونور من عالم الغيب، وهيبة من ذي الجلال والإكرام " [٤].

وبعد البحث والتتبع في كتب الحديث يبدو أن القول الأول وهو أن الحديث القدسي لفظه ومعناه من الله تعالى أكثر صحة ومنطقية، لأسباب هي: الإضافة الصريحة فيه لرب العالمين، فضمائر المتكلم واردة فيه صراحة ودالة على الذات الإلهية، ووجود الراوي الأمين وارد فيه صراحة، وبينه وبين الحديث النبوي، اختلاف في أسلوب الحوار و المناداة من رب العالمين لعبادة في أمور متصلة بأغوار النفوس والنوايا وخفايا القلوب.

---

(١) دراسة في مصطلح الحديث،ص: ٢٣

(٢) النبأ العظيم: ص١٦

(٣) المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية، علي بن بلباز المقدسي: ص ٢٧

(٤) علوم الحديث ومصطلحه: ص ١١

وطريقة تبويب البخاري لكتابه الصحيح تدل على أنه يرى أن الحديث القدسي لفظه ومعناه من الله تعالى، حيث عقد في كتاب التوحيد من صحيحه الأبواب التالية:

كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة [١]، باب قول الله تعالى: (يريدون ليبدلوا كلام الله) [٢] وباب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء [٣]، وباب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه[٤]. وقد ذكر تحت كل باب من تلك الأبواب طائفة من الأحاديث القدسية، وكلام الله عند الإطلاق ينصرف إلى كلامه حقيقة ويشمل اللفظ والمعنى.

وهناك أحاديث قدسية صريحة في نسبتها إلى الله تعالى، لم ترد فيها أي إشارة إلى أن القول للرسول ﷺ، وهو كما ذكره البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟))[٥] فالمتكلم هو الله، في قوله (من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له) ودور الرسول ﷺ هو رواية هذا القول عن الله تعالى، أو حكايته أو نسبته، ولا يوجد مسوغ لصرف ضمائر المتكلم عن الله وتأويلها من غير قرينة " فلو كان اللفظ من عند النبي ﷺ لانتهى بالرواية إليه كما هو الشأن في الأحاديث النبوية" [٦].

وقد يكون الحديث القدسي جزءا من حديث نبوي طويل، كحديث الشفاعة، وحديث الإسراء والمعراج وغيرها، ومنها ما صُدّر بلفظ (أوحى الله) أو ذكر في أثنائه نحو: وأوحى الله إلى

---

(١) صحيح البخاري: ١٣/ ٤٦٩

(٢) صحيح البخاري:١٣/ ٤٧٢

(٣) صحيح البخاري:٤٨١/١٣

(٤) صحيح البخاري:١٣/ ٥٢١

(٥) صحيح البخاري: كتاب التهجد، رقم ١٠٩٤، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٨، رقم ١٢٦

(٦) الأحاديث القدسية ومنزلتها في التشريع، د. شعبان محمد إسماعيل: ص٢٧ ـ ٢٨

إبراهيم، وأوحى الله إلى موسى، وأوحى الله عز وجل إليّ، أو (أمرني الله ...) حيث عدها العلماء من الأحاديث القدسية " [1] ومثالها قوله ﷺ: ((إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها ... وأنا آمركم بخمس كلمات الله أمرني بهن السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة ...))[2] وهي أحاديث غير واضح أنها أساليب إلهية مباشرة.

وهناك عدد قليل من الأحاديث القدسية وردت بروايات متعددة تلتبس فيها ألفاظ نص الحديث فقد تكون على سبيل الحكاية عن رب العالمين للرسول ﷺ. كما ورد عن عبدالله بن مسعود قال: ((حدثنا رسول الله، وهو الصادق المصدوق، أنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يُرسل الملك فينفخ فيه الروح، وُيؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله وعمله، وشقي أو سعيد ... الحديث))[3]، فتكون ألفاظ الحديث من الرسول ﷺ نقلا وحكاية عن رب العالمين.

والحديث نفسه ورد برواية أخرى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: ((حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، أنه يجمع خلق أحدكم ... ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقول: اكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد... الحديث))[4]، وواضح أن هذه الرواية على سبيل الكلام المباشر من رب العالمين في قوله (اكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد). ولعل التعدد في صيغ الروايات التي تكون حينا كلاما إلهيا مباشرا، وتكون حينا آخر على سبيل الحكاية عن الله، هو الذي حمل العلماء على الاختلاف في ألفاظ الأحاديث القدسية، وهذه الروايات غير الصريحة قليلة جدا إذا ما قورنت بالروايات الصريحة.

---

(١) الأحاديث القدسية جمعا ودراسة، د.عمر علي عبدالله: ص٢٧

(٢) حديث صحيح أخرجه الترمذي: رقم ٢٨٦٣ ، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢١٥ ٢١٦، رقم١٤٦

(٣) صحيح مسلم جـ٤ ، ص : رقم: ٢٦٤٣

(٤) سنن ابن ماجة، ابن ماجة القزويني: باب القدر، جـ١، رقم ٧٦

وبهذا يكون الحديث القدسي هو ما رواه النبي ﷺ عن ربه على غير النسق القرآني ونظمه وإعجازه يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي:" اختلاف القرآن الكريم والأحاديث القدسية والأحاديث النبوية أكبر دليل على أن القرآن الكريم والأحاديث القدسية ليسا من عند رسول الله ﷺ، لأن الشخصية الأسلوبية لأي إنسان هي شخصية مميزة، ولا يمكن أن ينفعل أحد بأحداث الحياة، فيكتب كل مرة بأسلوب مختلف تماما عن الأسلوب الآخر " (١).

تدوين الحديث:

نهى الرسول ﷺ عن الانشغال بتدوين الحديث في عهده كي لا يختلط بالقرآن الكريم. فظل أغلب الحديث محفوظا في الصدور، يقول صلى الله عليه وسلم: ((لا تكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار))(٢) وما دون من الحديث في عهد النبوة كان صحائف قليلة كالصحيفة الصادقة لعبدالله بن عمرو بن العاص (٣٦هـ)، وصحيفة أبي هريرة(٥٩هـ)، وألواح عبدالله بن عباس(٦٨هـ)، وصحيفة جابر بن عبدالله الأنصاري(٧٨هـ)، وصحيفة ابن شهاب الزهري (١٢٤هـ) رضي الله عنهم جميعا(٣). ومن ذلك يتضح أن " تدوين الحديث بدأ في عهد الرسول ﷺ ذاته، وعلى مشهد منه ورضاه "(٤) لكن الكتابة كانت قليلة جدا إذا أمن اللبس لكون " العارفين بالكتابة كانوا في غربة الإسلام قليلين فاقتضت الحكمة قصرهم على كتابة القرآن "(٥).

وقبل نهاية القرن الأول الهجري حين فتح المسلمون البلدان وانتشر الإسلام في كل مكان أصبحت الحاجة ماسة إلى نشر السنة في تلك الأقاليم المفتوحة ولاسيما بعد موت الكثير من

---

(١) الأحاديث القدسية: جـ ١، ص١٢

(٢) صحيح مسلم: رقم ٣٠٠٤

(٣) ينظر: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف: د.عودة خليل: ص٨٩

(٤) أدب الحديث النبوي، د. بكري شيخ أمين: ص ٣٧

(٥) مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث ، محمد عبدالعزيز الخولي: ص ١٦

الحفاظ وانشغال كثير من المسلمين بأمور الدنيا وعدم تفرغهم لحفظ السنة، فكتب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه (ت١٠١هـ) إلى الآفاق يحثهم على جمع السنة وتدوينها خوفا من ضياعها، فاستجاب له كثير من العلماء وبدأت عملية جمع الحديث الشريف [١].

وقد قسم الدكتور فؤاد سزكين المراحل التي مرت بها كتابة الحديث النبوي الشريف، إلى ثلاث مراحل:

أ . كتابة الحديث. وقد سجلت الأحاديث في هذه المرحلة في كراريس صغيرة، وأطلق على الواحد منها اسم الصحيفة، أو (الجزء) وتمت هذه المرحلة في عصر الصحابة وأوائل التابعين.

ب . تدوين الحديث: وفي هذه المرحلة ضُمت التسجيلات المتفرقة، وتم هذا في الربع الأخير من القرن الأول للهجرة والربع الأول من القرن الثاني.

جـ . تصنيف الحديث: وقد رتبت الأحاديث في هذه المرحلة وفق مضمونها في فصول وأبواب، في الربع الثاني من القرن الثاني واستمر إلى أن ظهرت مع أواخر القرن الثاني للهجرة طريقة أخرى لترتيب الأحاديث وفق أسماء صحابة الرسول ﷺ في كتب، يحمل الواحد منها اسم المسند[٢].

موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث:

لعل التأخر في تدوين الحديث النبوي الشريف هو التفسير المنطقي لقلة وجود الأحاديث في كتاب سيبويه وكتب النحاة المتقدمين، فقليلا ما نرى شاهدا من الحديث النبوي يورده أحد علماء النحو ممن أسسوا لهذا العلم وقعدوه، الأمر الذي جعل كثيرا من الباحثين في النحو العربي يعزفون عن الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف بدعوى أن بعض الأحاديث الشريفة قد رويت بمعناها دون لفظها، و" نتيجة انتشار الأعاجم والمولدين ممن لم تكن لهم لغة سليقة،

(١) مقدمه الطبعة الثانية لفتح الباري بشرح البخاري، د.حسن عباس: ص٦
(٢) ينظر: تاريخ التراث العربي ـ في علوم القرآن والحديث، د.فؤاد سزكين : جـ ١ ، ص: ٢٢٧

وأن ربما دخل اللحن في عباراتهم فزادوا أو نقصوا، وقدموا أو أخروا، إلا أن دلالة الرواية بالمعنى لا تعني أن الحديث النبوي الذي جمع ودون في المسانيد قد روي بمعناه دون لفظه، بل إنها تعني فترة محدودة كان يقال فيها الحديث بمعناه، لأن جل الناس لا يحفظونه. ولكن هذه الفترة انتهت بتدوين الحديث النبوي الشريف بالمنهج والأسلوب الذي كتبت في تفصيله والإشادة به آلاف الكتب " (١).

ولهذا السبب لم نجد احتجاجا كثيرا بالحديث في كتب النحو واللغة في فترة بداية القرن الهجري الأول، حين بدأ أبو الأسود الدؤلي (٦٩هـ) والخليل بن أحمد (١٧٥هـ) وسيبويه (١٨٠هـ) يضعون أسس النحو العربي، لأن الحديث النبوي لم يكن قد بدأ تدوينه بصورة تسمح بتداوله وانتشاره الانتشار الذي يمكن النحاة من الاستشهاد به في كتب قواعد اللغة، فكان تحرج النحاة من الاستشهاد به في فترة قوله بمعناه لأن جلّ الناس لا يحفظونه وهو موزع بين الصدور .

ولكن هذه الفترة انتهت بتدوين الحديث، وتصنيفه وتبويبه بأسلوب علمي دقيق لم يتوافر لأي علم من قبل غير القرآن الكريم، وكان لهذه المرحلة أثرها " ولعل هذا هو تفسير تحرج سيبويه في نسبة الحديث النبوي الشريف إلى النبي ﷺ في كتابه، فما كان له وهو المشهور بدقته وصدقه وعدالة روايته أن ينسب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام شيئا هو غير مستيقن منه... إن التحرج والتحفظ ـ الذي كانا لفترة محدودة ـ امتد به النحاة إلى أن وصفوا به الحديث النبوي الشريف كله، حتى بعد أن جمع ودوّن في كتب الصحاح " (٢).

وقد انتهى مجمع اللغة العربية بالقاهرة في موضوع الاحتجاج بالحديث إلى القرار التالي: اختلف علماء العربية في الاحتجاج بالأحاديث النبوية لجواز روايتها بالمعنى ولكثرة الأعاجم، وقد رأى المجمع الاحتجاج ببعضها في أحوال خاصة مبينة فيما يلي:

---

(١) بناء الجملة في الحديث النبوي، عودة خليل أبو عودة: ص ١٤٧

(٢) المرجع السابق: ص٩١

أ ـ لا يحتج في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول، كالكتب الصحاح الستة فما قبلها.

ب ـ يحتج بالحديث المدون في هذه الكتب الآنفة الذكر على الوجه الآتي:

١. الأحاديث المتواترة المشهورة.

٢. الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات.

٣. الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم.

٤ ـ كتب النبي ﷺ.

٥ ـ الأحاديث المروية لبيان أنه ﷺ كان يخاطب كل قوم بلغتهم.

٦ ـ الأحاديث التي عرف من حال رواتها أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل: القاسم بن محمد التميمي (١٠٧هـ)، وابن سيرين(١١٠هـ)، ورجاء بن حيوة (١١٢هـ).

٧. الأحاديث المروية من طرق متعددة وألفاظها واحدة [١].

كتب الأحاديث القدسية:

إن الأحاديث القدسية مثبتة في مدونات السنة ومصنفاتها المختلفة من مسانيد وسنن ومعاجم وجوامع وغيرها، إلا أنه لم يفرد لها باب مستقل أو موضع محدد، فعوملت الأحاديث القدسية من حيث الجمع والتدوين والإسناد معاملة الأحاديث النبوية، وكانت لقلتها تتخلل كتب السنة والحديث، وقد بدأ التأليف في الحديث القدسي والتصنيف فيه على نحو مستقل في مطلع القرن السادس الهجري، عند زاهر بن طاهر السحامي(ت:٥٣٣هـ)، وعبد الغني المقدسي

(١) ينظر: مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما ١٩٣٢ ـ ١٩٦٢. رقم ٣ مجموعة القرارات العلمية ص: ٣ ـ ٤

(ت:٦٠٠هـ)، وابن المفضل المقدسي (ت: ٦١١هـ) وله كتاب (الأربعون الإلهية) وهؤلاء لم تصل مؤلفاتهم في الأحاديث القدسية إلينا [١].

ولعل أقدم ما وصل من المصنفات المستقلة بالأحاديث القدسية، هي رسالة (المواعظ في الأحاديث القدسية) للإمام أبي حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ). ومن أشهر المؤلفات في الحديث القدسي هي:

.كتاب (الأحاديث الإلهية) لزاهر بن طاهر النيسابوري (ت ٥٣٣هـ).

.كتاب (الأربعين من كلام رب العالمين) للحافظ عبدالغني المقدسي الدمشقي (ت٦٠٠هـ).

.كتاب (الأربعين الإلهية) للحافظ أبو الحسن علي بن الفضل اللخمي المقدسي (ت٦١١هـ).

.كتاب (مشكاة الأنوار فيما روي عن الله سبحانه من الأخبار) لمحيي الدين محمد بن علي الملقب بابن عربي (ت٦٣٨هـ).

.كتاب (الأحاديث القدسية) للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) .
كتاب (المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية) لعلي بن بلبان المقدسي (ت ٧٣٩ هـ).

.كتاب (الأحاديث القدسية) لعبد الرحمن الشيباني (ت٩٤٤هـ)

.كتاب(الأحاديث القدسية الأربعينية) لعلي بن سلطان المشهور بالملا علي القاري (ت: ١٠١٤ هـ) .

.كتاب (الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية) للشيخ عبدالرؤوف المناوي (ت ١٠٣٥هـ) وعليه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية لمحمد منير الدمشقي الذي قام بشرح الأحاديث القدسية الواردة في الكتاب وتخريجها.

.كتاب (الأحاديث القدسية) لعبدالغني بن إسماعيل النابلسي (ت١١٤٣هـ).

---

(١) ينظر: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن جعفر الكتاني: ص ٦٨

. الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية، لمحمد المدني (ت ١٢٠٠هـ).

. الأحاديث القدسية: أصدرته لجنة القرآن والحديث في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر سنة ١٤٠٣هـ .

. الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، لمصطفى العدوي.

. الأحاديث القدسية، لجمال محمد علي الشقيري .

. جامع الأحاديث القدسية، لأبي عبد الرحمن عصام الدين الصبابطي .

. معجم الأحاديث القدسية الصحيحة ومعها الأربعون القدسية، لكمال بن بيوني المصري.

. الأحاديث القدسية . جمعا ودراسة لعمر علي .

عدد الأحاديث القدسية:

الأحاديث القدسية عددها قليل إذا ما قورنت بأعداد الأحاديث النبوية، والجدول التالي يمثل إحصائية بالأحاديث القدسية في أهم مصادر الحديث النبوي الشريف[١]:

صحيح البخاري: ٥٢ حديثا قدسيا

صحيح مسلم: ٤٩ حديثا قدسيا

جامع الترمذي: ٤٣ حديثا قدسيا

سنن أبي داود: ١٣ حديثا قدسيا

سنن النسائي: ٣٤ حديثا قدسيا

سنن ابن ماجه: ٣٧ حديثا قدسيا

مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١٤٣ حديثا قدسيا

---

(١) ينظر: الأحاديث القدسية، د.علي عبدالله النعيم: ص ٢٩

المبحث الثالث ـ (نصوص الأحاديث القدسية)

مضامين الأحاديث القدسية:

إن قراءة الأحاديث القدسية ككل متجانس مترابط في مضامينه، يجعل الباحث ينظر إليها كجنس أدبي فيحاول أن يكشف الخيوط الرابطة لنسيجه، ونقاط الالتقاء المركزية الرابطة له، والوقوف على المضامين العامة للأحاديث القدسية يعد ضرورة في مثل هذه الدراسة، لأنها تشكل عتبة للدخول، لفهم هذه النصوص ودراستها وتحليلها.

والأحاديث القدسية لا تتعرض لتفصيل الأحكام الفقهية، ولا لبيان الشرائع التعبدية كالأحاديث النبوية، ولكنها تركز على بناء النفس الإنسانية وتقويمها وتربيتها على الأغراض الشرعية والمقاصد الربانية، فتأتي في حضّ النفس على الطاعات والمندوبات، وفي تحذيرها من المعاصي والمنكرات، وفي الدعوة إلى الخير والفضيلة ومكارم الأخلاق، وفي توجيه النفس إلى حب الله وطلب رضاه وفي الترغيب في الجنة والتخويف من النار، وبالجملة فإنها تدور في فلك الوعظ والتوجيه والتربية [١].

وموضوعات الأحاديث القدسية يغلب ورودها في أبواب الإيمان، والزهد والرقائق، والذكر والدعاء والاستغفار، والحث على الأخلاق الفاضلة، والنهي عن سيئها، وفي بدء الخلق والبعث والنشور، والحساب في اليوم الآخر، والصراط، والحوض، والشفاعة، والجنة والنار، ويندر أن تتعرض لذكر الفرائض والواجبات والأحكام الشرعية، وإن وجد فيها شيء منها فهو على سبيل الترغيب والترهيب[٢]، ولهذا كانت الأحاديث القدسية موردا خصبا للوعاظ ولمن يحملون هم الدعوة والإرشاد.

---

(١) جامع الأحاديث القدسية، لأبي عبدالرحمن عصام الدين الصبابطي: جـ١، ص:١٩ ـ ٢٠

(٢) ينظر: الأحاديث القدسية جمعا ودراسة، د. عمر علي عبدالله: ٢٩ ـ ٣٠

وإذا كان القرآن الكريم قد عالج في قسمه المكي مسائل العقيدة والإيمان بالغيب والتوحيد، فقد عالج في قسمه المدني مسائل التشريع عامة، والحديث النبوي شمل الجانبين العقدي والتشريعي. أما الأحاديث القدسية فقد اختصت بموضوعات محددة تكاد تميزها عن الأحاديث النبوية الشريفة، كما تميزت بنسبتها إلى الله تعالى. فاختصت بتأصيل حركة المؤمن على نحو من الإيمان المتصل الدائم، والحضور الكامل في ساعات يومه وحياته، واستمرار ارتباطه بربه وذكره إياه، وخوفه منه ورجائه له، وذلك من خلال تقديم منهج في السلوك وتربية النفس، ولا يعني ذلك أن القرآن الكريم والحديث النبوي قد خلوا من هذه المضامين، وإنما كان لورودها في الأحاديث القدسية جوا روحانيا وفكريا خاصا [١].

وتدور جميع نصوص الأحاديث القدسية حول فكرة محورية وتلتقي عند نقطة مركزية، وهي تجلية معاني الألوهية والعبودية بالمغفرة، وتدور في قطبين هما: المنهج السلوكي في الحياة اليومية، والربط الإيماني باليوم الآخر" ومجمل القول في هذه الموضوعات أنها تجلي معاني الألوهية والعبودية، وتوضح أقدارا من أبعادهما. خاصة في المجالات الاعتقادية، والتعبدية، والسلوكية، وهي لا تكاد تتجاوز هذه الدائرة إلى موضوعات التشريع، أو الأحكام، أو المعاملات، التي تُعالج في مواضعها من مصادر الدين الأخرى من قرآن وحديث ... وأسلوب الأحاديث في جميع صورها علي الطابق، روحي الصبغة، عميق الإثارة. ولعل هذا هو أحد الأسباب التي جعلت مؤلفي كتب الترغيب والترهيب والرياضات الروحية والسلوكية يكثرون من الاستشهاد بالأحاديث القدسية"[٢] وعليه يمكن تقسيم مضامين الأحاديث القدسية إلى فكرتين أساسيتين:

الأولى: المنهج السلوكي للمؤمن

الثاني: الربط الإيماني باليوم الآخر

---

(١) ينظر: الحديث والمحدّثون، محمد محمد أبو زهو: ص: ٤٠ ـ ٤٣

(٢) ينظر: الأربعون القدسية، اختيار وتقديم د.عز الدين إبراهيم: ص ٣٤

والفكرتان مترابطتان، فالأحاديث القدسية تصور وجه العبادة الباطنة المتعلقة بالقلب وبالخوف والرجاء وصدق النية، وتحث على العبادة الظاهرة بالسلوك الذي يجسد الشرع ومفاهيمه. يقول ابن تيمية: " العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة: فالصلاة والزكاة والصيام والحج ... وأمثال ذلك من العبادة . الظاهرة . وكذلك حب الله ورسوله، وخشيته والإنابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك هي من العبادات . الباطنة . لله" [1] فاهتمت الأحاديث القدسية بالصورة التي يجب أن يكون عليها وجدان المؤمن ودواخله ليرتقي في مراتب العبودية الحقة لله تعالى.

والمنهج الرباني الذي تدعو إليه الأحاديث القدسية يجعل عبادة الإنسان لربه يلفها الحضور وصدق النية والإخلاص في طاعة الإنسان لربه، فالعبد الذي تصفه الأحاديث القدسية عبد رباني، موصل قلبه بالله ورسوله، وموصول قلبه بالمؤمنين، وموصول قلبه بالدار الآخرة، والفكرة الثانية التي ترتكز الأحاديث القدسية عليها هي الربط الإيماني باليوم الآخر، وهي بمثابة الحض على اتباع المنهج السلوكي بالترغيب في الثواب الإلهي والتخويف من عقابه.

ومن تتبع موضوعات الأحاديث القدسية يجد الترابط والتسلسل جامعا لها، فهي تبدأ بمواضيع (الخلق) خلق الكون والسموات والأرض، مثال ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال، فعاد بها عليها فاستقرت....))[2]، وتتناول خلق آدم، وخلق ذريته، فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقطت من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا [3] من نور

---

(١) كتاب العبودية: ص٧

(٢) سنن الترمذي: باب تفسير القرآن، رقم ٣٤٢٨

(٣) وبيص: بريق

ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء. قال: هؤلاء ذريتك ...))[1] وتطرقت للإنسان في بطن أمه وكتابة أجله وعمله ورزقه، ففي صحيح مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري عن النبي ﷺ قال: ((يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول يا رب أشقي أو سعيد فيكتبان فيقول أي رب أذكر أم أنثى فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص)) [2] .

كما تركز الأحاديث القدسية على موضوع (التوحيد) بتوحيد الله والإخلاص في النية، ومن ذلك قوله تعالى في الحديث القدسي: ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه)) [3] وفي موضوع (الذكر) والترغيب في العبادة يقول ﷺ: ((يقول ربكم تبارك وتعالى: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى، وأملأ يديك رزقا، يا ابن آدم لا تباعد مني فأملأ قلبك فقرا وأملأ يديك شغلا)) [4] ، والحث على الذكر الدائم المتصل بكل لحظات اليوم والحياة، بداية بالصلاة والقرآن والتسبيح وقيام الليل ففي الحديث القدسي: ((من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ...)) [5] وحين يملأ الذكر قلب العبد ينال ثمرة المعية مع الله يقول تعالى في الحديث القدسي ((أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ...))[6] وثمار الذكر مستمرة ليوم القيامة يؤكد ذلك قوله ﷺ: ((إن الرجل لترتفع درجته في الجنة، فيقول أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك)) [7] .

---

(١) حديث صحيح أخرجه الترمذي: رقم ٣٠٧٦، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٩٥، رقم ١٣٨

(٢) صحيح مسلم: كتاب القدر، رقم ٢٦٤٤

(٣) صحيح مسلم: ٢٩٨٥ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٢، رقم ٩

(٤) حديث صحيح أخرجه الحاكم: جـ٤، ص: ٣٢٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٨، رقم ٣٣

(٥) سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، ج،٥، ص١٨٤، رقم ٢٩٢٦

(٦) صحيح البخاري: رقم ٧٤٠٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٧، رقم ٣٠

(٧) سنن ابن ماجه: كتاب الأدب، جـ ١، ص٣٨٩ نرقم ٣٦٦٠

وفي موضوع (الصبر) يقول ﷺ: ((يقول تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء، إذا قبضت صفية من أهل الدنيا ثم احتسب إلا الجنة)) [١] وفي موضوع (الخوف من الله) ما ورد في قوله ﷺ: ((يعجب ربكم من راعي غنم في رأس شظية بجبل يؤذن بالصلاة ويصلي، فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي هذا يُؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة))[٢].

والأحاديث القدسية تبين صورة المؤمن الموحد الذاكر في كل الأحوال في الرخاء والشدة وفي عمارته للأرض وتمكين معاني الدين في أرجائها، وهي توضح أن حركة الذكر والعبادة والإخلاص ليست مقتصرة على الناحية الفردية، وإنما تمتد فتشمل جماعة الذاكرين، في قوله رسول الله ﷺ: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا)) [٣].

وقد اعتنت الأحاديث القدسية في كثير من نصوصها بالجماعة والمجتمع الذي يشكل الفرد أساسا فيه، مثال ذلك مواضيع (الإنفاق) في قوله صلى الله عيه وسلم: ((قال الله: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك))[٤] وتأصيل مبدأ التكافل والتعاون داخل المجتمع، ومشاركة الناس، وتراحمهم ومساندتهم لبعضهم، ومن ذلك ما رواه النبي ﷺ عن العبد الذي لقي ربه وما عمل خيرا قط، في قوله ﷺ: ((حُوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يُخالط

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٤٢٤، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٠، رقم ١١٦

(٢) حديث صحيح أخرجه أبو داود: رقم ١٢٠٣ ، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٠، رقم١٢٩

(٣) صحيح البخاري: رقم ٦٤٠٨، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩، رقم ٣٤

(٤) صحيح البخاري: كتاب النفقات، جـ٣، ص: ٩٢، رقم الحديث: ٥٠٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٣، رقم ١٢٠

الناس، وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه)) [١].

وحركة المال السارية في المجتمع المسلم مرتبطة بالمنعم ومرتبطة بالنية والتوحيد مما يشد عرى التكافل المجتمعي، وبذلك تترابط مواضيع الأحاديث القدسية ببعضها. ويتحقق التكافل بالترغيب في الإنفاق والإطعام والسقي والعيادة وصلة الأرحام، في قوله تعالى للعبد: ((أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ ... أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ... استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي)) [٢] وقوله تعالى للرحم: ((ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك)) [٣] للحض على صلة الأرحام.

وتسري في الأرض روح الجماعة بين المتحابين فيه، وفي نصوص الأحاديث القدسية إشارات كثيرة للمجتمع المتحاب في الله يقول ﷺ: ((قال الله عز وجل وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ)) [٤].

وقوله ﷺ: ((يقول الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء))[٥] ويكون الحب بين الفرد والمجتمع موصولا بالسماء، إلى الحب الإلهي العظيم المنشود في قوله ﷺ: ((إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانا فأحبه، قال:

---

(١) صحيح مسلم: رقم ١٥٦١، و الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٨، رقم ٤٩

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٥٦٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٠، رقم ٤٤

(٣) صحيح البخاري: رقم٥٩٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٢، رقم ١٥٦

(٤) حديث صحيح، رواه الإمام أحمد في مسنده: ٥جـ، ص٢٣٣

(٥) حديث صحيح، سنن الترمذي: باب الزهد، رقم ٢٣٩٠

فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض)) [1].

وتنقل الأحاديث القدسية الإنسان بعد ما أحكمت بنيانه الأرضي إلى عالم الغيب والحساب والجنة والنار، والأحاديث القدسية تعرض تسلسلا لأحداث القيامة من طي السماوات والأرض، يقول ﷺ: ((يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض))[2] ثم يُقال لآدم ((أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ...))[3] وفي غمره الحساب تبين لنا الأحاديث القدسية دقة الحساب وآلية التسجيل والتماس الناس للأعذار ((إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب...))[4].

كما تبين دقة المحاورة بين العباد المنكرين لأعمالهم في الحساب، ففي الحديث القدسي أن أحد العباد يقول ((يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا. قال: فيختم على فيهِ فيُقال لأركانه انطقي. قال: فتنطق بأعماله ...))[5] وحركة المؤمنين يقطعون أرض المحشر يلتمسون الشفاعة، حتى ينتهوا إلى الرسول محمد ﷺ يقول: ((فيأتون فأقول أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي محامده أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٦٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٠، رقم ٤٤

(٢) صحيح البخاري: جـ٤، كتاب الرقاق، رقم ٦١٥٤

(٣) صحيح البخاري: رقم ٣٣٤٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٣، رقم ٧٨

(٤) سنن الترمذي: رقم ٢٦٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٣، رقم ١٨

(٥) صحيح مسلم: رقم ٢٩٦٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٢٤-١٢٥، رقم ٧٩

بتلك المحامد وأخِرُّ ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط واشفع تُشفع فأقول: يا رب أمتي فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه كمثقال شعيرة من إيمان)) [١].

ويشفع النبيون بعد الشفاعة المحمدية ويشفع الملائكة والمؤمنون والشهداء، ومن ذلك قول المؤمنين: ((ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ... فمن في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه ... فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه))[٢] وتظهر معاني العبودية والتقديس أوضح ما تكون في يوم الحساب الذي تكون فيه المواجهة المباشرة بين العبد وربه.

والأحاديث القدسية اتبعت أسلوب الترغيب والترهيب في رسم الاتجاه التربوي والدعوي إلى الله، وذلك ببيان النعيم الذي يلقاه أهل الجنة من هناء ولذات، وتصوير النار وما فيها من عقاب وعذاب، وفي وصف الجنة قال رسول الله ﷺ ((إن الله جعل في الجنة واديا أفيح وجعل فيه كُثبانا من المسك الأبيض فإذا كان يوم الجمعة ينزل الله فيه فوضعت فيه منابر من ذهب ...))[٣] ويكرم الله أهل الجنة برؤيته كما ورد في قوله ﷺ: ((يقول الله تبارك وتعالى لأهل الجنة: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم)) [٤].

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٤، رقم ٩٥
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: جـ١٣، ص: ٢٤٠، رقم ٧٤٣٩
(٣) حديث صحيح، أخرجه الإمام أبو يعلى: جـ٧، ص٢٢٨، رقم ٤٢٢٨
(٤) صحيح مسلم: جـ١، ص: ١٦٣

وتعرض الأحاديث القدسية في الجانب الآخر منها صورة أهل النار وما يلقونه من ضنك وعذاب، وأسلوب الترغيب في الخير وطمأنينة العبد بالرحمة والمغفرة الإلهية أكثر من الترهيب في الأحاديث القدسية، وعلى هذا النحو يمكن الربط بين الأحاديث القدسية في مضامينها، فالترغيب والترهيب أسلوب للحث على العبادة والسلوك الإنساني الموحد لله، وهذا المنهج السلوكي الذي تقدمه الأحاديث القدسية أساسه الإيمان بالغيب والتوحيد، وتجلية معاني الألوهية والعبودية الحقة، وربط العبد بربه إلى أن يلقاه.

مدونة نصوص الأحاديث القدسية الصحيحة:

الأحاديث الصحيحة التي ستقدم للدراسة عددها (مائة وثمانية) أحاديث، وهي أحاديث صحيحة وردت في كتب الصحاح والمسانيد[١]، وقد جمعها الشيخ مصطفى العدوي في كتابه الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مع العودة لنص كل حديث في مصدره للتحقق من دقة لفظه ونصه. وقد اقتصر البحث على الأحاديث الواضحة في قدسيتها وصراحة نسبة اللفظ فيها إلى الله تعالى. إذ هناك بعض الأحاديث التي ذكرها مصنفو الكتب ضمن الأحاديث القدسية وهي ليست صريحة في كونها منسوبة إلى الله تعالى، كالحديث النبوي الذي أورده الشيخ مصطفى العدوي في علامات الساعة: " ذَكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدجال ذات غداة فخَفَّضَ فيه ورفَّع حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: ((غير الدجال أخوفُنِي عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم ... ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجتُ عبادا لي لا يُدان لأحد بقتالهم فحرِّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون...)) [٢]. والأحاديث القدسية التي شملتها الدراسة هي:

١. قال ﷺ: ((يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة)) (صحيح البخاري: رقم ٧٥٠١)

---

(١) صحيح البخاري ـ صحيح مسلم ـ سنن الترمذي ـ سنن النسائي ـ سنن أبي داود ـ سنن ابن ماجه، بالإضافة إلى بعض المسانيد، كمسند الإمام أحمد ومسند ابن حبان، ومسند أبي يعلى الموصلي، ومسند أبي نعيم الأصفهاني.

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢١٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٨٧ ـ ٢٩١، رقم ١٨٣

٢. قال رسول الله ﷺ: ((إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدتُ. قال: كذّبتَ ولكنك قاتلت لأن يُقال جَريء فقد قيل ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملتَ فيها؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئُ فقد قيل ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار)) (صحيح مسلم: رقم ١٩٠٥)

٣. قال رسول الله ﷺ: ((قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشِركَه)) (صحيح مسلم: رقم ٢٩٨٥)

٤. قال رسول الله ﷺ: ((يقول الله تعالى لِأهوْن أهل النار عذابا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقول أردتُ منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تُشركَ بي)) (صحيح البخاري: رقم٦٥٥٧)

قال رسول الله ﷺ: ((يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول: إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعَد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار)) (صحيح البخاري: رقم ٣٣٥٠)

٥. قال رسول الله ﷺ: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: ((أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر: فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوءِ كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب)) (صحيح البخاري: رقم ٨٤٦)

٦. قال رسول الله ﷺ: ((يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلُها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة)). (حديث صحيح ـ أخرجه مسلم: رقم ٢٦٨٧)

٧. قال رسول الله ﷺ: ((يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا ـ أو الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية ؟)) (صحيح البخاري: رقم ٢٢)

٨. قال رسول الله ﷺ: ((إن الله سيُخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينَشرُ عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتُنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: أحضر وَزنَك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقُلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء)) (حديث صحيح ـ أخرجه الترمذي: رقم ٢٦٣٩).

٩. قال رسول الله ﷺ: ((قال الله عزّ وجل: سبقت رحمتي غضبي)) (صحيح مسلم: رقم ٢١٠٨)

١٠. قال رسول الله ﷺ: ((أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك)) (صحيح مسلم: رقم ٢٦٢١)

١١.قال رسول الله ﷺ: ((كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله، فقال له: هل من توبة؟ قال: لا فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال قيسوا فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغُفر له)) (صحيح البخاري: رقم ٣٤٧٠)

١٢. قال رسول الله ﷺ: ((يُدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا ربِّ: هل بلغت؟ فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلّغ. ويكون الرسول عليكم شهيدا فذلك قول الله جل ذكره (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)) (صحيح البخاري: رقم ٤٤٨٧)

١٣. قال رسول الله ﷺ: ((كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله فقال لأهله إذا أنا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائف ففعلوا فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال ما حملني عليه إلا مخافتك فغَفَرَ له)) (صحيح البخاري: رقم ٦٤٨٠)

١٤. قال رسول الله ﷺ: ((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن

تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)) (صحيح البخاري: رقم ٧٤٠٥)

١٥. قال رسول الله ﷺ: ((إن أول ما يُسئل عنه يوم القيامة ـ يعني العبد ـ من النعيمِ أن يُقال له: ألم نُصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد)) (حديث صحيح ـ أخرجه الترمذي ٣٣٥٨)

١٦. قال رسول الله ﷺ: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم عز وجل ـ وهو أعلم منهم ـ ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا. قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة قال فيقول فأُشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم)) (صحيح البخاري: رقم ٦٤٠٨)

١٧. قال رسول الله ﷺ: ((إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال: يقول الله عز وجل صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلا الله لا شريك له قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال: صدق عبدي

لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي)) (حديث صحيح . أخرجه ابن ماجة: رقم ٣٧٩٤)

١٨. قال رسول الله ﷺ: ((إن عبدا أصاب ذنبا . وربما قال أذنب ذنبا . فقال ربّ أذنبت ذنبا . وربما قال أصبت . فاغفر فقال ربه: أعلمَ عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنبا أو أذنب ذنبا . فقال رب أذنبت . أو أصبت . آخر فاغفره فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا . وربما قال أصاب ذنبا . فقال رب أصبت . أو أذنبت . آخر فاغفره لي فقال أعلمَ عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء)) (صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٧)

١٩. قال رسول الله ﷺ: ((قال الله: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه)) (صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٤)

٢٠. قال رسول الله ﷺ: ((إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض)) (صحيح البخاري: رقم ٦٠٤٠)

٢١. قال رسول الله ﷺ: ((إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تَعدني. قال: يا رب كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين. قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده. أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تُطعِمني قال: يا رب وكيف أُطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك

عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي)) (صحيح مسلم: رقم ٢٥٦٩)

٢٢. قال رسول الله ﷺ: ((خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم فقال للذي في يمينه إلى الجنة ولا أبالي وقال للذي في كتفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي)) (حديث صحيح. أخرجه الإمام أحمد: ٦/ ٤٤١)

٢٣. قال رسول الله ﷺ: ((إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفهُ ويستُره فيقول: أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي ربِّ حتى إذا قرَّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتُها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيُعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين)) (صحيح البخاري: رقم ٢٤٤١)

٢٤. قال رسول الله ﷺ: ((تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئا؟ قال لا. قالوا تَذكّر قال: كنتُ أُداين الناس فآمر فتياني أن يُنْظِروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر قال: قال الله عز وجل: تجوَّزوا عنه)) (صحيح مسلم: رقم ١٥٦٠)

٢٥. قال رسول الله ﷺ: ((إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ومازال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذب بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)) (صحيح البخاري: رقم ٦٥٠٢)

٢٦. قال رسول الله ﷺ: ((إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أَظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي)) (صحيح مسلم: رقم ٢٥٦٦)

٢٧. قال رسول الله ﷺ: ((إذا أحب الله عبدا نادى جبريل، إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء، إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض)) (صحيح البخاري: رقم ٥٦٩٣)

٢٨. قال رسول الله ﷺ: كان أبو ذر مع النبي ﷺ عند غروب الشمس فقال ((يا أبا ذر هل تدري أين تغيب هذه؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تغرب في عين حامئة تنطلق حتى تخرّ لربها عز وجل ساجدة تحت العرش فإذا حان خروجها أذن الله لها فتخرج فتطلع فإذا أراد أن يُطلعها من حيث تغرب حَبسها فتقول يا رب إن مسيري بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غِبت فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها)) (حديث صحيح . أخرجه الإمام أحمد: ٥/ ١٦٥)

٢٩. قال رسول الله ﷺ: ((قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فاقرءوا إن شئتم فلا تعمل نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)) (صحيح البخاري: رقم ٣٠٢٤)

٣٠. قال رسول الله ﷺ: ((إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم ؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخطُ عليكم بعده أبدا)) (صحيح البخاري: رقم ٧٥١٧)

٣١. قال رسول الله ﷺ: ((أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال: أوليست فيما شئت؟ قال: بلى ولكني أحب أن أزرع فأسرع وبذَر فتبادر الطرف نباتُه واستواؤُه واستحصاؤه وتكويره أمثال الجبال فيقول الله تعالى دونك يا ابن آدم فإنه لا يُشبعك شيء)) (صحيح البخاري: رقم ٧٥١٩)

٣٢. قال رسول الله ﷺ: ((سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مِثلُ مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيتُ ربي. فيقول: لك ذلك ومثلُه ومثلُه ومثله ومثله فقال في الخامسة: رضيت ربِّ. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ غرستُ كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر)) (صحيح مسلم: رقم ١٨٩)

٣٣. قال رسول الله ﷺ: ((إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا، رجلٌ يخرج من النار حبوا فيقول الله: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ـ أو إن لكل مثل عشرة أمثال الدنيا ـ فيقول تسخر مني أو تضحك مني وأنت الملك)) فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه. وكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلا.(صحيح البخاري: رقم ٦٥٧١)

٣٤. قال رسول الله ﷺ: (هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تُضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها ـ شك الراوي (إبراهيم بن سعد) ـ فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب السراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يُجيزُها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل،

ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدرَ عِظَمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبَق بقَى بعمله، ومنهم المخردَل أو المجازَى أو نحوه، ثم يتجلى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصبُّ عليهم ماءُ الحياة فينبتون تحته كما تنبتُ الحبةُ في حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنة فيقول: أي ربِّ اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها واحرقني ذكاؤُها فيدعو الله ما شاء أن يدعوه ثم يقول الله: هل عسيت إن أُعطيتَ ذلك أن تسألني غيره. فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أي ربِّ قدمني إلى باب الجنة فيقول الله له: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أُعطيت أبدا ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول: أي ربِّ، ويدعو الله حتى يقول هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، ويعطي ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام إلى باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الحَبرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أي ربِّ أدخلني الجنة، فيقول الله: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت فيقول: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول: أي ربِّ لا أكونن أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فإذا ضحك منه قال له: ادخل الجنة ، فإذا دخلها قال

الله له: تمنّه، فسأل ربه وتمنى حتى إن الله ليذكره يقول كذا وكذا حتى انقطعت به الأمانيُّ قال الله: ذلك لك ومثلُه معه)) (صحيح أخرجه البخاري: رقم ٧٤٣٧)

٣٥. قال رسول الله ﷺ لما سئل عن قوله تعالى ((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) فقال: (أرواحهم في جوف طير خُضْرٍ لها قناديلُ معلقة بالعرش تسرحُ من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا أيُّ شيءٍ نشتهي ونحن نسرحُ من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن تردّ أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا)) (صحيح مسلم: رقم١٨٨٧)

٣٦. قال رسول الله ﷺ: ((انتدب الله لمن خرج في سبيله ـ لا يخرجه إلا إيمانٌ بي وتصديقٌ برسلي ـ أن أُرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أُدخله الجنة ولولا أن أشق على أمتي ما قعدتُ خلف سرية، ولودِدْتُ أني أُقتَل في سبيل الله ثم أحيا ثم أُقتل ثم أحيا ثم أُقتل)) (صحيح البخاري: رقم ٣٦)

٣٧. قال رسول الله ﷺ: ((ألا إن ربي أمرني أن أُعلّمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نَحَلتُهُ عبدا حلالٌ وإني خلقتُ عبادي حُنفاء كُلّهم وإنهم أتتهم الشياطينُ فاجتالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللتُ لهم وأمَرَتهم أن يُشركوا بي ما لم أُنْزل به سُلطانا، وإن الله نَظَر إلى أهل الأرض فمقتهم عرَبهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلتُ عليك كتابا لا يَغسله الماءُ تقرؤه نائما ويقظان، وإن الله أمرني أن أُحَرّق قريشا فقلت ربِّ إذا يَثلغوا رأسي فيدعوه خُبْزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نَغْزِك وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثلَه، وقاتل بمن أطاعك من عصاك قال: وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفَّقٌ، ورجل رحيمٌ رقيقُ القلب لكل ذي قُربى ومسلم وعفيف ومتعفف ذو

عيال، وقال وأهل النار خمسة: الضعيفُ الذي لا زَبْرَ له الذين هم فيكم تَبعا لا يتبعون أهلا ولا مالا، والخائن الذي لا يخفى له طمعٌ وإن دقَّ إلا خانه ورجلٌ لا يُصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك)) (صحيح مسلم: رقم ٢٨٦٥)

٣٨. قال رسول الله ﷺ: ((تحاجّتْ الجنة والنار فقالت النار: أُوثرتُ بالمتكّبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخُلُني إلا ضعفاء الناسِ وسقَطُهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار إنما أنت عذابٌ أُعذّب بك من أشاء من عبادي ولكل واحد منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويُوزى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله عز وجل يُنشئ لها خلقا)) (صحيح البخاري: رقم ٤٨٥٠)

٣٩. قال رسول الله ﷺ: ((يؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة فيقول: اصبغوه صبغة في الجنة فيصبغونه فيها صبغة فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط أو شيئا تكرهه؟ فيقول: لا وعزتك ما رأيتُ شيئا أكرهه قط ثم يؤتى بأنعم الناس كان في الدنيا من أهل النار فيقول: اصبغوه فيها صبغة فيقول: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط قرة عين قط فيقول: لا وعزتك ما رأيت خيرا قط ولا قرة عين قط)) (حديث صحيح. أخرجه الإمام أحمد: رقم ٣/ ٢٥٣)

٤٠. قال رسول الله ﷺ: ((يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول: أخرج بعثَ النارِ قال: وما بعثُ النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيبُ الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. قالوا: يا رسول الله وأيّنا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألف. ثم قال: والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا رُبع أهل الجنة فكبرنا فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبرنا فقال: أرجو أن

تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود)) (صحيح البخاري: رقم ٣٣٤٨)

٤١. قال رسول الله ﷺ: ((يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض)) (صحيح البخاري: رقم ٤٨١٢)

٤٢. قال رسول الله ﷺ: ((يخرج من النار أربعة يُعرضون على الله عز وجل فيأمر بهم إلى النار فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب قد كنت أرجو إن أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها فيقول: فلا نعيدك فيها)) (حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد: ٣/٢٢١)

٤٣. قال رسول الله ﷺ: ((يرد عليّ الحوضَ رجال من أصحابي فيحلئون عنه فأقول: يا رب أصحابي فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى)) (صحيح البخاري: رقم ٦٥٨٦)

٤٤. قال رسول الله ﷺ: ((إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيأتون موسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتون فأقول أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويُلهمني محامده أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخِرُّ ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط واشفع تُشفع فأقول: يا رب أمتي فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه كمثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تُعط واشفع تُشفع فأقول: يا رب أمتي فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط واشفع تشفع فأقول: يا رب أمتي، أمتي فيقول: انطلق

فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردلٍ من إيمان فأخرجهُ من النار فأنطلق فأفعل، ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك ثم أخر له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع وسل تُعطى واشفع تُشفّع فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول وعزّتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله)) (صحيح البخاري: رقم ٧٥١٠)

٤٥. قال رسول الله ﷺ: ((أتاني جبريل بمثل هذه المرآة البيضاء فيها نُكتة سوداء قلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الجمعة جعلها الله عيدا لك ولأمتك، فأنتم قبل اليهود والنصارى، فيها ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله فيها خير إلا أعطاه إياه. قال: قلت: ما هذه النكتة السوداء؟ قال: هذا يوم القيامة تقوم في يوم الجمعة ونحن ندعوه عندنا (المزيد) قال: قلت: ما يوم المزيد؟ قال: إن الله جعل في الجنة واديا أفيح وجعل فيه كُثبانا من المسك الأبيض فإذا كان يوم الجمعة ينزل الله فيه فوضعت فيه منابر من ذهب للأنبياء وكراسي من دُرّ للشهداء وينزلن الحور العين من الغرف فحمدوا الله ومجدوه. قال: ثم يقول الله: اكسوا عبادي فيكسون ويقول اطعموا عبادي فيطعمون ويقول اسقوا عبادي فيُسقون ويقول طيبوا عبادي فيطيبون، ثم يقول: ماذا تريدون؟ فيقولون: ربنا رضوانك. قال يقول: رضيت عنكم ثم يأمرهم فينطلقون وتصعد الحور العين الغرف وهي من زمردة خضراء ومن ياقوتة حمراء)) (أخرجه الإمام أبو يعلى في مسنده: ٢٢٨/٧ . رقم ٤٢٢٨)

٤٦. قال رسول الله ﷺ: ((إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صليت العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين فقال أهل الكتاب: هؤلاء أقل منا عملا وأكثر أجرا قال الله هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟ قالوا: لا فقال: فهو فضلي أوتيه من أشاء)) (صحيح البخاري: رقم ٧٥٣٣)

٤٧. قال رسول الله ﷺ: ((إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال: يا محمد إني قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيحَ بيضَتَهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ـ أو قال: من بين أقطارها ـ حتى يكون بعضهم يهلكُ بعضا ويَسبِي بعضهم بعضا)) (صحيح مسلم: رقم ٢٨٨٩)

٤٨. قال رسول الله ﷺ: ((بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ـ وذكر يعني رجلا بين الرجلين [أي أنه كان صلى الله علي وسلم نائم بين رجلين هما حمزة وجعفر، وفي رواية مسلم، إذ سمعت قائلا يقول: أحد الثلاثة بين رجلين] ـ فأُتيت بطست من ذهب ملآن حكمةً وإيمانا فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم ثم مُلئ حكمة وإيمانا وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار البراق، فانطلقتُ مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا قيل: من هذا؟ قال:جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء فأتيت على آدم فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من ابن ونبي فأتينا السماء الثانية قيل من هذا ؟ قال: جبريل قيل: من معك قال: محمد ﷺ قيل: أُرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحبا به ولنعم المجئ جاء فأتيت على عيسى ويحيى فقالا: مرحبا بك من أخ ونبي فأتينا السماء الثالثة قيل: من هذا ؟ قيل جبريل قيل: من معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه قال: نعم قيل: مرحبا به ولنعم المجئ جاء فأتيت على يوسف فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من أخ ونبي فأتينا السماء الرابعة قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قيل: محمد ﷺ قيل: وقد أُرسل إليه، قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء فأتيت على إدريس فسلمت عليه فقال مرحبا بك من أخ ونبي فأتينا السماء الخامسة قيل من هذا؟ قيل: جبريل قيل: ومن

معك؟ قيل: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء فأتينا على هارون فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من أخ ونبي فأتينا على السماء السادسة قيل: من هذا. قيل: جبريل. قيل: ومن معك؟ قيل: محمد. قيل: وقد أرسل إليه. قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء فأتيت على موسى فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من أخ ونبي فلما جاوزتُ بكى فقيل ما أبكاك؟ قال: يا رب هذا الغلام الذي بُعث بعدي يَدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي، فأتينا السماء السابعة قيل: من هذا؟ قيل: جبريل. قيل ومن معه؟ قيل: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قلت: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من ابن ونبي فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم ورُفعَت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هَجَر وورقها كأنه آذان الفيول في أصلها أربعة أنهار نهران ظاهران فسألت جبريل فقال: أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران النيل والفرات ثم فُرضت عليّ خمسون صلاة فأقبلت حتى جئت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: فُرضت علي خمسون صلاة قال: أنا أعلم بالناس منك عالجتُ بني إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لا تطيق فارجع إلى ربك فسله فرجعت فسألته فجعلها أربعين ثم مثله ثم ثلاثين ثم مثله فجعل عشرين ثم مثله فجعل عشرا فأتيت موسى فقال مثله فجعلها خمسا فأتيت موسى فقال ما صنعت؟ قلت: جعلها خمسا فقال مثله قلت: فسلمت. فنودي: إني قد أمضيت فريضتي وخففت على أمتي)) (صحيح البخاري: رقم ٣٢٠٧)

٤٩. قال رسول الله ﷺ: ((عُرضت الأمم بالموسمِ فرأيت أمتي فأعجبتني كثرتهم وهيئتهم قد ملأوا السهل والجبل فقال: يا محمد أرضيت؟ قلت نعم أي رب: ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)) (حديث صحيح أخرجه ابن حبان: رقم ٢٦٤٦)

٥٠. قالت قريش للرسول ﷺ: ((ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك، قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم. قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلامَ ويقول إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: بل باب التوبة والرحمة)) (حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد: ٢٤٢/١)

٥١. قال رسول الله ﷺ: ((أتاني الليلة آت من ربي فقال: صلّ في هذا الواد المبارك وقل عمرة في حجة)) (صحيح البخاري: رقم ١٥٣٤)

٥٢. قال رسول الله ﷺ: ((قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفُث ولا يَصخَب فإن سابَّهُ أحدٌ أو قائلهُ، فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه)) (أخرجه البخاري: رقم١٨٩٤)

٥٣. قال رسول الله ﷺ: ((يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسب إلا الجنة)) (صحيح البخاري: رقم ٦٤٢٤)

٥٤. قال رسول الله ﷺ: ((قال الله: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك)) (صحيح البخاري: رقم ٥٠٣٧)

٥٥. قال رسول الله ﷺ عندما جاءه رجلان أحدهما يشكو العيلة والآخر يشكو قطع السبيل فقال: ((أما قطع السبيل فإنه لا يأتي عليك إلا قليل حتى تخرج العيرُ من مكة بغير خَفير، أما العَيلة فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه ثم ليقِفَنَّ أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا تَرجمانٌ يترجم له ثم ليقولن له: ألم أُوتك مالا؟ فليقولن: بلى ثم ليقول: ألم أُرسل إليك رسولا. فليقولن: بلى فينظر عن

يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتقين أحدُكم النار ولو بشقِ تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة)) (حديث صحيح ـ أخرجه البخاري: رقم ١٤١٣).

٥٦. قال رسول الله ﷺ: ((يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك ولا تلُام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى)) (حديث صحيح ـ أخرجه مسلم: رقم ١٠٣٦)

٥٧. قال رسول الله ﷺ: ((يقوم الرجل من أمتي من الليل يُعالج نفسه إلى الطهور وعليه عُقد فإذا وضّأ يديه انحلت عُقدة، وإذا وضّأ وجهه انحلت عُقدة وإذا مسح رأسه انحلت عُقدة، وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة فيقول الله عز وجل للذين وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي هذا يُعالجُ نفسه يسألني ما سألني عبدي هذا فهو له)) (صحيح ابن حبان: رقم ١٠٥٢)

٥٨. قال رسول الله ﷺ: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)) (أخرجه البخاري، فتح الباري: ٣/ ٢٩)

٥٩. قال رسول الله ﷺ: ((أول ما يحاسب به العبد صلاته فإن كان أكملها وإلا قال الله عز وجل انظروا لعبدي من تطوع فإن وجد له تطوع قال: أكلموا به الفريضة)) (حديث صحيح ـ أخرجه النسائي: ١/٢٣٣)

٦٠. قال رسول الله ﷺ: ((يعجب ربكم من راعي غنمٍ في رأس شظية بجبل يُؤذِّن بالصلاة ويُصلي، فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي هذا يُؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي وأدخلتُه الجنة)) (حديث صحيح، أخرجه أبو داود: رقم ١٢٠٣)

٦١. قال رسول الله ﷺ: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ـ وهو أعلم بهم ـ كيف تركتم

عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يُصلون)) (حديث صحيح ـ أخرجه البخاري: رقم ٥٥٥)

٦٢. صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب فرجع من رجع وعقّب من عقب فجاء رسول الله ﷺ مسرعا قد حَفَزَه النفس وقد حَسَر عن ركبتيه فقال: ((أبشروا هذا ربُّكم قد فتح بابا من أبواب السماء يُباهي بكم الملائكة يقول: انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى)) (حديث صحيح ـ أخرجه ابن ماجه: ٨٠١)

٦٣. قال رسول الله ﷺ: ((قال الله عز وجل: يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفيك آخره)) (حديث صحيح ـ أخرجه الإمام أحمد: ٢٨٦/٥)

٦٤. قال رسول الله ﷺ: ((ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى)) (صحيح البخاري: رقم ٤٦٣٠)

٦٥. قال رسول الله ﷺ: ((لما نفخ الله في آدم الروح فبلغ الروح رأسه عطس فقال: الحمد لله رب العالمين. فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله)) (حديث صحيح ـ أخرجه ابن حبان: ٢٠٨١)

٦٦. قال رسول الله ﷺ: ((خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك نَفر من الملائكة جُلوس فاستمع ما يُحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلقُ ينقصُ بعدُ حتى الآن)) (صحيح البخاري: رقم ٦٢٢٧)

٦٧. قال رسول الله ﷺ: ((أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسُئل أيُّ الناس أعلمُ؟ فقال: أنا فعتبَ الله عليه إذ لم يَرُدّ العلمَ إليه فقال له: بلى لي عبد بمجمع البحرين وهو أعلمُ منك. قال: أي رب ومن لي به؟ وربما قال (أي رب وكيف لي به) قال: تأخذ حوتا فتجعله في مكتلٍ حيثما فقدت الحوت فهو ثمّ ـ وربما قال: (فهو ثَمّة) وأخذ حوتا وجعله

في مكتلٍ ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فرقد موسى واضطرب الحوتُ فخرج وسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق . فقال هكذا مثل الطاقُ . فانطلقا يمشيان بقية ليلتِهما ويومهما حتى إذا كان من الغد قال لفتاه: (آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) ولم يجد موسى النّصب حتى جاوز حيث أمره الله قال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا فكان للحوت سربا ولهما عجبا، قال له موسى: (ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا) . رجعا يقصان آثارهما . حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلّم موسى فردّ عليه فقال: وأنَّى بأرضك السلام. قال أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني مما عُلّمت رشدا. قال يا موسى إني على علم من الله علّمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علّمكه الله لا أعلمه. قال: هل أتّبعك. قال: (إنك لن تستطيع معي صبرا، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) إلى قوله (إمرا) فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة كلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخِضر فحملوهم بغير نَولٍ فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوقع على حرفِ السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل مانقص هذا العصفور بمنقاره من البحر إذ أخذ الفأس فنزع لوحا قال: فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحا بالقدوم فقال له موسى: ما صنعت قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا. قال (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا؟) قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا) فكانت الأولى من موسى نسيانا فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان فأخذ الخضر برأسه فقلعه هكذا وأومأ سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئا . فقال له موسى (أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا) قال: (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا

؟) قال: (إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض مائلا ـ أومأ بيده وأشار سفيان أنه يمسح شيئا إلى فوق فلم أسمع سفيان يذكر (مائلا) إلا مرة ـ قال: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا عمدت إلى حائطهم لو شئت لاتخذت عليه أجرا، قال: (هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) قال النبي ﷺ (وددنا أن موسى كان صبر فقص الله علينا من خبرهما) وقال سفيان قال النبي ﷺ: (يرحم الله موسى لو كان صبر يقص الله علينا من أمرهما)) وقرأ ابن عباس: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين (صحيح البخاري: رقم ٣٤٠١)

٦٨. قال رسول الله ﷺ: ((جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبدٍ لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني. قال: فردّ الله إليه عينه. وقال: ارجع إلى عبدي فقل: ألحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعره فإنك تعيش بها سنة قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت. قال: فالآن من قريب ربّ أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال رسول الله ﷺ: والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر)) (صحيح مسلم: رقم ١٨٤٣)

٦٩. قال رسول الله ﷺ: ((بينما أيوب يغتسل عُريانا خرّ عليه جَرادٍ من ذهب فجعل يحثي في ثوبه فنادى ربُّهُ: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك)) (صحيح البخاري: رقم ٣٣٩١)

٧٠. قال رسول الله ﷺ: ((قال الله عز وجل: إن أمتك لا يزالون يقولون ما كذا؟ ما كذا؟ حتى يقولوا: هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله)) (صحيح مسلم: رقم١٣٦)

٧١. قال رسول الله ﷺ: ((قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين. قال: مجدني عبدي (وقال مرة: فوّض إليّ عبدي) فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل)) (صحيح مسلم: رقم ٣٩٥)

٧٢. قال رسول الله ﷺ: ((يا أُبيُّ أُرسِل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددتُ إليه أن هوّن على أمتي فرد إليّ الثانية اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوّن على أمتي فردَّ إليّ الثالثةَ. اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردةٍ رددتها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلقُ كلهم حتى إبراهيم ﷺ)) (صحيح مسلم: رقم ٨٢٠)

٧٣. قال رسول الله ﷺ: ((أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة إني قُمتُ من الليل فتوضاتُ وصليتُ ما قِدر لي فنعستُ في صلاتي حتى إذا استثقلت فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال: يا محمد، قلت: لبيك ربِّ. قال: فيم يختصمُ الملأُ الأعلى؟ قلت: لا أدري قالها ثلاثا. قال فرأيته وضعَ كفَّه بين كتفي حتى وجدتُ بَرْدَ أناملِهِ بين ثديي فتجلى لي كل شيءٍ وعرفتُ فقال: يا محمد قلت: لبيك ربِّ. قال: فيم يختصم الملأُ الأعلى؟ قلتُ في الكفارات، قال: ما هن. قلت: مشي الأقدام إلى الحسناتِ والجلوسُ في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء حين الكريهاتِ قال: فيم؟ قلت إطعام الطعام، ولينُ الكلام والصلاةُ بالليل والناس نيام. قال: سلْ، قل اللهم أسألك فعل الخيرات وترك

المنكراتِ وحبّ المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنةَ قومٍ فتوفني غيرَ مفتون، أسألك حبك وحبَّ من يُحبك، وحبَّ عمل يقرب إلى حبك. قال رسول الله ﷺ: إنها حقٌ فادرسوها ثم تعلموها)) (حديث صحيح، أخرجه الترمذي: رقم ٣٢٣٥)

٧٤. قال رسول الله ﷺ: ((إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب. قال: فهو لك)) (صحيح البخاري: رقم ٥٩٨)

٧٥. قال رسول الله ﷺ: ((قال الله تعالى: كذّبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يُعيدني كما بدأني وليس أولُ الخلق بأهونَ عليّ من إعادته، وأما شتمُهُ إياي فقوله اتخذ الله ولدا، وأنا الأحدُ الصّمدُ لم ألد ولم أُولد، ولم يكن لي كُفوا أحد)) (حديث صحيح ـ أخرجه البخاري، فتح الباري: ٨/ ٧٣٩)

٧٦. قال رسول الله ﷺ: ((قال الله عز وجل إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها). وقال رسول الله ﷺ: (قالت الملائكة رب هذا عبدك يريد أن يعمل سيئة (وهو أبصر به) فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جرّاي)) (صحيح مسلم: رقم ١٢٩)

٧٧. قال رسول الله ﷺ: ((قال الله عز وجل: إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة، فإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبتها سيئة واحدة)) (صحيح مسلم: رقم ١٢٨)

٧٨. قال رسول الله ﷺ: ((إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر

حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة)) (صحيح البخاري: رقم ٦٤٩١)

٧٩. قال رسول الله ﷺ: ((قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يَسبُّ الدهرَ وأنا الدهر بيدي الأمر أُقلبُ الليلَ والنهارَ)) (صحيح البخاري: رقم ٤٨٢٦)

٨٠. قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: ((يا عبادي إني حرّمتُ الظّلم على نفسي وجعلتهُ بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. يا عبادي! كلكم عارٍ إلا من كسوتُهُ فاستكسوني أكسكم. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضَرّي فتضُرُّوني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ ما نقص ذلك من مُلكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخيَطُ إذا أُدخِل البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أُوفّيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه) (صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧)

٨١. قال رسول الله ﷺ: ((قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو لِيخلقوا حبّة أو شعيرة)) (صحيح البخاري: رقم ٧٥٥٩)

٨٢. قال رسول الله ﷺ: ((ليس من عمل يوم إلا وهو يختم عليه فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة: يا ربنا عبدك فلان قد حبسته. فيقول الرب عز وجل: اختموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت)) (حديث صحيح. أخرجه الإمام أحمد: ٤/ ١٤٦)

٨٣. قال رسول الله ﷺ: ((إن الله قال: إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه فصبر عوضتُه منهما الجنة)) (صحيح البخاري: رقم ٥٦٥٣)

٨٤. قال رسول الله ﷺ: ((كان فيمن كان قبلكم رجلٌ به جُرْحٌ فجزع فأخذ سكينا فحزّ بها يدَه فما رقأ الدمُ حتى مات. قال الله تعالى: بادَرني عبدي بنفسه حرَّمْتُ عليه الجنّة)) (صحيح البخاري: رقم ٣٤٦٣)

٨٥. قال رسول الله ﷺ: ((قرصْت نملةٌ نبيا من الأنبياء فأمر بقريةِ النمل فأُحرقت فأوحى الله إليه أن قرصتك نملةٌ أحرقت أمةً من الأمم تُسبح الله)) (صحيح البخاري: رقم ٣٠١٩)

٨٦. قال رسول الله ﷺ: ((لا يأتي ابن آدم النذرُ بشيء لم يكن قد قدّرتُه ولكن يُلقيه القدَرُ وقد قدّرتُهُ له أستخرج به من البخيل)) (صحيح البخاري: رقم ٦٦٠٩)

٨٧. قال رسول الله ﷺ: ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جرى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)) (حديث صحيح. أخرجه الإمام أحمد: ٥/ ٤٢٨)

٨٨. قال رسول الله ﷺ: ((ما مجادلةُ أحدكم في الحقّ يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أُدخلوا النار. قال: يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار. قال: فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم. قال: فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه فيخرجونهم فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا، قال: ويقول: أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان ثم قال: من كان في قلبه وزن نصف دينار حتى يقول: من كان في قلبه وزن ذرة)) (حديث صحيح. أخرجه النسائي: ٨/١١٢)

٨٩. قال رسول الله ﷺ: ((إن إبليس قال لربه: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم فقال الله فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني)) (حديث صحيح ـ أخرجه الإمام أحمد: ٣/ ٢٩)

٩٠. قال رسول الله ﷺ: ((يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله عز وجل يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول أي رب خيرَ منزل فيقول: سل وتمنّ فيقول: أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة)) (حديث صحيح أخرجه النسائي: ٦/٣٦)

٩١. ضحك رسول الله ﷺ وهو مع أصحابه فقال: (أتدرون مما أضحك؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم قال: من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى. قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا. قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقي بأعماله. قال: ثم يُخلى بينه وبين الكلام. قال، فيقول: بُعدا لكنّ وسحقا فعنكن كنت أناضل)) (صحيح مسلم: رقم ٢٩٦٩)

٩٢. جاء رجل والنبي ﷺ في الصلاة فقال: الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قال: ((أيكم القائل كذا وكذا. قال: فأرمّ القوم قال: فأعادها ثلاث مرات. فقال الرجل: أنا قلتها وما أردت بها إلا الخير. قال: فقال النبي ﷺ: لقد ابتدرها اثنا عشر ملكا فما درَوا كيف يكتبونها حتى سألوا ربهم عز وجل. قال: اكتبوها كما قال عبدي)) (حديث صحيح ـ أخرجه الإمام أحمد: ٣/ ١٩١)

٩٣. قال رسول الله ﷺ: ((ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بطريق يمنع منه ابن السبيل ورجل بايع رجلا لا يبايعه إلا

للدنيا فإن أعطاه ما يريد وفى له وإلا لم يف له ورجل ساوم رجلا بسلعة بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى بها كذا وكذا فأخذها)) (صحيح البخاري: رقم ٢٦٧٢)

٩٤. قال رسول الله ﷺ: ((قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعط أجره)) (صحيح البخاري: رقم٢٢٢٧)

٩٥. قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) قال دخلت قلوبَهم منها شيء لم يدخل قلوبَهم من شيءٍ فقال النبي ﷺ: (قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا) قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) قال: قد فعلتُ (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) قال: قد فعلتُ. (واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا). قال: قد فعلتُ)) (صحيح مسلم: رقم ١٢٦)

٩٦. لما نزلت على رسول الله ﷺ: (لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) قال فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله! كُلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نُطيقها. قال رسول الله ﷺ: أتريدون أن تقولوا مثل ما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم فأنزل الله في إثرها (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل: (لا يُكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تُؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) قال: نعم

(ربنا ولا تحمل علينا إصراكما حملته على الذين من قبلنا) قال: نعم (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) قال: نعم (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) قال: نعم)) (صحيح مسلم: رقم ١٢٥)

٩٧. قال رسول الله ﷺ: ((العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته)) (حديث صحيح، أخرجه مسلم: رقم ٢٦٢٠)

٩٨. قال ﷺ: ((الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار)) (حديث صحيح أخرجه ابن داود في سننه، رقم ٤٠٩٠)

٩٩. قال رسول الله ﷺ: ((يجيء الرجل آخذا بيد الرجل فيقول يا رب هذا قتلني فيقول الله له لم قتلته فيقول: قتلته لتكون العزة لك فيقول: فإنها لي ويجيء الرجل آخذا بيد الرجل فيقول: إن هذا قتلني فيقول الله له: لم قتلته فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه)) (حديث صحيح، أخرجه النسائي: ج٧، ص٨٤)

١٠٠. قال رسول الله ﷺ: ((هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تسد بهم الثغور ويتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته ائتوهم فحيوهم فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتامرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئا وتسد بهم الثغور ويتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)) (حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد في مسنده: جـ٢، ٦٥٧٠)

١٠١. قال ﷺ: ((إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يُبطئ بها فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها فإما أن تأمرهم وإما أنا آمرهم فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يُخسف بي أو أُعَذَّب فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ المسجد وتعدوا على الشُّرف فقال: إن الله أمرني بخمس كلماتٍ أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن أوَّلهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وإن مثل من أشرك بالله كمثلِ رجلٍ اشترى عبدا من خالص ماله بذهبٍ أو ورقٍ فقال: هذه داري وهذا عملي فاعمل وأدِّ إلي فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده فأيكم يرضى أن يكون عبدَه كذلك؟ وإن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصبُ وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، وآمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابةٍ معه صرّةٍ فيها مسك فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسَرَه العدو فأوثَقُوا يده إلى عنقه وقدَّموه ليضربوا عنقه فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم، وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله. قال النبي ﷺ: وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فإن من فارق الجماعة قيد شبر خلع رَبْقَةَ الإسلام من عنقه إلا أن يرجع ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جُثا جهنم. فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: وإن صلى وصام فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله)) (حديث صحيح، أخرجه الترمذي: رقم ٢٨٦٣)

١٠٢. قال رسول ﷺ: ((إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض وعنقه منثن تحت العرش وهو يقول: سبحانك ما أعظمك ربنا فيردَّ عليه: ما يعلم ذلك من حَلف بي كذبا)) (حديث صحيح أخرجه الطبراني: جـ١، ص١٥٦)

١٠٣. قال رسول الله ﷺ: ((قال إبليس يا رب ليس أحد من خلقك إلا جعلت له رزقا ومعيشة فما رزقي؟ قال: ما لم يُذكر اسم الله عليه)) (أخرجه أبو نعيم في الحلية: جـ٨، ص١٢٦)

١٠٤. قال ﷺ: ((لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله بإذن الله فقال له ربه: يرحمك ربك يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملإ منهم جلوس فسلم عليهم فقال: السلام عليكم، فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع إلى ربه فقال هذه تحيتك وتحية بَنِيكَ بينهم، وقال الله جل وعلا ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال: أي رب ما هؤلاء. فقال: هؤلاء ذريتُك فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه فإذا فيهم رجل أضوؤهم ـ أو من أضوئهم ـ لم يكتب له إلا أربعين سنة. قال: يا رب ما هذا؟ قال هذا ابنك داود وقد كتبت له عمره أربعين سنة، قال: أي رب زده في عمره، قال: ذاك الذي كتبت له، قال: فإني جعلت له من عمري ستين سنة قال: أنت وذاك اسكن الجنة. فسكن الجنة ما شاء الله أُهْبِطَ منها وكان آدم يَعُدُّ لنفسه فأتاه ملك الموت فقال له آدم: قد عجلت قد كُتِبَ لي ألف سنةٍ؟ قال: بلى ولكنك قد جعلت لابنك داود منها ستين سنة فجحد فجحدت ذريتهُ، ونسي فنست ذريته فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود)) (حديث صحيح لغيره، أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم ٢٠٨٢)

١٠٥. قال ﷺ: ((لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص [أي بريق] ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود، فقال: رب كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب زده من عمري أربعين أربعين سنة؟ قال: أو لم تُعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت

ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته)) (أخرجه الترمذي: رقم ٣٠٧٦)

١٠٦. قال ﷺ: ((ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار، من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء)) (صحيح مسلم: رقم ١٣٤٨)

١٠٧. انتسب رجلان على عهد رسول الله ﷺ فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك فقال رسول الله ﷺ: ((انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان حتى عدَّ تسعةً فمن أنت لا أمك لك، قال: أنا فلان بن فلانٍ ابن الإسلام، قال: فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن هذين المنتسبين أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعةٍ في النار فأنت عاشرهم، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة)) (أخرجه الإمام أحمد: جـ٥/ ص١٢٨ ، رقم: ٢١١٧٨)

١٠٨. قال ﷺ: ((إن الله يباهي بأهل عرفات ملائكة السماء فيقول انظروا إلى عبادي جاءوني شعثا غبرا)) (أخرجه ابن حيان في صحيحه: رقم ٣٩٤٠).

الفصل الأول

(الخطاب بين التلقي والنحو الوظيفي)

المبحث الأول (الخطاب لغة واصطلاحا):

الخطاب لغة:

الخطاب في اللغة مرتبط بالكلام والمحادثة يقول الجوهري (٣٩٣هـ): "خطبت على المنبر خُطبة بالضم. وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا " [١] وهو مراجعة الكلام[٢]. ويقول ابن منظور" الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا ... والخُطْبة مصدر الخطيب فيوضع موضع المصدر، وخطبتُ على المنبر خُطْبة، بالضم، وخطبت المرأة خِطْبة بالكسر ... والخُطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجع ... والخُطبة، مثل الرسالة التي لها أول وآخر .... وقيل لليد عند نُضو سوادها من الحناء: خطباء... وأخطبك الصيد: أمكنك ودنا منك " [٣].

وهو عند الزبيدي كذلك " الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان" [٤] فالخطاب عند اللغويين بمرتبط بالكلام، فهو الكلام الشفوي الصادر عن شخصين متحاورين حول قضية بينهما. ومن الواضح أن تحديد الخطاب على هذا النحو يركز على الجانب المادي له، وهو الكلام الملفوظ ويهمل الجانب الذهني للخطاب. وقد تأثر بهذا الاتجاه عدد غير قليل من العلماء عند محاولتهم الوقوف على المفهوم الاصطلاحي للخطاب، ومحاولتهم التمييز بين النص والخطاب على أساس المشافهة والكتابة.

الخطاب اصطلاحا:

يتحدد مفهوم الخطاب في الثقافة العربية ـ بوصفه مصطلاحا واضح الدلالة ـ انطلاقا من القرآن الكريم، واعتمادا على تفاسير آياته التي ورد فيها لفظ الخطاب. من ذلك قوله تعالى في

---

(١) الصحاح: مادة خ ط ب

(٢) معجم العين ، الخليل بن أحمد، جـ ٤، ٢٢٢

(٣) لسان العرب : جـ١،ص٣٦٠ . ٣٦٢

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس: مادة خطب

محكم كتابه العزيز: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[1] وقوله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[2] وقوله عز من قائل: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾[3].

وفي سياق ورود الآيات القرآنية الثلاث نلاحظ أن لفظ (الخطاب) يقترن وروده في القرآن الكريم بالعزة وشدة البأس، وبالحكمة وبالعظمة والإجلال لله تبارك وتعالى، مما يخرج لفظ الخطاب من المفهوم اللغوي (مراجعة الكلام) أو (الكلام الذي يقصد به الإفهام) إلى مستوى أرفع يرتقي به إلى معانٍ سامية تتفاوت بين العزة (وعزني في الخطاب) والحكمة (وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) والعظمة الربانية والجلال الإلهي (رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا). وبهذا يمكن القول إن مفهوم الخطاب قد مرّ بأدوار ومراحل من التطور حتى وصل إلى مرتبة المصطلح، بتشكيل نواة دلالية خاصة به في الثقافة العربية.

وقد مر مفهوم الخطاب في التراث العربي بمراحل تطورية على النحو التالي:

١ ـ أحادية الدلالة:

وهي المرحلة الأولى المعجمية من مراحل تطور المفهوم، حيث لا يبعد المعنى في هذه المرحلة عن الدرجة الصفر للفظة الخطاب [4]، والزمخشري (٥٣٨ هـ) يفسر (فصل الخطاب) بقوله أنه: "البين من الكلام، الملخص الذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه " [5]، وهو الكلام الدال على المقصود بلا التباس، وهذا التفسير يتضمن عناصر الخطاب من مخاطِب ومخاطَب

---

(١) سورة ص:٢٣

(٢) سورة ص: ٢٠

(٣) سورة النبأ، الآية ٣٧

(٤) ينظر: تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، مهى محمود العتوم: ص٥ . ١٠

(٥) الكشاف: ص ٨١ ـ ٩٠

وخطاب، إلا أنه يقف عند حدّ التفسير المباشر للفظتي: الفصل، والخطاب. فالفَصل هو الفاصل الدال على المقصود بلا التباس، والخطاب الكلام.

ولا يبتعد تفسير ابن عربي (٦٣٨ هـ) عن تفسير الزمخشري، وإن كان يحصر دلالته في الشريعة بقوله: " وفصل الخطاب الفصاحة المبينة للأحكام، أي الحكمة النظرية والعملية والشرعية، وفصل الخطاب هو المفصول المبين من الكلام المتعلق بالأحكام "[١]، وكذلك النيسابوري (٨٥٠هـ) يفسر فصل الخطاب بأنه: " القدرة على ضبط المعاني، والتعبير عنها بأقصى الغايات حتى يكون كاملا مكملا فهما مفهما "[٢]. ويتضح مما سبق أن كلمة (الفصل) هي التي أضافت إلى معنى الخطاب بيانا ووضوحا وقصدية .

وأما المعاجم فإنها في مفهوم (الخطاب) تشير إلى معان قريبة مما ورد في التفاسير، وقد أشار ابن منظور إلى تفسير فصل الخطاب كما ورد عند بعض المفسرين، ففي لسان العرب: " وفصل الخطاب: هو أن يحكم بالبينة أو اليمين، وقيل معناه أن يفصل بين الحق والباطل، ويميز بين الحكم وضده..."[٣] وفي هذا دلالة على اتكاء المعاجم على التفاسير، ووجود رابط قوي بين الخطاب والخطابة.

٢ ـ ثنائية الدلالة:

وفي هذه المرحلة يدخل (علم الكلام) والخلاف فيه عنصران أساسيان في تشكيل دلالة مقاربة للخطاب من جهة، وإضافة معان جديدة إلى المدلول المعجمي (للخطاب) من جهة أخرى. وذلك بعد أن درج المفهوم، واستخدمه بعض الأصوليين استخداما مرادفا للكلام، فيعرف ابن جني (٣٩٢ هـ) الكلام بأنه "الألفاظ القائمة برؤوسها المستغنية عن غيرها، وهي

---

(١) تفسير القرآن الكريم، ابن عربي: ص٣٤٩

(٢) تفسير غرائب القرآن: ج٥، ص١٧ ـ ٢٣

(٣) لسان العرب: مادة خطب

التي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تراكيبها "[1] ويعرفه الشريف الجرجاني (٨١٦ هـ) بأنه "المعنى المركب الذي فيه الإسناد التام "[2]. ويدل هذا على اقتراب تعريفات اللغويين القدامى من التعريف اللساني الحديث، ومع ذلك فتعريفاتهم ظلت مركزة على الجملة، ولم تتعد إلى سلسلة الجمل المكونة لمفهوم الخطاب الحديث [3]. وفي هذا دلالة على تحميل العرب القدامى مفهوم الخطاب معان جديدة، وقدرة مفهوم الخطاب على الاستيعاب والاتساع لاحتمال الدلالات.

٣ ـ تعدد الدلالات:

يواصل مفهوم الخطاب طريقه في مدارج الاتساع الدلالي، ويتخذ أبعادا جديدة تقترب به كثيرا من المفهوم الحديث للخطاب، فتتوسع دلالة الخطاب عند الغزالي (٥٠٥هـ) في كتابه (المستصفى من علم الأصول) إذ يضع شروطا للمخاطَب (المتلقي) وذلك: " بأن يخلق الله تعالى في السامع علما ضروريا بثلاثة أمور: بالمتكلم وبأن ما سمعه من كلامه وبمراده من كلامه، فهذه ثلاثة أمور لابد وأن تكون معلومة" [4].

والإمام الفخر الرازي (ت:٦٠٦ هـ) في معرض حديثه عن (فصل الخطاب) يقول: " وذلك هو الإنسان وقدرته على تعريف غيره الأحوال المعلومة عنده بالنطق والخطاب، ثم إن الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عما في الضمير، فمنهم من يتعذر عليه إيراد الكلام المرتب المنتظم، بل يكون مختلط الكلام مضطرب القول، ومنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه، ومنهم من يكون قادرا على ضبط المعنى والتعبير عنه إلى أقصى الغايات، وكل من كانت هذه القدرة في حقه أكمل كانت الآثار الصادرة عن النفس النطقية في حقه أكمل،

---

(١) الخصائص: جـ ١ـ ص: ١٧

(٢) التعريفات: ص ١٩٤

(٣) ينظر: الثقافة العربية الحديثة والمرجعيات المستعارة، د. عبدالله إبراهيم: ص ١٠٠

(٤) المستصفى: الفصل السادس، ص:١٦٥

وكل من كانت تلك القدرة في حقه أقل كانت تلك الآثار أضعف ... لأن فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال، ويحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيء بشيء، وبحيث ينفصل كل مقام عن مقام " (١).

ويعرف الكفوي (١٠٩٤ هـ) الخطاب في الكليات بأنه: " اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه. احترز باللفظ عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة وبالتواضع عليه عن الألفاظ المهملة وبالمقصود به الإفهام عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا وبقوله لمن هو متهيئ لفهمه عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع وعلى مدلولها القائم بالنفس فالخطاب إما الكلام اللفظي أو الكلام النفسي الموجه نحو الغير للإفهام " (٢).

وبذلك يضع الكفوي في هذا التعريف عناصر الخطاب الثلاثة، وهي: المخاطِب، ولابد من توفر قصد الإفهام لديه لإيصال الرسالة، والخطاب الذي يجب أن يكون مما تواضع الناس عليه، وأما المخاطَب أو المستمع، فلا بد أن يكون متهيئا للفهم مستجيبا للخطاب وصاحبه. وبهذا تطور مفهوم الخطاب عند العرب القدامي ليشكل موضوعا مستقلا " فانتقلوا من البحث في مفردة أو جملة إلى البحث في خطاب يتم فيه تحميل المفردات والجمل بدلالات يقتضيها موضوع الخطاب"(٣).

ثم ظلت النواة العربية القديمة للمفهوم محصورة في إطارها دون رعاية أو تطوير، إلى أن استبدل النقاد العرب الشبكة الدلالية التي كانت تمثل مفهوم الخطاب بشبكة دلالية تنتمي إلى نسق ثقافي غربي مختلط مختلف، بحجة تحديث دلالة المصطلح من جهة، وما تقتضيه الثقافة

---

(١) التفسير الكبير: تفسير سورة ص، جـ٥،ص:١٨٧

(٢) الكليات: ص:٦٥٨

(٣) اللسانيات والدلالة، منذر عياشي: ص٧

الحديثة من جهة أخرى، فشحن مفهوم الخطاب بدلالات غربية تغلغلت في الشبكة الدلالية لمصطلح الخطاب العربي [1].

وفي مقابل هذا الفكر المنقطع بين مفهوم الخطاب العربي القديم والخطاب في اللسانيات الحديثة، يحاول الدكتور أحمد المتوكل التوفيق بين الفكر اللغوي القديم والدرس اللساني الحديث بقوله " فلا قطيعة معرفية بينهما خلافا لما يُعتقد " [2].

وعليه فقد أنتج النقد العربي القديم حدودا متكاملة لمفهوم الخطاب لا تبتعد عما توصل إليه النقد الغربي الحديث ابتداء من سوسير إلى المدرسة البنيوية فالوظيفية والتداولية، إلا أنهم لم يمنهجوه في علم متكامل ولم يؤطروه بمصطلحات كما فعل الدرس اللساني الحديث.

---

(١) ينظر: الثقافة العربية الحديثة والمرجعيات المستعارة، عبدالله إبراهيم، ص: ١٠٢ . ٢٢٩

(٢) الخطاب وخصائص اللغة العربية: ص ١٢

المبحث الثاني (تطور مفهوم الخطاب)

أ. الخطاب في الفكر اللغوي العربي القديم:

قدّم علماء العربية الأوائل مصطلحات عديدة ومتنوعة دالة على مفهوم الخطاب، تقارب مدلوله اللساني المعاصر، كما كانت لهم بوادر معرفية لتأسيس علم الخطاب لكنه لم يتبلور عندهم ويقعد بشكل دقيق كما حدث في اللسانيات الحديثة. وجهودهم تبين أصالة هذا العلم في التراث اللغوي العربي، فالنحاة الأوائل وعلى رأسهم الخليل بن أحمد وسيبويه (١٨٠هـ) اهتموا بلغة الخطاب المنطوقة، واعتمدوا على سياق الخطاب بشقيه في التقعيد النحوي، ويبدو ذلك جليا في اعتمادهم على السياق اللغوي في بيان مبنى التراكيب، واستعانتهم بطرق الأداء اللغوي المصاحبة للنطق بالعبارة، كالوقف والنبر والتنغيم [١].

وأما اعتمادهم على سياق الحال فيتضح من استعانتهم بإرادة المتكلم والمخاطب في تعيين معنى التركيب واهتمامهم بمضمون الرسالة وضرورة اختيار المفردات المناسبة لكل باب، واستعانتهم بملابسات الحال في التوجيه النحوي، وما يترتب على ذلك من المفاضلة بين التراكيب أو الحكم على العبارة بالحسن أو الإحالة الدلالية. وتسويغ حذف أحد عناصر التركيب لدلالة الحركة الجسمية عليه والحواس وباقي عناصر السياق، وقد مثل سيبويه ذلك في باب (ما يختار فيه الرفع وجائز فيه النصب) بسوقه المثال التالي (له علم علم الفقهاء) برفع العين ونصبها من اللفظة الثانية [٢].

وهو خطاب مقبول في النظام اللغوي للعربية، لأنه يشير إلى ارتباط التراكيب بالسياق الكلامي والموقف الذي قيلت فيه " فلم يكن كتاب سيبويه كتابا خالصا في النحو بل اشتمل على كثير من العلوم اللغوية، ففيه تحليل للخطاب العربي وتأسيس لقواعد كلام العرب... ولقد درس سيبويه مفاهيم تخص دلالات الكلام مراعيا المقام، والسياق الذي يقال فيه هذا الكلام،

(١) ينظر، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية، د. محمد سالم صالح: ص٤
(٢) سيبويه، الكتاب: جـ١، ص:٦٩

ولقد تحدث عن مفهوم الكلام بطريقة تقترب مما قال به المعاصرون عن الخطاب الذي يستوجب مراعاة حال المستمعين واختيار اللفظ المناسب وقنوات الاتصال والتواصل، وكل ما من شأنه أن يساعد في عملية التخاطب، وقد مثل لنا سيبويه ذلك في باب ما يختار فيه الرفع وجائز فيه النصب" (١).

ويظهر هذا المعنى بوضوح في باب حسن الاستقامة من الكلام والإحالة، لأن الاستقامة أن يكون التركيب خاضعا لما أجرته العرب في كلامها، فيقسم سيبويه الكلام إلى:

مستقيم حسن: أتيتك أمس

المحال: أتيتك غدا

المستقيم الكذب حملت الجبال

المستقيم القبيح: قد زيدا رأيت

المحال الكذب: سوف أشرب ماء البحر (٢)

فالاستقامة تكون في الكلام القائم على التأليف والتركيب وبناء المعنى، وصدق ما ورد فيه، فالكلام عنده هو ضم الكلمات بنسق خاص وصولا إلى المعاني النحوية، مع مراعاة السياق الكلامي، فهو لا يعتني بالنحو أو يجعله منفصلا عن أغراض المتكلم، ومقام السامع والحال، بل يجعل كل ذلك كلا متناسقا، مازجا بين الباث والمتلقي من خلال قناة الاتصال والفهم والسياق(٣).

(١) ينظر: التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، صالح بلعيد: ص٧٢
(٢) سيبويه، الكتاب: جـ١، ص:٢٥ ـ ٢٦
(٣) الخطاب بين الدرس اللغوي العربي القديم واللسانيات، عبد الجكيم سحالية: ص٢

. الخطاب عند الجاحظ:

اجتهد الجاحظ (ت٢٥٥هـ) في إيجاد وسائل تماسك الخطاب والتحام أجزائه، يقول: " والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج، وجنس من التصوير" (١) فربط انسجام الكلام بانسجام النسيج، وهو ما تتداوله الكتب الحديثة في اللسانيات اليوم.

واهتم بالبعد الصوتي في الألفاظ والحروف ومدى تآلفها أو تنافرها، فالتآلف مرتبط بتباعد مخارج الأصوات، سواء في الكلمة الواحدة أو في الكلمات المتجاورة، والتنافر مرتبط بتقارب المخارج أو تماثلها. وهو يفصل في تلاحم القول فيجعله في الكلمة الواحدة وفي الكلمات المكونة للجملة الواحدة، ومعيار الجودة والحسن في الخطاب عنده يكمن في السبك، وترابط وتلاحم الكلمات والجمل بعضها ببعض في الخطاب الشعري الذي يطبق عليه، يقول: " وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان "(٢) وهو في مؤلفاته يركز على البعد التداولي والحجاجي للخطاب كما في رسالة التربيع والتدوير. ورغم أن نظرته النقدية جاءت عامة وخواطره في مباحث الخطاب واللسانيات قد افتقرت إلى التبرير النحوي إلا أن جهوده شكلت مرجعا ارتكزت عليه قواعد اللسانيات الحديثة.

الخطاب عند ابن جني:

يربط ابن جني (٣٩٢هـ) بين مفهوم الخطاب واللغة الممثلة له، ويعرف اللغة بأنها " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(٣) وهو في تعريفه يقترب من مضمون الخطاب بمفهومه المعاصر

---

(١) الحيوان: جـ٣، ص: ٤٠

(٢) البيان والتبيين: جـ١، ص ٨٩

(٣) الخصائص: جـ١، ص٣٣

في الدراسات اللسانية وتحليل الخطاب، فيذكر أربعة عناصر أساسية هي، اللغة أصوات، وظيفتها التعبير، مرتبطة بالجماعة اللغوية، والعلاقة النفسية التي تربط الفكر باللغة.

وقد قارب ابن جني مفهوم الخطاب من خلال الأبواب التي أفردها في كتابه الخصائص حول (علاقة اللفظ بالمعنى، وعلاقة اللفظ باللفظ، وعلاقة الحروف ببعضها)، وهو يؤكد على فكرة انتظام الألفاظ وفق المعاني، لتوضيح أفكار أصحابها وأغراضهم من الخطاب، يقول في ذلك:" ذلك أن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلحظ أحكامها بالشعر تارة والخطب تارة أخرى وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخر قدرا في نفوسها "[1] وعنده الإعراب وسيلة يستخدمها المتكلم لإيصال خطابه واضحا كاشفا لمكنون مقصده للمتلقين.

الخطاب عند الباقلاني:

الباقلاني (ت٤٠٢هـ) في كتابه (إعجاز القرآن) يتكلم عن روعة النظم وحسن السبك في الخطاب القرآني، وهو في عرضه يذكر ملامح تعريفية لمفهوم الخطاب والنص وانسجامه وتماسكه، ولكنه لا يقدم تبريرا نحويا لتحليلاته الذوقية، وهذه مرحلة اعتيادية في مراقي تطور العلم، يقول في الخطاب المنسجم في الآيات القرآنية رغم تباعد مواقعها: " [تجد آيات] متباعدة في المواقع نائية المطارح، قد جعلها النظم البديع أشد تألفا من الشيء المؤتلف في الأصل، وأحسن توافقا من المتطابق في أول الوضع ... واعرف وجه الخلوص من شيء إلى شيء: من احتجاج إلى وعيد، ومن إعذار إلى إنذار، ومن فنون من الأمر شتى، مختلفة تأتلف بشريف النظم، ومتباعدة تتقارب بعلي الضم "[2].

ويهتم بالتماسك الكلي للخطاب وينظر للقرآن الكريم نظرة شاملة مبينا أن سر إعجازه يكمن في أسلوبه المعجز الذي يسير على سنن ونمط متجانس، دونما إخلال أو اضطراب أو

---

(١) الخصائص، ابن جني: جـ١، ص٢١٥

(٢) إعجاز القرآن: ص١٩٤ ـ ١٩٧

تفاوت بين سوره وآياته، يقول في ذلك: " وأنت ترى غيره من الكلام يضطرب في مجاريه، ويختل تصرفه في معانيه، ويتفاوت التفاوت الكثير في طرقه، ويضيق به النطاق في مذهبه، ويرتبكُ في أطرافه وجوانبه ... ونظم القرآن في مؤتلفه ومختلفه، وفي فصله ووصله، وافتتاحه واختتامه، وفي كل نهج يسلكه ... على ما وصفه الله تعالى به لا يتفاوت" (١).

. الخطاب عند عبد القاهر الجرجاني:

نظر الجرجاني (٤٧١هـ) إلى النحو نظرة شاملة، فجعل العامل مرتبطا بالمعمول، ونظر إلى الكلام على أنه كل لا يتجزأ، ووظف النحو لخدمة العملية التواصلية الخطابية، ليكون الخطاب مفهوما للمتلقين، ويعبر عن مقاصد المتكلم، وبذلك تتم عملية التواصل بنجاح، وبنية الخطاب عند الجرجاني هي التي تساعد على فهم مقصوده من خلال النظم، والتركيب المحكم للألفاظ التي تكون خادمة للمعاني، فحسن التأليف وتوخي المعاني النحوية وأحكام النحو، هي التي تجعل الفهم أسهل، وأكثر نفوذا، يقول الجرجاني في هذا السياق:" إذا كان النظم سويا والتأليف مستقيما، كان وصول المعنى إلى قلبك تلو وصول اللفظ إلى سمعك، وإذا كان على خلاف ما ينبغي وصل اللفظ إلى السمع، وبقيت في المعنى تطلبه وتتعب فيه " (٢).

والجرجاني انطلق من أساس اللغة وهو النحو المنسجم مع مقصد التأليف الكلامي الذي يراعي هذه الدلالة والسياق الكلامي، وأقامه على النظم وعلى المعاني، حيث ترتبط المكونات الخطابية أو ما يعرف باسم الأداء الكلامي لتؤلف خطابا مفهوما لدى المتلقين (٣).

والجرجاني يتجاوز ترتيب الألفاظ في الخطاب، إلى تلاقي معانيها وتلاقي دلالاتها مع النفس، يقول في كتابه (دلائل الإعجاز):" وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس. فهو إذن نظم يعتبر فيه حال

---

(١) إعجاز القرآن، الباقلاني: ٢٠٥. ٢٠٦

(٢) دلائل الإعجاز: ص ٥٠ و ١٨٣

(٣) انظر: الخطاب بين الدرس اللغوي العربي القديم واللسانيات، عبد الحكيم سحالية: ص٤-٦

المنظوم بعضه مع بعض وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق... والفائدة في معرفة هذا الفرق أنك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم، أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل... " (١).

ففكرة تعليق الكلم بعضه ببعض هو ما ركز عليه الجرجاني في تصوراته، يقول الدكتور تمام حسان:" وأما أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر الجرجاني على الإطلاق، فلم يكن النظم ولا البناء ولا الترتيب وإنما كان التعليق، وقد قصد به ... إنشاء العلاقات بين المعاني اللغوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية " (٢).

والنظم الحسن عنده يستدعي التلاحق بين الأجزاء المكونة له، ثم ضمها، ثم تتابع القطعة كلها، يقول الجرجاني: " واعلم أن من الكلام ما أتت المزية في نظمه الحسن، كالأجزاء من الصيغ تتلاحق، وينضم بعضها إلى بعض حتى تكبر في العين، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه، ولا تقضي له بالحذق والأستاذية، وسعة الذرع، وشدة المنة حتى تستوفي القطعة " (٣).

وقد تكلم عبد السلام المسدي عن استنباط الجرجاني للتناسب بين طاقة التصريح في الخطاب وعلم السامع بمضمون الرسالة (٤) فالتناسب يكون بين الطاقة الاستيعابية للخطاب وتجاوب كل من الباث والمتلقي، وبهذا أرسى الجرجاني اللبنات الأساسية الأولى لمفاهيم نظرية الخطاب التي لم تتبلور إلا في العصر الحديث كالبنية الكلية، والاتساق والانسجام في النصوص، وبذلك يكون وضع بذور علم أصيل جنت ثماره أيدي اللغويين الغربيين في نهاية الستينات من القرن الماضي.

---

(١) ص:٣٥٧
(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: ص١٨٨
(٣) دلائل الإعجاز: ص ١٣٣
(٤) انظر: اللسانيات وأسسها المعرفية: ص٧٦٧

. **الخطاب عند القرطاجني:**

ألف حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) في عصر تجاوزت فيه علوم اللغة حدود الجملة إلى مستوى الخطاب والنص، وقسم كتابه إلى أربعة مباحث هي: اللفظ، المعنى، النظم، والأسلوب.

واهتم بالتأليف والتلاؤم في الكلام، وتكلم عن تلاؤم الكلمات والجملة والنص، ولم يغفل الانسجام الصوتي لأهميته في الربط بين المعاني، يقول في ذلك: " ومن ذلك حسن التأليف وتلاؤمه، والتلاؤم يقع في الكلام على أنحاء: منها أن تكون حروف الكلام بالنظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها منتظمة في حروف مختارة متباعدة المخارج مترتبة الترتيب الذي يقع فيه خفة وتشاكل ما... " [١] فهو يهتم بالمستوى التواصلي والتداولي للخطاب، وعنده التأثير على المتلقي مرتبط بحسن الديباجة، والانسجام الصوتي في مخارج الخطاب .

ب . **الخطاب في الدراسات اللسانية الحديثة (الغربية والعربية):**

إذا كان أصل مفهوم (الخطاب) في التراث العربي ومصدر نشوئه دينيا أصوليا، فإنه في التراث الغربي فلسفي النشأة، وهو يظهر أول ما يظهر عند أفلاطون [٢] وفي عصر النهضة يأتي كتاب رينيه ديكارت (خطاب في المنهج) ليشكل علامة تأسيسية لمفهوم الخطاب [٣]، تليه مؤلفات ميشيل فوكو الذي بحث الخطاب بوصفه مرتبطا بالإنسان ومؤسساته، وارتبط الخطاب عنده بالمنطق والفلسفة، ويعرف الخطاب بقوله: " ... هو أحيانا يعني الميدان العام لمجموعة

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ص٢٢٢

(٢) ينظر: الموسوعة الفلسفية العربية، معن زيادة، جـ:١،ص: ٧٧١

(٣) ينظر، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، عبد المنعم الحفني، ص:٥٩٨

المنطوقات وأحيانا أخرى مجموعة متميزة من المنطوقات، وأحيانا ثالثة ممارسة لها قواعدها تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات وتشير إليها" [١].

ولقد شكل كتاب (دروس في اللسانيات العامة) لصاحبه دي سوسير فتحا كبيرا في عالم اللغة في القرن التاسع عشر فكان منطلقا للدراسات اللغوية الحديثة، ويذكر فيه أن اللغة " نظام من الإشارات جوهره الوحيد الربط بين المعاني والصور الصوتية " [٢] فكانت هذه الثنائية ربطا بين اللغة في أدمغة البشر جميعا، وبين تحليلها الخاص عند كل إنسان على حدة بالكلام. فـ " اللغة قدرة لسانية، واللسان نظام لغوي، والكلام قول خاص " [٣]، وقد اعتمدت اللسانيات عموما والبنيوية على أفكار سوسير الذي يرى أن الخطاب مصطلح مرادف للكلام.

وذكر اللغوي الغربي بنفنست بتعريفا جامعا للخطاب بأنه:" الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل ... وهو كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما "[٤] وهو بمناقشته للتلفظ وصلته بالخطاب وسع مفهوم اللسانيات وركز على الفاعل المتلفظ في الخطاب، فعنده الخطاب وحدة لغوية تفوق الجملة، تولد من لغة الجماعة.

ويعد اللغوي الأمريكي (هاريس) أول لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني بتعديته من الجملة إلى الخطاب، وبنقل منهج التحليل البنيوي من الجملة إلى تحليل الخطاب، وقد أوضح منهجه بقوله: " يمكن أن نقوم بتحليل الخطاب انطلاقا من نوعين من القضايا

---

(١) حفريات المعرفة، ميشيل فوكو، ترجمة: سالم يفوت،ص: ٧٨

(٢) علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمل يوئيل عزيز،ص: ٣٣

(٣) البنيوية في الأدب روبورت شولز، ترجمة: حنا عبود، ص: ٢٦

(٤) تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، ص:١٩ ـ ٢٥

المرتبطة ببعضها، أولاهما هو توسيع مجال اللسانيات الوصفية إلى خارج الجملة الواحدة، والثانية تمس العلاقات بين الثقافة واللغة أي بين السلوك غير اللغوي والسلوك اللغوي " [١].

وهو يعرف الخطاب بأنه" ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض "[٢]، فالخطاب عنده وحدة لغوية تفوق الجملة، ينتجها الباث (المتكلم) تتجاوز أبعاد الجملة أو الرسالة، إلى البعد الاجتماعي وظروفه الذي قيل فيها، ولا بد من ربطه بالخارج أي بما هو غير لغوي "لأنه يمكن أن يمدنا بمعلومات عن بعض التعالقات بين اللغة وأشكال أخرى من السلوكيات، ومرد ذلك إلى أن كل خطاب متتابع منتج في مقام معين"[٣].

ويفهم من هذا التعريف مجموعة أمور:

أن الخطاب ذو بنية لفظية.

أن الخطاب ذو حجم طويل نسبيا.

أنه تتابع جملي يكون النص اعتمادا على السياق والروابط والعلاقات الأسلوبية.

والباحثان (براون ويول) متأثران بأفكار هاليداي ورقية حسن في كتابهما (قواعد التماسك في اللغة الإنجليزية المنطوقة والمكتوبة) ويبحثان في انسجام الخطاب واتساقه من المنظور اللساني الوصفي، وعندهما أن الوظائف في النص اللغوي ثلاث هي: الوظيفة التجريبية والوظيفة التواصلية والتعبيرية.

ويربطان تحليل الخطاب بالحوار (المخاطبة) المعني بالتواصل بين الناس في الحياة اليومية، وأضافا إلى موضوع الخطاب مفهوم (التخاطب) الذي يقتضي اثنين في العملية التخاطبية ويطلقان لفظ (الحوارية) على البعد التفاعلي للغة، سواء أكان شفويا أو مكتوبا، واقترحا

(١) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان: ص:١٢٠
(٢) المرجع السابق: ص:١٢١
(٣) المرجع السابق: الصفحة نفسها

مفهومين فاعلين في تقييد موضوع الخطاب، وجعله أكثر ارتباطا بإطاره العام هما: قاعدة المواجهة وإطار الموضوع، والأخير يتمثل في الملامح السياقية التي تنعكس على النص بوصفه البناء الشكلي الذي يتمثل فيه القول، وتستمد من داخل الخطاب نفسه أو من السياق المادي كتبديل الشفرة، والعلاقات القائمة على توزيع الأدوار في العملية التواصلية، والأدوات الإشارية مثل: أنا ـ أنت ـ هنا ـ والآن ـ لأنها تقع خارج النص. وأما قاعدة الوجاهة فهي مبدأ تداولي ينضبط به التخاطب، وهي في المعنى مقابلة الوجه للوجه، وفيه يعتمد المتخاطبان على مبادئ كالتعاون والمعاني الضمنية لتخفيف حدة الخطاب التهديدي حتى تسهل عملية التبادل التخاطبي(١).

وعليه فالعملية التخاطبية عند (براون ويول) تنبني أساسا على السياق الذي يحصر الموضوع في إطار محدد وواضح. وقد تطرقا في كتابهما (تحليل الخطاب) إلى جهود الباحث (فيرث) وهو من مؤسسي اللسانيات الحديثة في بريطانيا وقد اهتم بالسياق الاجتماعي للخطاب، يقولان في ذلك:" هكذا نجد أن اهتمام فيرث كان منصبا على إحلال القول محله ضمن (السياق الاجتماعي) ومن ثم الخروج بتعميمات حول أنماط المعاني التي تفرزها سياقات اجتماعية محددة "(٢).

كما يذكران عناصر الخطاب التي حددها اللغوي (هايمز ١٩٦٤م) وهي:

ـ المرسل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.

ـ المتلقي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.

ـ الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.

ـ الموضوع: وهو محور الحديث.

---

(١) تحليل الخطاب، ج.ب. براون ، وج. يول: ص٨٥

(٢) المرجع السابق: ص٤٦

. المقام/ الظروف: أي السياق الزماني والمكاني للحدث وكذلك الوضع الجسمي وملامح الوجه.

. القناة: كيف تم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: لفظا أم كتابة أم إشارة.

. صيغة الرسالة: هل هي حديث غير رسمي أم خطبة أم حكاية أم رسالة أم قصيدة أم عظة أم حوار.

. الطابع: يتضمن تقييم الكلام.

. الغرض: هو ما تنوي الأطراف المشاركة التوصل إليه كنتيجة للحدث التواصلي(١).

وعليه، فقد تشكل مفهوم الخطاب في الدرس اللغوي العربي الحديث استنادا إلى الأسس الغربية اللسانية السابقة والتي تتمثل بدايتها من ثنائية العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير اللغة/ الكلام، والجهود اللاحقة التي ساهمت بتوضيحها وتوسيعها خاصة في منهجية سوسير التي وصفت باللسانية البنيوية فيما بعد. وبهذا ساهمت المدارس اللغوية على اختلاف أجناسها: إنجليزية وألمانية وفرنسية، بإرساء مفهوم الخطاب وأسس تحليلة، وإن تباينت المناهج التي أفضت إلى تباين في تعريف الخطاب وقواعد تحليله.

إن دراسة مصطلح (الخطاب) عبر مراحل تطوره، بدءا من مرحلة التخلص من الترجمة الحرفية (النقل) إلى التعريب إلى الاشتقاق إلى الابتكار والإحياء نراها عند الباحث العربي (عبد السلام المسدي) الذي ذكر المصطلحات المتقاربة والمتنائية لمفهوم الخطاب، فاعتبر أن الملفوظ أو الجملة أو النص مهما كان نوعه وشكله مرادف لمصطلح (الخطاب)، يقول: " إذا كان الخطاب كيانا عضويا يحدده انسجام نوعي، وعلاقة تناسب قائمة بين أجزائه فإن اللغة مفهوم كليّ واللسان مفهوم نمطي والكلام مفهوم إنجازي، والمدونة هي اللغة الموضوعة والخطاب اللساني المستنبط منها هو اللغة المحمولة، فتلك بنية قائمة، وهذه بنية مشتقة" (٢) وميز النص عن الخطاب فالنص

(١) ينظر: تحليل الخطاب، براون ويول، ترجمة محمد لطفي ومنير التربكي: ص٤٨

(٢) اللسانيات وأسسها المعرفية: ص ١٧٦

عنده يتعدى مفهومه حدود الجملة أو الفقرة، وله نظامه الخاص، قد يتطابق مع مجموعة الجمل أو يتعدى ذلك إلى كتاب بأكمله[١].

أما الدكتور محمد مفتاح فقد صاغ مصطلح الخطاب وارتضاه عنوانا لإحدى دراساته (تحليل الخطاب الشعري ـ استراتيجية التناص) وميز بين لفظ النص والخطاب، وعنده الخطاب أعم من النص، يقول:" النص عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة، وأن الخطاب عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة منسجمة "[٢].

ومحمد خطابي في كتابه (لسانيات النص) متأثر بكتاب (هاليداي ورقية حسن ـ الاتساق في اللغة الإنجليزية) ويعرف الخطاب بناء على ذلك بقوله " بالنسبة للاتساق وبنية الخطاب، ينبه الباحثان إلى أن الاتساق ليس اسما آخر لبنية الخطاب، وذلك لأن هذا المفهوم الأخير يستعمل للإشارة إلى وحدة مفترضة أعلى من الجملة كالفقرة مثلا، بينما يأخذ مفهوم الاتساق بعين الاعتبار العلاقات في الخطاب"[٣] وفي الفصل الثاني من كتابه يفصل الحديث حول الترابط والانسجام وترتيب الخطاب، والخطاب التام، والخطاب الناقص، وهو في كتابته يحيل إلى كتاب (فان ديك ـ لسانيات الخطاب) ويخلص إلى أن " لكل خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب، وأن القارئ يصل إلى هذه البنية الكلية عبر عمليات متنوعة تشترك كلها في سمة الاختزال. على أن البنية الكلية ليست شيئا معطى ... وإنما هي مفهوم مجرد (حدسي) به تتجلى كلية الخطاب ووحدته" [٤].

والدكتور سعيد يقطين في كتابه (انفتاح النص الروائي) ميز بين الخطاب والنص، يقول:" فإننا نرى أن الخطاب مظهر نحوي يتم بواسطته إرسال القصة، وأن النص مظهر دلالي يتم من

---

(١) اللسانيات وأسسها المعرفية: ص ١٧٦

(٢) تحليل الخطاب الشعري، د.محمد مفتاح: ص ١٦٦

(٣) لسانيات النص،ص: ١٦

(٤) المرجع السابق، ص:٤٦

خلاله إنتاج المعنى من لدن المتلقي" [1] فهو يحدد الخطاب بتمييزه عن القصة الروائية والنص جاعلا القصة هي مجموع الأحداث التي تدور فيها الحكاية، وأما الخطاب فيمثل العناصر التي تشكل رسالة القصة في علاقة بين الراوي والمروي له، وأما الرسالة أو الخطاب فإن له مكونات يتشكل منها وبها، وهي: الزمن والصيغة والرؤية السردية، ويستعرض في كتابه (تحليل الخطاب الروائي) آراء اللسانيين الغربيين أمثال هاريز وبنفنست، ويخلص بعد دراسة تطبيقية على النصوص الروائية إلى أن دلالات الخطاب تتعدد بتعدد اتجاهات ومجالات تحليل الخطاب، وعلى هذا الأساس تتداخل التعريفات أحيانا أو تتقاطع، وأحيانا يكمل بعضها الآخر، أو يتباعد وإياه... والخطاب مظهر نحوي يتم بواسطته إرسال القصة، والنص مظهر دلالي يتم من خلاله إرسال المعنى من لدن المتلقي" [2].

ويطرح د.سعيد علوش في كتابه (الرواية والإيديولوجيا في المغرب العربي) مفهوما جديدا مناظرا للخطاب (الحديث الروائي) ويعرفه: " الشراكة الثلاثية مابين المبدع والقارئ و الوسيط"[3]، ويعرفه أحمد المتوكل بأنه " كل ملفوظ/ مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات " [4] فالخطاب عنده وحدة تواصلية، أي أنه إنتاج لغوي (شفوي أو مكتوب) يتم بواسطته التواصل الناجح بين مخاطبين معينين في موقف معين، والخطاب باعتباره وحدة تواصلية يمكن أن يكون مفردة أو جملة أو نصا.

ويعرفه تارة أخرى في كتابه (الخطاب وخصائص اللغة) بقوله:" يعد خطابا كل ملفوظ مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات ... وبأنه بنية عامة تتوزع عناصرها في مستويين، مستوى علاقي ومستوى تمثيلي، يتضمنان عددا معينا من الصفات وتقوم بين هذه العناصر

---

(١) انفتاح النص الروائي: ١٨٩

(٢) تحليل الخطاب الروائي: ١٧ ـ ٢٦

(٣) ص١٥

(٤) الخطاب وخصائص اللغة العربية:ص٢٤

مجموعة من العلاقات الوظيفية والإحالية وغيرها، التي تقوم بدورين أساسيين، ربط العناصر بعضها ببعض من جهة وربط البنية ككل بالعالم الذهني الذي تحيل إليه من جهة أخرى" (١) وركز المتوكل في تعريفه على ثلاثة أمور أولها ضم الجانبين الشفاهي والكتابي، وثانيها اعتماد معيار التواصلية في الخطاب، وثالثها تمثل الخطاب للنص كاملا. ويعرفه الدكتور بشير المساري بقوله: " الخطاب رسالة ذات هدف ودلالة، وهو كلام منطوق أو مكتوب، يمثل وجهة نظر محددة من الجهة التي توجه الخطاب، ويفترض فيه التأثير في السامع أو القارئ مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف والملابسات التي صيغ فيها الخطاب بدلالة الزمان والمكان "(٢) وهو تعريف أشمل من تعرف المتوكل ويؤكده.

ويعرفه الدكتور عبدالله إبراهيم بقوله: " إن الخطاب، هو السياق الذي يتشكل فيه النص ... وهو مظهر نحوي مركب من وحدات لغوية، ملفوظة أو مكتوبة، ويخضع لقواعد في تشكيله وفي تكوينه، قابلة للتنميط والتعيين، بما يجعله خاضعا لشروط الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه، سرديا كان أم شعريا" (٣).

ويرى الدكتور سمير ستيتية في كتابه (اللغة وسيكولوجية الخطاب)، بأن الخطاب هو: " الصيغة التي نختارها لتوصيل أفكارنا إلى الآخرين، والصيغة التي نتلقى بها أفكارهم " (٤) وهو يدخل عنصر الاختيار في تكوين الخطاب، وهو عبارة عن القدرة على التحليل والفهم، والاختيار قدرة عقلية مسيطرة على عملية التواصل ومحددة لاتجاهاتها كاملة، كما أن هذا التحديد يجعل الخطاب شاملا للغة المنطوقة، وغير المنطوقة، يقول في هذا: " فالخطاب بالمعنى الذي قدمناه يتجاوز حدود اللغة المنطوقة وغير المنطوقة ليضم تحت جوانحه كل ما نعبر به عن

---

(١) ص:١٦

(٢) لغة الخطاب الدعوي، ص: ٢٤

(٣) الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة،ص:١١٦

(٤) ص:١٥

أنفسنا للآخرين وما يعبرون لنا به عن أنفسهم، فالخطاب على هذا التصور ذو لغتين إحداهما منطوقة، والأخرى غير منطوقة" (١).

إن مفهوم الخطاب على الرغم من تعدد مجالات دراسته بتعدد وجهات نظر الباحثين ومجال تخصصهم، والمدارس التي ينطلقون منها، والنصوص التي يطبقون عليها، إلا أن هناك خطوطا مشتركة لهذا المفهوم، إذ إنه ينطلق من اللسانيات ويتجاوزها، فحين تحدد اللسانيات جغرافيته بحدود الجملة يتعداها إلى مجموعة من الجمل، والتي ينبغي أن يكون بينها علاقة تؤدي إلى إنتاج الغرض المقصود، ويشكل الخطاب حلقة متكاملة من المخاطِب والمخاطَب والخطاب.

ولاشك أن الدرس اللغوي الحديث قائم على نتائج الدرس اللغوي العربي القديم، فما أتى به علماء اللغة من الغرب ما هو إلا تغليف لجهود القدماء بغلاف الحداثة والمنهجية العلمية المقننة، وعليه فإن على الباحثين المحدثين في علوم العربية النظر في الأفكار التأصيلية الموجودة في التراث العربي، ثم دراستها على ضوء المناهج المعاصرة، ذلك أن الاعتماد على ما أفرزه الفكر الغربي في موضوع دراسة اللغة وخطابيتها " يعني إهدار أربعة عشر قرنا من النتاج اللساني المتميز، الذي هو إنتاج قوم من أعلم الناس بفقه العربية وأسرار تركيبها وذخائر تراثها ... " (٢).

---

(١) اللغة وسيكولوجية الخطاب: ص١٦

(٢) العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح: ص ٤٥

المبحث الثالث: بين الخطاب والنص

الفرق بين الخطاب والنص

يتداخل مفهوم الخطاب والنص تداخلا كبيرا في الدرس اللغوي واللساني الحديث، ويقتضي ذلك تحديد مفهوم النص لغة واصطلاحا. وفي تعريف النص لغة يقول الأزهري: " النص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، ومنه قيل: نصصت الرجل إذا استقصيت مسألة عن الشيء وحتى تستخرج كل ما عنده، وكذلك النص في السير، هو أقصى ما تقدر عليه الدابة"(١).

وجاء في لسان العرب أن النص هو " رفعك الشيء. ونص الحديث ينصه نصا رفعه. ونص المتاع نصا جعل بعضه على بعض "(٢)، ويقول الفيروز آبادي: " نصّ ناقته: استخرج أقصى ما عندها من السير. ونص الشيء حركه، ونص المتاع: جعل بعضه فوق بعض ... ونص الشيء أظهره، والنص الإسناد إلى الرئيس الأكبر ... "(٣). وهذه الأقوال المعجمية تشترك في معنى الارتفاع وبلوغ الشيء أقصاه، فإذا ارتفع الشيء ظهر وبان واضحا. وهناك علاقة رابطة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للنص، فالمعجميون يقتربون من الفكرة الاصطلاحية للنص، وهي أن النص شكل من أشكال الإنجاز اللغوي، له نظامه الخاص القائم على تراكم الجمل والعبارات في أنساق لغوية بعلاقات إسنادية مترابطة تؤدي إلى إظهار المعنى المقصود وبيانه عند متلقيه.

ويعرفه الأزهر الزنّاد بأنه " نسيج من الكلمات يترابط بعضها مع بعض " (٤) وقد حاول سعيد يقطين تقديم تصور للنص مفاده أن " النص بنية دلالية تنتجها ذات (فردية أو جماعية)

---

(١) تهذيب اللغة: مادة (نصّ)

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة نصص

(٣) القاموس المحيط مادة :نصص

(٤) نسيج النص:ص١٢

ضمن بنية نصية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة... وهو يتكون من العنصر البنيوي (يتضمن البنى المشكلة للنص) والعنصر الإنتاجي (التفاعل والصراع بين هذه البنى)"[١].

والنص في الدرس اللغوي الحديث عند العالم اللغوي(روبرت دي بوجراند) " مجموعة من الملفوظات اللسانية القابلة للتحليل فهو عينة من السلوك المكتوب أو المنطوق " [٢] ومعنى هذا أن النص هو إنتاج الكلام وتلفظه سواء كان منطوقا أو مكتوبا، طويلا أو قصيرا. ويعرفه الدكتور بشير إبرير بأنه: " ما تنقرئ فيه الكتابة وتنكتب فيه القراءة " [٣] وهذا التعريف يجعل الطابع الكتابي هو المعيار الذي يحدد النص بدليل تحول الخطاب الشفوي إلى نص بواسطة الكتابة التي تحافظ على بقاءه.

وعرفه أحمد مداس من منظورات متعددة وبشكل منطقي متسلسل، فالخطاب عنده من منظور نحوي، بنية مقطعية جملية، أي أنه مكون من سلسلة من المقاطع الجملية، وهو من منظور دلالي يتكون من مقاطع جملية، ومن منظور تداولي هو بنية مقطعية لأفعال الكلام، أي أنه مكون من سلسلة من المقاطع الكلامية، وفعل الكلام مكون بدوره من فعل القول وفعل الإنجاز وفعل التأثير، والحجاج. والنص من منظور الخطاب، هو بنية لسانية صورية صغرى تندرج في بنية المقام فيشكلان معا بنية اجتماعية محسوسة كبرى هي الخطاب، ونحو الخطاب هو العلم الذي يعنى بكيفية تحول نص معين إلى خطاب، فالنص مع المقام يشكلان الخطاب[٤].

وقد تضاربت الآراء بين قائل بأن النص والخطاب لهما نفس المعنى، وبين من يرى بوجود الفرق بينهما، فمن الدارسين الذين يرون أن النص هو الخطاب الأستاذ اللغوي البريطاني (روجر

---

(١) انفتاح النص الروائي،ص: ١٠ ـ ١٢

(٢) النص والخطاب والإجراء، روبرت دب بوجراند، ترجمة تمام حسان: ص ١٢٠

(٣) من لسانيات الجملة إلى علم النص: ص٧٩

(٤) ينظر: لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، أحمد مداس: ص ٨٣ ـ ٨٤

فاولر) فهو يقول بأن: " كل نص خطاب، فعل لغة من لدن مؤلف ضمني، له تصميم محدد لقارئ محدد الهوية"[١] بينما يعتقد العالم اللغوي (مايكل ستابش) أن هناك فروقا طفيفة بينهما، منها أن النص يكون مكتوبا طويلا أو قصيرا، يتميز بالانسجام في الشكل والصيغة، بينما الخطاب يكون محكيا تفاعليا طويلا، عميق الانسجام من حيث الدلالة أو المعنى [٢]. أي أن النص ذو طابع كتابي يأتي طويلا أو قصيرا، وآليات الانسجام تظهر في شكله اللغوي النحوي أفقيا عبر الامتداد الخطي، أما الخطاب فهو يمثل المعاني والدلالات التي يتلفظ بها الفرد ولا يهم أمر كتابتها بقدر ما يهم انسجامها عموديا (دلاليا).

فالخطاب هو بنية اجتماعية محسوسة، أما النص فهو بنية لسانية صورية، ويمثل المقام شروط إنتاج الخطاب ويتشكل من العناصر غير اللغوية المجردة والمحسوسة الماثلة في ذهن المتخاطبين، أو في المحيط الخارجي وقت جريان الخطاب، ويعزى لها الدور في صياغة العناصر اللغوية الملفوظة في سياق المقال، ويرى (ميشال شارولز) " أن النص مجموعة لسانية مغلقة لأنها بنية صورية مجردة في ذهن المتكلم، الذي يقوم بفتحها وتوسيعها إلى خطاب عن طريق دمجها في المقام، والخطاب هو مجموعة لسانية مفتوحة على شروط إنتاجها (المقام) حيث يهتم نحو الخطاب بدراسة شروط إنتاجه وبعملية تحويل النص إلى خطاب بواسطة المقام " [٣].

أما الفيلسوف الفرنسي (ميشيل فوكو) فيرى أن الخطاب يختلف عن النص على أساس أنه " مصطلح لساني، يتميز عن نص وكلام وكتابة وغيرها، بشكله لكل إنتاج ذهني سواء كان نثرا أو شعرا منطوقا أو مكتوبا فرديا أو جماعيا ذاتيا أو مؤسسيا، في حين أن المصطلحات الأخرى تقتصر على جانب واحد، وللخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسسية فهو ليس ناتجا بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها أو يحمل معناها أو يحيل إليها، بل قد يكون خطاب

---

(١) اللسانيات والرواية، فاولر روجر،ترجمة لحسن احمامة: ص ٦٦

(٢) ينظر: الخطاب، سارة ميلز، ترجمة يوسف بغول،ص: ١٣

(٣) المرجع السابق: الصفحة نفسها

مؤسسة أو فترة زمنية أو فرع معرفي ما"[١] ومعنى هذا أن الخطاب أعم من النص، فمجموعة من النصوص تشكل خطابا شفويا أو مكتوبا، ينجزه فرد أو جماعة أو تيار فكري أو عقائدي.

ويرى كثير من الباحثين العرب أن الخطاب والنص مصطلحان مترادفان كالدكتور سعيد بحيري في كتابه (علم لغة النص) والناقد فاضل ثامر في كتابه (اللغة الثنائية) والكاتب محمد الأخضر الصبيحي الذي يقول: " بعد هذا العرض المختصر الذي اقتصرنا فيه على مواقف أبرز علماء النص، ومحللي الخطاب، فإن استنتاجا معينا يكاد يفرض نفسه، وهو حتى وأن سلمنا بوجود فرق بين النص والخطاب، فإن هذا الفرق لا يلبث أن يتلاشى على مستوى التحليل والدراسة. ولا أدل على ذلك من أن كلا من علماء النص وأصحاب تحليل الخطاب يجمعون على أن دراسة النص وتحليله يجب أن تشمل البنية النصية وسياقها معا " [٢]، لكن المتتبع لأغوار المعنيين في الكتب يرى فروقا في استعمال النص والخطاب، فالخطاب سلسلة من الملفوظات اللسانية التي تتركب لتكون النص المتصف بخصائص صوتية ونحوية وتركيبية، فيصير إلى وحدات نصية ذات علاقات دلالية فيما بينها.

والثقافة العربية الإسلامية احتوت مفهومي النص والخطاب، وميزت بينهما، بكون الأول يفترض وجود المتلقي لحظة النطق به شفويا فلا يتجاوزه إلى غيره أما النص فهو مدونة مكتوبة، تؤجل قراءتها أي لها ديمومة التلقي في كل زمان ومكان[٣]. ويرى عبد المجيد هاشم في كتابه (الخطاب وأثره في بناء نحو النص) أن الخطاب هو الذي يشكل النصّ ونحوه، وهو الذي يبني نحوية النص وفقا لاعتبارات سياقية مختلفة [٤].

---

(١) نظام الخطاب، ميشيل فوكو، ترجمة محمد سبيلا: ص ٤

(٢) مدخل إلى علم النص،ص: ١٢

(٣) من لسانيات الجملة إلى علم النص، د. بشير إبرير : ص:٩٣

(٤) ص: ١٩٩

وجعل الدكتور محمد العبد (الخطاب) كلا منطوقا يتسع لعرض ملابسات إنتاجه وتلقيه وتأويله كالحركات المصاحبة له أثناء الاتصال، وهو يتسم بالطول مثل الخطاب الروائي الذي يعتمد على الحوار، اعتقادات المؤلف، الشخصيات. بينما النص يتسم بالطابع الكتابي والقصر حتى يغدو كلمة مثل: السكوت، والطول أحيانا حتى يصبح مدونة مثل رسالة الغفران [١].

ويرى الدكتور محمد مفتاح يرى أن الخطاب أعم من النص، يقول:" بيد أن اللغة العربية تحتوي على المفردتين معا، فالنص يعني الإظهار والتراكم والتعيين ومنتهى الشيء، وهذه المعاني إذا ما نقلناها إلى لغة معاصرة فإنها تعني أن النص له بداية وله نهاية، وأنه عبارة عن جمل متراكمة تظهر ما خفي وتعينه، وأما الخطاب فهو يقوم على طرفين، أحدهما مخاطِب وثانيهما مخاطَب، وقد يتحاوران فيقال حينئذ: إنهما يتخاطبان. وإذا ما تجاوزنا المعنى اللغوي إلى المعنى المصطلحي فإن النص ـ بمعناه الأصولي ـ يكون مقطوعا به وغير مقطوع، فإذا كان مقطوعا به فإنه لا اجتهاد مع وجوده، وهو عند الأصوليين مثل الخطاب يقصد به الأمر أو النهي أو الإخبار أو الخبر وغيرها من الوظائف: وبناء على هذا، فإن الخطاب عندهم يشمل النص أيضا، وإذن، فالخطاب أعم من النص " [٢].

غير أن الدكتور عبدالملك مرتاض يرى عكس ذلك في كتابه (نظرية النص الأدبي) فالنص عنده أعم من الخطاب، يقول في هذا المعنى " ثم لم لا يكون النص خطابا والخطاب نصا؟ ذلك شيء قيل به، ولكننا نحن نأبى القول به فالنص لدينا أشمل وأرحب، أما الخطاب فتصنيف داخلي، تفصيل من مجمل، وفرع من أصل كبير، النص هو كل كتابة على وجه الإطلاق، في حين أن الخطاب تصنيف لنوع الكتابة، وتخصيص فني داخلي في تحسينها "[٣]، والبحث اعتمد التفريق بين الخطاب والنص، وفي المباحث التالية بيان ذلك.

---

(١) انظر: النص والخطاب والاتصال، د.محمد العبد، ص: ٩

(٢) التشابه والاختلاف ـ نحو منهاجية شمولية: ص ٣٤ ـ ٣٥

(٣) ص: ١٢

الحديث القدسي نص وخطاب:

الحديث النبوي والحديث القدسي نص مكتوب تلقاه المسلمون وقد كان خطابا لفترة طويلة منذ نزوله، فالأحاديث النبوية التي تلقاها الناس مشافهة كانت خطابا يتضمن المعاني والأفكار الشفوية، وبفعل الكتابة والتدوين تحولت إلى نص مكتوب، ومن ثم فكل نص خطاب وليس كل خطاب نصا.

والخطاب في الحديث القدسي مازال يمارس وظيفته في الحياة اليومية للمسلمين بوصفه (خطابا) نابضا حيا، لا مجرد نص، هذا من دون التقليل من خاصية النصية فيه، والتي حفظته بين يد المسلمين، إن التعامل مع الأحاديث القدسية في فترة ما قبل النصية والتدوين، أي في فترة المشافهة بحفظه ونقله عن رسول الله ﷺ تجعل الدرس اللغوي نابضا بالحياة والتأويل.

والتركيز على البعد الرأسي في دراسة الأحاديث القدسية يبرز الخطابية فيها، ويبين عملية تلقيها والتواصلية التي نتجت عنها مجموعة من الخطابات في شكل أحاديث قدسية بين قصيرة في نصها وطويلة، وبين صريحة في نسبتها لله تعالى أو ضمنية. وأسلوب الحديث القدسي متنوع الروابط ومتعدد الأساليب بين خبرية ابتدائية وإنكارية، وأساليب إنشائية كالنداء والأمر والشرط، كما أن نص الحديث القدسي غير ثابت الحجم فهو يصل تارة إلى حد صفحة الكتاب، ويقصر تارة أخرى إلى حد جملة أو جملتين.

وبذلك فالنص والخطاب في الأحاديث القدسية يشكلان نمطين مختلفين لكنهما متكاملين في قدسيتهما واستمراريتهما وخلودهما، والحديث القدسي المتداول بالمشافهة والذي تأخرت فترة تدوينه بأمر من الرسول ﷺ، لعلة عدم اختلاطه بالقرآن الكريم هو نفسه الحديث القدسي المدون في كتب الصحاح والمسانيد التي تحتوي على الصيغة النهائية والمغلقة التي اتفق عليها رواة وحفظة الحديث الشريف رغم اختلاف بعض ألفاظه وبعض نصوصه باختلاف المحدِّثين واللهجات العربية.

فالحديث القدسي خطاب تحول بفعل لحظة تدوينه التاريخية إلى نص ولكنه مازال خطابا حيا ينبض بأسرار خطابيته داخل نصه المطلق، إلا أنه منذ ذلك التحول وأغلب الدارسين له ينظرون في حدود نصيته المغلقة في بنيتها تاركين رحابة أفق مستويات الخطاب فيه وفضاءات أنساق خطابيته بعيدا عن التأمل والبحث في بنية (ما قبل نصيته)، تلك الخطابية التي جعلته مؤثرا متفاعلا في كل المخاطبين والمتلقين عبر الأزمنة والأمكنة المختلفة إلى يومنا هذا .

والطبيعة الخطابية للنص في الأحاديث القدسية تتطلب فهم السياق الخطابي، سياق التحاور والمناداة والإجابة والاستفهام والجدال والاختيار والرفض والقبول. وهذا السياق الخطابي ليس هو سياق النص، بل هو سياق أوسع يتطلب تحليل أدوات الرفض والتأكيد والإزاحة والتركيب والتفكيك في منطوق الخطاب القدسي، واستخراج مدلولاته، وخصوصيته البيانية والأسلوبية.

النص القدسي في مراتب الخطاب

إن الخطاب هو اللغة الحية في كل نص مكتوب، فالخطاب منطوق والنص مكتوب، وكل خطاب يتكون من مستوين هما:

دال اللسان: الإمكانيات الأسلوبية للتعبير

ودال الخطاب: الإنجاز اللغوي [1].

والخطاب عن الكفوي (١٠٩٤هـ) في كلياته نوعان " فالخطاب إما الكلام اللفظي أو الكلام النفسي الموجه نحو الغير للإفهام وقد جرى الخلاف في كلام الله هل يسمى بالأزل خطابا قبل وجود المخاطبين تنزيلا لما سيوجد منزلة الموجود أولا؟ فمن قال: الخطاب هو الكلام الذي يقصد به الإفهام سمى الكلام في الأزل خطابا، لأنه يقصد به الإفهام في الجملة. ومن قال: هو الكلام الذي يقصد به إفهام من هو أهل للفهم على ما هو الأصل لا يسميه في الأزل خطابا ... ومن يريد أن يأمر أو ينهي أو يخبر أو يستخبر أو ينادي يجد في نفسه قبل

(١) انظر، المدخل المعرفي واللغوي للقرآن الكريم، د. خديجة إيكر: ٩١ ـ ٩٢

التلفظ معناها ثم يعبر عنه بلفظ أو كتابة أو إشارة، وذلك المعنى هو الكلام النفسي، وما يعبر به هو الكلام الحسي، ومغايرتهما بينة، إذ المعبر به قد يختلف دون المعنى " [1] وعليه فالكفوي ربط عملية إنتاج الخطاب بالمقام، وميز بين الخطاب والنص بعنصر مهم هو (التلفظ بالكلام) فيكون الخطاب هو الفعل الكلامي الشفوي الذي يتم بين منتج ومتلق، وهو نوعان خطاب متصور (الكلام النفسي) وخطاب منجز (الكلام اللفظي).

والحديث القدسي خطاب ملفوظ ونص مكتوب، تتحقق فيه مكونات العملية التواصلية الناجحة وشروطها: المرسل والمتلقي والخطاب، وهو كخطاب مقدس يمتاز بحضور منتجه قراءة وكتابة، فهو مترفع عن الزوال مقدس بحضوره في كل زمان ومكان، يقول الكفوي في توضيح هذه القضية: " ونسبة علمه تعالى إلى جميع الأزمنة على السوية، فيكون جميع الأزمنة من الأزل إلى الأبد بالقياس إليه تعالى كالحاضر في زمانه فيخاطب بالكلام النفسي مع مخاطب نفسي، وإلا يجب فيه حضور المخاطب الحسي، كما في الحسي فيخاطب الله كل قوم بحسب زمانه وتقدمه وتأخره. مثلا إذا أرسلت زيدا إلى عمرو تكتب في مكتوبك إليه: إني أرسلت إليك زيدا، مع أنه حينما تكتبه لم يتحقق الإرسال فتلاحظ حال المخاطب، وكما تقدر في نفسك مخاطبة وتقول له: تفعل الآن كذا، وستفعل بعده كذا، وكان قبل ذلك كذا، ولا شك أن هذا المضي والحضور والاستقبال إنما هو بالنسبة إلى زمان الوجود المقدر من هذا المخاطب لا بالنسبة إلى زمان المتكلم " [2].

وفي الثقافة العربية هناك تلازم دلالي بين الخطاب والكلام، إذ هو" وحدة لغوية أشمل من الجملة، فالخطاب تركيب من الجمل المنظومة طبقا لنسق مخصوص من التأليف. والتأكيد على المظهر اللفظي للخطاب وكونه نظاما من الملفوظات مرده إلى اشتغال اللسانيين على الكلام

---

(١) الكليات ـ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: ص٤١٩

(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها

بوصفه مظهرا لفظيا خاصا بالفرد، وكونه أكثر المظاهر الإشارية تعبيرا عن اللغة التي يعتمدون عليها بوصفها قاعدة معيارية عامة" [١].

أما النص فهو النصف الآخر المكمل للخطاب والمجسد له، والمثبت إياه عبر الزمان والمكان، والنص هو دلالة البناء اللغوي الشكلي، وقد استعمل الأصوليون النص بمعنى الآية القرآنية أو الحديث النبوي الشريف، فيقال نصوص القرآن والسنة، يقول الدكتور السيد أحمد عبد الغفار " للنص مفهوم آخر عند الأصوليين فإنهم يستعملون هذا اللفظ فيما ورد في بحوثهم من اصطلاحات مثل: عبارة النص، وإشارة النص ..الخ. يفهم منها أنهم يطلقونه على كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة سواء أكان ظاهرا أو نصا أو مفسرا، أي أن كل ما ورد عن صاحب الشرع فهو نص"[٢] فالنص هو" ما دل بنفس لفظه وصيغته على المعنى دون توقف على أمر خارجي، وكان هذا المعنى هو المقصود الأصلي من سوق الكلام"[٣].

والجرجاني يعرف النص بأنه " ما لا يحتمل إلا معنى واحدا، وقيل ما لا يحتمل التأويل "[٤] وذهب الدكتور محمد يوسف حبلص إلى أن الأصوليين قد اتفقوا في تعريفهم للنص مع أحد التعريفات الحديثة للنص، بأنه " القول اللغوي المكتفي بذاته والمكتمل دلاليا "[٥].

ويقبع النص على بنية متسقة مضمرة فيه، تقوم على التماسك الكلي بين البنيات والعناصر المتجانسة بعناصر الربط الشكلية والعلاقات الدلالية، مما يجعل الخطاب المقدس نصا متماسكا متسقا منسجما، تترابط فيه العلاقات الإسنادية التي تعمل على انسجامه، والوصول إلى المعنى الأساس الكامن بدراسة التحولات الطارئة على البنية السطحية (المستوى الوصفي)

---

(١) المدخل المعرفي واللغوي للقرآن الكريم، د. خديجة إيكر: ٩٠

(٢) التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، ص: ١٤٦

(٣) الوجيز في أصول الفقه، عبدالكريم زيدان: ص ٣٤٠

(٤) التعريفات: ص٢٣٤

(٥) من أسس علم اللغة: ص٢٧٢

وصولا إلى (المستوى التأويلي) في البنية العميقة، ووصولا إلى فهم بنية النص الكبرى التي تؤدي إلى فهم الخطاب ومستوياته المتعددة، والوقوف على اختياراته الأسلوبية والتواصلية، التي كان الهدف من انزياحها وخروجها عن نمط أساليب العرب هو التأثير في السامع بسحر البيان وقوة الخطاب ورصافة النص، مما يعود إلى خير البشرية وهدايتها وسعادتها الأبدية في الدارين.

والبنية النصية موجودة في كل خطاب، ذلك أن النص " لا يستطيع أن يتواجد إلا عبر الخطاب " [١] على اعتبار أن أي نص هو خطاب أو فعل لغوي ينجزه كاتب ضمني لقارئ ضمني [٢]، ويذكر الدكتور محمد العبد هذه الفكرة بقوله: " الخطاب ينبغي النظر إليه على أنه موقف ينبغي للغة أن تحاول العمل على مطابقته، وعلى ذلك فإن الخطاب أوسع من النص، فالنص ليس بنية بالضرورة، ثم إن غلبة النص على المكتوب والخطاب على الملفوظ ليس حاسما، فأحدهما يلتبس بالآخر على سبيل التوسع " [٣] .

ودراسة النص لا تكون إلا من مدخله ومدخله هو الجملة، التي يمنحها النص عن طريق الدلالة السابقة واللاحقة ووحدة النص الكلي معناها، وتفاعلها وتداولها، وفي النص تتعانق الروابط الرأسية والأفقية، حتى تكون في النهاية خيطا قويا يربط النص ربطا خفيا يحتاج إلى تلطف لكشفه على حد تعبير الدكتور محمد حماسة، والذي يعرف العلاقات الأفقية بأنها ترابط الجملة الواحدة داخليا بالعلاقات النحوية، كالابتدائية والخبرية، أو الفعلية والفاعلية، وما يلحق بها من معاني الأدوات كالنفي والعطف والتوكيد، والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير[٤] ، أما العلاقات الرأسية، فهو يعرفها بأنها تماسك جمل النص ووحداته، و" تكون مسئولة عن تكوين

---

(١) لسانيات النص، ليندة قياس: ص ٤٤

(٢) انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين: ص١٢

(٣) النص والخطاب والاتصال: ص ١٢

(٤) ينظر: الإبداع الموازي، د. محمد حماسة: ص٣٦ ـ ٤٥

سياق نصي يساعد على تفسير التراكيب داخل النص، وكل جملة في النص لا يمكن فهمها إلا من خلال ترابطها بأخواتها في النص " [١].

والحديث النبوي والقدسي نص وخطاب بالقياس على القرآن الكريم، تقول الدكتورة حكيمة بوقرومة: " القرآن نص وخطاب، وهو معجزة الإسلام، أنزل للناس كافة، وهو خاتمة الرسالات التي جاء بها الأنبياء، ومن هنا قام بدور استثنائي وصعب، وهو هداية الناس في كل زمان ومكان ... ومن هنا وجد عنصران في القرآن الكريم: عنصر يتعلق بالنص، وعنصر يتعلق بالخطاب. والنص هنا ليس بمعنى ما فيه من أحكام أو ما فيه من حدود، وخصائص معينة، ولكنه نفسه مصاغ بطريقة تحقق الأثر في النفوس لتهيئتها للإيمان. ثم ينتقل القرآن من النص إلى الخطاب. فيدعو إلى الفكر والحرية والمساواة والمعرفة والتدبر، فيعرض تعالى ذلك كله باعتباره الخالق المهيمن، ليخاطب به أنبل ما في النفس الإنسانية. ومن هنا كان القرآن نصا وخطابا، فالنص يهيئ النفس البشرية ويتعامل معها لتتقبل الخطاب، والخطاب قيم ومثل منبثقة من الله تعالى ومن الطبيعة الإلهية " [٢] .

وعليه فالخطاب هو كل ملفوظ أو مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات"[٣] والنص هو خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة، وهو وثيقة البقاء للخطاب، وأفق التفاعل بين المرسل المتعالي والمتلقي عبر الزمان والمكان.

النحو الوظيفي والخطاب

تعد نظرية النحو الوظيفي التي أرسى دعائمها سيمون ديك آخر المحطات التي مرت بها اللسانيات في الثلث الأخير من القرن الماضي، وترتكز على مبادئ منهجية هي " وظيفة اللغة الأساس هي التواصل، وبنية اللغة خاضعة لهذه الوظيفة، وبناء عليه فالوصف اللغوي يجب أن

(١) منهج في التحليل النصي للقصيدة، د. محمد حماسة: ص ١٢٦
(٢) المتلقي في الخطاب القرآني: ص١٣ ـ ١٤
(٣) الخطاب وخصائص اللغة العربية، أحمد المتوكل: ص ٢٤

لا يهتم بالخصائص البنيوية فقط، بل كذلك بالخصائص الوظيفية والتعالقات القائمة بين المجموعتين ... ومطامح نظرية النحو الوظيفي تتلخص في ثلاثة مطامح: الكفاية التداولية والكفاية النفسية والكفاية النمطية " [١].

وتبنى هذه النظرية من الباحثين العرب الدكتور أحمد المتوكل ووضع لها قواعد وأسسا منهجية تنظر قضايا اللغة العربية من وجهة وظيفية، وسماها (نحو اللغة العربية الوظيفي) بهدف عقد حوار بين الفكر اللغوي العربي القديم والنحو الوظيفي، من أجل قراءة الفكر اللغوي العربي القديم، وإدماجه في الفكر اللساني الحديث واستثماره في وصف اللغات الطبيعية [٢] .

إن دراسة النحو الوظيفي بوصفه من أحدث ما وصل إليه الدرس اللساني الحديث، ما هو إلا توسيع لآفاق البحث العربية القديمة التي استطاعت أن تكون منهلا للتحليل اللساني، ومنهجا للدراسة اللغوية لما يربو عن ثلاثة عشر قرنا، احتوت كتاب الله تعالى وباقي النصوص عبر الأزمنة، وعليه فنظرية النحو الوظيفي لم تأت بجديد على ما أتى به الدرس العربي القديم، غير أنها سلطت الضوء على وظيفة التواصل والمقام كأساس للنحو ودراسته، وتُعد دراسة مثل هذه النظريات محاولة لإبراز المفاهيم الوظيفية الموجودة في الدرس اللغوي العربي القديم بإخراجها في قوالب مفاهيمية جديدة، وتحت تسميات ومصطلحات جديدة، بالتنظير الممنهج للمفاهيم اللغوية التي تناولها الدرس اللغوي العربي من وجهة تحليلية تطبيقية.

ونحو الخطاب الوظيفي يتكون من أربعة مكونات:

المكون المفهومي/ المعارفي . والمكون النحوي/ الصرفي والتركيبي . والمكون السياقي/ سياق المقام والمقال . والمكون الصوتي/ الصوت والتنغيم [٣]. ويُقسم النص إلى أربعة مستويات (الصوتي

(١) النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي دراسة في نحو الجملة، الزايدي بو درامة: المقدمة
(٢) الخطاب و خصائص اللغة العربية، أحمد المتوكل: المقدمة ص٣
(٣) ينظرالمرجع السابق: ص ١٧

والدلالي والتركيبي والتداول) [1].

وعليه يمكن التفريق بين النحو الوظيفي والنحو غير الوظيفي الذي لا يقصر البحث على الوظائف التركيبية، والدلالية فقط، وإنما يتعداها ليتسع لوظائف أخرى مقامية وتداولية، وفي التوجه الوظيفي تعتبر الوظيفة التبليغية الوظيفة الأساس للغة، وهي وظيفة تعكس الخصائص البنيوية للتراكيب اللغوية (الصوتية، الصرفية، المعجمية، والتركيبية) في النص. واعتبار الجوانب التداولية تسهم في تحديد البنية التركيبية والدلالية للنص[٢]. وعليه فلا يمكن دراسة النحو الوظيفي إلا بربطه بالوظيفة التواصلية التي هي نتاج علاقة بين طرفين، وتشمل مختلف قواعد اللغة الصوتية والتركيبية والدلالية مضافا إليها القواعد التداولية .

ويرى الدكتور أحمد المتوكل أن الدرس اللغوي العربي القديم هو درس وظيفي وله خصوصيته ومميزاته وظروف إنتاجه " ولعل ما أسعف المتوكل على إقامة حوار بين درسين متباينين زمنيا اقتناعه أن الدرس اللغوي العربي القديم، في جوهره، درس وظيفي " [٣] يقول أحمد المتوكل في هذا الصدد: " التنظير الدلالي في علوم اللغة العربية، منظور إليه في مجمله، تنظير وظيفي في العمق قائم على المبدإ الوظيفي الأساس، مبدإ أسبقية الوظيفة على البنية وتبعية الثانية للأولى"[٤] .

ومن الممكن اعتبار الدرس اللغوي العربي القديم درسا وظيفيا، لأن علماء العربية نظروا للخطاب والنص وبالأخص النص الديني (قرآنا وحديثا) نظرة شمولية منفتحة على جميع العلوم لفهم كيانه وبنيته الكلية الكبرى، وهو أمر أثبتته أغلب الدراسات اللسانية العربية الحديثة، ذلك أنهم اتبعوا منهجا قادرا على احتضان كل المقاربات اللسانية المعروفة.

---

(١) ينظر: الخطاب و خصائص اللغة العربية، أحمد المتوكل: ص ٢٨

(٢) ينظر: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، يحيى بعيطيش: ص ٤١ ـ ٥٧

(٣) النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي دراسة في نحو الجملة، الزايدي بو درامة: ص ٣٦١

(٤) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ـ الأصول والامتداد: ص١٦٥

وحاول الدكتور فاضل السامرائي تتبع الجوانب الدلالية والوظيفية لأبواب النحو المعروفة في المؤلفات العربية القديمة والحديثة، وسمى هذه الدراسة بـ (فقه النحو) وتعني دراسة النحو على أساس المعنى، وفيها ركز على أهم مبادئ الوظيفية بالإضافة إلى التداولية، ويبحث فيها الفروق التعبيرية التي تجوزها القاعدة النحوية نفسها، والتي لا يمكن فهمها وتوظيفها تواصليا إلا إذا استحضر السياق أو المقام الذي قيلت فيه.

فالأوجه النحوية ليست مجرد استكثار من تعبيرات لا طائل منها، وإن جواز أكثر من وجه تعبيري ليس معناه أن هذه الأوجه ذات دلالة معنوية واحدة، وأن من الممكن أن يستعمل أيها شاء المتكلم. وإنما لكل وجه دلالته ومعناه، ولا يمكن أن يؤدي تعبيران مختلفان معنى واحدا، إلا إذا كان ذلك لغة من لغات العرب، نحو: (ما محمد حاضرًا) و (ما محمد حاضرٌ) فالأولى لغة حجازية والثانية تميمية، ولا يترتب على هذا الاختلاف النحوي اختلاف في المعنى. وفيما عدا ذلك لابد أن يكون لكل تعبير معنى، إذ كل عدول من تعبير إلى تعبير، لا بد أن يصحبه عدول من معنى إلى معنى، وبذلك تكون الأوجه التعبيرية المتعددة، إنما هي صور لأوجه معنوية متعددة(١).

وبذلك فهو ينطلق من فكرة وظيفية وهي خصوصية استعمال التركيب في سياق ما، وذلك بتتبع كل الدلالات المقامية التي يؤديها تركيب دون آخر، منطلقا من أن الاختلاف في المبنى والتركيب يستلزم اختلافا في المعنى، وأن الفروقات الدلالية هي التي تفضل تركيبا على تركيب في سياق ما.

وعمل الباحث الزايدي بودرامة على تتبع الوظيفية في كتاب سيبويه، يقول في ذلك: " يرى سيبويه بتبعية البنية للوظيفة، يدلك على هذا ما ذهب إليه من أن الكلام إذا كان مستحيل التحقق في الواقع العيني (ليس مما يتكلم به لأنه لا معنى له دقيق يعكسه) فإنه لا معنى لوصفه

---

(١) ينظر معاني النحو، فاضل صالح السامرائي: جـ١،ص ٢٨

بالنحوية أو بالمقبولية القاعدية (المحال) لأنه تأليف غير وارد، وكذا وصفه للكلام الذي لا يطابق الواقع بالكذب، فالمعنى مشروط وسابق على التأليف، والواقع سابق ومشروط للحكم على عبارة ما بالحسن، وهذا يعني أن التأليف الوارد هو التأليف الذي تعكسه جوانب دلالية وتداولية. اعتقاد سيبويه المطلق بأن عمله التنظيري مؤسس على الاستعمال العربي، وكل قوانين الكتاب وقواعده مؤسسة على المادة اللغوية المتداولة بين العرب، وليست تقعيدا لأشكال مفترضة، بل مشتقة من الواقع اللغوي العربي "[١] .

ويذكر فاضل السامرائي نماذج تدل على اهتمام اللغويين العرب بالمنحى الوظيفي كالجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز)، والسكاكي في كتابه (مفتاح العلوم). وفكرة كتابه (معاني النحو) مقاربة لفكرة الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) الذي جعل فيه مدار النظم على " معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه "[٢].

والجوانب الوظيفية عند الجرجاني تتمثل في أن وظيفة اللغة التواصل بالجمل، ونظمها حسب المعنى في النفس، والوظيفية تعني المعنى المراد تبليغه، يقول الجرجاني: " إن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق، فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها فباطل من الظن، ووهم يتخيل إلى من لا يوفي النظر حقه "[٣] وهنا يربط الجرجاني النظم بمتكلمه ومنجزه، فالمتكلم يرتب المعاني في نفسه، ثم يرتب كلامه ولفظه تبعا للمعاني في نفسه، ودور السامع تلقي اللفظ ثم فهمه وتذوقه والتمييز بين أنواع الكلام.

---

(١) النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي دراسة في نحو الجملة، الزايدي بو درامة: ص ٢٩٠

(٢) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني: ص ٨٧

(٣) المرجع السابق: ص ٣٥

والسكاكي يركز على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، رابطا بين المقام والمقال، يقول: " ثم إذا شرعت في الكلام، فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال، فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم، فحسن الكلام تجريده عن مؤكدات الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك، فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك، حسب المقتضى ضعفا وقوة، وإن كان مقتضى الحال طي ذكر المسند إليه، فحسن الكلام تركه، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن الكلام وروده على اعتبار المناسب، وكذا إن كان المقتضى ترك المسند، فحسن الكلام وروده عاريا عن ذكره، وإن كان المقتضى إثباته مخصصا بشيء من التخصيصات، فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها، وكذا إن كان المقتضى عند انتظام الجملة مع أخرى فصلها أو وصلها، والإيجاز معها أو الإطناب، أعني طيّ جمل عن البين ولا طيها، فحسن الكلام تأليفه مطابقا لذلك "[1].

وبهذا يركز السكاكي على أن الكلام أداة للتواصل والتبليغ، يعرض لمقامات الكلام المتفاوتة ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، ولهذا ارتباط بنظرية النحو الوظيفي وأسبقية تأثير الوظيفة على البنية، وإيراد السكاكي لعنوان (لكل مقام مقال) في كتابه المفتاح[2] فيه إقرار بأسبقية الوظيفة على البنية أو المقال، فالبنية تحدد ترتيب عناصرها اعتمادا على ما يتطلبه المقام.

وعليه فالمنحى الوظيفي موجود عند علماء العرب لم يغفلوه في دراستهم للغة لا من الناحية النحوية ولا من الناحية البلاغية والتفسيرية والتأويلية، فقد أشار الدكتور أحمد المتوكل إلى اهتمام العرب بربط البنية بالوظيفة وذلك بإيراده لقاعدة النحاة (زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى) ، يقول في ذلك: " من المبادئ العامة الواردة في الفكر اللغوي العربي القديم المبدأ المعروف (زيادة

---

(١) مفتاح العلوم، السكاكي: ص ١٦٨ـ ١٦٩

(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها

المبنى لزيادة المعنى) ويأخذ هذا المبدأ صياغة حديثة عند (جيفون . ت١٩٩٤م) في شكل مبدإ الانعكاس، القاضي بأن كل زيادة في عناصر الفحوى الدلالي والتداولي للعبارة يستتبع زيادة في عنصر بنيتها " (١).

ونبه المتوكل على وقوف اللغويين الأوائل على الوظائف التي توجب بنيات محددة، قائلا: " اهتم اللغويون العرب نحاة وبلاغيين، كما هو معلوم، بدراسة هذه البنيات في إطار التفاعل بين (بنية المقال) ومقتضيات (المقام)، فاقترحوا أوصافا لكل من ظاهرة (التخصيص) وظاهرة (العناية) وظاهرة (التوكيد) وظاهرة (الحصر). واللافت للنظر في معالجتهم لهذه الظواهر أنهم عللوا الخصائص البنيوية المميزة للبنيات المعنية بالأمر انطلاقا من أنماط المقامات التي تُنجز فيها ويعني هذا، بعبارة أخرى، أنهم اعتبروا في تحليلهم لهذه المجموعة من الظواهر، أن الوظائف التداولية (التخصيص، العناية، الحصر ...) تحدد بنية الجملة التي تسند إلى أحد مكوناتها"(٢).

وبهذا فالنحو الوظيفي هو امتداد للنحو العربي مع التركيز على المقام والتواصل، وهو يقترب من الخطاب ومستوياته ومقامه وهدفه الإبلاغي والتواصلي.

---

(١) الوظيفة بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل: ص ١٨٢

(٢) الوظائف التداولية في اللغة العربية: ص ٨

الخطاب ونحو النص:

مصطلح (نحو النص) من المصطلحات الحديثة التي ظهرت في نهاية هذا القرن، وهو نتاج خليط من الخواص الوظيفية والتركيبية والدلالية والاتصالية، هدفه الوصف اللغوي للأبنية النصية، وتحليل أشكال التواصل النصي [١]، وهو يدرس النص من خلال سياق تواصلي وليس من خلال الجملة، ويضم في تحليلاته عناصر لم تكن موجودة في نحو الجملة، فيعتمد على " قواعد جديدة منطقية ودلالية وتركيبية ليقدم شكلا جديدا من أشكال التحليل لبنية النص، وتصور معايير التماسك والترابط والانسجام...وهو أكثر شمولا وتماسكا واقتصادا من النحو المصور في حدود الجملة " [٢] .

والنحو العربي بطبيعة أصله هو نحو نصي، يتناول النصوص معنى ودلالة، يقول الدكتور محمد حماسة: " ومن المعروف أن حيوية النحو في القديم نبعت من أنه علم نصي، وغير خاف أنه نشأ في حضن القرآن الكريم"[٣]، والنص هو صياغة منتج النص لمجموعة من الأفكار بشكل متسق ومنسجم بهدف توصيل دلالتها للمتلقي، ونحو النص هو نحو يهتم بالبنية الكبرى المكونة للنص، واتساقها وانسجامها، والخطاب كمنجز لغوي يتجسد من خلال النص، وفيه يكتب له الخلود، وبذلك فنحو النص مهم لدراسة الخطاب ومستوياته، لأنه يركز على الوظيفة التواصلية وتحسين الاتصال، وعلم النص يتجاوز دراسة الجملة المفردة، إلى تتابع الجمل المكونة للبنية الكبرى التي بها يُفهم المعنى المراد، ويسعى نحو النص في المستوى التحليلي " إلى الكشف عن الأبنية السطحية والعميقة للنصوص من خلال البحث في علاقات الترابط والتناغم والكشف عن العلاقات الرابطة بين القارئ والنص ضمن ثلاثية (نص/ سياق/ تداول) ذلك أنه يوجد إلى

---

(١) ينظر: نحو النص ـ اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي: ص ٣٤

(٢) من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح: ص ٣٩

(٣) اللغة وبناء الشعر، د. محمد حماسة عبداللطيف: ص ١٥

جانب قيود صحة النصوص وسلامتها التركيبية قيد الشيوع الذي يتحكم بدوره في معيار مقبولية الجمل دلاليا " [١].

ونحو النص له ارتباط وثيق بتحليل الخطاب، فهو يشمل النص وسياقه، وظروفه الخطابية التي أنتجته، وفضاءاته، مراعيا ظروف المتلقي وثقافته وسياقاته الخطابية المحددة للنص، وله دور في إيجاد الترابط المفهومي للخطاب بعد تحوله لنص، والحفاظ على خاصيته الخطابية بوسائل الترابط المفهومي الملحوظ، أو بوسائل الترابط الرصفي (والسبك والحبك) مما ينتج عنه وحدة كلية وبنية كبرى تستوعب مقاصد الخطاب بكل مستوياته، فالنص حدث تواصلي، يستلزم لكونه نصا توافر سبعة معايير (السبك/ الربط . الحبك/ التماسك، القصدية، القبولية، والإعلامية) وهي معايير تجعل النص يتصل بكل الظروف المحيطة به، كالمنتج والمتلقي والسياق المقامي والتواصلي والإعلامي والتناص.

ونحو النص لم يأت بجديد على ما أتى به الدرس العربي اللغوي القديم غير أن نظرته لتحليل النص جاءت شمولية أكثر تجاوزت الجزئيات ومنهج تقسيم النص إلى جمل، يقول الدكتور سعيد بحيري، أن " الدراسات النحوية قدمت تحليلات جزئية مهمة لبعض الجوانب الخاصة بالعلاقات بين أجزاء الجملة والمتواليات الجملية، وشروط الفصل والوصل، ومعاني الأساليب وأشكال السياقات والدلالات الخاصة، وغير ذلك من الظواهر التي يختص بها نحو الجملة، ولم تخرج الدراسة عن إطار الجملة إلا في إشارات دقيقة إلى العلاقات الدلالية العميقة التي تربط بين الجمل والمتواليات الجملية. ورأوا كذلك أن كثيرا من الظواهر التركيبية لم تفسَّر في إطار نحو الجملة تفسيرا كافيا مقنعا، وأنه ربما تغيرت الحال إذا اتجه الوصف إلى الحكم على هذه الظواهر في إطار وحدة أكبر من الجملة، ويمكن أن تكون تلك الوحدة هي النص" [٢] .

---

(١) نحو النص مبادؤه واتجاهاته الأساسية، د. نعمان بوقرة: ص٩٣

(٢) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ص ١٣٤

وهذا لا يعني أن نحو النص تجاوز معطيات نحو الجملة، وإنما هي جزءٌ من كيانه، فقواعد نحو الجملة هي المؤسسة لنحو النص، ومازالت الجملة هي بذرة البحث ومن دونها لا يُفهم النص، إلا أنه لم تعد دراسة النص كافية من خلال وصف بنيته النحوية أو الدلالية، وإنما لابد من دراسته على مستوى الخطاب، أي الحدث الكلامي وما يتطلبه من قيود ومعايير، وهذا المستوى يعيد مناسبة المنطوقات، أو الجمل الصغرى إلى السياق التواصلي الذي تنجز فيه [١].

وعليه فالخطاب حظي باهتمام كبير في نظرية (نحو النص)، فدرست الخطاب في سياقاته المختلفة، ومن خلال قواعد النص، واهتمت كنظرية بدور المتلقي في فهم النص، وفي ملء فضاءات معانيه، والنص من منظور الخطاب " هو بنية لسانية صورية صغرى تندرج في بنية المقام فيشكلان معا بنية اجتماعية محسوسة كبرى هي الخطاب، ونحو الخطاب هو العلم الذي يعنى بكيفية تحول نص معين إلى خطاب: النص + المقام = الخطاب " [٢]، فالخطاب هو الذي يشكل النص ونحوه، ذلك أن الخطاب بتوجهاته البنائية يعمل على توجيه الروابط التركيبية، والوظائف الاتصالية للتراكيب النصية، لتحقيق مبدأ الوحدة النصية وجعل المرسل يحقق هدفه من الرسالة.

ودراسة الحديث القدسي من خلال نحو النص تعين الباحث على رصد ظاهرة التماسك في الحديث القدسي في مستوياته المختلفة، التركيبية والمعجمية والدلالية، ومعرفة آلية توظيف أدوات التماسك النصي في الحديث القدسي، وتحديد العلاقات التي تربط بين الجمل وفقرات النص على مستويات متعددة، لتحقيق الفهم الدقيق للخطابية في النص المقروء، وتعزيز العلاقات النصية التي تربط نصه المكتوب، بهدف الوصول للفهم الكامل له وإدراك الدلالة التامة له " وعلى هذا الأساس فمدونة الأحاديث القدسية نص مكتوب تلقاه الدارسون عبر العصور ومازالوا، غير أن اشتراط وجود المتلقي لحظة النطق بالخطاب يجعلنا نقول أن الأحاديث

---

(١) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري: ص ٢٣١

(٢) دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي، محمد عرباوي: ص ٣٢

النبوية التي تلقاها الناس مشافهة كانت خطابا يتضمن المعاني والأفكار الشفوية وبفعل الكتابة والتدوين تحولت إلى نص مكتوب، بدليل أننا عادة ما نستعمل مثلا عبارة (نص الخطاب الذي ألقاه فلان) عندما لا يبقى هذا الخطاب المعبر عن الأفكار شفويا، وإنما يصير مكتوبا أو مدونا لغرض القراءة ومن ثم، فكل نص خطاب وليس كل خطاب نصا " [1].

وهذا ما يوضح الطبيعة الخطابية للنص المقدس، الذي يكون فهم نصه من خلال العودة إلى السياق الخطابي، وهو سياق أوسع من السياق النصي ويتطلب تحليل التراكيب والأبنية فيه، والتعامل مع الحديث القدسي بوصفه خطابا ونصا ينقلنا إلى أفق أرحب من أفق النص المغلق، فالخطاب أفق مفتوح محمل بإمكانيات تساعد على الاختيار، وهي بنية ما قبل النص، التي تهتم بها نظرية النحو الوظيفي.

****

(١) **دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي، محمد عرباوي**: ص ٣٩

المبحث الرابع (التلقي في الأحاديث القدسية)

عناصر الخطاب:

كل خطاب يتكون من عناصر أساسية تكونه هي، المخاطِب (بالكسر) والمخاطَب (بالفتح) والخطاب والسياق.

. المخاطِب (بالكسر): هو المرسل للخطاب وبدونه لا يكون هناك خطاب، لأنه طرف الخطاب الأول الذي يتجه به إلى الطرف الثاني ليكمل دائرة العملية التخاطبية، بقصد إفهام مقاصده أو التأثير فيه، ولذلك فإنه يختار ما تتناسب منزلته ومنزلة المرسل إليه بما يراعيه عند إعداد خطابه، كما يتوخى ما يتناسب مع السياق العام، ومقاصده وأهدافه تتنوع بتنوع العناصر السياقية، مما يفرض عليه أطرا معينة لابد أن يستجيب لها، فإن كان هدفه الإقناع فإنه يختار من الأدوات اللغوية والآليات الخطابية ما يبلغه مراده، وتنعكس هذه العوامل في شكل الخطاب وآلياته، وتصبح عنصرا فعالا في تحقيق آثار الخطاب ونتائجه.

. المخاطَب (بالفتح): هو المرسل إليه، وهو طرف الخطاب الثاني، وإليه تتجه لغة الخطاب التي تعبر عن مقاصد المرسل. وهو يمارس بشكل غير مباشر دورا في توجيه المرسل عند اختيار استراتيجية خطابه، وذلك بحضوره العيني أو الذهني، انطلاقا من علاقته السابقة بالمرسل وموقفه منه ومن الموضوعات التي يتناولها الخطاب. والمرسل إليه هو الذي يمارس تفكيك الخطاب وتأويلها، لمعرفة مقاصد المرسل وأهداف الخطاب التي يريد أن يحققها.

. السياق: هو مجموع الظروف التي قيل فيها الحدث وتتابعه، وهو الإطار العام الذي يسهم في ترجيح أدوات بعينها واختيار آليات مناسبة لعملية الإفهام والفهم بين طرفي الخطاب، وذلك من خلال عدد من العناصر، فمن عناصره العلاقة بين المتخاطبين وعنصر الزمان والمكان اللذان يتلفظ فيهما المرسل بخطابه، فما يصلح لزمان قد لا يصلح لزمان آخر، وما يناسب مكانا قد لا يناسب مكانا آخر. فمعرفة عناصر السياق تسهم في عملية التعبير عن المقاصد والاستدلال

لإدراكها. وعليه فإن اختيار الأدوات والآليات اللغوية يعد انعكاسا للعناصر التي تشكل في مجموعها سياقا معينا يبرز من خلال لغة الخطاب، وبمعرفته يمكن تفكيك هذه اللغة للوصول إلى المعنى المقصود أو الغرض المراد.

. الخطاب (الرسالة): وهو ثمرة اجتماع العناصر الثلاثة السابقة، ففيه تبرز الأدوات اللغوية والآليات الخطابية المنتقاة، ومن خلال تتبع خصائصه التعبيرية يمكن معرفة الكيفية التي تعامل بها المرسل مع ذاته، ومع المرسل إليه. والخطاب يسعى من خلال وظيفته التعاملية والتفاعلية، إلى التعبير عن مقاصد معينة وتحقيق أهداف محددة، إذ يبرز في الخطاب مقاصد كثيرة قد تظهر مباشرة من شكل الخطاب وقد لا تظهر، وعندها تصبح لغة الخطاب شكلا دالا يقود إلى المدلولات الموجودة خلفه من خلال المعطيات السياقية، والعلاقات التخاطبية، والافتراضات المسبقة التي يدركها المرسل أو يفترض وجودها، فيبني لغة تخاطبية عليها، كما يدركها المرسل إليه، ليستدل على المقاصد من خلالها [١].

وخطاب النبي ﷺ هو تبليغه لرسالة ربه " والرسالة تمثل علاقة الاتصال بين مرسل ومستقبل من خلال شفرة أو نظام لغوي" [٢] ورسالة النبي ﷺ التي أوصلها للبشرية والمتمثلة القرآن الكريم والحديث النبوي ليست رسالة خاصة بمتلقيها، وإنما هي رسالة مطلوب تبليغها للناس عامة وإعلامهم بها، فكانت مهمة الرسول ﷺ نقل الرسالة وتبليغ منطوقها اللفظي للناس، لا مجرد تلقيها والعلم بمحتواها " إن مجرد التلقي والعلم بالرسالة تتجاوزها مرحلة النبوية والإبلاغ وهو الأمر الذي يجعل من النبي رسولا " [٣].

فالرسول ﷺ هو متلق ومبلغ للبشر جميعا، وبذلك يكون النص دالا من حيث هو رسالة لغوية على كل أطراف عملية الاتصال. فهو رسالة فردية، لكن شفرتها جماعية ولا تنتمي الرسالة

---

(١) انظر: استراتيجية الخطاب بين الدراسات النظرية والممارسات الواقعية، عبدالهادي الشهري: ص٢٣
(٢) مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد: ص ٢٧
(٣) المرجع السابق: ص ٦٣

والشفرة إلى الزمان بالطريقة نفسها، فالخطاب الديني مركب من شبكة تواصل وتوصيل، المرسل هو الله تعالى، والمرسل إليه هم البشر والوسيط الناقل هو النبي محمد ﷺ. والمرسل إليه هنا يمثل آدم وذريته ومن الناحية المحسوسة فإن المرسل إليه الجماعي هو مبدئيا سكان مكة، ثم سكان المدينة، ثم سكان الحجاز كله، ثم دار الإسلام بأكملها التي ينبغي أن تمتد وتتسع تدريجيا، لكي تشمل الأرض كلها(١).

والخطاب المقدس يتميز باستدعاء القارئ للمشاركة الفعلية في بنائه، فيخاطبه مباشرة ويدعوه للإسهام في عملية تكوين النص، فهو متلق نشط يقوم بعمليات عقلية للتفاعل مع النص، وهو متلقٍ مجرد من كل الأزمان، يتعاقب من زمان إلى آخر ومن مكان إلى آخر، فتظل عملية التفاعل متواصلة عبر العصور، وتظل النصوص المقدسة نصوصا مفتوحة بفعل صفتها الخطابية، قابلة لقراءات مختلفة ولمعان متوالدة(٢).

نظرية التلقي في الخطاب

كان الاهتمام سابقا منصبا على المؤلف (الكاتب) في الدراسات النقدية المهتمة بالأعمال الأدبية، فاعتبرته مصدر الإنتاج الأدبي ومحوره، إلى أن ظهرت المدرسة البنيوية التي حولت نقطة الاهتمام إلى النص بعيدا عن كاتبه، وبقي قارئ الخطاب ودوره في التفاعل بالقراءة مع النص بعيدا عن مجال الدراسة إلى أن ظهرت نظرية التلقي، لتبدأ مرحلة تعدد مستويات الخطاب لفهم النصوص، وتعدد القراءات غير المتناهية لبنيات النص العميقة.

وفي العصر الحديث ظهرت نظرية التلقي في ألمانيا واكتسبت نسقا مفهوميا وتنظيريا متكاملا، وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية والاصطلاحية الحديثة والموسوعات العربية لا يجد

(١) ينظر المتلقي في الخطاب القرآني، د. حكيمة بوقرومه: ص ٢٤
(٢) ينظر المرجع السابق: ص٢٥ ـ ٢٨

الباحث تعريفا علميا لمصطلح التلقي كما هو متداول في النقد الأدبي الحديث، إلا في المعجم الألماني الذي يذكر تعريفا دقيقا لمصطلح التلقي، وجماليات التلقي[١].

ونظرية التلقي بقدر اهتمامها بالقارئ والقراءة، تهتم بالمؤلف والنص، فهي تفاعل خلاق منتج بين المتكلم والمتلقي والرسالة، تهتم بفهم المعنى، وهي من النظريات التي تتبع المنهج الوظيفي " لقد نشأت كنظرية من حوار عميق مع المناهج الشكلانية والبنيوية ونظرية التواصل وغيرها ... إن نظرية التلقي تعنى بالفهم لا بالقراءة فحسب، فهي ترى أن الفهم عملية وظيفية، لأنه دال يسهم إسهاما فاعلا في بناء المعنى، ومن ثم يصبح الفهم هو عملية بناء المعنى وإنتاجه، وليس الكشف عنه أو الانتهاء إليه" [٢].

إن نظرية التلقي ترتبط بالبعد الوظيفي وبالتداولية والتأويلية للكشف عن مقاصد الخطاب، وهي نظرية تركز على نقطة مهمة هي (أفق توقع القارئ) أي ماذا يتوقع القارئ أن يقرأ في النص؟ وهذا التوقع تحدده ثقافة القارئ والسياق، وهذه الأمور هي التي تمكن القارئ من التعامل مع غير المعروف (النص الجديد) عن طريق المعروف، وهو أفق متغير وغير مغلق[٣]، ويعتمد أفق التوقع على الفراغات التي يقوم القارئ بملئها، وهذه الفراغات في الأحاديث القدسية يحددها النص ويحدد معناها سياق الخطاب الرباني، لتؤتي ثمار المعنى جنيا وفق المعنى المحدد لها بعيدا عن إسقاطات القراء وانعكاسات أفكارهم وتوجهاتهم.

---

(١) ينظر: نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث، أحمد بوحسن: ص ٢٥- ٢٦

(٢) المتلقي في الخطاب القرآني، د.حكيمة بوقرومة، المقدمة: ص٣

(٣) ينظر: المرايا المحدبة. من البنيوية إلى التفكيك، د. عبد العزيز حمودة، ص: ٣٢٣. ٢٣٤

عناصر نظرية التلقي:

القراءة: وهو فعل إبداعي يقوم به القارئ لفهم النص بحسب تكوينه الثقافي، ليتجاوز بالقراءة الماضي ويفتح للنص ديمومة الفهم والاستيعاب.

القارئ: هو المتلقي الفاعل، والمبدع لخبايا معاني النص والمنتج بدوره معارضا فكريا للمقروء بحسب تكوينه الثقافي.

والقراء أنواع: القارئ الضمني، والقارئ العادي (المستهلك)، والقارئ المتأمل (الناقد)، والقارئ المبدع (الخبير)، والقراءة كذلك لها أنواع منها: القراءة التفاعلية، والسياقية، والإسقاطية، والشارحة، والشاعرية، والعالمة، والتأملية والمحكمة، والعمودية، والأفقية والعارفة، والمستكشفة، والمستهلكة، والجمعية، والجمالية [1].

والمسلمون تقع عليهم مسئولية فهم الخطاب المقدس ومعرفة تقنيات التلقي والإرسال، والاهتمام بالمتلقي ليس أمرا جديدا فقد كان موجودا في الثقافة العربية الإسلامية و " ليس معنى افتقاد المصطلح نصا افتقاد مدلوله"[2] فغياب المصطلح لدى القدماء لا يعني أنهم لم يمارسوا فكر التلقي، لكن جهودهم فيه ظلت تطبيقية، ولم تكن على مستوى المنهج والتنظير الذي حققته نظرية (التلقي) على يد علماء الغرب في العصر الحديث.

وفي تراثنا العربي الإسلامي نجد عناية خاصة بالمتلقي والقراءة، تبدأ من السماء بنزول جبريل عليه السلام حاملا الرسالة من رب الأنام بقوله (اقرأ) للنبي محمد عليه الصلاة والسلام، ومن ثم توالت الدراسات التفسيرية والبلاغية والإعجازية لفهم هذا الخطاب الإلهي والنص المقدس، فاتجهت عناية الدارسين للاهتمام بالمتلقي والخطاب والنص كموضوع للدراسة، أما

---

(١) انظر، المدخل المعرفي واللغوي للقرآن الكريم، د. خديجة إيكر: ص ١١١ ـ ١١٣

(٢) قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، محمد عبدالمطلب: ص١٣

صاحب الخطاب والنص المقدس وهو الله تعالى، فليس موضوعا للدراسة ولا يمكن للمخلوق المتداني أن يحيط علما بالخالق المتعالي، وهو المنزه والمقدس عن إحصاء علمه.

والقرآن الكريم والحديث الشريف خطاب له خصوصيته وقدسيته، فلا يمكن فتح نصه على آفاق مطلقة أمام أي قراءة، ولا أمام أي ثقافة يحملها القارئ لإسقاطها على النص المقدس، ذلك أن قراءة النصوص المقدسة يجب أن تكون قراءة مقاصدية للوقوف على مضمونها ومعانيها المطلقة والمتعددة بتعدد القراءة، والتي تحول الخطاب الرباني إلى واقع ملموس به صلاح العباد وعمارة الأرض، وهي قراءة تُحمل القارئ مسئولية وأمانة أمام الله وأمام العباد، وبذلك لا تكون نظرية التلقي في قراءة النص المقدس وإعادة إنتاجه كما لو كانت مطبقة على نص أدبي، وإنما هي قراءة ترتكز على العلم والتجرد عن الهوى والخوف من الله.

ومن ثم فكل فهم ينتجه القارئ يتعدد بتعدد تأويلات قراء النصوص المقدسة هو فهم نسبي مربوط بالواقع الذي أنتج فيه و بمستوى القارئ العلمي وتنوع مشاربه الثقافية، وحدود الزمان والمكان الذي أنتج فيها، بعيدا عن إسقاطات القراء، وإثقال النص بما هو بعيد عنه، ولذلك فالمنهج الاستنباطي للمعنى مناسب للنصوص المقدسة وهو من أفضل الطرق للوقوف على المعنى المقصود، وبه يكون الخطاب المقدس قائدا للمعنى الكامن في بنية نصوصه.

والدرس اللغوي العربي مدين في وجوده ونشأته للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، إذ لا يمكن للتواصل بين العبد وخالقه أن ينجح إلا بفهم المراد بأدوات تمكن المتلقي من استنباط مراد الله تعالى من الخطاب، واكتشاف مظاهر الإعجاز اللغوي وفق معاني النصوص المقدسة " إذ يعد الخطاب القرآني سلطة فنية من حيث تساميه على المألوف من الأجناس الأدبية المعروفة عند العرب، وسلطة روحية بتصديه لمعتقداتهم، باعتماده معطى الإيمان بالتوحيد والغيب، ولهذا

واجهت آياته روح المتلقي وعقله، وخاطبته من نقطة قريبة من مداركه، فوجهته إلى عقيدة التوحيد، بتقديم الحجج، وبسطها، وتوظيف الحوار الهادف، للوصول إلى أسباب الاقتناع" [١].

والتلقي والفهم عملية وظيفية، لأن الفهم يسهم إسهاما فاعلا في بناء معنى النص، إذ يعمل القارئ على استخراج طاقة المعنى الكامنة في النص، والنص الخطابي مرتبط بجمهور يتوجه إليه، هذا الجمهور على تنوع طبقاته يستشف طاقات المعنى العالية وإمكانياته عبر الزمان والمكان، فكل نص سواء أكان نصا مقدسا أم نصا دنيويا، يكون محملا برغبة خلق القارئ الذي يتجه نحوه، وهنا يكمن حلم أبديته [٢].

والحديث القدسي كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، هو خطاب إلهي تجسد في اللغة الإنسانية ضمن سياقاتها المختلفة، لمعالجة النفس الإنسانية " فنقل معجزته من مجال الخوارق الطبيعية إلى معالجة الطبيعة البشرية الدائمة، فكان عليه أن يحدث أثرا في تلك الطبيعة لتهيئتها للإيمان، ومن هنا وجد عنصران في القرآن الكريم: عنصر يتعلق بالنص، وعنصر يتعلق بالخطاب "[٣] والحديث القدسي كالقرآن الكريم نص وخطاب، يهتم بالمتلقي الذي تقع عليه وظيفة استخراج طاقات الخطاب الكامنة في النص، وتمثل معناها في الحياة قبل الممات للفوز بالجنان.

إن استخراج طاقات المعنى الجمالية من مستويات الخطاب، تحدث داخل النص القادر على استيعاب قارئه، والقارئ المستوعب لنصه المقدس المتعدد المعاني والدلالات في مراحل تداوله النصي عبر أبدية الزمان والمكان " ولقد عوّل القرآن الكريم على مادة (التلقي) في أنساقه التعبيرية ومادة (الاستقبال) في هذا المجال، فاستعمل كلمة (التلقي) في مواضع عديدة من كتابه

---

(١) المتلقي في الخطاب القرآني، د.حكيمة بوقرومة: المقدمة ص٢ . ٣

(٢) ينظر: في معنى القراءة ـ قراءات في تلقي النصوص، الطائع الحداوي: ص ١١

(٣) المتلقي في الخطاب القرآني، د.حكيمة بوقرومة: ص ١٣

الكريم، فخاطب الرسول ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[1]، للدلالة على دوام التلقي أو استقبال التلقي، بأنك سوف تتلقى كلاما على مستوى السياق، واعتبرت هذه الآية حجة في حدّ ذاتها قصد تثبيت أو إضفاء طابع الصحة على المحاجة، كما يقول تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [2]، ومن هنا نهض آدم من عثرته وأدركته رحمة ربه، وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[3] " [4].

فدلالة الاستعمال القرآني لمادة التلقي تبين أن التلقي يكون للخطاب الشفوي والنصي المكتوب معا، فهي عملية تفاعلية متدرجة وفق مستويات، وهي مسألة لم تغب عن التراث العربي النقدي " حيث ميز النقاد بين إلقاء النص وإرساله، وتلقيه أو استقباله، فآثروا الإلقاء والتلقي وجعلوهما فنا، وخاصة في مجال النص الخطابي"[5] .

أنواع المتلقين في الأحاديث القدسية

المتلقي الأول:

المتلقي الأول للحديث القدسي هو الرسول ﷺ، بالوحي أو الإلهام، أو المنام، أو بواسطة جبريل عليه السلام، أوقد يكون كلاما من الله تعالى بغير واسطة كما في حديث فرض الصلوات الخمس، ليلة الإسراء والمعراج، وظاهرة الوحي تمثل مبدأ الاتصال الأفقي في الخطاب بين عالم الغيب والشهادة، والعالم البشري، واسم (الوحي) مفهوم يستوعب كل النصوص الدالة على

---

(١) سورة النمل: ٦

(٢) سورة البقرة: ٣٧

(٣) سورة النور: ١٥

(٤) المتلقي في الخطاب القرآني، د.حكيمة بوقرومة: ص١٤ ـ ١٥

(٥) ينظر: قراءة النص وجماليات التلقي، محمود عباس عبدالواحد: ص ١٤

خطاب الله للبشر... والاسم من جهة أخرى دال في إطار اللغة العربية قبل القرآن على كل عملية اتصال تتضمن نوعا من الإعلام" [1] .

فالوحي هو إعلام في خفاء وسرعة، كما ورد في أغلب المعاجم العربية، ثم تكون الرسالة المحمدية وسيلة الاتصال الثانية "والرسالة تمثل علاقة الاتصال بين مرسل ومستقبل من خلال شفرة أو نظام لغوي" [2]، وهي جسر التواصل الذي خاطب به الله تعالى المتلقين.

وليست الرسالة المحمدية، رسالة خاصة بمتلقيها، إنما هي رسالة عالمية في تبليغها، والمطلوب هو تبليغ منطوق الرسالة اللفظي، وبهذا كانت مهمة النبي ﷺ، التبليغ وليس التلقي فقط " إن مهمة المتلقي الأول نقل الرسالة وإبلاغها للناس لا مجرد تلقيها والعلم بمحتواها ومضمونها، إن مجرد التلقي والعلم بالرسالة لا يتجاوز مرحلة (النبوة)، والإبلاغ هو الذي يجعل من (النبي) رسولا... إنها رسالة السماء إلى الأرض، لكنها ليست رسالة مفارقة لقوانين الواقع بكل ما ينتظم في هذا الواقع من أبنية وأهمها البناء الثقافي" [3].

والكلام الإلهي المقدس خارج عن أطر الزمان والمكان، نتج عن كمال مرسله، وتمام معنى خطابه، ويملك هذا الخطاب المقدس صفة الديمومة والأبدية من حيث كونه منتجا محركا للقراءات والإفهام والتفاسير والتأويلات، دون أن يتحرك هو ذاته، ولذلك تتعدد قراءاته، ويبقى خطاب فهمه أي التفاسير، متجددا بتبدل الزمان والمكان، وتبقى لقراءة النصوص المقدسة قداسة الثبات وخلود البقاء.

---

(١) مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن، د.نصر حامد أبوزيد، ص:٣١

(٢) المرجع السابق، ص:٢٧

(٣) المرجع السابق: ص٦٣ ـ ٦٤

والرسول ﷺ في كل الأحاديث القدسية يشغل دور الراوي عن الله تعالى، ثم ناقل الرسالة للعباد، فينقل الرسول ﷺ محاورات عديدة عن رب العالمين، وأحيانا يكون طرفا في الحوار نفسه، كأن يكون الحوار بينه وبين الله تعالى، كما في حديث الشفاعة [1].

لغة الوحي في الحديث القدسي:

إن الخطاب في الحديث القدسي مقارب للخطاب الإلهي في القرآن الكريم، فالحديث القدسي هو من روافد فهم القرآن الكريم، ومفصلات معانيه، فهو مركب من شبكة تواصلية متداخلة، تمارس فيه الوظائف من قبل الفاعل نفسه، وهو الله تعالى، وبواسطة وسيلة هي النص المقدس، ووسيط ذي مكانة مميزة هو محمد ﷺ، ناقل الوحي.

والخطاب الإلهي موجه إلى مرسل إليه جماعي ينقسم إلى نوعين: مؤمن وكافر، ويمثل المرسل إليه (البشر) ذرية آدم المرتبطة بالخالق وميثاقهم معه، وهم في البدء كانوا سكان مكة، ثم سكان المدينة ومن فيها ومن جاورها، ثم يتسع نطاقه ليشمل دار الإسلام ويمتد تدريجيا ليشمل الأرض كلها" إن مخاطبة الله لعباده عن طريق الوحي لا يمكن أن يتلقاه البشر إلا من خلال بنيات بشرية، أهمها بنيات التواصل وفهم الخطاب" [2].

فنزل الخطاب الإلهي في مبان يدرك بها البشر المعاني المراد تبليغهم إياها، ويتميز نصه باستدعاء القارئ للمشاركة الفعلية في بنائه، فيخاطبه مباشرة لفك رموز نصه، وتلوين ألفاظه بمخزون تجاربه وثقافاته فيحقق فهما نسبيا لما يعنيه النص، وبما يتيحه سياق الخطاب من إمكانات متعددة للفهم بتعدد القراء والقراءات، فتنتج بذلك ديمومة الفهم والاستمرار.

---

(١) ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: جـ٦، ص، ٣٧١، رقم ٣٣٤٠
(٢) المتلقي في الخطاب القرآني، د.حكيمة بوقرومة: ص ٣٤

المتلقي الثاني ـ الفعلي والحقيقي:

إن الثقافة العربية قبل الإسلام ثقافة تنحو نحو المخاطَب المتلقي في نصوصها أكثر مما تنحو ناحية المتكلم، والخطاب الإلهي عارضها بدليل كثرة دوران أدوات النداء في القرآن الكريم والحديث القدسي، والمتلقي الحقيقي يحضر في نصوص الأحاديث القدسية، ويتواجد بشكل مكثف في الخطاب المباشر في قوله تعالى مخاطبا عباده (يا ابن آدم، يا عبادي) ومن هنا يمكن تحديد جهات الخطاب، التي توجه إليها النص في الأحاديث القدسية للتواصل مع المتلقي الحقيقي، وقد تعددت المستويات الخطابية في الأحاديث القدسية وتفاوتت بحسب تفاوت المتلقين واستعداداتهم الفكرية والإيمانية.

والمتلقي الفعلي "هو القارئ المادي الذي يمسك النص في يده ويقوم بعملية القراءة الفعلية"[1] ويعتبر الإنسان متلقيا للحديث القدسي من الدرجة الثانية، ويشكل النواة المركزية للتلقي، إذ هو يتواجد في كل مستويات وسياقات التلقي، للمساهمة في إحداث التواصل مع الخطاب القدسي، والإشارة إليه تكتسي بطابع تحقيقي وتأتي بأشكال وألفاظ مقصودة، وهذا المتلقي ذو طابع تجريدي عبر الأزمنة، وهو يحمل مسئولية التلقي سواء أشهد زمن التلقي في فترة نزول الحديث أم لم يشهدها.

والاستجابة بالقبول أو الإنكار طبعت سياق التلقي في جميع مراحله في سيره مع البشرية، مما جعل خطاب الأحاديث القدسية خطابا صالحا لكل زمان ولكل متلق، فهو رسالة عالمية هدفها تحقيق الاستجابة عند كل متلق ليتفاعل مع الخطاب وصولا للتأثير والإقناع .

وهو خطاب عام موجه لكل البشر، خطاب للمؤمنين المتقين، وخطاب للمنافقين والملحدين، ومهما تعددت صور وأنماط المتلقي/ الفعلي بحسب أنواع الخطاب، فهو يتميز بوجوده الفعلي في الخطاب القدسي، وهو إما موجود يتوجه إليه الخطاب لحظة نزول الحديث،

---

(١) المرايا المحدبة ـ من البنيوية إلى التفكيك، عبدالعزيز حمودة: ص ٣٣٠

فاحتل مكانه آن ذاك كمتلق داخل النص، وإما أنه مخاطب مجرد عبر الأزمنة كمتلق خارج النص.

والغالب في الأحاديث القدسية الخطاب بصيغة (يا ابن آدم) وهي صيغة تحيل إلى متلق عام جماعي، هو الإنسان أينما وجد فيتساوى البشر جميعا في أمر التبليغ والدعوة، ويليه النداء بصيغة (يا عبادي) وفيه تخصيص بإبراز أمر العبادة، لتكون العبادة أهم ما أراد الله تعالى أن ينبه بها المخاطبين، من أجل إحداث التفاعل والتواصل الإيجابي، فيحدث التأثير والتفاعل بين المتلقي والنص.

والمخاطَب في الأحاديث القدسية نوعان: مخاطب داخل النص محدد هم المؤمنون، ومخاطب خارج النص مطلق هم الناس أجمعون، واستجابة المتلقي للخطاب القدسي، هي استجابة لنداء الحق لتحقيق الفلاح في الدارين، وهي استجابة تجعل من فعل التواصل أمرا متحققا في نص الأحاديث القدسية، وتجعل المتلقي أكثر ارتباطا بهذا النص الذي وجد لهدايته وصلاحه. والآليات النصية في الأحاديث القدسية تُصعد التداول بأفعال الكلام من خلال الأوامر والنواهي والعتاب، والتفسير والحجاج، فتتغير استراتيجية التلقي من حال الاستماع إلى حال التنفيذ والالتزام والإنجاز.

المتلقي الثالث هو ـ المتلقي الثانوي:

خاطبت الأحاديث القدسية متلقيا آخر غير البشر هو الملائكة. وهم متلق ثانوي في الأحاديث القدسية، يتوجه الله تعالى إليهم بالخطاب ليعلمهم بمشيئة خلق آدم، فيكون الحوار والتواصل بينه تعالى وبينهم لتحدث الاستجابة بالخضوع والاقتناع بالحجج الملائمة، ويوجه الله تعالى الخطاب إليهم حين يباهي بعباده الذاكرين، فيسألهم عن حالهم ويعلمهم بأنه قد غفر لهم كما في حديث فضل مجالس الذكر.

المتلقي المستهدف ـ المؤمنون:

يتوجه الخطاب في الأحاديث القدسية إلى نوع مخصوص من المتلقين هم المؤمنون، وبهذا يُعد العبد المؤمن قارئا مستهدفا، وقد حظي بمكانة نصية مكثفة وظهر بأشكال متعددة، فهو متلق ذو فطرة سليمة على استعداد للاستجابة للخطاب والتفاعل معه بالتطبيق، كمخاطب مقصود عاصر زمن ورود الأحاديث القدسية، وكقارئ مجرد في كل الأزمان، وهو المتلقي الفعلي والمقصود بالدرجة الأولى في الأحاديث القدسية.

المتلقي المستجيب:

وهو المتلقي الذي يغير علاقته بالنص بتدرجه في مراقي الفهم له، فيغير وجهته نحو اليقين والاقتناع حين يفهم مقاصده بالتدريج والمحاولة، فهو متلق ذو فطرة سليمة تقوده فطرته نحو الاستجابة والإيمان " ومن هنا يمكن الحديث عن المتلقي المستجيب والمتلقي المنكر في الخطاب القرآني، ودرجة استيعاب كل واحد منهما لهذه النصوص، بالنظر إلى الاعتبارات والآفاق التي تساهم في تقبلها أو رفضها" (١).

المتلقي المنكر:

وهو المتلقي الذي ضُرب على قلبه فلا يفهم ولا يدرك ولا يستجيب لنداء الحق والفطرة، والعملية التواصلية لا تؤتي ثمارها مع هذا النوع من المتلقين، ويصبح الخطاب الإلهي والنص المقدس حجة عليهم، والقرآن الكريم رغم إعجاز نصه هناك متلقٍ منكر جاحد لخطابه " وليست العملية التواصلية في القرآن الكريم تقع دائما بتلك البساطة والسهولة لتقبل رسالة المرسل، وإنما تواجه تلك العملية صعوبات في أغلب الأحيان تحول دون استجابة المتلقي، فيصطدم المخطط التواصلي بجملة من العراقيل تصعب تحقيق التفاعل الخطابي، ومن هنا يمكن

(١) المتلقي في الخطاب القرآني، د. حكيمة بوقرومة: ص٥٣

الحديث عن المتلقي المنكر"[١]. وقد وظفت الأحاديث القدسية استراتيجيات الإقناع وآليات الحجاج وأدوات التوكيد لحوار المتلقي المنكر وإقناعه بشتى الطرق وباختلاف الأساليب.

المتلقي الضمني . وفهم النص:

المتلقي الضمني هو قارئ ينشئه النص، وهو قارئ معنوي يخلقه النص ويفرضه، وهو القارئ الذي يقرأ النص بإعادة بناء معناه، وملء فراغات سياقه الرباني. والنص يُنشئ قارئه بمعنى أن خصائص النص ذاته تحدد مسبقا طريقة قراءته والقارئ لا يعيد قراءته كما يريد، بل وفق ما يوفره النص من إمكانات تأويلية[٢]. و" مفهوم المتلقي الضمني، تجريد يوجه العمل الأدبي وجهة تحقق وظيفته التواصلية" [٣] فهو ذو طابع تجريدي يتحقق عبر فعل القراءة.

وقد سلط الضوء على دراسة المتلقي العالم اللغوي الألماني (إيزر) في كتابه (فعل القراءة . نظرية جمالية التجاوب في الأدب) الذي ذكر فيه مصطلح (القارئ الضمني)، وهو عنده " مجسد كل الاستعدادات المسبقة الضرورية بالنسبة للعمل الأدبي لكي يمارس تأثيره، وهي استعدادات مسبقة ليست مرسومة من طرف واقع خارجي وتجريبي، بل من طرف النص ذاته. وبالتالي، فالقارئ الضمني كمفهوم، له جذور متأصلة في بنية النص، إنه تركيب لا يمكن بتاتا مطابقته مع أي قارئ حقيقي ... إذن فمفهوم القارئ الضمني هو بنية نصية تتوقع حضور متلق دون أن تحدده بالضرورة" [٤].

وهذا يعني أن القارئ الضمني يتعامل مع النص على أنه " شبكة من البنيات التي تستدعي تجاوبا يلزم القارئ فهم النص، أي يضع القارئ في مواجهة النص في صيغ موقع نصي يصبح

---

(١) المتلقي في الخطاب القرآني، د.حكيمة بوقرومة: ص٥٥

(٢) ينظر : المرايا المحدبة، عبدالعزيز حمودة، ص: ٣٣٠ ـ ٣٣١

(٣) المتلقي في الخطاب القرآني د. حكيمة بوقرومة، ص:٦٢

(٤) فعل القراءة: نظرية جمالية التجاوب في الأدب، فولفغانغ إيزر: ص٢٩ ـ ٣٠

الفهم معه فعلا مهما " [١] والباث يستحضر المتلقي حين إنتاج خطابه، فيكون مضمنا في الخطاب يقوم بمهمة التأويل. ويربط ما يوجد فيه بغيره عبر ما يتناص معه، للمشاركة في بلورة معنى النص وفهمه، فتصبح مهمة القارئ " اكتشاف ما لم يقله النص من خلال ما قاله بالفعل" [٢].

والقارئ الضمني في الأحاديث القدسية مشارك في فهم وبناء معنى النص ودلالاته، يقرأ النصوص بهالة إيمانية من القداسة والرهبة، تعينه على تحديد المعنى وتحيين دلالته، ذلك أن " المؤمن الذي يملأ قلبه هذا الإيمان من قبل أن يقرب النص هو في أعماقه مقتنع بأن الله قد وضع الحقيقة في هذا النص ليتعرف عليها العباد"[٣] .

ودور القارئ الضمني في نصوص الأحاديث القدسية هو الفهم والوقوف على المتشابهات من جمله، واستخراج الدلالات منها، وهو من يقوم بملء فجوات النص، عن طريق بنيات الفهم التي يمتلكها القارئ ويتفاعل بها مع النص " عن طريق مقاربة التفاعل بين النص وبنية الفهم عند القارئ " [٤].

المتلقي الضمني المشارك في إنتاج المعنى:

هو القارئ المضاعف لعملية الفهم، المشارك في بناء المعنى بناء على ما يحدده سياق النص، وهذا النوع من القراء ذو ذخيرة علمية متنوعة المعارف، وذو عمق ديني يؤهله للقراءة الواعية، ويظهر هذا المتلقي في الأحاديث التي يوجد بين جملها إضمار أو حذف، بتجاوز بعض الأحداث من النص، والمتروك ذكرها لحكمة إلهية، فيتدبرها القارئ ويصل إليها بعد قراءات عديدة، فيصل بها إلى قمة التفاعل والتأثر.

---

(١) المتلقي في الخطاب القرآني، د. حكيمة بوقرومة: ص٦٢
(٢) إشكاليات القراءة وآليات التأويل، د. نصر حامد أبو زيد: ص ٣٦
(٣) القارئ والنص: العلامة والدلالة، د. سيزا قاسم: ص ١٠٨
(٤) المتلقي في الخطاب القرآني، د. حكيمة بوقرومة: ص٦٦

ومن مبادئ نظرية التلقي (القصدية) وهي تعتمد على ملء الفراغات في النص، من خلال إمكانياته الدلالية وسياقه، ومن خلال تفاعل القارئ مع النص، وهذه الفراغات هي التي تجعل النصوص المقدسة قابلة للقراءة والتأويل باستمرار، وفي القرآن الكريم فراغات حكيمة جعلت منه نصا معجزا قابلا للقراءة والتأويل في مختلف الأزمان " إن هذه الفراغات في النص القرآني أرشدنا إليها السياق الداخلي الذي يمتاز به النص ... وقد ظل السياق النصي في نصوص القرآن الكريم مهما لكونه مؤسسا بعناصر لغوية وتعبيرية تحيل القارئ إلى ملء تلك الفراغات، ومن ثم تتحقق فيه عملية القراءة باعتبارها دينامية تداولية " (١).

والأحاديث القدسية كذلك نصوص ذات فراغات تكسبها سمة الانفتاح على إمكانات متعددة يحدها السياق الرباني، الذي يسوق القارئ نحو المعاني المقصودة بسلاسة إبداعية، فيملأ القارئ زوايا النص بتلقائية تتنوع بتنوع الأزمنة والبشرية، ويدركها القارئ من المشاهد المعروضة، بغية تحقيق الإثارة والتشويق وإعمال العقل والروح، وتكثر الفراغات النصية في الأحاديث القدسية ذات الأبنية السردية أو القصصية، كحديث الشفاعة وحديث الإسراء والمعراج حين أقرّ الله الصلاة على العباد.

المتلقي الضمني . الكاشف لأسرار النص:

إذا كان الفهم يعتمد على بناء المعنى بملء فراغات النص التي يوحي بها السياق النصي، فهناك أفق آخر في خطاب الأحاديث القدسية يتوغل إليه القارئ بفطنته وفطرته وفق إطار تفاعلي مع النص، هو أفق الاستفهامات، الذي يظهر فيه استحضار القارئ الضمني في الخطاب القدسي، قصد التدبر والاعتراف بفضل الله على الإنسان، مما يحدث تفاعلا وتواصلا إيجابيا بين القارئ والخطاب.

(١) المتلقي في الخطاب القرآني، د.حكيمة بوقرومة: ص ٧٦

ووجد هذا النوع من المتلقين في الأحاديث القدسية استنادا لوجوده في القرآن الكريم، تقول حكيمة بوقرومة " واستحضار القارئ الضمني في الخطاب القرآني أمر بَيّن، وقد تشكل عبر كامل صفحات السور، ليجعل للمتلقي منفذا، ليملأ تلك الفراغات والبياضات، فيكون في النص القرآني موقف يشده إلى أحداثه ويصله بها، ولعل تلك البياضات الدلالية التي تحفل بها نصوص القرآن الكريم هي الأخرى علامة وجود هذا النوع من المتلقي، الذي يعمد إلى ملء تلك البياضات بما يناسب السياق، ويعوض عن تلك المراحل السكونية المضمرة فيه " (١).

إن فكرة القارئ الضمني عند العالم اللغوي الغربي (إيزر) تعتمد على مبدأ الفراغات والتجويف في النص، وهي فكرة تناقض الرأي الذي يعتمد على مفهوم الامتلاء المسبق بالمعنى. ذلك أن عملية التواصل تحتاج إلى وجود تلك الفراغات، فإذا كان النص ممتلئا بالمعنى، فلن يكون هناك مجال للقارئ الضمني الذي هو أساس نظرية التلقي لملء الفراغ المتروك في النص القرآني عن حكمة ليتدبره القارئ، ومن هنا يصبح التواصل في النص فعلا منتجا للدلالة وليس مستهلكا لها (٢).

ولعل هذا النوع من المتلقين هو ما أشار إليه الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة الذي تطرق فيه إلى إسهام المتلقي ودوره في البحث عن أسرار النص، حين شبه القارئ المسلح بالعلم والمعرفة بالغواص الماهر الباحث عن الجواهر في الصدف، يقول: " فإنك تعلم على كل حال أن هذا الضرب من المعنى، كالجوهر في الصدف لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه، وكالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه، ثم ما كل فكر يهتدي إلى وجه الكشف عما اشتمل عليه، ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول إليه، فما كل أحد يفلح في شق الصّدفة، ويكون في ذلك من أهل المعرفة، كما ليس كل من دنا من أبواب الملوك فتحت له" (٣).

---

(١) المتلقي في الخطاب القرآني، د.حكيمة بوقرومة: ص ٧٧

(٢) ينظر: المرجع السابق: ص ٧٩ . ٨٠

(٣) أسرار البلاغة: ص ١٢٣

فيُظهر الجرجاني دور القارئ الذي يجب عليه أن يكون مسلحا بالعلم والمعرفة ليضاعف اندماجه مع النص ويقف على منصة التأويل لمعانيه، فملء فراغ النص يعتمد على وجود سياق تنظيمي بين النص والقارئ لإنشاء وإقامة المضمون المضمر، وهذا السياق يُنشئه القارئ من خلال الإشارات والمفاتيح النصية التي يستقيها من النص نفسه [1].

المتلقي المفسر:

التفسير يعني الكشف عن مراد المؤلف ومعنى الخطاب بعد استحضار النص، في حين يتجه التأويل إلى الكشف عن القصد، أي أنه يتجه نحو الوحدة القصدية للخطاب، وفي النص القرآني آيات واضحة هي (المحكمات) تحتاج إلى قارئ مفسر ويفهمها أغلب القراء لأنها بَيِّنة واضحة في معناها، في حين تحتاج الآيات (المتشابهات) إلى القارئ مؤول، لأن معناها يشتبه على بعض الناس دون بعض، فيعلمها العلماء ومن خصه الله بالحكمة وعمق الرؤية. والمسلمون في فهمهم للنصوص المقدسة يختلفون في مقدار فهمهم للنص تبعا لاختلاف حظهم من أدوات الفهم ووسائل المعرفة.

وتفسير الحديث القدسي باعتباره قراءة للنص المقدس، يكشف عن نوع من المتلقين يهتم بالكشف عن معاني غريب ألفاظ الحديث، وأسباب نزولها، ويربط بين الآيات القرآنية ومعاني بعض الأحاديث القدسية، ويربط بين نصوص الأحاديث النبوية ومعاني بعض الأحاديث القدسية، وقد قام بهذه الجهود الدكتور عمر علي عبدالله في كتابه (الأحاديث القدسية ـ جمعا ودراسة) الذي فسر فيه غريب الألفاظ وشرح فيه جمل الأحاديث القدسية.

كما قدّم الشيخ مصطفى بن العدوي في كتابه (الصحيح المسند من الأحاديث القدسية) جهودا تفسيرية، بإيراد الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة المقاربة لمعاني الأحاديث القدسية

---

(١) ينظر:المتلقي في الخطاب القرآني، د. حكيمة بوقرومة: ص٨١

بهدف تفسيرها وتوضيح معناها، كما نقل فيه عن الشراح السلف كالنووي وابن حجر العسقلاني بعض تفسيراتهم لمتون الأحاديث القدسية الواردة في كتب الصحاح، مثال ذلك ما أورده في قوله ﷺ: ((يقول الله تعالى لِأهون أهل النار عذابا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول نعم. فيقول أردتُ منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي شيئا فأبيتَ إلا أن تشرك بي)) (١) فيذكر الشيخ مصطفى العدوي في شرحها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾(٢).

ثم يورد شرحا آخر للحديث من كتاب النووي (شرح صحيح مسلم)، يقول: " معناه أن يقال: لو رددناك إلى الدنيا وكانت لك كلها أكنت تفتدي بها؟ فيقول: نعم فيقال له: كذبت قد سئلت أيسر من ذلك فأبيت، ويكون هذا من معنى قوله تعالى﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾(٣) ولابد من هذا التأويل ليُجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(٤) أي لو كان لهم يوم القيامة ما في الأرض جميعا ومثله معه وأمكنهم الافتداء لافتدوا" (٥).

المتلقي المؤول:

التأويل هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه، والقارئ المؤول ينطلق من معطيات النص لبناء تأويله، فهو يجمع أثناء القراءة بين أفكار النص وبين رصيده الفكري الخاص به، وعليه

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٥٥٧، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٥، رقم ١٢

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٦ ، ٣٧

(٣) سورة الأنعام: ٢٨

(٤) سورة الزمر: ٤٧

(٥) جـ٥، ص٦٧٢ رقم الحديث: ٢٨٠٥

فالراسخون في العلم هم أهل التأويل ولذلك خصهم الله تعالى بالخطاب في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (١).

وفي هذا بيان للمتلقي المؤول والقارئ المؤول لتحفيزه على التزود بالعلم وإمعان الفكر في النصوص التي تحتاج إلى نوع خاص من المتلقين، والتي يستطيع القارئ المؤول أن يلج إلى عتبات التأويل فيها ويكشف من خلالها أسرار النص، فهي نصوص تتضمن" أجزاء تعد بمثابة مفاتيح دلالية تمكن القارئ من الولوج إلى عالم النص وكشف أسراره وغوامضه، واحتواء النص على الغموض والوضوح يعد بمثابة آلية هامة للنص لتحويل فعل القراءة إلى فعل إيجابي يساهم في إنتاج دلالة النص " (٢).

والقراءة التأويلية تحتاج إلى ذخيرة لغوية وعقلية اجتهادية، للغوص فيما تحت البنية السطحية للنص إلى مستوى دلالي أعمق، لاستخراج مكنون معناه بالدلالة والإسناد، فيحتاج لفهم المجاز وإعمال العقل لاستخراج مكنون المعنى بالدليل العقلي المقارب للإقناع، كما أشار لذلك ابن رشد (٥٩٥هـ) في قوله: " ومعنى التأويل هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوّز، من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التي عُدّدت في تعريف أصناف الكلام المجازي " (٣) .

والقارئ المؤول هو ما يطلق عليه اسم (القارئ النموذجي) وهو القارئ الذي يملك هبات إلهية ووسائط معرفية تؤهله لتحقيق التأويل الصحيح، مما يُظهر التمايز بين أنماط القراء ويكشف عن بلاغة النص الإلهي الذي يختار استراتيجيات خطابية في أساليبه وتراكيب نصه، تتسع لمعان متوالدة من قبل أنماط عقلية متفاوتة وآفاق فكرية متباعدة في الأزمنة.

---

(١) سورة آل عمران: ٧

(٢) مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد، ص: ٢٠١

(٣) فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، محمد بن أحمد بن رشد: ص ٣٤

والعبد الصالح (الخضر) الذي ورد ذكره في القرآن الكريم والحديث القدسي مع سيدنا موسى عليه السلام هو مثال على القارئ المؤول، الذي قام بتأويل الأفعال التي لا يدركها الإنسان العادي المكتفي بفهم الظاهر وفق أفق العالم المرئي المحدود، وبكشفه عن تأويل أفعاله فهم موسى العلم الذي يتمتع به هذا العبد الصالح، وأن علمه هبة إلهية أكرمه الله بها وخصه إياها.

والكشف عن المعاني المكنونة في النص هو كشف عن غايات وأصول المعاني الكامنة في النص، وفي هذا تقارب من المعنى اللغوي لكلمة (تأويل) وهو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه، وإرجاعه إلى أصله " إن النص (دال) بالنسبة للقارئ العادي، ولكن مستوى دلالته هنا تقف عند حدود (السطح) ويتجاوز القارئ الممتاز هذا المستوى السطحي إلى مستوى دلالي أعمق، إذا كان على علم بقوانين تمكنه من تحليل معطيات النص تحليلا لغويا" (١).

وتبقى للقراءة العلمية والموضوعية للنصوص والخطابات أهمية كبيرة، إذ تقتضي الإنصات للنص أو الخطاب لاكتشاف مداخله، واستنباط المعانى المودعة بداخله ومقاصده، خاصة مع من يتعامل مع نص إلهي مقدس يبحث فيه عن مراد الله المودع في هذا الخطاب " فهناك فرق إذن بين مستويات الدلالة التي ينكشف بها النص لأفق القارئ، وهو فرق يؤكد على دور القارئ في كشف دلالة النص، وهو دور لا يقتصر على مجرد العلم بعلوم القرآن واللغة، وإنما يتجاوزها إلى الاجتهاد للترجيح الدلالي عند الاحتمال إلى مستوى يتجاوز أفق القارئ العادي والمفسر معا"(٢).

****

(١) مفهوم النص، نصر حامد أبوزيد: ص ٢٦٧

(٢) المتلقي في الخطاب القرآني، د. حكيمة بوقرومة: ص ١٠٦

المبحث الخامس: (مستويات التحليل اللغوي للخطاب)

التحليل لغة التفكيك وحل العقد، جاء في لسان العرب " حل العقدة يحلها حلا: فتحها ونقضها فانحلت "[1] وتفكيك العقد و فتحها يمكن تطبيقه على النص بتفكيكه إلى مكوناته الجزئية، ومعرفة بنياته الداخلية والخارجية، البنية الصغرى والبنية الكلية المكونة له " والتحليل مصطلح جامع يستدعي في ممارسته مصطلحات عديدة، بإجرائه عملية إسقاط على ما يسمى الخطاب، إذ تسعى هذه العملية إلى تفكيك الخطاب المحبوك المتماسك (شكلا ودلالة) المكتوب والمسموع إلى بنيات جزئية فاعلة ومتفاعلة: داخلية وخارجية، من أجل معرفة المرجعيات الخطابية (الأسس المعرفية والخلفية والأطر النظرية للخطاب)، التي ساهمت في تشكله، بمعرفة: مضامينه ـ محتوياته ـ غايته ـ معاييره ـ فضائه ـ بنياته ـ جنسه ... الخ، ليتحقق التحليل، الأمر الذي يجعل العملية غاية في التشابك والتعقيد، تتطلب من أجل التحكم فيها، معرفة موسوعية عميقة في التخصص تحوفها معارف رافدة أخرى من جهة، والتحكم في ممارسة بعض المصطلحات التي يقودنا إليها التحليل كمصطلح جامع " [2].

إن تحليل الخطاب هو أحد مستويات الدرس اللساني، يهتم بدراسة التخاطب الشفوي، ويتجاوز مستوى النص ليشمل النص المكتوب، وهو يندرج تحت المنهج الوظيفي، ويهتم بالسياق والتواصل والتفاعل في النص، وهدفه من تحليل النصوص هو البرهنة على وحدة الخطاب بوصفه كلا موحدا عبر رصد أدواته وإشاراته المحيلة على اتساقه وانسجامه.

و(تحليل الخطاب) كممارسة عُرف منذ القديم، ففي التراث العربي الإسلامي يمكن إدراج الجهود التفسيرية والنقدية والتأويلية في إطار تحليل الخطاب، إلا أنه كمصطلح وكدرس ممنهج في إطار نظري، أُطر على يد علماء اللغة الغرب في العصر الحديث، وكان للعرب فضل السبق في تأسيسه وتطبيقه العملي على النصوص.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور: جـ٥، ص ١٤٣

(٢) تحليل الخطاب والإجراء العربي ـ قراءة في القراءة، أ. نعيمة سعدية: ص ٧٨

وعالم اللسانيات (هاريس) من رواد الدراسات اللغوية الغربية، وهو مهتم بالخطاب ودراسة (تحليل الخطاب) لصياغة مجموعة من الإجراءات الشكلية من أجل تحليل الإنتاج الكلامي المكتوب والمنطوق. وكانت لجهود عالمي اللغة (برايل ويول) في تحليل الخطاب إسهامات في فتح الأبواب أمام كم هائل من الجهود في المجال اللساني والتواصلي، وقضايا استعمال اللغة والأسلوبية والانزياح، والمجاز، والتماسك اللفظي، والمعنوي، والتركيبي، والدلالي، والتداولي، وظواهر التخاطب، وتحديد الأدوار والاهتمام بالمخاطبات المكتوبة.

وتحليل الخطاب يشمل المنهج اللساني والأسلوبي، ومهمته معالجة أنماط التعبير، ووصف العلاقات الداخلية والخارجية للبنية الخطابية عبر مستويات مختلفة، للكشف عن الخواص النوعية البنيوية المميزة للخطاب في نطاق التواصل والاتصال. فتحليل الخطاب يأخذ على عاتقه مهمة دراسة وتحليل وتفكيك الخطابات، وتفسير ملفوظاتها وفق معطيات الخطاب الداخلية والخارجية، ودراسة علاقة المرسل بالمتلقي من خلال النص الذي يتوسط عملية الاتصال داخل مفهوم الخطاب ذاته [١] .

وفي العصر الحديث قام اللسانيون العرب من أجل فهم الخطاب والنصوص، بتقسيم مستويات التحليل اللغوي إلى أقسام، كما نجد عند الدكتور كمال بشر في كتابه (دراسات في علم اللغة) الذي قسمها إلى ثلاثة مستويات (المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي)[٢]، وعند الدكتور محمود السعران في كتابه (علم اللغة ـ مقدمة للقارئ العربي) الذي قسم فيه مستويات التحليل اللغوي إلى أربعة أقسام (المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، و المستوى النحوي، و المستوى الدلالي)[٣].

---

(١) ينظر: تحليل الخطاب والإجراء العربي ـ قراءة في القراءة، أ. نعيمة سعدية: ص ٩١ ـ ٩٢

(٢) ينظر: ص ١٢

(٣) ينظر: ص ٢٢٦

وتفكيك النصوص بهدف دراستها لا يقلل من قيمتها التماسكية، لأنه تفكيك للأجزاء لمعرفة مكامينها، ومن ثم ضم أجزائها لبعضها ليعاد فهم بنيتها الكلية، يُعدُّ ضرورة لفهم النصوص وبيان شدة تماسكها على مستوى السبك والحبك، والاتساق والانسجام. وتحليل الخطاب في الحديث القدسي من خلال النص نفسه، ومكوناته ومعطياته الحقيقية، يستلزم حذرا كبيرا ونزاهة عن الأهواء والآراء، ويشترط باحثا مزودا بذخيرة لغوية متنوعة.

وتحليل الخطاب في الحديث القدسي لا يتحدد من خلال التركيز على مستوى تحليلي واحد، وإنما يستلزم تطبيقا لكل مستويات التحليل مجتمعة، كالمستوى الصوتي والصرفي، والمعجمي والتركيبي، والبلاغي والدلالي والتداولي، أي من خلال إطاره الشمولي الذي ينظر للنص بنظرة كلية متكاملة. وتتحدد هذه النظرة الكلية في دراسة عدة مستويات لغوية في تحليل الخطاب، وهي كالتالي:

أ . مستوى التحليل الصوتي: هو علم الفونولوجيا الذي يعنى بالأصوات وإنتاجها في الجهاز النطقي ومخارجها وخصائصها كصفات الحروف ودراسة الأصوات من الناحية الوظيفية، ويأخذ على عاتقه إحصاء الأصوات اللغوية في النص وحصرها في أعداد وتصنيفها إلى نوعين الأول: أصوات أو حروف أصلية أو وحدات صوتية يطلق عليها (فونيم) وتشمل الأصوات الصامتة/ الحروف السواكن، والأصوات الصائتة/ الحركات. و(الفونيم) يطلق على أصغر وحدة صوتية ذات أثر في الدلالة، كتغيير حرف أو حركة فيتغير به المعنى. والثاني: أصوات أو حروف فرعية يطلق عليها (فونات) والفون: هو بمثابة تنوع نطقي للفونيم أو الصوت الأصلي ولا يؤثر في الدلالة وبتغييره لا يتغير المعنى. ويتكفل بدراسة هذه الجوانب (علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات الوظيفي) [1].

(١) ينظر: دراسات في علم اللغة، د. كمال محمد بشر: ص ١٢

وقد كان لجهود اللغويين القدماء في دراسة العربية دور كبير في دراسة علم الأصوات كالخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه، وابن جني، الذين حددوا مخارج الحروف وصفاتها، كالجهر، والهمس، والشدة، واللين، والإطباق والصفير ... وأنماط المقاطع الصوتية للفظ العربي من حيث التآلف والتنافر بالنسبة للمخارج، ودراسة القيمة التعبيرية للحرف المفرد في العربية، وهي ظواهر لغوية أشار إليها ابن جني في كتابه (الخصائص)، من ذلك القيمة التعبيرية لألف الإطلاق، التي تدل على الاستطالة والامتداد في معنى الحدث.

ب . مستوى التحليل الصرفي: يُعنى الدرس الصرفي الحديث، وهو فرع من فروع اللسانيات ومستوى من مستويات التحليل اللغوي بتناول الصيغ والمقاطع والعناصر الصوتية التي تؤدي معاني صرفية. ويطلق على هذا الدرس مصطلح (المورفولوجيا) وهو يشير عادة إلى دراسة الوحدات الصرفية، أي (المورفيمات) ويدرس الكلمة من حيث بنائها وما يطرأ عليها من تغييرات تؤدي إلى تغيير في معانيها [١].

وهو الجانب الذي تعنى به (اللسانيات الوظيفية) في العصر الحديث والذي يدرس الدور الوظيفي للكلمة داخل النظام اللغوي، وكان للغويين القدماء جهود كبيرة في الكشف عن القوانين الصرفية للغة العربية، والصيغ الصرفية للكلمات، حيث أفردوا أبوابا لمعاني صيغ الأفعال، ومعاني صيغ الزوائد. ومن تلك الجهود كتاب (المنصف) لابن جني، وكتاب شرح شافية ابن الحاجب (٦٤٤هـ) لرضي الدين الاستراباذي (٦٨٦هـ).

جـ . مستوى التحليل المعجمي: يدرس هذا المستوى معنى الكلمة داخل المعجم، ويُعنى بجمع المعاني التي ترد بها اللفظة المسجلة داخل المعجم، وحصر الألفاظ في حقول معجمية، والكشف عن العلاقات الدلالية بين الكلمات في الحقل الدلالي الواحد، وتقريب أصول بعض الكلمات بربطها بخيط معجمي يجمع بين أطرافها كالترادف، والمشترك اللفظي، والتضاد، والمقابلة

(١) ينظر: دراسات في علم اللغة، د. كمال محمد بشر: ص ١٢

الدلالية. وقد أحرز الدرس اللغوي القديم قصب السبق في مجال المستوى المعجمي حين جمع الخليل بن أحمد الفراهيدي كلمات اللغة في كتاب واحد سماه (العين) وهي محاولة فذة منه كلغوي مبدع.

وما يميز المستوى المعجمي في العصر الحديث هو أن جهود المحدثين في علم اللغة الحديث انصبت على وضع نظريات لغوية لدراسة اللفظة المعجمية، كنظرية (الحقول الدلالية) ونظرية (التحليل التكويني)، وهما نظريتان متكاملتان، النظرية الأولى تهتم بجمع الكلمات في حقل دلالي واحد، وهي نظرية ترتكز في جذورها على جهود اللغويين القدماء في دراستهم المعجمية للفظ وتصنيفه في معاجم الموضوعات، ككتاب (المخصص) لابن سيدة (٤٥٨هـ) الذي جمع فيه الألفاظ داخل مجموعات وفق معانيها المتشابهة، بحيث تنضوي تحت موضوع واحد، أما نظرية (التحليل التكويني) فهي تهتم بالكشف عن مكونات المعنى للكلمة، وربط ذلك بالكلمات الأخرى في المجال الدلالي نفسه، للكشف عن العلاقات الدلالية التي تربط بين الألفاظ في المجال الواحد .

د . مستوى التحليل النحوي (التركيبي): ويعنى هذا المستوى بدراسة تركيب الكلمات داخل الجملة النحوية. وتحتل فيه الكلمات مواقع معينة (رتب) وتشير إليها علامات إعرابية معينة، تدل على نوع العلاقة والوظيفة والدلالية التي تربط بين المفردات داخل التركيب. فالموقع هو ذاته وظيفة (فاعل، مفعول به، تمييز، صفة ...) والدرس اللغوي القديم له باع معلوم في النحو والإعراب لا يحتاج لبيان، وله في دلالة التركيب سهم كبير، مثال ذلك ما جاء به الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) وسبقه إليه الجاحظ والرماني، في إبراز أهمية العلاقات النحوية ونظم الكلمة والتعالق والاتساق والانسجام داخل السياق وتركيب الجمل، ومناسبتها للمقام وسياق الحال. ووصف العلاقات اللغوية الداخلية والخارجية للأبنية النصية، والعلاقة بين البنى الصغرى والبنية الكبرى للنص .

هـ . مستوى التحليل الدلالي: ومجاله دراسة المعنى على صعيدي المفردات والتراكيب من خلال الاستعمال اللغوي والسياقي الذي ترد فيه الكلمة. هدفه الوقوف على الترابط بين أجزاء النص من خلال العلاقات الدلالية، ويشمل هذا المستوى مفهوم محور الخطاب، والعلاقات الموصلة للبنية الكبرى المكونة للخطاب، ويتعلق بمفاصل النص وبنياته المتعددة، وبالدلالات المتنوعة التي يأخذها اللفظ داخل النص: كالدلالة المعجمية التي تستمد من المعنى المعجمي أو المركزي للكلمة، وهي توضح الاختلافات بين المفردات المعجمية المتقاربة الدلالة، مما يجعل بعضها مناسبا لسياق دون آخر.

والدلالة الصرفية هي التي يتم الوقوف فيها على الدلالات الخاصة بكل صيغة صرفية، فاسم الفاعل مثلا: يدل على الحدث وصاحبه، واسم المفعول: يدل على الحدث ومن وقع عليه، وصيغ المبالغة تدل على المبالغة في وقوع الحدث من جهة العدد أو حجمه، وهناك دلالات عديدة وكثيرة لمباني الكلمات والصيغ.

أما الدلالة النحوية فهي تستنبط من ترتيب الكلمات وتجاورها مع غيرها داخل جمل النص، وبها يتحدد المعنى ويظهر داخل السياق اللغوي، كدلالة التعبير بالجمل الاسمية على الثبات والاستمرار، ودلالة الجمل الفعلية على الحركة والتجدد والحدوث، والدلالة الحالية والمكانية المستمدة من علاقة الفعل بالفاعل والمفعول والحال والظروف داخل الجملة، وهناك دلالات تركيبية أخرى مثل دلالة الحصر والقصر، والدلالات التي تستخرج من تغيير ترتيب عناصر الجملة بالتقديم والتأخير، ودلالة الاستمرار والدوام المستمدة من المركب الاسمي، ودلالة الحدوث والتجدد المستمدة من المركب الفعلي في النص.

و . مستوى التحليل التداولي: يهدف هذا المستوى إلى دراسة التواصل، فوظيفة اللغة في المستوى التداولي أنها أداة اتصال بين المرسل والمتلقي، والمستوى التداولي يأتي بعد دراسة البنية الداخلية للنص من تراكيب ودلالة، وهو يركز على مستوى الخطاب، وصناعة المعنى بتداوله بين المرسل والمتلقي، ويهتم بالسياقات المتنوعة والمتعددة والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز

ضمنها الخطاب، كدراسة الافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية، ودراسة العلاقات السياقية كالسببية، وعلاقات التماثل الأسلوبي وعلاقات التناص، والتتابع الدلالي الخطي، ودراسة السياق الخارجي كالسياق الاجتماعي والثقافي المحيط بالنص.

وللدرس العربي القديم أصول معرفية في علم التداولية الحديث، وقد أشار الدكتور محمد العمري في كتابه (البلاغة العربية) إلى أن التداولية الحديثة هي بعد جاحظي في أصله، ذلك أن اهتمام الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) كان منصبا على عملية الاتصال بهدف التأثير في المتلقي، والإقناع، وهو ما أطلق عليه الجاحظ (التأثير والمقام) [1].

ز . مستوى التحليل البلاغي: وفي هذا المستوى تشترك علوم لغوية ثلاثة (علم المعاني والبيان والبديع) التي تشكل لحمة البلاغة، وفيه يتم تذوق الخطاب الأدبي وإدراك جمالياته، وتحليل الصور البلاغية الواردة في نصه، وتقنياته الأسلوبية التي يتميز بها، واستكشاف المناخ الفني والجمالي الكامن في بنيته. وهو مستوى له أصول راسخة في الدراسات العربية القديمة بداية بجهود الرماني ووصولا لعبد القاهر الجرجاني، الذين اهتموا بالبلاغة في اللغة العربية والقرآن الكريم، والجهود المبذولة في دراسة البلاغة في الحديث النبوي الشريف كثيرة ككتاب (المجازات النبوية) للشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) .

وعليه، فدراسة الخطاب داخل البنية النصية وفق المستويات المتعددة لا يعني تفكيكا وخلخلة للنص، وتجزئة تقلل من قيمته التماسكية، وإنما هو خطوة تحليلية لفهم النص، ومكامن أسراره بطريقة علمية استدلالية، بهدف كشف شدة تماسكه، وبيان وحدته الكلية القادرة على استيعاب مقاصد الخطاب بكل مستوياته، هذه المستويات التي تنتج أفقا مفتوحا محملا بالإمكانات المتعددة التي تساعد على ديمومة الفهم للنصوص المقدسة.

****

(١) ينظر: البلاغة العربية ـ أصولها وامتداداتها، ص: ٢٩٣

الفصل الثاني

(المستوى النحوي للخطاب)

المبحث الأول: الخطاب والتراكيب

أ. دراسة نظرية للمستوى النحوي في الخطاب

إن الحديث النبوي عامة والحديث القدسي خاصة، قد استوعب كل ما وضعه النحاة من قواعد وأحكام ثابتة، وشواهد الحديث الشريف أمثلة حية مستمدة من واقع عاشه الناس لحظة نزول الأحاديث فهي" أمثلة واقعية أخذت من لغة منطوقة يتداولها الناس، وليست أمثلة منطقية يصنعها النحاة حسب حدودهم وتفريعاتهم البعيدة. وإذا ورد في الحديث الشريف بعض ما يظن أنه خالف قواعد النحاة، فإنه يمكن حمله على ظروف اللغة المنطوقة، وظواهر لغة المشافهة، وملابسات الموقف الحي. على أن ذلك قليل إذا قورن بما ورد في الشعر العربي من ظواهر لغوية شاذة عن القواعد المطردة والأحكام اللغوية المستقيمة. وفي القرآن الكريم نفسه، لاحظ النحاة شواهد على ذلك، فمنهم من أولها تأويلات بعيدة... ومنهم من حملها على اختلاف لهجات العرب، وتيسيرات مواقف الخطاب والمشافهة " (١).

ومصطلح النحو قديم النشأة واسع التخصصات، نشأ مع جهود أبي الأسود الدؤلي (٦٩هـ) حين طلب منه علي رضي الله عنه أن يضع قواعد للعربية يصون بها اللسان من الانحراف بعد أن اتسعت رقعة الإسلام واختلطت فيه اللغات، وقال له: (انحُ هذا النحو) فسمي نحوا، وهو مصطلح سابق لعلم الإعراب والتركيب ويستوعبهما، ثم أصبح إعرابا يعرب به المتكلم معنى كلامه، ذلك أن النحويين " لما رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركات تدل على المعاني وتبين عنها سموها إعرابا"(٢).

والكلام في تركيبه لا يكون واضح المعنى إلا إذا روعي فيه الأحكام النحوية والوظائف اللغوية، فالحركة الإعرابية لازمة للحرف، والحرف نفسه متعلق بالكلمة، والكلمة لا تؤدي معنى

---

(١) بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، عودة خليل: ص٦٩٧ ـ ٦٩٨

(٢) التركيب وعلاقته بالنحو، لحسن بلبشير، ص: ٢١٥

إلا إذا وضعت بجانب الكلمة الأخرى في ترتيب تقتضيه العلاقات النحوية، يقول ابن جني في ذلك " النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والتركيب والنسب وغير ذلك " [١]، وهو بذلك يؤكد على شمولية النحو للإعراب وفروعه وتراكيب كلماته وانتظامها.

فالنحو هو العلم الذي يفصح ويكشف عن خبايا المباني اللغوية وطريقة ارتباطها بالمعاني والدلالات العقلية والنفسية، وبهذا فمهمة النحو هي بيان عبقرية النظام اللغوي في النص وقدرته على التعبير الدقيق من خلال وسائل التماسك النصي لفظا ومعنى، تلك الوسائل التي تساعد النص على تلاحم أجزائه وترابطها، ليعطي معناه للمتلقي كما أراده منشئ النص أو المتكلم.

واللغة نسق ونظام لغوي، وأهم ما في هذا النسق هو التركيب الذي يمثل بنية اللغة، والخطاب الإلهي في القرآن الكريم والحديث القدسي نظام لغوي " فرض على المسلمين مقاربته مقاربة لغوية لتحقيق التواصل بينهم وبين الله، باعتبارهم مأمورين بالتزام أحكامه، والانتهاء عن نواهيه. ولا يمكن لعملية التواصل أن تنجح إلا بالوقوف على المراد الذي ضمنه الحق سبحانه وتعالى القرآن الكريم "[٢].

وقد قام المسلمون بجهود كبيرة لفهم معاني الخطاب الإلهي من خلال نظامه اللغوي بهدف تحديد أدوات تمكن المتلقي من استنباط مراد الله، وذلك بتقعيد النحو ووضع العلامات الإعرابية والشَّكل بالحركات، ودراسة مكونات الجمل، بما تحتويه من تراكيب أساسية، وعلاقات إسنادية، وما تحتويه من بلاغة أسلوبية بالتقديم والتأخير والحذف، وغير ذلك من أبواب علم النحو، للوقوف على المعاني المتعددة بتعدد الوجوه الإعرابية الممكنة.

ووظيفة المستوى النحوي البحث في التراكيب، وما يرتبط بها من خواص " ولا يقتصر النحو في العرف الحديث على البحث في الإعراب ومشكلاته، كما أراد له بعض المتأخرين من النحاة

---

(١) الخصائص: جـ١ ، ص٣٤

(٢) المدخل المعرفي واللغوي للقرآن الكريم، د. خديجة أيكر: ص١٥٤

العرب. وإنما عليه كذلك أن يأخذ في الحسبان أشياء أخرى مهمة كالموقعية والارتباط الداخلي بين الوحدات المكونة للجملة أو العبارة وما إلى ذلك من مسائل لها علاقة بنظم الكلام وتأليفه" (١).

ودراسة المستوى النحوي في هذا المبحث هدفه معرفة النظام التركيبي للجملة، والتعالق بين الجمل المكونة للنص، بهدف الوقوف على العوامل التركيبية التي ساهمت في إحداث الاتساق في الخطاب الرباني في مدونة الأحاديث القدسية مدار الدراسة. والاتساق النحوي يقوم على عناصر تركيبية عديدة كالإضمار والعطف والإشارة والوصل والتقديم والتأخير والزيادة والحذف والعلاقات الإسنادية ودورها في اتساق النص وإنتاج متواليات متوالية من الجمل، ذات معنى عام يقصده الخطاب.

ولا يقف المستوى النحوي عند تركيب الجملة وإنما يتسع ويتطور ليشمل النص، والكشف عن بنياته الكبرى، بهدف الانفتاح على الخطاب في أجناسه وأنماطه المختلفة " والناتج من هذا التطور أن الخطاب يحمل في صلبه النص اللغوي في بنائه وتماسكه، ويزيد عليه بإدماج أطراف التخاطب ومقاصد الخطاب وظروف الزمان والمكان التي تنجز فيها أفعال الكلام " (٢).

إن المستوى النحوي هو المدخل الأساسي لفهم خطاب ونصوص الأحاديث القدسية، فاللفظة في الجملة حرة مرنة في تحركها داخل النص، ولفهم دينامية حركتها وتبدل المواقع الإعرابية لها، لا بد من فهم نظام النحو الذي ينتظمها، وفهم المعانى العميقة الكامنة في البنية العميقة المكونة للنص والتي تكسب الخطاب خاصية الانفتاح والاتساع، وديمومة الفهم بتعدد القراءات وتعدد التأويلات وتعدد الوجوه الإعرابية، مما يولد معان زاخرة، ودلالات متعددة لمستويات الخطاب.

---

(١) دراسات في علم اللغة، كمال محمد بشر: ص ١٣

(٢) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس محمود فجال: ص٢٠

ب ـ البنية التركيبية للخطاب

إن دراسة تركيب اللغة من أهم موضوعات الدرس اللغوي وأكثرها دقة يُتوصل من خلاله إلى أنظمة اللغة وقوانينها، فمحتوى بناء التراكيب اللغوية هو المنطلق الأساسي لبقية محتويات النص، وعليه يمكن طرح هذه التساؤلات قبل الولوج في دراسة هذا المستوى بشكل علمي، فما هو التركيب؟ وما الفرق بين نحو الجملة ونحو النص؟ وما علاقة التركيب بالاتساق النصي؟ وما هي جدوى دراسة المستوى التركيبي في فهم الخطاب عامة، والخطاب القدسي خاصة؟

التركيب لغة، مصدر (ركب) وهو وضع الشيء على بعضه والتراكم والتوالي، وجاء في لسان العرب" تراكم السحاب، وتراكم: صار بعضه فوق بعض، وركب الشيء: وضع بعضه على بعض، وقد تركّب وتراكب. والمتراكب من القافية: كل قافية توالت فيها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين "(١).

والمعنى اللغوي لكلمة (تركيب) مرتبط بمعناه الاصطلاحي، فوضع الشيء على بعضه يُكَوِّنُ من المفردات جملا، والجملة عنصر كلامي يحتوي ألفاظا تتركب مع بعضها بعضا مشكلة الجملة التي تكون حكما إسناديا يحسن السكوت عليه، وتراكم الكلمات من خلال تلاقي المعاني يؤدي إلى نظم الجمل بصورة تقبلها النفس ويقبلها العقل(٣).

إن التركيب علم نحوي، وهو من أهم المصطلحات النحوية المقاربة لمحتوى (علم النحو) وهو مرادف للنظم، فهو" يختص بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة، انطلاقا من حركة عناصرها وانسجامها مع السياق الذي وضعت فيه في كلام تام ومفيد، وأول من أدرك هذا المصطلح هو الجرجاني وسماه بنظرية النظم، وذلك في كتابه الدلائل، ويقصد بالنظم التركيب، وقد دأب العلماء النحويون على هذا المصطلح وأفاضوا فيه، ورأوا أن الكلام تركيب لا تتم فيه الفائدة إلا

---

(١) ابن منظور، مادة (ركب) جـ٩، ص: ١٢٠

بتوفر عنصرين أساسيين فيه، فقالوا إن الجملة تتشكل من ركنين أساسيين، المسند والمسند إليه"[1].

وفي الأحاديث القدسية تتنوع الجمل بين اسمية وفعلية، ويغلب في الجملة الفعلية الجمل الشرطية، وجاءت الجمل الفعلية بأنواعها كالآتي:

أولا: الجمل الفعلية

أ. الفعل المضارع

ورد الفعل المضارع في الأحاديث القدسية في أغلبه مثبتا مبنيا للمعلوم، وورد في مطالع الأحاديث القدسية كقوله ﷺ: ((يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلِّبُ الليل والنهار)) [2]، وقوله ﷺ: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ـ وهو أعلم بهم ـ كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون))[3]. وقد يرد الفعل المضارع في وسط نص الحديث كقوله ﷺ: ((...والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك... يترك طعامه وشرابه من أجلي))[4] ومن اللافت أن مطلع خطابه ـ تعالى ـ لم يأت في بداية نص الحديث بل جاء الاستهلال على لسان الرسول ـ ﷺ ـ ومن ثم التحم بخطاب الله تعالى، وكأن في هذا التفات غير أنه ليس في الضمائر، وإنما في التحول والانتقال من مُخاطِب إلى مُخاطَب"فقد تحول الخطاب منه ﷺ إليه سبحانه وتعالى،

---

(١) المصطلح النحوي والبلاغي في الموروث العربي، إدريس بن خويا، ص: ١٧

(٢) صحيح البخاري: رقم ٤٨٢٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٣٦، رقم ١٥٨

(٣) صحيح البخاري: رقم ٥٥٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٨١. ١٨٢، رقم ١٣٠

(٤) صحيح البخاري: رقم ١٨٠٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٦٨، رقم ١١٥

والمدقق في هذا السياق يلحظ أن المتكلمين في هذا الحديث ثلاثة لا اثنان، الأول الرسول، والثاني السامع، والثالث المولى عز وجل، فقد استهل الرسول بالقسم فتساءل السامع [باستفهام مضمر] عما ورد في جواب القسم، ثم جاء رده تعالى عقبه. وكأن صورة الكلام تأتي هكذا:

الرسول: (والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله...)

السامع: [ولم هذا الحكم]

المولى: (يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي)"[١].

وورد الفعل المضارع منفيا نفيا مطلقا بعد فعل ماض دال على الثبوت وتحقق الفعل الدوني من ابن آدم، كقوله تعالى: ((كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك...)[٢]. وجاء المضارع أيضا منفيا نفيا غير مطلق (بدخول مؤثر كأداة الاستثناء عليه) كقوله ﷺ: ((انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة، أو أدخله الجنة...))[٣] ويُظهر الفعل المضارع المنفي (لا يخرجه إلا إيمان بي) أسلوب تحول الخطاب من الرسول ﷺ إلى الله تعالى بواسطة تبدل الضمائر بسلاسة وتداخل.

وجاء الفعل المضارع في الأحاديث القدسية مبنيا للمجهول في سياق الحديث عن نعيم الآخرة في مقابل بؤس الدنيا، يقول الله تعالى: ((يُؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة فيقول: اصبغوه صبغة في الجنة فيصبغونه فيها صبغة فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط أو شيئا تكرهه؟ فيقول: لا وعزتك ما رأيت شيئا أكرهه قط...))[٤] وفي البناء

---

(١) الأحاديث القدسية، دراسة أسلوبية، محمد متولي أحمد، ٣٢

(٢) صحيح البخاري: رقم ٤٦٩٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص٢٣٤، رقم ١٥٧

(٣) صحيح البخاري: ٣٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٠٧، رقم ٦٨

(٤) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد:٢٥٣/٣، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٢، رقم٧٧

للمفعول مزيد اهتمام بالمأتي دون الآتي بها، فكان حذف الفاعل لفتا للسامع إلى من يؤتى به، فيتركز اهتمام السامعين على فضل أهل الجنة ونعيمها.

ومنه قوله ﷺ: ((إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتيَ به فعرّفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يُقال جرئ فقد قيل ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتيَ به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأُتيَ به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جوادٌ فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحب على وجهه ثم أُلقي في النار))[1].

فجاءت الأفعال المبنية للمجهول في سياق التنفير والتحذير من النار لمن فسدت نيته وإن صلح عمله في قوله (فأتيَ به، لأن يُقال جرئ فقد قيل ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار) فالمقاتل والعالم وقارئ القرآن والمنفق لم تقبل أعمالهم لعدم خلوص نياتهم، فكانت هباء منثورا، لا خير منها ولا جزاء عليها وإنما باء بإثمها.

وجاء الفعل المضارع جوابا للقسم، مثبتا في قوله ﷺ: ((والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة))[2] وجاء في جملة القسم منفيا كما في قوله ﷺ: ((فو الذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم))[3] وقوله: ((أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان))[1]، ووقوع

---

(١) صحيح مسلم، رقم ١٩٠٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٨، رقم ٨

(٢) صحيح البخاري: ٣٣٤٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٣، رقم ٧٨

(٣) صحيح مسلم: ٢٩٦٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٤، رقم ٧٩

المضارع منفيا في جواب القسم شكل وضعا تأثيريا على المتلقي، فسياقه يرمي إلى بعدين الأول ينذر (ينذر من يقنط الناس من رحمة الله)، والثاني يبشر (يبشر العباد بأن الله غفار ويغفر الذنوب جميعا) فكان الجمع بين البشارة والإنذار في سياق واحد متلاحم.

ب ـ الفعل الماضي:

الفعل الماضي يدل على حدث أنجز وتم في الزمن الماضي، وتنوع ورود الأفعال الماضية في الأحاديث القدسية فوردت في مقام ذكر قصص من سبق، ومقام اللوم والعتاب على الكفر والإشراك ولوم من لم يعد المريض ولم ينفق على الفقراء، كما وردت في مقام البشارة بالنعيم المنتظر في الجنان.

وقد جاءت الأحاديث القدسية بمطالع ماضية مثبتة في أغلبها، يقول الله تعالى: ((أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر...)) [٢]، وقوله تعالى: ((كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك...)) [٣]، وقوله ﷺ: ((كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات...))[٤]، وقوله ﷺ: ((كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله فقال له: هل من توبة؟...))[٥]، وقوله تعالى: ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)) [٦]، وجاء الماضي منفيا على غير إطلاق بدخول أداة الاستثناء، في قوله ﷺ: ((ألم تروا

---

(١) صحيح مسلم: ٢٦٢١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٦، رقم ٢١

(٢) صحيح البخاري: ٦٥٥٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٦، رقم ١٣

(٣) صحيح البخاري: ٤٦٩٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٢٤، رقم ١٥٧

(٤) صحيح البخاري: ٣٤٦٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٦٨، رقم ١٧٢

(٥) صحيح البخاري: ٣٤٧٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٣٧، رقم ٢٢

(٦) صحيح البخاري: ٣٠٢٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٨٩، رقم ٥٦

إلى ما قال ربكم؟ قال: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكواكب وبالكواكب)) [1].

جـ. الجملة الشرطية:

يدخل التركيب الشرطي ضمن الجملة الفعلية، ولقد كثر وروده في الحديث القدسي، والغالب في تركيبه انتظام الإيقاع والتوازن في طول الجمل، مثال ذلك قوله ﷺ: ((يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر. ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة...))[2] فالجملة تتكون من شرط (جاء بالحسنة ـ جاء بالسيئة) وجوابه (فله عشر أمثالها ـ فجزاؤه مثلها) ومعطوف (وأزيد ـ وأغفر) وجاءت جمل الشرط متراصة متوازنة متماثلة البناء والتركيب.

وأغلب الجملة الشرطية في الأحاديث القدسية ترد مصدرة بأداة الشرط (من) كقوله تعالى: ((من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج...))[3] وهي هنا تحتمل أكثر من دلالة معنوية والشرط إحدى دلالاتها، يقول ابن هشام: " تقول: من زارني زرته، فتحتمل (من) الأوجه ثلاثة: من شرطية، أو موصولة، أو نكرة موصوفة" [4]، وقد ترد (من) خالصة في دلالتها على الشرط كقوله تعالى: ((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب...))[5].

---

(١) صحيح مسلم: ٧٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٩، رقم ١٤

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٦٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٣٠، رقم ١٥

(٣) صحيح مسلم: رقم ٣٩٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٢٦، رقم ١٥٣

(٤) مغني اللبيب: جـ ٢، ص: ١٧

(٥) صحيح البخاري: رقم ٦٥٠٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٧٩ ـ ٨٠، رقم ٥١

كما كثر الشرط بالأداة (إذا) الدالة على الشرط والظرفية، يقول ابن هشام: " والغالب أن تكون ظرفا للمستقبل مضمنة معنى الشرط... وتختص بالدخول على الجملة الفعلية "[١].

وظهرت في مطالع الأحاديث القدسية كقوله ﷺ: ((إن الله قال: إذا تلقاني عبدي بشبر تلقيته بذراع، وإذا تلقاني بذراع تلقيته بباع وإذا تلقاني بباع جئته أتيته [٢] بأسرع)) [٣]، وقوله ﷺ: ((إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض...)) [٤]، مثاله قوله تعالى: ((إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه...))[٥]، كما ترد في بين جمل الحديث كقوله ﷺ: ((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...))[٦] وقوله ﷺ: ((إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال: إني أحب فلان فأحبه...))[٧].

---

(١) مغني اللبيب: جـ ١، ص٨٤ ـ ٩٦

(٢) قال النووي (جئته أتيته) ورد هكذا هو في أكثر النسخ والروايات، وفي بعضها جئته بأسرع فقط، وفي بعضها أتيته، والجمع بينهما للتوكيد وهو حسن لا سيما عند اختلاف اللفظ. (ينظر: شرح النووي لصحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، ص١٧٣)

(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٦٧٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٥٧، رقم ٣١

(٤) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٤٤، رقم ٩٥

(٥) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٦٦، رقم ٤١

(٦) صحيح البخاري: رقم ٧٤٠٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٥٧، رقم ٣٠

(٧) صحيح مسلم: رقم ٢٦٣٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٦٩، رقم ٤٣

د . فعل الأمر

يكثر ورود فعل الأمر في نصوص الأحاديث القدسية، مثاله قوله ﷺ: ((أبشروا هذا ربكم قد فتح بابا من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة يقول: انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى))[١] وقوله تعالى في حديث الشفاعة: ((يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط، واشفع تشفع...))[٢] وقوله تعالى في الحض على الصدقة والإنفاق: ((أنفق يا ابن آدم أنفق عليك))[٣] وقوله ﷺ في القدر: ((إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة))[٤] .

ثانيا: الجملة الاسمية

وردت الجمل الاسمية في مطالع الأحاديث القدسية معرفة بالألف واللام في قوله ﷺ: ((قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور...))[٥] وقوله: ((العز إزاره، والكبرياء رداؤه...)) [٦]، وجاء الاسم مسبوقا بأداة توكيد في قوله تعالى: ((إن عبدا أصاب ذنبا فقال: رب أذنبت ذنبا...)) [٧]، وقوله: ((إن الله أمر يحي بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل

---

(١) حديث صحيح ، سنن ابن ماجة: رقم ٨٠١ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٨٣، رقم ١٣١

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٤٤، رقم ٩٥

(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٥ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٣، رقم ١٢٠

(٤) حديث صحيح، أخرجه أبو داوود في سننه: رقم ٤٧٠٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٩٢، رقم: ١٣٦.

(٥) حديث صحيح أخرجه الترمذي: رقم ٢٣٩٠

(٦) صحيح مسلم: ٢٦٢٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٢٤٠، رقم ١٥٩. وقد ورد هذا الحديث بصيغة (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في جهنم) عند أبي داود ومسند أحمد: رقم ٤٠٩٠ وينظر: هامش الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص٢٤٠

(٧) صحيح البخاري:٧٥٠٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص ٦٣، رقم٣٨

بها...))[1]. وجاء معرفا بالإضافة في قوله تعالى: ((كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به))[2].

وترد بعض الجملة الاسمية نكرة اعتمادا على ابتداء مختزل[3]وهو عنصر تشويق يفتتح به الحديث، كقوله ﷺ: ((ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة...)) [4]، وفي تقديم الخبر على المبتدأ إبراز لأهمية المبتدأ وتنبيه للسامع به ليكون أول ما يقرع ذهنه، ومن ذلك أيضا قوله ﷺ: ((يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول: أخْرِجْ بعث النار قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير...))[5].

وجاء المبتدأ نكرة في مطلع قوله تعالى: ((أربعة يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا...))[6] ومثاله قوله ﷺ: ((إن عبدا أصاب ذنبا فقال: رب أذنبت ذنبا...)) [7] والمبتدأ والخبر في هذا الحديث " إلى جانب كونهما مؤكدين ـ وهذا من أساليب الضغط على المتلقي ـ فهما متباعدان، فالصيغة هنا جاءت تراكمية، إذ تتوقف عند حدود دال [عبد] بما فيه من تعميم، وكل التراكيب التالية ترد إليه، فالصياغة هنا تأخذ طابعا رأسيا يعمل على الوصول بالدلالة إلى أبعاد

---

(١) حديث صحيح أخرجه الترمذي رقم ٢٨٦٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص ٢١٥ ، رقم١٤٦

(٢) صحيح البخاري: رقم ١٧٩٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص ١٦٨، رقم١١٥.

(٣) ينظر: الأحاديث القدسية، محمد متولي أحمد: ٣٤ ـ ٣٥

(٤) صحيح البخاري: رقم ٢٠٧٥ ، كتاب البيوع، باب إثم من باع حرا

(٥) صحيح البخاري:٣٣٤٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص ١٢٣،رقم٧٨

(٦) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٤/٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٣ ، رقم ٢٨

(٧) صحيح البخاري:٧٥٠٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص ٦٣، رقم٣٨

عميقة "[١] وجاء المبتدأ نكرة تقدم عليه الجار والمجرور في قوله تعالى: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق...))[٢].

وبهذا كان نص الحديث مكونا من سلسلة جمل متتابعة مترابطة، تعتمد على التواصل النصي والسياق الخطابي، وفعل الكتابة، وعلى جملة المقاربات التي تجعل الملفوظ نصا[٣]. ومن هنا تحولت أنظار الدرس اللغوي الحديث لدراسة (نحو النص) الذي تخطى حاجز الجملة كبنية مستقلة ثابتة، ونظر للغة كأحداث تواصلية حيوية وارتبط ارتباطا وثيقا بتحليل الخطاب، وارتكز على دراسة النص كبنية كلية لا على الجمل باعتبارها بنًى فرعية. وأصبحت الدراسات التركيبية الحديثة تركز على دراسة (نحو النص) كبديل لدراسة نحو الجملة، الذي يربط الجملة بالسياق الواردة فيه لتوضيح معناها ومعنى الجملة التي قبلها والتي بعهدها.

وقد وظف نحو النص في دراسته للتراكيب عناصر جديدة ليست موجودة في نحو الجملة " إنه يذهب في تحليلاته إلى قواعد جديدة منطقية ودلالية وتركيبية ليقدم شكلا جديدا من أشكال التحليل لبنية النص، وتصور معايير التماسك والترابط والانسجام" [٤]. فهو نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة تمتد قدرتها إلى مستوى ما وراء الجملة وعلاقات المكونات التركيبية داخل الجمل، وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تجريدي تصل إلى الفقرة، فالنص، فالخطاب بتمامه [٥].

فنحو النص يرى أن الجملة هي جزء من النصية، تتسم بالتواصل مع جمل أخرى سابقة ولاحقة لها، ولا يمكن فهمها إلا بإدماجها في نظام النص، ونحو النص هدفه فهم أوجه الترابط

---

(١) الأحاديث القدسية، محمد متولي أحمد:٣٥

(٢) صحيح البخاري: ٦٤٠٨ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٥٩، رقم ٣٤

(٣) ينظر، نحو النص ـ اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي: ص٢١ ـ ٢٤

(٤) نحو النص، أحمد عفيفي: ص٣٩

(٥) ينظر: من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح: ص٤٠٧

النحوي التي توفر تماسكه الشكلي والدلالي، فالنص يمكن تقسيمه إلى بنيات لغوية صغرى تكشف عن علاقات النص الداخلية وتتآزر مع بعض لتؤدي دورها التركيبي والدلالي من أجل تحقيق البنية الكبرى للنص والتماسك الكلي " ومن مبادئ نحو الجملة (المعيارية) فالقاعدة في نحو الجملة هي أساس الصحة أو الخطأ، فالمعيارية إذن سابقة على النص، ولهذا فنحو الجملة لا يؤمن بنص إلا إذا كان موافقا ومتطابقا مع القواعد التي تم استنباطها، وأما نحو النص فهو أبعد عن المعيارية، لأنه نحو تطبيقي غير نظري فلا ينشأ إلا بعد أن يكتمل النص... ولهذا ذهب نحاة النص إلى أن المعيار يكون دائما من داخل النص لا من خارجه، وبعبارة أخرى فنحو النص لا يتحرى السلامة النحوية كما هي غاية نحو الجملة، وذلك لأن معيار النص مختلف عن معيار الجملة الواحدة، فالنص معياره التفاعل الداخلي والتماسك والإفصاح عن المحتوى، وبتعبير آخر إذا كانت الجملة وحدة نحوية، فإن النص ليس وحدة نحوية أوسع أو مجرد مجموع جمل أو جملة كبرى، وإنما هو وحدة من نوع مختلف، فهو وحدة دلالية لها معنى في سياق تتحقق وتتجسد هذه الوحدة في شكل جمل "(١).

فيهتم نحو النص بدراسة ظواهر تركيبية نصية لم تكن محط اهتمام كبير فيما سبق من درس لغوي قديم، كالتماسك النصي، والتراكيب المحورية، والتراكيب المجتزأة، والتنويعات التركيبية، والتكرار التركيبي بين النصوص، وغيرها من الظواهر التي تتجاوز إطار الجملة المفردة، إلى البنية والنص ومستوى الخطاب.

ومبدأ الوحدة النصية هو المبدأ الأساس لنحو النص، وهو ينظر إلى النص على أنه وحدة متماسكة، يتحقق تماسكها بفضل الترابط النصي الذي ينبع من صميم النص، ويحدث بفضل السياقات اللغوية وتحليل أنساق هذه السياقات وإبراز العلاقات فيما بينها، ومن المهام الأولية لنحو النص أنه يبحث في كيفية ارتباط السابق باللاحق، أو اللاحق بالسابق ؟ وكيفية ترابط

---

(١) التماسك النحوي أشكاله وآلياته، أ. العيد علاوي، ص: ١٢٤

متواليات الجمل؟ فهو يبحث عن الخيط الذي يربط بين كلماته وجمله وفقراته في كل لا يتجزأ دفعة واحدة دون النظر إلى جزيئاته منفردة " وكل جملة في النص لا يمكن فهمها إلا من خلال ترابطها بأخواتها في النص، وتلك مسؤولية نحو النص من خلال دراسة وسائل الترابط للكشف عن النظام الكلي الحاكم للنص... ويمكن أن يطلق على ذلك النظام اسم (الترابط النصي)، وهو الذي يخلق بنية النص التي لا يمكن أن تكون مجرد تتابع للعلامات، ولكنها تملك تنظيما داخليا خاصا، ورؤية دلالية من ذاتها تخصها، ويستطيع نحو النص أن يكشف عن نظام هذا الترابط " (١).

وعلماء النحو العربي القديم قد وقفوا على الترابط النصي إلا أنهم انشغلوا فيه بالجانب التطبيقي، أما علماء اللغة في العصر الحديث فقد اهتموا بمنهجية هذه الأصول الفكرية التطبيقية، وتقنينها النظري في مناهج علمية.

وكثير من النحاة القدماء ذكروا إشارات نحوية يظهر فيها التركيز على مبدأ (الترابط) بربط الجمل السابق منها باللاحق والذي به يتضح المعنى الحقيقي للتراكيب " ويحتوي عدد كبير من كتب النحو ابتداء من كتاب سيبويه وحتى حاشية الصبان على عدد غير قليل من الإشارات التي يمكن أن تندرج ضمن ما نسميه نحن الآن نحو النص، إلا إنها إشارات مبعثرة هنا وهناك، بحاجة إلى جمع وتصنيف، وعلى أي حال، يمكن تصنيف هذه الإشارات إلى صنفين: إشارات تترابط تراكيبها نصيا (بواسطة السياق اللغوي)، وإشارات تترابط تراكيبها بما هو خارج النص (بواسطة السياق غير اللغوي) "(٢).

ودراسة الترابط النصي النحوي يرمي إلى توظيف الآليات النحوية في الربط بين أجزاء النص ومن ثم فهم المعنى عبر رؤية متماسكة لا تقتصر في تحليلها على الجملة أو مجموعة الجمل، وإنما

---

(١) نحو النص، أحمد عفيفي: ص ٩٧

(٢) الخطاب وأثره في بناء نحو النص، عبد المهدي الجراح: ص ٤٩

تنظر للنظام الكلي للنص، وعلوم القرآن هي بداية أصيلة لما أصبح يعرف بلسانيات النص، وذلك لاشتمالها على دراسة بعض القضايا النصية مثل: التماسك، والمناسبة والتكرار.

والترابط النصي كمفهوم قريب من فكرة الجرجاني للنظم والتعليق التي ترتكز على الأثر العظيم لتلاقي الأجزاء ببعضها وأخذ الخطاب كله دفعة واحدة، وأهمية العلاقات الإسنادية في تشكيل الخطاب وتماسكه عن طريق المتواليات الجملية التي تنتج معنى تام يقصده المنتج ويكتشفه المتلقي بإمكانياته. مما يدل على أن علماء العربية قديما كانت لهم نظرات تدل على إحساسهم بقضية نحو النص(١).

وفي العصر الحديث درس اللغويون الترابط النصي بمصطلحات منها: السبك (٢)، واتساق الخطاب(٣)، ونسيج النص(٤)، والترابط النصي(٥). والسبك هو الربط النحوي، وهو ترابط رصفي قائم على النحو في البنية السطحية، بمعنى التشكيل النحوي للجمل، وما يتعلق به من الإحالة والحذف والربط وغيره(٦).

وبذلك لم يعد المستوى النحوي محصورا على دراسة القواعد التركيبية وانتظام المعاني داخل أجزاء الجملة، بل تعدى ذلك ليقدم صياغة كلية للأبنية النصية وترابطها، فعني بدراسة " ظواهر تركيبية نصية مختلفة، كعلاقات التماسك النحوي، وأبنية التطابق، والتقابل، والتراكيب المحورية والتراكيب المجتزأة، وحالات الحذف، والجمل المفسرة، والتحويل إلى الضمير، والتنويعات التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية، وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة "(٧).

---

(١) ينظر : الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس محمود الفجال: ص٢٤

(٢) ينظر : نحو أجرومية للنص الشعري، سعد مصلوح: ص ١١٦

(٣) لسانيات النص ـ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي: ص ٥

(٤) نسيج النص، الأزهر الزناد: ص ٥

(٥) العلامة وتقنيات اللغة، علاء مناف: ص ٨

(٦) ينظر:التماسك النصي في سورة التوبة، خالد خميس فراج: ص ٣٢

(٧) من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح: ص ٤٠٨

جـ. التراكيب ومستويات الخطاب:

تنوعت التراكيب بين فعلية واسمية في مستويات الخطاب القدسي، وآدم وذريته هم أكثر مُخاطب خوطب في الأحاديث القدسية، وامتاز خطابه بشمولية المواقف والأزمنة، فقد خوطب آدم وذريته قبل الوجود والخلق، وفي الدنيا ووقت الحساب وقبيل دخول الجنة وفيها.

فبدأ الحوار مع آدم بالجمل الفعلية بعد أن نفخ فيه الروح فعطس، يقول ﷺ: ((لما نفخ الله في آدم الروح فبلغ الروح رأسه عطس، فقال: الحمد لله رب العالمين. فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله))[١] وقوله ﷺ ((خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم فقال للذي في يمينه إلى الجنة ولا أبالي وقال للذي في كفه اليسرى إلى النار ولا أبالي))[٢]، وقوله ﷺ: ((خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن))[٣].

وتأتي الجمل الفعلية في الحوار التعليمي لآدم في جمل قصار متلاحقة كقوله تعالى مخاطبا آدم بعد خلقه: ((اذهب، فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله..))[٤].

---

(١) حديث صحيح، أخرجه ابن حبان رقم ٢٠٨١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٩٩، رقم ١٤٠

(٢) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده: جـ٦،رقم ٤٤١ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٧٨، رقم ١٨٠

(٣) صحيح البخاري:٦٢٢٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص٢٠١، رقم ١٤١

(٤) صحيح البخاري، رقم ٦٢٢٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٢٠١، رقم ١٤١

أما خطابه تعالى لبني آدم فمبني على علاقة الربوبية والرحمة، ويدور خطابه لهم حول معاني المغفرة والترغيب في الخير والوعيد من الشر، وكثرت فيه أساليب الطلب المتضمنة لمعنى الشرط كقوله تعالى: ((يا ابن آدم قم إليّ أمش إليك، وامش إلي أهرول إليك))[١] وفي هذا النوع من الطلب بالأمر وجوابه قوة تأثير على المتلقي تدفعه إلى التفاعل مع النص والاقتناع به، كقوله تعالى: ((أنفق يا ابن آدم أنفق عليك))[٢]، تقدم الطلب على النداء لأهمية أمره وليكون تنبيها يقرع الآذان صداه.

كما كثر ورود أسلوب الشرط في هذا النوع من الخطاب بأداة الشرط غير الجازمة (لو) والتي تفيد الامتناع، امتناع الجواب لامتناع الشرط " والتركيب الذي تتصدره هذه الأداة يتسم بالطول، أو كما يسميه اللغويون بالتركيب الممتد المتداخل"[٣]، مثاله قوله تعالى: ((... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منك ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر...))[٤]، والجمل تتوالد وتنمو داخل هذا النوع من التراكيب بسلاسة وعذوبة، كما تترابط أيضا بأداة الشرط (إنْ) في قوله تعالى: ((يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك...))[٥].

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٣/ ٤٧٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٨، رقم٣٢

(٢) صحيح البخاري: رقم٥٠٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٧٣، رقم ١٢٠

(٣) الأحاديث القدسية، محمد متولي: ٧٣

(٤) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٤١، رقم ١٦٠

(٥) صحيح مسلم: رقم ١٠٣٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٧٥، رقم ١٢٢

وتتزايد كثافة الجمل الفعلية وقت قيام الساعة وحين الحساب، وأغلبها جمل مركبة، كقوله ﷺ: ((يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول نعم، فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تُشرك بي))[١].

وترد بعض الجمل فعلية بسيطة كقوله تعالى لعبده في الجنة: ((يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب خير منزل، فيقول: سل وتمنَّ...))[٢]، وأغلب الجمل الواردة في خطاب الرب لعباده ساعة الحساب تكون " صغرى تقوم على الابتداء والإخبار، أو الفعل وفاعله، وقلّ بل ندر أن يأتي كلامه تعالى في جملة كبرى، فالوقت ـ كما أرى ـ حساب يستلزم البساطة في الأداء"[٣].

وقد ترد بعض الجمل المركبة في النصوص السردية، لإيجاز الأحداث وسرعة سردها، يقول تعالى لآخر أهل الجنة دخولا لها: ((... هل عسيت إن أُعطيتَ ذلك أن تسألني غيره ...))[٤] وقوله تعالى له في حديث آخر: ((... أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها. قال: يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين)) [هنا ضحك الرسول ﷺ من ضحك رب العالمين] فيقول إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر))[٥].

---

(١) صحيح البخاري: ٦٥٥٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٥، رقم١٢

(٢) حديث صحيح أخرجه النسائي: رقم ٣٦/٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٠٦، رقم ٦٧

(٣) الأحاديث القدسية، محمد متولي أحمد: ٨١

(٤) صحيح البخاري رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسي، مصطفى العدوي: ص١٠٠، رقم٦٣

(٥) صحيح مسلم : رقم ١٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٨ ـ٩٩، رقم٦٢

وتكثر الجمل ذات المطالع المبدوءة بالفعل المبني للمجهول كقوله ﷺ: ((يُؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة فيقول اصبغوه صبغة في الجنة ...))[١] وقوله: ((يؤتى بالرجل من أهل الجنة يوم القيامة فيقول الله عز وجل يا ابن آدم كيف وجدت منزلك...))[٢].

وترد الجمل الاسمية في خطاب الله تعالى للعبد للدلالة على أن ما يذكر هو أمور ثابتة مؤكدة التحقق، فوردت الجمل الاسمية البسيطة في قوله تعالى: ((... أنا الملك، أين ملوك الأرض))[٣] والجملة الاسمية المركبة كقوله تعالى: ((... إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره))[٤] وقوله تعالى: ((... فإني أنساك كما نسيتني))[٥] وقوله تعالى: ((ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعط أجره))[٦] وقوله تعالى: ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل ماء فيقول الله اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك))[٧].

وتنوعت الجمل الطلبية في هذا المستوى من الخطاب، كقوله تعالى:((... اصبغوه صبغة في الجنة فيصبغونه فيها صبغة فيقول الله عز وجل يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط؟ أو شيئا

---

(١) حديث صحيح أحرجه أحمد في مسنده: رقم ١٣٥٩٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٢٢، رقم ٧١

(٢) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده: رقم ١٣٠٩٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٨، رقم ٦٩

(٣) صحيح البخاري: رقم ٤٨١٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٢٧، رقم ٨١

(٤) صحيح البخاري: رقم ٢٤٤١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٧٤، رقم ٤٦

(٥) صحيح مسلم: رقم ٢٩٦٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٢٤، رقم ٧٩

(٦) صحيح البخاري: رقم ٢١١٤ ، كتاب البيوع، باب إثم من باع حرا.

(٧) صحيح البخاري: ٢٢٤٠، كتاب الشرب والمساقاة.

تكرهه...))[1] وقوله تعالى للرجل من أهل الجنة: ((يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب خير منزل، فيقول: سل وتمنه...))[2] "وحساب الرب للعبد يأتي بطريقة الاستفهام" [3] يقول تعالى للعبد بعد أن تعرض عليه سجلات عمله: ((أتنكر من هذا شيئا ؟... أظلمك كتبتي الحافظون؟... أفلك عذر ...))[4].

ويأتي الاستفهام لإفساح المجال للعبد ليتكلم، ولتدار به عجلة الحوار، مثال ذلك حواره تعالى مع أدنى أهل الجنة منزلة: ((أترضى أن يكون لك مِثل مُلك مَلِكٍ من مُلوكِ الدنيا...))[5] وقوله تعالى لأرواح الشهداء التي تسرح في الجنة: ((هل تشتهون شيئا؟))[6] وقوله تعالى لأهل الجنة:((هل رضيتم؟))[7]. وأما من خوطب من أهل النار فكان الاستفهام له توبيخا وجاء مقترنا بـ (لو)، يقول تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة: ((لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟...)) فيجيب بنعم، فيكذبه ربه فيقول: ((أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي))[8] " وجاء استخدام أسلوب الجمل الفعلية المترادفة التي يوضح بعضها بعضا: [أهون من هذا]، [لا تشرك بي شيئا]، [أن لا تشرك بي] ليقطع أمر المخاطب في النجاة من النار " فتكرار الكلام على مثل هذا المتلقي

---

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم ١٣٣٩٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٢٢، رقم ٧٧

(٢) حديث صحيح أخرجه الإمام احمد في مسنده: رقم ١٣٢٥٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٠٨، رقم ٦٩

(٣) الأحاديث القدسية، محمد متولي أحمد: ٨١

(٤) حديث صحيح أخرجه الترمذي رقم ٢٦٣٩، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسي، مصطفى العدوي: ص٣٣، رقم ١٨

(٥) صحيح مسلم رقم: ١٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسي، مصطفى العدوي: ص٩٦ ، رقم ٦٠

(٦) صحيح مسلم: رقم ١٨٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٠٣، رقم ٦٥

(٧) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٩٢، رقم ٥٧

(٨) صحيح البخاري، رقم ٦٥٥٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٥ ، رقم ١٢

يُثبط ويبدد الأمل على خلاف ما لو قيل: أردتُ توحيدي فأبيتَ"[١] ومن الطلب بالأمر قوله تعالى للمؤمنين في مجادلتهم لإخراج إخوانهم الذين دخلوا النار: ((اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه)) [٢] .

وكانت الجمل الخبرية الاسمية في هذا المستوى من الخطاب ممهدة للحوار من ذلك قوله ﷺ: ((إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر...))[٣] وقوله: ((إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره...))[٤] وقوله ﷺ: ((أربعة يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة....))[٥] وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها...))[٦].

كما كثرت أساليب التقرير والتوكيد في خطابه تعالى مع عباده، مثال ذلك قوله تعالى مخاطبا القاتل: ((... إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه))[٧] وقوله تعالى للمشرك يوم القيامة: ((أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي...))[٨] وقوله

---

(١) الأحاديث القدسية، محمد متولي: ٨٩

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٣٤ـ ١٣٥، رقم ٨٨

(٣) حديث صحيح أخرجه الترمذي رقم ٢٦٣٩ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسي، مصطفى العدوي: ص٣٣، رقم: ١٨

(٤) صحيح البخاري: رقم ٢٤٤١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسي، مصطفى العدوي: ص٧٤، رقم٤٦

(٥) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده: جـ٢،ص: ٢٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٣، رقم ٢٨

(٦) صحيح مسلم: رقم ١٩٠٥ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسي، مصطفى العدوي: ص١٨، رقم ٧

(٧) حديث صحيح أخرجه النسائي: رقم ٣٩٩٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٧، رقم ١٧٣

(٨) صحيح البخاري: رقم ٦٥٥٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٥، رقم ١٢

تعالى يوم القيامة لمن اغتر بالدنيا ولم يؤمن بالله: ((فإني أنساك كما نسيتني...))[١] وقوله تعالى لآخر أهل الجنة: ((فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها))[٢].

ويخرج الاستفهام إلى التقرير، وهو حمل المخاطب على الاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه[٣] والهمزة والنفي هما مصدرا التقرير، ذلك أن الاستفهام إذا دخل على النفي صار إيجابا وتقريرا، ولا يبقى الاستفهام ولا النفي في المعنى[٤]، ومثال هذا التقرير في خطاب الله تعالى لعبده ساعة الحساب، يقول تعالى: ((ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد...))[٥] وقوله تعالى: ((أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل...))[٦].

وفي قوله تعالى لآخر أهل النار دخولا الجنة: ((ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أعطيت أبدا...))[٧] وفي هذا الحوار ملاطفة وتدرج في العطاء لإرضاء العبد بمنزله في الجنة "والملاطفة تبدو في إفساح المجال للحوار وإعطاء الفرصة للعبد أن يتكلم. لقد طلب العبد أولا أن يصرف الله وجهه عن النار. وكان للأمر أن ينتهي بصرف الوجه دون السؤال: ((هل عسيت إن أُعطيتَ ذلك أن تسألني غيره)) وبعد أن يصرف الله وجهه يدعو ويسأل أن يدنيه من باب الجنة، وكان للأمر أيضا أن ينتهي بتقريبه من بابها دون السؤال: ((ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت)) وهكذا عندما طلب

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٩٦٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسي، مصطفى العدوي: ص١٢٤، رقم ٧٩

(٢) صحيح البخاري: رقم ٦٥٧١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٩٧، رقم ٦١

(٣) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام: جـ١،ص: ٦١

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي : جـ٢،ص٧٦

(٥) حديث صحيح أخرجه الترمذي في سننه: رقم ٣٣٥٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسي، مصطفى العدوي: ص١٣٠، رقم ٨٦

(٦) صحيح مسلم: رقم ٢٩٦٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسي، مصطفى العدوي: ص١٢٤ ، رقم ٧٩

(٧) صحيح البخاري رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسي، مصطفى العدوي: ص١٠٠ ـ ١٠١، رقم ٦٣

العبد أن يدخله الجنة، ولكن المولى يلاطف عبده، وأيضا كان يمكن بمجرد أن يطلب العبد صرف وجهه عن النار أن يتفضل عليه فينبذه في الجنة دون هذا التدرج" [١].

وتتنوع كذلك مستويات الخطاب في الأحاديث القدسية في خطاب الله تعالى لرسله، وأكثر من خوطب منهم هو محمد ﷺ، نبي هذه الأمة وخاتم الرسل، وتميز الخطاب الإلهي بالتنوع بين الجمل البسيطة كقوله تعالى في فرض الصلوات الخمس: ((هي خمس وهي خمسون))[٢] والجمل المركبة في هذا المستوى من الخطاب في قوله تعالى مخاطبا نبيه: ((إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك))[٣] فجاء الخبر جملة فعلية (سنرضيك في أمتك)، وجاء التركيب مرة بصورة أعقد في قوله تعالى: ((إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد))[٤] فجملة (لا يرد) جزء في تركيب الجملة الكبرى (فإنه لا يرد)، وهذه عضو في الجملة الشرطية (إذا ... يرد)، وهذه عضو في الجملة الأم التي تبدأ بـ (إني ...)[٥].

كما تميز الخطاب الإلهي في هذا المستوى بالمطالع الندائية، مثاله قوله تعالى: ((يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد))[٦] ومضمون النداء غالبا ما يأتي في صورة طلب (أمر أو استفهام) مثال الأمر قوله تعالى في حديث الشفاعة: ((يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع))[٧] ومن الاستفهام قوله تعالى مخاطبا نبيه بعد أن أعجب بكثرة أمته: ((يا محمد أرضيتَ؟ قلت: نعم أي ربّ، قال: ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير

---

(١) الأحاديث القدسية، محمد متولي أحمد: ٨٦

(٢) صحيح البخاري: رقم ٣٤٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٦٢، رقم ١١٠

(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٠٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٢ ، رقم:١٠٣

(٤) صحيح مسلم:رقم ٢٨٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥١ ، رقم: ١٠٢

(٥) ينظر الأحاديث القدسية، محمد متولي أحمد: ص ٥٠

(٦) صحيح مسلم: رقم: ٢٨٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥١ ، رقم: ١٠٢

(٧) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٠ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٤ ، رقم ٩٥

حساب...))[1]، وبالجملة المؤكدة، كقوله تعالى يبشر الرسول ﷺ في أمته: ((إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك))[2].

وقوله تعالى: ((وإني أعطيت لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة...))[3] أي بالقحط، وقوله تعالى في حواره مع نبيه في حديث الإسراء والمعراج: ((إني قد أمضيتُ فريضتي وخففتُ على عبادي وأجزي الحسنة عشرا...))[4] وقوله تعالى مخاطبا نبيه فيمن يمنع من أمته من ورود حوضه ﷺ: ((إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى))[5].

كما وجدت الجمل الطلبية في هذا المستوى من الخطاب الإلهي فالجمل الطلبية المتضمنة معنى الشرط وردت في قوله تعالى: ((قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع))[6] وورد الاستفهام خارجا عن معنى الطلب إلى وسيلة لتعليم الرسول ﷺ غيبيات الأمور، كقوله تعالى: ((فيم يختصم الملأ الأعلى)) [7] فالله تعالى يسأل ثلاثا، ومن ثم الرسول ﷺ يجيب بعد أن أوحى إليه: ((قلت في الكفارات، قال ما هن؟ قلت: مشي الأقدام إلى الحسنات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء حين الكريهات. قال: فيمَ؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة والناس نيام...)) [8].

---

(١) حديث صحيح أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم: ٦٢١٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٤ ، رقم ١٠٥

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٠٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٢، رقم: ١٠٣

(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٨٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥١، رقم ١٠٢

(٤) صحيح البخاري: رقم ٣٢٠٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٥٢ـ ١٥٣، رقم ١٠٤

(٥) صحيح البخاري: رقم ٦٥٨٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٤٠ـ ١٤١، رقم ٩٢

(٦) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٤، رقم ٩٥

(٧) حديث صحيح أخرجه الترمذي في سننه: رقم ٣٢٣٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٠ ، رقم ١٥٥

(٨) حديث صحيح أخرجه الترمذي في سننه: رقم ٣٢٣٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٠ ، رقم ١٥٥

وفي مستوى خطابه تعالى للملائكة تدور معاني الخطاب حول ما يُكتب على الإنسان من حسنات وسيئات، وحول مباهاة الله ملائكته بعباده الصالحين من ذلك قوله تعالى: ((إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة)) [١] وقوله تعالى: ((انظروا لعبدي من تطوع فإن وجد له تطوع قال: أكملوا به الفريضة))[٢]. وقوله تعالى: ((انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة، وهم ينتظرون أخرى))[٣].

وأغلب الجمل فعلية بسيطة لأنها في سياق أوامر من الله تعالى لكتبته، وعباده في الملأ الأعلى، وهي أوامر وردت بصيغة فعل الأمر (انظروا) في أغلبها، حتى في سياق المباهاة بعبادة، كقوله تعالى في فضل المؤذن: ((انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم يخاف مني قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة))[٤] ويرد الأمر بالكتابة كقوله تعالى في حديث عذاب القبر ومقارنته بين حال العبد المؤمن والكافر في القبر: ((اكتبوا كتاب عبدي في عليين ... اكتبوا كتابه في سجين...))[٥] وقوله تعالى لملائكته: ((... وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة))[٦] ومما جاء من أمر كذلك قوله

---

(١) صحيح البخاري، رقم ٧٥٠١، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧ ، رقم١

(٢) حديث صحيح أخرجه النسائي: جـ١، ص٢٣٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٠، رقم١٢٨

(٣) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه، رقم ٨٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٣، رقم ١٣١

(٤) حديث صحيح، أخرجه أبو داود: رقم ١٢٠٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٠و ١٨١، رقم١٢٩

(٥) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده: جـ٤،ص٢٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٥ ، رقم ٧٣

(٦) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧

تعالى لملائكته في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين: ((قيسوا، فوجدوا إلى هذه أقرب بشبر فغفر له))[١] .

وترد الجمل الطلبية بالاستفهام كقوله تعالى في فضل صلاة الفجر والعصر: ((فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون))[٢]. وفي حواره تعالى مع ملائكته التي تطوف في الطرق تلتمس مجالس الذكر: ((فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم منهم، ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا، قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم...))[٣]. وثمة بصمة أسلوبية تبدو في حواره تعالى مع ملائكته وهي " سؤال العارف وهو الله إلى من يعرف وهم الملائكة، إنه عارف وعالم بما يسأل... ولعل في هذا الحوار طريقة تعليمية، فالهدف في النهاية أن يصل إليّ وإليك مضمون هذا الحوار "[٤].

ووردت الجمل الخبرية المؤكدة في خطاب الله للملائكة، كقوله تعالى: ((قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة))[٥] وقوله تعالى: ((قد قضوا فريضة، وهم ينتظرون أخرى))[١] وقوله تعالى في

---

(١) صحيح البخاري: رقم: ٣٤٧٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص٣٧

(٢) صحيح البخاري، رقم ٥٥٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨١، ١٨٢

(٣) صحيح البخاري، رقم ٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٥٩

(٤) الأحاديث القدسية، محمد متولي أحمد : ص٦١

(٥) حديث صحيح، أخرجه أبو داود رقم: ١٢٠٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٠- ١٨١، رقم ١٢٩

حواره مع الملائكة لتبرير أمر تحيتهم للفقراء والمهاجرين الذين هم أول من يدخل الجنة: ((إنهم كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئا وتسد بهم الثغور...))[٢].

وقليلا ما ترد الجملة المركبة في خطاب الملائكة، من ذلك الجملة المركبة الشرطية، في قوله تعالى: ((إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة))[٣]. وجاء الخبر جملة اسمية في قوله تعالى: ((إنهم كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئا وتسد بهم الثغور...))[٤].

وفي مستوى خطاب الله تعالى لباقي مخلوقاته كالشمس والجنة والنار والقلم والرحم، تنوعت الجمل بين اسمية وفعلية، وبسيطة ومركبة. ومن الجمل الفعلية البسيطة بمطالع فعل الأمر، قوله تعالى للشمس قبيل يوم القيامة: ((اطلعي من حيث غِبْتِ...))[٥] وقوله تعالى للقلم: ((اكتب، قال: ربِّ وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة))[٦]. ومن الجمل البسيطة المضارعة قوله تعالى لأرض القريتين في قصة الرجال الذي قتل تسعة وتسعين إنسانا: ((فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي))[٧].

---

(١) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه: رقم ٨٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٣

(٢) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم ٦٥٧٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٦٥، رقم ١٧١

(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧،قم١

(٤) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم ٦٥٧٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٦٥، رقم ١٧١

(٥) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم٢١٤٩٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٨٦، رقم ١٨٢

(٦) حديث صحيح لغيره أخرجه أبو داود: رقم ٤٧٠٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٩٢، رقم ١٣٦

(٧) صحيح البخاري: رقم ٣٤٧٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٣٧، رقم ٢٢

ومن الجمل المضارعة المركبة قوله تعالى للرحم: ((أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك ...))[١]، فقوله تعالى (فهو لك) جملة بسيطة اسمية، ومن الجمل الاسمية البسيطة قوله تعالى للجنة والنار: ((قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادي))[٢]، فالجملة الاسمية البسيطة في قوله (أنت رحمتي ، وأنت عذابي) تدل على الثبات وجاءت متلوة بجملة فعلية تفسرها" ولعل في هذا طمأنينة للسائلين فالاسمية آكد من الفعلية والتعبير بها يؤدي إلى تحقق وتمكين المعنى في نفس السامع، فلا يخالجه ريب"[٣] .

د ـ الاتساق النحوي في الخطاب

إن دراسة المستوى النحوي (التركيبي) يرتكز على دراسة الاتساق في النص، والاتساق يقوم على ملاحظة ووصف وسائل الترابط والتماسك بين العناصر المشكلة للنص، كالضمائر، والإحالات، والروابط اللفظية والمعنوية وغيرها. والاتساق يتآزر مع مجموعة من الأنظمة النصية الأخرى للوصول إلى ما يطلق عليه (كلية النص) أي أن النص كل لا يتجزأ [٤]، وهو يختص بالترابط في المستوى الشكلي/الرصفي "وتتحقق بالاتساق العلاقات الخطابية التي تتحكم في البنية النحوية، ودخول البنية النحوية يحقق الهدف النظمي، دون إغفال الجوانب الدلالية، بل إن غياب التركيب النحوي يؤدي بالضرورة إلى فقدان الجوانب الدلالية " [٥]، ولا يمكن الاعتماد على الاتساق في التركيب النحوي فقط لفهم كل معطيات النص، وإنما هو خطوة أولى في درج

(١) صحيح البخاري: رقم٥٩٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٢، رقم١٥٦

(٢) صحيح البخاري: رقم٤٨٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٢٠، رقم ٧٦

(٣) الأحاديث القدسية، محمد متولي أحمد: ص٤٠

(٤) الإحالة في نحو النص ـ دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي، ص: ٥٢٩

(٥) ينظر : الاتساق النصي في التراث القديم، نعيمة سعدية، ص:١٠

الارتقاء لفهم النص، والولوج إلى دلالة المعنى في البنية العميقة، ويشكل هو والانسجام كلا متكاملا للفهم النصي.

ومن أهم القضايا اللغوية التي شغلت علماء اللغة المسلمين، هي الكيفية التي يتسق بها النص في الخطاب الرباني القرآني المعجز في نظمه، وكيف يترابط في لفظه مشكلا نصا متماسكا وكلا موحدا. والحديث القدسي هو خطاب رباني يعكس الخطاب الواقعي لاستعمال اللغة، وهو خطاب عام بأسلوب فني، وتماسكه الكلي يعتمد على عدة عناصر، منها الروابط وبالأخص الروابط اللفظية، فما هو الاتساق لغة واصطلاحا؟ وما علاقته بالروابط اللفظية، وما دوره في تماسك البنية النحوية في نصوص الأحاديث القدسية؟

الاتساق لغة جاء بمعنى ضم الشيء إلى بعضه، والجمع والانتظام، والاستواء الحسن(١)، واصطلاحا هو " التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/ خطاب ما، يهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته... ومن أجل وصف اتساق الخطاب/النص يسلك المحلل الواصف طريقة خطية... راصدا الضمائر والإشارات المحيلة إحالة قبلية أو بعدية، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف والاستبدال والحذف والمقارنة والاستدراك... كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص/الخطاب (المعطى اللغوي بصفة عامة) يشكل كلا متآخذا "(٢).

والاتساق أحد معايير النصية التي يعتمد عليها نحو النص، والتي ترتكز على أساس هو أن النص مكون من متتاليات من الجمل تنشأ بينها علاقات تماسك عن طريق عناصر نحوية أو صوتية أو معجمية أو دلالية، وهذه العناصر مع بعضها تكون كلا متماسكا، والفصل بينها هو فصل إجرائي تقتضيه مراحل الدراسة التي تبدأ بتفكيك الكل لفهم تفاصيله ودقائق معانيه الكلية. ويشمل الاتساق تناسق المباني اللفظية في النص وترابطها من خلال الروابط اللفظية

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٥، ص: ١٢٠ ـ مادة: وسق

(٢) لسانيات النص ـ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي: ص٥

الظاهرة على سطح النص، وهذه الروابط تمثل خيوطا دقيقة، تسهم في تقوية النسيج النصي وتعمل على تماسكه، ليكون نصا وخطابا تاما محتفظا بكينونته واستمراريته[١].

والاتساق هو" المعيار المسئول عن ترابط البنية اللفظية والتركيبية للنص"[٢] من خلال تتابع هرمي يبدأ بالبنى الصغرى، وصولا للبنية الكبرى التي تشمل النص كله، وهو " ذلك الترابط بين التراكيب والعناصر اللغوية المختلفة لنظام اللغة، حيث تتآزر التراكيب والعناصر لتشكل وحدة متآلفة متناسقة، بما تلعبه مختلف الروابط من دور في تلاحم الجمل بعضها ببعض... وهو أحد معايير النصية وأهمها " [٣].

وهو من المصطلحات الجديدة التي جاءت بها نظرية تحليل الخطاب في العصر الحديث، وهو كمصطلح جديد في لفظه إلا أن جذوره ضاربة في أعماق الإرث اللغوي العربي، حين كان يسمى بالسبك، وقد ذكره أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) وعرفه بقوله: " وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره ... ولهذا قيل: خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض"[٤]، ويقول الجاحظ: " وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان" [٥]، ويكون السبك بالروابط النصية التي تظهر النص في بنية كلية واحدة.

ومن المفاهيم التي تقترب من معنى الاتساق في الدرس العربي القديم، مفهوم (النظم) الذي توسع في بيانه عبد القاهر الجرجاني (٤٧هـ) في كتابه (دلائل الإعجاز)، والذي يعرفه بقوله: " اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه

---

(١) ينظر: الأحاديث القدسية ـ دراسة لغوية نصية، بخيت فوزي جاب الله: ص ٥٨

(٢) الأمثال القرآنية دراسة في معايير النصية ومقاصد الاتصال، د. فتحي محمد اللقاني: ص ٧٥

(٣) ينظر: الاتساق النصي في التراث القديم، نعيمة سعدية: ص ٧

(٤) البديع في نقد الشعر: ص١٦٣

(٥) البيان والتبيين: جـ١، ص ٥٥

وأصوله" [1] والنظم عنده تعليق الكَلِمِ بعضه ببعض وجعل بعضه سببا لبعض، وكيفية تركيب الكلام انطلاقا من الجملة البسيطة والتي يمثل لها بقوله (زيد منطلق) فالمركبة والتي يمثل لها بجملة الشرط في قوله (إن تخرج أخرج، وإن خرجتَ خرجتُ) وصولا إلى نظم النص كله.

وبهذا يكون اللغويون القدماء قد تعرضوا لمفهوم الاتساق بشكل موزع بين أبواب القضايا النحوية المختلفة، إلا أنهم قصروا حديثهم عنه على مستوى الجملة، كما فعلوا مع النحو حين جعلوه مرتكزا على دراسة الجملة " فهم يركزون في قضية الاتساق على مستوى الجملة فقط، حيث نجد في تعرضهم لقضية الإسناد، يركزون على الابتداء والفاعلية وغير ذلك مما يتعلق بالجملة، ويلحون على وجود الرابط في جملة الصلة، والخبر الجملة . وهذا بعينه . تأكيد على ضرورة الاتساق، لكنه على مستوى ضيق، باعتبار أن النحو السائد قبل نحو النص، هو نحو الجملة" [2].

هـ ـ دور الرابط النحوي في اتساق الخطاب

هناك آليات عديدة تؤدي إلى اتساق النص وترابطه وتلاحم أجزائه، ويدرك الاتساق والتماسك النصي من خلالها، فما هو الربط؟ وما هي أدواته؟ وما دوره في تحقيق اتساق النص وتماسكه؟

الربط لغة التلاحم والتقييد والجمع، وورد في لسان العرب بمعنى الشد " ربط الشيء يربطه ربطا، فهو مربوط وربيط، أي شده، والرباط ما ربط به، والجمع: رُبُط" [3]، ولابد للربط من وسيلة تسمى (الرباط) وهذا هو الدور الذي تقوم به الروابط النحوية، وفي الاصطلاح النحوي الربط يطلق على العلاقات القائمة بين المفردات والتراكيب النحوية، ويطلق على الحروف والأدوات مصطلح الروابط، لأنها تربط بين أجزاء الكلام وتوحد بينها في سياق متصل، وتساعد

---

(١) ص:٨١

(٢) الاتساق النصي في التراث القديم، نعيمة سعدية: ص٦

(٣) ابن منظور: جـ ٤، ص: ١٨٠ ـ مادة (ربط)

على جمع شمله، وبدونها يصير الكلام مفككا "[١]. فالروابط إذا هي الوسائل التي تربط بين الجمل في التركيب النحوي وفي البنية السطحية ليكون طريقا للولوج للبنية العميقة الكامنة في النص، وتخلق علاقات بين متواليات الجمل، ينمو بها النص ويتسع.

ويطلق مصطلح (الرابط) عند النحاة على مجموعة من البنى الصرفية التي يؤدي وجودها في الكلام إلى إحداث الألفة والتماسك بين عناصر التركيب، بعد أن كانت ألفاظا لها مجرد المجاورة[٢]، والترابط هو نتاج عملية الربط، وقد فرق الدكتور مصطفى حميدة بين مفهومي الربط والارتباط بقوله: " فأما الارتباط فهو نشوء علاقة نحوية سياقية وثيقة بين معنيين دون اللجوء إلى واسطة لفظية تُعلق أحدهما بالآخر، فهي أشبه بعلاقة الشيء بنفسه، وأما الربط فهو اصطناع علاقة نحوية سياقية بين معنيين باستعمال واسطة تتمثل في أداة رابطة تدل على تلك العلاقة، أو ضمير بارز عائد، ويكون الربط إما لأمن لبس الانفصال أو لأمن لبس الارتباط، وأما الانفصال فهو انعدام العلاقة الدلالية والنحوية بين معنيين " [٣]. فيكون الربط بوسائل لغوية محسوسة متلفظ بها أوجدها النظام اللغوي، لاصطناع علاقة نحوية سياقية باستعمال أداة الربط، وأما الارتباط فهو علاقات معنوية إسنادية تربط الجمل ببعضها من دون أداة.

ودراسة الروابط محل عناية علماء العربية القدماء، ولو أنهم لم يفردوا لها مؤلفات خاصة كما فعل المتأخرون، إلا أنهم أسسوا علمها حتى استوت ونضجت في اللسانيات الحديثة، وابن السراج (ت٣١٦هـ) من أوائل الذين استخدموا مصطلح (الربط النحوي) في كتابه (الأصول في النحو)[٤] وأشار إلى مسألة الربط بالحرف، يقول في باب مواقع الحروف: " اعلم أن الحرف لا يخلوا من ثمانية مواضع: إما أن يدخل على الاسم وحده مثل: للرجل، أو الفعل وحده مثل سوف، أو ليربط اسما باسم، أو فعلا بفعل، أو فعلا باسم، أو على كلام تام، أو ليربط جملة

---

(١) الروابط اللفظية ـ تنظير وتطبيق، إبراهيم محمد خفاجة: ص ٦
(٢) ينظر: الرابط اللفظي في لغة الحديث الشريف، حامد على منيفي: ص ٩
(٣) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ص ١٢٨
(٤) جـ١، ص٩١

بجملة، أو يكون زائدا ... أما ربطه الاسم بالاسم فنحو قولك: جاء زيد وعمرو، فالواو ربطت عمرا بزيد، وأما ربطه الفعل بالفعل فنحو قولك: قام وقعد، وأكل وشرب، وأما ربطه الاسم بالفعل فنحو قولك: مررت بزيد، ومضيت إلى عمرو، وأما ربطه جملة بجملة فنحو قولك: إن يقم زيد يقعد عمرو، وكان أصل الكلام: يقوم زيد، يقعد عمرو، وليس متصلا بيقعد عمرو ولا منه في شيء، فلما دخلت (إن) جعلت إحدى الجملتين شرطا والأخرى جوابا" [١] فركز في كلامه عن الربط النحوي على الربط بين عناصر الجملة الواحدة وكلماتها.

وابن يعيش (٦٤٣هـ) في (شرح المفصل) تطرق إلى فائدة حرف العطف في الربط بين الجمل بقوله: " والغرض من عطف الجمل ربط بعضها ببعض، واتصالها، والإيذان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية عن الأولى والأخذ في جملة أخرى ليست من الأولى في شيء، وذلك إذا كانت الجملة الثانية أجنبية من الأولى غير ملتبسة بها وأريد اتصالها بها فلم يكن بد من الواو لربطها بها" [٢].

والربط عند ابن يعيش وإن تعدى الربط بين الكلمات إلى الربط بين الجمل فهو لم يصل إلى مستوى النص كله، ومع ذلك الفراء (٢٠٧هـ) في كتابه (معاني القرآن) كانت له بوادر إيماءات للربط على مستوى النص[٣]، في قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ...﴾[٤] فذكر الإحالة إلى متقدم في النص، حين جعل مرجع الضمير المتصل (الهاء) من قوله تعالى (يأتيكم به) هو لفظ (الهدى) المتقدم عليه بعشر آيات في قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [٥] وقد عبر عن معنى الإحالة بعود

---

(١) الأصول في النحو: جـ١، ص٩١
(٢) شرح المفصل: جـ٣، ص٧٤ ـ ٧٥
(٣) معاني القرآن، الفراء: جـ١،ص ٣٣٥
(٤) سورة الأنعام: ٤٦
(٥) سورة الانعام: ٣٥

الضمير بلفظ الكناية، مما يبين إدراك القدماء لفكرة الربط خارج حدود الجملة لتشمل الخطاب كله، وارتكاز الضمائر عند بؤرة النص التي تمثل غرض الخطاب.

وأفرد ابن هشام فصولا مستقلة لدراسة الروابط، في كتابه (مغني اللبيب) وخصص لها مبحثين: الأول (روابط الجملة بما هي خبر عنه) وذكر فيه جملة من الروابط هي: الضمير، والإشارة، وإعادة المبتدأ بلفظه، وإعادة المبتدأ بمعناه، والعموم، و(ال) النائبة عن الضمير، وكون الخبر نفس المبتدأ في المعنى، وذكر فيه أدوات الربط كالواو والفاء. والمبحث الثاني (الأشياء/التراكيب التي تحتاج إلى رابط) عرض فيه أحد عشر موضعا يحتاج إلى ربط، منها: الجملة المخبر بها، وبين أن روابطها عشرة، والجملة الموصوف بها ولا يربطها إلا الضمير، والجملة الموصول بها الأسماء، والجملة الواقعة حالا، والجملة المفسرة لعامل الاسم المشتغل عنه [١].

أما البلاغيون القدماء فالربط عندهم يمثله مصطلح (الوصل والفصل) والوصل هو الربط بأدوات الربط كحروف العطف، والفصل هو الربط البياني، ومسألة الربط في نحو الجملة ارتكزت على أدوات الربط عند النحاة كالضمير العائد، واو الحال، اسم الإشارة، الاسم الموصول، أدوات العطف، أدوات الاستئناف، أدوات الشرط الجازمة، وأدوات التفسير[٢] .

والجرجاني في تأسيسه لنظرية النظم اعتمد على أساس الربط، فذكر في كتاب (دلائل الإعجاز) بعض أدوات الربط اللفظية كـ (الواو، والفاء، وثم، ولكن، وبل)[٣] وعنده التركيب يعتمد على التعليق بواسطة الروابط اللفظية والمعنوية، وكذلك القرطاجني (٦٨٤هـ) في كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) تطرق للروابط المعنوية التي تعمل على تماسك القصيدة الشعرية،

---

(١) ينظر: مغني اللبيب: جـ٢، ص٥٧٨ ـ ٥٨٦

(٢) انظر: نظام الربط في النص العربي، جمعة عوض الخباص، ص:١٢

(٣) دلائل الإعجاز: ص ٨٥ ـ ١٠٢

والتي تشد أجزاء القصيدة بروابط نسيجية معنوية يحددها سياق النص، والسياق النفسي للمتلقي، كعلاقة الجزء والكل، والعام والخاص [1].

فالرابط عنصر مهم في النظرية النحوية العربية، له دور أساسي في انتظام المفردات والجمل وفهم معناها، والروابط نوعان، الأول هو الرابط المعنوي، وهو رابط دلالي يتجاوز المستوى السطحي إلى مستوى مجموعة المفاهيم الرابطة بين مكونات النص ك (كالإسناد، والرابط السياقي، وحركات الوجه واليدين). والنوع الثاني هو الرابط اللفظي، وهو المقصود بالدراسة في هذا الفصل ك (الضمائر والحروف)، وهي آليات شكلية تربط بين أجزاء النص على المستوى السطحي.

والروابط اللفظية هي أدوات تربط الجمل والفقرات بعضها ببعض، وتلاحم أجزاءها، فيولد منها النص المتسق، والربط بها من أهم العناصر الفاعلة في الترابط النصي وتماسك أجزائه، وهي موضع الدراسة في هذا البحث.

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، القرطاجني: ص٢٢٢

المبحث الثاني: الاتساق بالروابط النحوية في الأحاديث القدسية

إن أدوات الربط النحوي، هي وسائل لفظية تعمل على ترابط النص لتحقيق اتساقه وتماسكه، ولا يمكن فهم تركيب ما إلا من خلال بنيته النحوية في سياقها اللغوي والحالي، ومن أبرز عناصر الربط النحوي:

١. الإحالة .

٢. الربط بالأدوات.

٣. الاستبدال.

٤. الحذف.

٥. التوازي التركيبي.

ودراسة الروابط النحوية في الأحاديث القدسية هي دراسة تطبيقية على نصوص قدسية محكمة الصياغة تجاوزت حدود الفصاحة العربية، واستقراء هذه الروابط في واقعها اللغوي وخطابها الحي الذي قيلت فيه، له دور في فهم العلاقات القائمة بين المفردات والجمل والتراكيب النحوية المختلفة، ذلك أن الروابط هي أول خلية في نسيج النص المحكم، وأول المراقي في دراسة قدسية هذه النصوص.

وهدف الدراسة في هذا الفصل هو استخراج الروابط النحوية التي ساعدت على اتساق بنية النصوص القدسية، للوقوف على كيفية الترابط النصي، وطبيعة النظام اللغوي المشكل لنصوص الأحاديث القدسية الصحيحة، وللوصول إلى القيمة الدلالية اعتمادا على التعاضد والتكامل بين الشكل والمعنى معا.

أولا: الاتساق بالإحالة

الإحالة مصطلح قديم المفهوم، لكن التوسع في استخدامه وفي تطبيقاته يعتبر جديدا من هذه الزاوية [١]، وهو من أهم المصطلحات الواردة في نحو النص، لما له من دور في الربط النصي على مستوى التركيب والدلالة، فبالإحالة تتحول الكلمات والجمل المتجاورة إلى نص متماسك، وتعتبر الإحالة مادة أولية يتكئ عليها محلل النص ليثبت مدى اتساق نصه، وهي من أهم الأدوات التي تحقق الاتساق، و" تتوفر في كل لغة طبيعية عناصر تملك خاصية الإحالة" [٢]. فما المقصود بالإحالة؟ وما أثرها في تحقيق الاتساق والتماسك في الحديث القدسي؟

الإحالة لغة: جاء في لسان العرب: " المِحال من الكلام: ما عدل به عن وجهه، وحوله جعله محالا: وأحَال أتى بمحال، ورجل مِحوال: كثير محال الكلام ... ويقال أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته... والمحال الكلام لغير الشيء... والحوال كل شيء حال بين اثنين... حال الرجل يحول تحول من موضع إلى موضع" [٣].

واصطلاحا: الإحالة من أهم أدوات الاتساق النصي ويقصد بها " وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وإنما تحيل إلى عناصر أخرى، لذلك تسمى عناصر محيلة مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة..."[٤] فيرتبط المعنى المعجمي بالمعنى الاصطلاحي الذي يحيل فيه العنصر الإحالي إلى عنصر إشاري يفسره ويحدد دلالته، والإحالة عملية تربط بين الجمل والعبارات والنصوص وهي العملية التي تحيل فيها اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها أو متأخرة، تربط بين البنى النصية الصغرى، لتجعلها تتعلق فيما بينها لتنتج نصا مترابطا،

---

(١) ينظر: الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي: جـ٢، ص ٥٢٣
(٢) لسانيات النص، محمد خطابي: ص١٧
(٣) ابن منظور: مادة ـ حول
(٤) الإحالة النصية دراسة نظرية، شريفة بلحوت: ص: ٣٣

وتخضع الإحالة لقيد دلالي هو مبدأ المطابقة والاتفاق بين المحيل والمحال عليه في النوع والعدد(١).

ويعرف الدكتور أحمد عفيفى الإحالة بأنها رابط لفظي وعمله في الجانب الدلالي أقوى في الربط من الجانب السطحي للنص، فالإحالة عنده " علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق أو ما يدل عليها المقام، وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم، مثل الضمير واسم الإشارة واسم الموصول الخ. حيث تشير هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة، قصدت عن طريق ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف لغوية أو غير لغوية... وتسهم الإحالة في الكفاءة النصية، فهي من أهم وسائل سبك العبارات لفظا دون إهدار لترابط المعلومات الكامنة تحتها" (٢).

ويرى الدكتور الأزهر الزناد أن العناصر الإحالية قسم من الألفاظ المبهمة فلا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء الخطاب وشرط وجودها هو النص(٣)، فتكون أدوات الإحالة مبهمة لا تحمل معنى خاصا مستقلا بها، ولفهمها لا بد من إسنادها والبحث عن ما تحيل إليه في النص عبر السياق، أو عبر وحدات معجمية داخل النص، تأتي عوضا عنها كالاسم أو الفعل أو المركبات الجملية في النص.

وعناصر الإحالة هي المتكلم أو كاتب النص، واللفظ المحيل (أداة الإحالة) ويسمى العنصر الإحالي، والمحال إليه ويسمى أيضا (العنصر الإشاري) وهو عبارة عن لفظ لا يحتاج لعنصر مفسر في النص، وهو نوعان نوع داخلي يتحدد بكلمات النص، ونوع خارجي يحدده السياق، والعلاقة بين اللفظ المحيل والمحال إليه هي علاقة التطابق والاتفاق في المرجع.

---

(١) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي: ص١٦ ـ ١٩

(٢) الإحالة في نحو النص ـ دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي: جـ٢، ص ٥٢٧

(٣) ينظر: نسيج النص: ص١١٨

وبهذا تكون الإحالة وسيلة اتساقية، تجعل النص لحمة واحدة، وكلا واحدا لا يتجزأ، فمعرفة المحال إليه، وربطه بين السابق واللاحق ضرورة يتحقق بها اتساق النص وتلاحم نسيجه، والأصل في الإحالة تكرار لفظ بذاته، بهدف الإيجاز فيحال إليه بالإضمار، أو الإشارة إليه " ومن المزايا المهمة للإحالة أنها قادرة على صنع جسور كبرى للتواصل بين أجزاء النص المتباعدة والربط بينها ربطا واضحا، وهذا يؤكد أهمية الإحالة في الربط النصي " [١].

وللإحالة أنواع ثلاثة[٢] هي:

١. إحالة حسب مدى قرب الضمير من المرجع وهي نوعان: إحالة ذات مدى قريب، تكون على مستوى الإحالة داخل الجملة، وإحالة ذات مدى بعيد، وتكون على مستوى الجمل المتباعدة داخل النص.

٢. إحالة حسب نوع المحال إليه، وهي نوعان: إحالة معجمية: وهي أن يكون العنصر الإشاري/ المحال إليه، لفظا معجميا مفردا. وإحالة نصية: وهي أن يكون المحال إليه تركيبا واردا في بنية النص، أو يكون جملة، أو مركبا نحويا.

٣. إحالة حسب موقع المحال إليه، وهي نوعان:

. إحالة خارجية: وهي أن يكون المحال إليه غير مذكور لفظا في بنية النص، وإنما يكشفه السياق المقامي، وهذا النوع غير مرتبط نحويا بالنص، ولكن نظرا لأهميته في إحداث الترابط النصي للقارئ/ المستمع، يدخل ضمن العناصر المؤثرة في سياق النص، التي تجعل القارئ أو المستمع يشعر بأن النص كل واحد، وليس مجموعة من الجمل المتجاورة.

. وإحالة داخلية: وهي أن تحيل أدوات الإحالة إلى مكون لفظي داخل النص، وهي من حيث رتبة الضمير ومرجعه تنقسم إلى إحالة قبلية عائدة إلى متقدم في النص (بالضمير المستتر)

(١) الإحالة في نحو النص ـ دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي: ص ٥٢٩
(٢) ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص: ص ١١٨ ـ١١٩

وإحالة بعدية عائدة إلى متأخر في النص (بالضمير المنفصل، وضمير الشأن والقصة) يتم تحديده من خلال السياق المقالي للنص، وفيما يلي توضيح ذلك:

. الإحالة القبلية: أن تحيل أدوات الربط الإحالي إلى محال إليه مفسر سبق التلفظ به في النص، وهي " الإحالة السابقة أو الخلفية التي تستخدم فيها كلمة كبديل لكلمة أو مجموعة من الكلمات السابقة لها في النص" (١)، وهذا النوع من الإحالة اهتم به نحاة العربية، عندما اشترطوا رجوع الضمير المطابق للاسم إذا كان بين الجملتين رابط (٢)، وهو من أهم الروابط بين الجمل وبين الوحدات النصية، واشترطوا " عود الضمير على مرجع واحد سابق له، لأن هذا الأقرب في الكلام، وذلك لأن الضمائر كلها لا تخلوا من إبهام وغموض سواء للمتكلم أو للمخاطب أم للغائب، إذ لا بد لها من شيء يزيل إبهامها ويفسر غموضها" (٣).

. الإحالة البعدية: وهي النوع الثاني من الإحالة النصية الداخلية، تستخدم فيها " كلمة كبديل لكلمة أو مجموعة من الكلمات التي تليها في النص "(٤)، فتعود أداة الإحالة على محال إليه مذكور بعدها.

والروابط الإحالية هي الألفاظ التي من خلالها تتحقق الإحالة، وهي ألفاظ ليست لها دلالة مستقلة في النص، ويتحدد معناها من خلال عنصر آخر تحيل إليه يوضح معناها، وقد ذكر هاليداي ورقية حسن تقسيما لأدوات الإحالة، وهي عندهما أربعة أقسام (٥):

أ. الضمائر.

ب . أسماء الإشارة

---

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي: جـ١، ص ٤٠
(٢) ينظر: الكافية في النحو، ابن الحاجب: جـ ١، ص ٢١١
(٣) النحو الوافي، عباس حسن: جـ١، ص: ٢٥٥
(٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي: جـ١، ص ٤٩
(٥) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي: ص١٨

جـ ـ والأسماء الموصولة.

د ـ أدوات المقارنة.

ودراسة الإحالة في نصوص الأحاديث القدسية، بجعل الإحالة بؤرة البحث في البنية التركيبية للنص، ويبرز أهمية الإحالة ودورها في ربط أجزاء النص ببعضها، فهي تشكل شبكة تنتظم فيها حركة الضمائر وأدوات الإشارة والتعريف والموصول وغيرها.

وقد وردت الإحالة بكل أنواعها في نصوص الأحاديث القدسية، فمن أمثلة الإحالة على سابق قوله ﷺ: ((يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصيني، فيقول أبوه، فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يُقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك، فينظر فإذا هو بِذَيْخٍ مُلْتَطِخ [1]، فيؤخذ بقوامه فيلقى في النار)) [2] ففي النص ثلاثة عناصر محال إليها إحالة سابقة داخلية،هي:

الأول: الله عز وجل، وأحيل إليه بالضمير الظاهر والمستتر، في قوله: إنك (كاف الخطاب ـ ضمير ظاهر متصل) ـ وعدتني (تاء الخطاب ـ ضمير ظاهر متصل) ـ تخزيني (الفاعل ضمير مستتر تقديره/أنت، يعود على الله تعالى) ـ إني (ياء المتكلم، ضمير ظاهر متصل) ـ حرمت (تاء الفاعل، ضمير ظاهر متصل) ـ يقال (نائب الفاعل ضمير مستتر تقديره ـ هو).

الثاني: إبراهيم عليه السلام، وقد أحيل إليه بالضمير الظاهر والمستتر كذلك، في قوله: أباه (هاء الغائب، ضمير ظاهر متصل) ـ أقل (الفاعل ضمير مستتر تقديره ـ أنا) ـ لا تعصيني (ياء المتكلم،

---

(١) الذيخ: ذكر الضباع، ويقال له ذيخ إذا كان كثير الشعر، وملتطخ: أي رطب ملطخ بالدم أو الطين، والحكمة من مسخ آزر لئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على سيدنا إبراهيم.

(٢) صحيح البخاري: رقم ٣٣٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٣ ـ ٢٤، رقم ١١

ضمير ظاهر متصل) . أبوه (هاء الغائب، ضمير ظاهر متصل) . أعصيك، رجليك (كاف الخطاب ، ضمير ظاهر متصل) . ربّ (ياء المتكلم . المحذوف) . وعدتني . تخزني . أبي (ياء المتكلم ، ضمير ظاهر متصل) . فينظر (الفاعل ضمير مستتر تقديره . هو) . فإذا هو(ضمير ظاهر منفصل).

الثالث: آزر، وقد إحيل إليه بالضمير الظاهر والمستتر أيضا، في قوله: له، لك، لا تعصيني (أنت)، لا أعصيك (أنا)، الأبعد (ال التعريف أحالت إلى آزر). وأحال إلى (الذيخ) وهو كناية عن آزر بالضمير الغائب المتصل في قوله (بقوائمه) وبالضمير المستتر في قوله (فيلقى) بتقدير (هو) العائد على آزر.

والملاحظ في هذا الحديث القدسي، تعدد الضمائر مع وحدة المرجع والمحال إليه، والتطابق والتماثل بين المحيل والمحال إليه في النوع والعدد، فكانت إحالات النص داخلية إلا في موضع واحد هو قوله: (يبعثون) فضمير الجمع (الواو) أحال إحالة خارجية على غير مذكور في النص، فالخلق لم يذكر لفظهم في النص، ولكن فهم ذكرهم من خلال السياق والإحالة الخارجية. وترابطت جمل نص الخطاب القدسي بالروابط الإحالية، فكانت كالشبكة المحكمة النسج، تشابكت عراها بتنوع الضمائر المحيلة على نفس المرجع مما أسهم في بناء النص، بتراكم معناه، وإيجاز لفظه.

وظهر في نص الحديث رابط إحالي آخر يعود على متقدم بالإحالة إليه إحالة سابقة، هو الإحالة بإعادة اللفظ بذاته، في لفظ (إبراهيم وآزر) حيث تكرر لفظهما رغم كثرة الضمائر المحيلة إليهما ((يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة. فيقول له إبراهيم...))[1].

(١) الأحاديث القدسية، دراسة لغوية نصية، بخيت فوزي جاب الله: ص١١٥

كما وردت الإحالة إلى متأخر في نصوص الأحاديث القدسية، و ورود هذا النوع قليل إذا ما قورن بالإحالة على سابق، وهي ترد غالبا في الإحالة باسم الإشارة، مثاله قوله ﷺ: ((... وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها. شك إبراهيم[1]، فيأتيهم الله، فيقول أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفونها فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه...))[2]، فقد أحال اسم الإشارة (هذه) في قوله (هذه الأمة) إلى متأخر عليه هو (الأمة) وكذلك أحال اسم الإشارة (هذا) على متأخر عليه هو (مكاننا).

كما وردت الإحالة بالضمير على متأخر في قوله ﷺ في حديث الاحتضار وخروج الروح: ((... وتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقولان: هو رسول الله ﷺ...))[3]. فقد وردت الإحالة باسم الإشارة على متأخر في قول الملائكة (ما هذا الرجل...) ووردت الإحالة بالضمير على متأخر في إجابة العبد بقوله (هو رسول الله ﷺ).

وقد كثرت الإحالة على متقدم في نصوص الأحاديث القدسية لأسباب منها، أن أسلوب الحديث القدسي يغلب عليه الوصف والسرد الخطي، واعتماد أسلوبه على الرواية التي تحيل بفعل القول إلى متكلم سابق.وتعد الكلمات المحال إليها مراكز جذب أساسية في النص، ونقاط التقاء لأقطاب النص، وذلك لكثرة الضمائر الظاهرة والمستترة المحيلة إليها، وعود الإسناد إليها.

---

(١) راوي الحديث ـ إبراهيم بن سعد القرشي الزهري (١٨٥هـ)

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٩٩ ـ ١٠٠، رقم ٦٣

(٣) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٢٨٧/٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١١١ ـ ١١٦، رقم٧٣

وقد ورد لفظ (ابن آدم) في الأحاديث القدسية، كنصر أساسي لفهم النصوص، أحالت إليه العناصر الإحالية الظاهرة والمستترة مثال ذلك قوله تعالى: " يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى"[(١)]. فقد أحيل إلى (ابن آدم) بضمير الخطاب (أنت والكاف) مثاله: (إنك ـ كاف الخطاب، تبذل ـ فيه ضمير مستتر تقديره أنت، لك، تمسكه [أنت]، لك، لا تلام/ أنت، ابدأ [أنت]، تعول [أنت]) وبهذا فابن آدم الذي افتتح به الحديث القدسي هو مركز الإسناد، أسندت إليه جميع الأفعال الواردة في النص إسنادا مباشرا في قوله (تبذل ـ تمسك ـ ابدأ ـ تعول) ماعدا الفعل المبني للمجهول (تلام [أنت]) الذي أسند إليه بالنيابة عن الفاعل، لنفي وقوع الفعل عليه.

وترد الإحالة الخارجية في الأحاديث القدسية، إذا كان المحال إليه غير مذكور في نص الحديث لفظا، ويمثل سبب ورود الحديث عاملا مهما في معرفة المحال إليه الموجود خارج النص. وللإحالة الخارجية دور كبير في ربط النص بإطاره الخارجي، وربط المتلقي بالنص الذي يُعمل فكره ويلتحم بالنص من أجل الوقوف على مرجع الإحالة الخارجية من خلال مناسبة ورود الحديث، والسياق المقامي الخارجي له.

وأكثر عنصر إشاري قد أحيل إليه إحالة خارجية في الأحاديث القدسية هو (الله سبحانه وتعالى)، ذلك أنه المتكلم بنص الحديث، وغالبا ما يكون خارج نص الحديث القدسي. والضمائر المحيلة إليه كثيرة متنوعة، منها الظاهر والمستتر، كضمير الغائب، وضمائر المتكلم (أنا ـ تاء الفاعل ـ الياء ـ نا الفاعلين) مثال ذلك قوله تعالى في الحديث القدسي: ((أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني...)) [(٢)] فقد أحال سبحانه وتعالى على نفسه بضمير المتكلم:

---

(١) صحيح مسلم: رقم ١٠٣٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية ، مصطفى العدوي: ص١٧٤ ـ ١٧٥، رقم ١٢٢

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٤٠٥، وينظر: صحيح الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٥٧، رقم٣٠

(أنا ـ والياء) في قوله: (أنا ـ عبدي ـ أنا ـ ذكرني). ومن ذلك قوله ﷺ: ((قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)) [1]، فجاءت الإحالة على غير مذكور في بنية النص وهو لفظ الجلالة بالضمير: (أنا ـ الياء ـ تاء الفاعل) وذلك في قوله: (أنا ـ معي ـ غيري ـ تركته).

كما يرد ذكر النبي ﷺ كعنصر إشاري خارجي، يُحال إليه إحالة خارجية تفهم من خلال سند الحديث، وإسناد روايته، إذ هو المخاطب الأول المقصود بالخطاب، وهو في الوقت نفسه الراوي للحديث القدسي، ويدل على ذلك قول رواي الحديث (فيما يرويه عن ربه) في آخر السند، وقد تكون الإحالة الخارجية إليه بفعل (القول) ويدل على ذلك قول الرواي: (قال ﷺ).

ومثاله في نصوص الأحاديث القدسية، قوله ﷺ: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال فيسألهم ربهم، وهو أعلم منهم، ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله، ما رأوك، قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا، وأكثر لك تسبيحا، قال: يقول فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب، ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٩٨٥، وينظر: صحيح الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص٢٢، رقم ٩

ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة...)). [1]

فتكرر في الحديث فعل القول (قال) الذي يتضمن ضمير الغائب المستتر هو، والذي يحيل إحالة خارجية على النبي ﷺ الذي لم يذكر لفظه في نص الحديث، وإنما فهم من السند والسياق المقامي. وقد قام فعل القول هنا بوظيفة الربط في هذا الحوار المتداخل بين الله تعالى وملائكته والنبي ﷺ، والعباد من أهل الذكر " وقد مثل لفظ الجلالة ثم أهل الذكر مركز الضبط، لتعدد عناصر الإحالة التي تحيل إليهما، في حين مثل الملائكة والنبي ﷺ الإطار الخارجي لهذا المركز" [2].

والملائكة من العناصر الإحالية التي تكثر الإحالة إليها في نصوص الأحاديث القدسية، وحديث فضل مجالس الذكر السابق يمثل الإحالة الداخلية في قوله ﷺ: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم...)) فضمير الجمع في (يطوفون، يلتمسون، وجدوا، تنادوا، هلموا، حاجتكم) يحيل على الملائكة إحالة قبلية داخلية.

أما الإحالة الخارجية إليهم فكثيرة الورود، مثاله قوله تعالى: ((إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة)) [3]، فضمير الجماعة المتصل (الواو) في قوله: (فاكتبوها ـ لا تكتبوها) يحيل إلى الملائكة إحالة خارجية تُفهم من خلال السياق المقامي، ومثاله قوله ﷺ في فضل النوافل:

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٤٠٨، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩، رقم٣٤

(٢) الأحاديث القدسية ـ دراسة لغوية نصية، بخيت فوزي: ص ١٢٠

(٣) حديث صحيح ـ أخرجه البخاري رقم ٧٥٠١ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٧ص، رقم١

((أول ما يحاسب به العبد صلاته فإن كان أكملها وإلا قال الله عز وجل: انظروا لعبدي من تطوع فإن وجد له تطوع قال: أكملوا به الفريضة)) [1] فضمير الجماعة (الواو) في قوله (انظروا أكملوا) أحال إلى الملائكة إحالة خارجية وفهم ذكرهم من السياق الخارجي المقامي لنص الحديث.

وأدرجتْ هذه الأحاديث ضمن الإحالة الخارجية اعتمادا على متن الحديث وهو كلام الله عز وجل دون ما يصحبه من مقدمات سردية، والتي تمثل السياق المقامي للحديث وما فيه من مناسبة ورواية، وهذه الإحالات الخارجية من الممكن اعتبارها ضمن الإحالات الداخلية إذا ما نظرنا إلى السياق الكلي للنص، الذي يشمل بدوره السياق المقامي والذي يندرج فيه سبب ورود الحديث والسند كجزء من نص الحديث القدسي، والأمر في هذا تحسمه طبيعة الحديث القدسي الذي هو نص سردي مكتوب وخطاب مقروء.

وأغلب الأحاديث القدسية لا ترد بسياق مقامي يسبق المتن، كالأحاديث القدسية التي تبدأ بالموصول الاسمي العام (من ـ ما) الذي يكون له دورين في النص، فهو أداة إحالية ومحال إليه في الوقت نفسه، من ذلك قوله عز وجل: ((ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟ فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أوليخلقوا شعيرة))[2] فقد ورد الاسم الموصول (من) في قوله (ممن)، ليحيل إلى ذات أو ذوات لم تذكر في النص، فهو إحالة خارجية على العباد المصورين أو الممثلين بالرسم أو النحت أو غيره، فجاءت الإحالة بضمير الغائب (هو) في قوله: (ذهب ـ يخلق) وضمير الجمع في قوله: (فليخلقوا).

ولبعض الأحاديث القدسية خصوصية فريدة، فقد تأتي مناسبة الحديث متداخلة مع متن الحديث ونصه، كحديث الرجل الذي جاء والنبي ﷺ في الصلاة فقال: الحمد لله حمدا كثيرا

(١) حديث صحيح أخرجه النسائي: ٢٣٣/١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٨٠، رقم ١٢٨
(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥٥٩ والصحيح المسند من الأحاديث القدسية ، مصطفى العدوي: ص ٢٤٥، رقم ١٦٢

طيبا مباركا فيه فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قال: ((أيكم القائل كذا وكذا. قال: فأرمّ القوم قال: فأعادها ثلاث مرات فقال الرجل: أنا قلتها وما أردت بها إلا الخير. قال: فقال النبي ﷺ: لقد ابتدرها اثنا عشر ملكا فما درَوا كيف يكتبونها حتى سألوا ربهم عز وجل. فقال: اكتبوها كما قال عبدي)) [1] .

وكقوله ﷺ في حديث اختصام الملإ الأعلى: ((أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قُمتُ من الليل فتوضأتُ وصليتُ ما قِّدر لي فنعستُ في صلاتي حتى إذا استثقلت فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال: يا محمد، قلت: لبيك ربِّ. قال: فيم يختصمُ الملأُ الأعلى؟ قلت: لا أدري قالها ثلاثا. قال فرأيته وضعَ كفَّه بين كتفي حتى وجدتُ بَرْدَ أناملِهِ بين ثديي فتجلى لي كل شيءٍ وعرفتُ فقال: يا محمد قلت: لبيك ربِّ. قال: فيم يختصم الملأُ الأعلى؟ قلتُ في الكفارات، قال: ما هن. قلت: مشي الأقدام إلى الحسناتِ والجلوسُ في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء حين الكريهاتِ قال: فيم؟ قلت إطعام الطعام، ولينُ الكلام والصلاةُ بالليل والناس نيام. قال: سلْ، قل اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكراتِ وحبّ المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنةَ قومٍ فتوفني غيرَ مفتون، أسألك حبك وحبَّ من يُحبك، وحبَّ عمل يقرب إلى حبك، قال رسول الله ﷺ: إنها حقٌ فادرسوها ثم تعلموها)) [2].

وبعض الأحاديث القدسية ترد فيها مناسبة الحديث منفصلة عن متن النص، وهي قليلة كقوله ﷺ لما سئل عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[3] فقال: ((أرواحهم في جوف طير خُضْرٍ لها قناديلُ معلقة بالعرش تسرحُ من

---

(١) حديث صحيح ـ أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم١٩١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص:٢٩٢، رقم ١٨٤

(٢) حديث صحيح، أخرجه الترمذي: رقم ٣٢٣٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٣٠، رقم١٥٥

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٦٩

الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلّاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا أيُّ شيءٍ نشتهي؟ ونحن نسرحُ من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن تَرُدّ أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا)) (١). ومن ذلك قول الراوي: صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب فرجع من رجع وعقّب من عقب فجاء رسول الله ﷺ مسرعا قد حَفَزَه النفس وقد حَسَر عن ركبتيه فقال: ((أبشروا هذا ربُّكم قد فتح بابا من أبواب السماء يُباهي بكم الملائكة يقول: انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى)) (٢).

فوردت أنواع الإحالات في الأحاديث القدسية كالإحالة المعجمية والإحالة النصية، وشواهد ذلك كثيرة في الأحاديث القدسية، مثاله قوله ﷺ: ((أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسُئل أيُّ الناس أعلمُ؟ فقال: أنا فعتبَ الله عليه إذ لم يَرُدّ العلمَ إليه فقال له: بلى لي عبد بمجمع البحرين وهو أعلمُ منك...)) (٣). فالعبد (الخضر) هو المحال إليه وهو لفظ يدل على عنصر معجمي، هو ذات العبد، وكذلك ضمير المتكلم (أنا) أحال إلى موسى إحالة معجمية، وكلاهما عنصر معجمي يشكل مركزا للنص، تعود إليهم أغلب إحالات الحديث القدسي الطويل.

ومثاله قوله ﷺ: ((يرد عليّ الحوضَ رجال من أصحابي فيُحْلَئُونَ(٤) عنه فأقول: يا رب أصحابي فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى))(٥)

---

(١) صحيح مسلم: رقم ١٨٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٠٣، رقم٦٥

(٢) حديث صحيح ـ أخرجه ابن ماجه: رقم٨٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص:١٨٣، رقم١٣

(٣) صحيح البخاري: رقم ٣٤٠١، وصحيح الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص٢٠٤ ـ ٢٠٧، رقم ١٤٣

(٤) يحلئون: يمنعون من وروده

(٥) صحيح البخاري: رقم ٦٥٨٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٤٠ ـ ١٤١، رقم ٩٢

فكلمة (رجال) عنصر معجمي أحيل إليه بالضمائر المتنوعة كـ (فيحلئون، إنهم، ارتدوا، أدبارهم).

ومثال الإحالة النصية وهي على خلاف المعجمية التي يكون المحال إليه فيها لفظا، فتكون نصا، أو جملة، ما ورد في قول قريش للنبي ﷺ: ((ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك، قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم، قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا، فمن كفر بعد ذلك عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين))[1]، فأداة الإحالة (ذلك) اسم الإشارة يحيل إحالة نصية على جملة (أصبح لهم الصفا ذهبا) وليس على لفظ مفرد.

ومنه قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى: ((قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال عبدي: (الحمد لله رب العالمين) قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: (الرحمن الرحيم) قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، فإذا قال: (مالك يوم الدين) قال: مجدني عبدي (وقال مرة: فوض إلي عبدي) فإذا قال: (إياك نعبد وإياك نستعين) قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم. غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل))[2].فأداة الربط الإحالي هي العنصر الإشاري (هذا) وقد ورد مرتين في الحديث وأحال إحالة نصية قبلية على جملة (إياك نعبد وإياك نستعين) في الأولى، وعلى الجمل (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) في الثانية.

ومن ذلك قوله ﷺ: ((وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه داري وهذا عملي فاعمل وأدِّ إليَّ فكان يعمل ويؤدي إلى غير

---

(١) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده: رقم ٢٠٥٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوى،ص: ١٥٥، رقم١٠٦

(٢) صحيح مسلم: رقم ٣٩٥ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٢٦، رقم ١٥٣

سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟...))[1] فأداة الربط الإحالي هي اسم الإشارة (كذلك) التي تحيل إلى نص المثل السابق بأكمله.

أما الإحالة قريبة المدى فهي كثيرة في الأحاديث القدسية وتعمل على ترابط البنيات التركيبية والدلالية واتساقها، مثالها قوله تعالى: ((ابن آدم إن صبرت عند الصدمة الأولى لم أرض لك ثوابا إلا الجنة)) [2]. فأدوات الإحالة للمخاطب، التاء في (صبرت) والكاف في (لك) أحالت إحالة داخلية سابقة إلى عنصر إشاري محال إليه قريب المدى هو (ابن آدم).

وأما الإحالة إلى محال إليه بعيد المدى فهي أقل ورودا في الأحاديث القدسية من الإحالة إلى قريب، إلا أن دورها لا يقل عن الإحالة إلى قريب في ربط نسيج النص رغم تباعد المسافة بينها وبين ما تحيل إليه، ومما ورد في ذلك، قوله ﷺ: ((خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك، وتحية ذريتك...))[3]. فالعنصر الإشاري هو (آدم) يشكل مركز النص وباقي أدوات الربط الإحالي تحيل إليه إحالة داخلية إلى سابق، وقد تنوعت الضمائر المحيلة إليه من ضمائر الغيبة (الهاء)، وضمائر المتكلم المستترة (أنت) والظاهرة (كاف الخطاب)، وهذه الضمائر منها ما يحيل إحالة قريبة المدى على آدم كـ (صورته، طوله، خلقه) ومنها ما هو بعيد، كـ (اذهب [أنت]، فاستمع [أنت]، تحيتك، ذريتك) ففصلت بين أداة الإحالة (الضمير) والمحال إليه (آدم) أكثر من جملة.

وأدوات الإحالة كثيرة كالضمائر وأسماء الإشارة والموصولات وغيرها، وأهمها وأكثرها ورودا في الأحاديث القدسية هو الضمير، فما هو الضمير؟ وما دوره في اتساق الحديث القدسي؟

---

(١) حديث صحيح أخرجه الترمذي: رقم ٢٨٦٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢١٥، رقم ١٤٦

(٢) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه في سننه: رقم ١٥٩٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي ٣٢

(٣) صحيح البخاري: رقم ٦٢٢٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٠١، رقم ١٤١

أ ـ الربط الإحالي بالضمائر

الضمير في اللغة: هو المستور، وأضمرت الشيء أخفيت[١] على وزن فعيل، بمعنى مفعل. أطلق على العقل لكونه مستورا عن الحواس[٢] وإطلاقه على الضمير البارز من باب التوسع في الاستخدام، والضمير بمعنى المضمر.

والضمير من أهم العناصر الإحالية في الجملة، وهو اصطلاحا عنصر رابط يربط الجمل والنص ببعضه في تماسك وتضام، ويعرفه السكاكي (٦٢٦هـ) بقوله: "اعلم أن الضمير عبارة عن الاسم المتضمن الإشارة إلى المتكلم أو إلى المخاطب أو إلى غيرهما بعد سابق ذكر " [٣]، وعرفه المرادي (ت ٧٤٩هـ) بقوله: " الضمير هو الموضوع لتعيين مسماه مشعرا بتكلمه أو خطابه أو غيبته " [٤]، فالضمير اسم غير صريح يدل على شخص متكلم أو مخاطب أو غائب، والإبهام المرافق للضمائر يكون قبل دخولها التركيب النصي، فإذا أسندت داخل الجمل دلت على أسماء معينة محددة. ويعرف الدكتور تمام حسان الضمائر بأنها، وحدات صرفية دلالية، ذات قيمة إحالية يكنى بها عن الظاهر، ومن ثم كان الربط بها بديلا لإعادة الذكر أيسر في الاستعمال وأدعى إلى الخفة والاختصار [٥].

والنحاة القدماء ذكروا عددا من الألفاظ الدالة في معناها على الربط بالضمير، والتي تدل بشكل واضح على حضور فكرة الربط في أذهانهم، كالإضمار/ تسمية سيبويه، والراجع/ المبرد (٢٨٥ هـ)، والذِّكْر والعائد/ الفارسي (٣٧٧هـ)، والرابط/ ابن السراج وابن يعيش[٦]. والملاحظ أنهم لم يفرقوا بين هذه الألفاظ، فهم يطلقون الألفاظ المتعددة على مدلول واحد، كما هو الحال

---

(١) لسان العرب، ابن منظور: مادة ـ ضمر

(٢) الكليات، الكفوي: جـ٣ ، ص ١٣٥

(٣) مفتاح العلوم، ص:١٦٦

(٤) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: جـ١، ص ٣٥٨

(٥) ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان: ص ١١٩

(٦) ينظر: الرابط اللفظي في لغة الحديث الشريف، حامد علي منيفي: ص ١٠

عند الفارسي إذ يقول في كتابه (الإيضاح العضدي): " فالأول كقولنا: زيد قامَ، و زيد قامَ أبوه. فزيد مرتفع بالابتداء، وقام في موضع خبره وفيه ذكر مرتفع بأنه فاعل. وهذا الذكر يعود إلى المبتدأ الذي هو زيد ولولا هذا الذكر لم يصح أن تكون الجملة خبرا عن هذا المبتدأ الذي هو زيد " (١).

فيسمي الرابط الضميري (ذِكْر) وفي موضع آخر من الفقرة نفسها يسميه (العائد)، يقول: "ألا ترى أنه لو قيل: زيدٌ قام عمرٌو، لم يجز فإنما كان (قام) خبرا عنه من أجل الذكر العائد منها إلى المبتدأ"(٢) فلم تكن التسمية الاصطلاحية ذات أهمية كبيرة عند نحاة السلف، بقدر ما كان يعنيهم وصف الظاهرة والتطبيق عليها، ولعل سبب ذلك أن مصطلح الرابط لم يكن يختص عندهم بظاهرة معينة أو مسألة خاصة، ولذا لم يدرسوا هذه الظاهرة لذاتها، بل كانت العناية بها عرضا في ثنايا التحليل (٣).

والضمائر عند النحاة في اللغة العربية أنواع ثلاثة بحسب ما تقوم به من دور في عملية التخاطب: المتكلم، المخاطب والغائب. وتتفرع الضمائر في العربية حسب وجودها في المقام إلى" ضمائر الحضور وضمائر الغياب، ثم تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم وهو مركز المقام الإشاري وهو الباث وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه وهو المتقبل" (٤)، والمعروف أن ضمائر المتكلم تفتقر إلى متكلم، وضمائر الخطاب تفتقر إلى مخاطب، فيكون المتكلم بمثابة المرجع لضميره، ويكون المخاطب كذلك، أما ضمير الغيبة فيفتقر عادة إلى مذكور يعد مرجعا فلا يتضح معنى الضمير إلا بواسطة ذلك المرجع (٥).

---

(١) ص: ٤٣

(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها

(٣) ينظر: الرابط اللفظي في لغة الحديث الشريف، حامد علي منيفي: ص ١٠

(٤) نسيج النص، الأزهر الزناد: ص١١٧

(٥) ينظر: البيان في روائع القرآن ـ دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان: ص ١٣٨

والضمائر كلها مبهمة، ولابد لها من قرينة تزيل إبهامها وتفسر غموضها. فضمير المتكلم والمخاطب يفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام، فهو حاضر يتكلم بنفسه أو حاضر يكلمه غيره مباشرة. أما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف ولابد له من شيء يفسره يتقدم عليه ليكشفه ويحدد المقصود منه، ويكون الضمير مطابقا له مطابقة تامة.

وتعتبر الضمائر من أدوات الإحالة إلى مراجع موجودة داخل النص أو خارجه، ومثلها في الإحالة أسماء الإشارة وأسماء الموصول " لذلك يطلق بعض اللغويين صفة الضمير على هذه الأسماء المبنية " [١] ويعتبر محمد خطابي الدور الأساسي للضمائر هو الإحالة التي تخضع لقيد دلالي هو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال عليه [٢].

ويمكن اختصار دور الضمير في اتساق النصوص وتماسكها بالربط والإحالة وأمن اللبس في فهم المقصود وفي الاقتصاد اللغوي المغني عن التكرار وإعادة الذكر، والضمائر في البناء الجملي العربي، تتجاوز وظيفتها النحوية المتمثلة في المعاقبة الموقعية للأسماء الظاهرة، والقيام بالوظيفة النحوية، لتقوم بوظيفة تركيبية هي الربط بين كثير من عناصر التركيب اللغوي ومفرداته، بقصد إنشاء تراكيب لغوية متوحدة ومتجانسة تتصل أجزاؤها ببعضها اتصالا دلاليا وثيقا، ولهذا كثر دورانها في تراكيب اللغة، الأمر الذي دعا النحاة إلى القول بأنها الأصل في الإحالة [٣].

والإضمار شأنه شأن سائر مظاهر التعريف مشروط بعلم المخاطب بما أضمر، وبعلم المتكلم بمعرفة المخاطب بقصده، وللغة دور كبير في عملية الإضمار والتوسع فيها، فاللغة قادرة على تعويض المتكلم والمخاطب بالغائب في عملية التخاطب كالتعظيم والدعاء، وقادرة على تغيير

---

(١) الخلاصة النحوية، تمام حسان: ص٩١

(٢) ينظر : لسانيات النص ـ مدخل إلى انسجام الخطاب: ص١٧

(٣) ينظر: الرابط اللفظي في لغة الحديث الشريف، حامد علي منيفي: ص ٥٤

أدوار التخاطب بصيرورة المتكلم مخاطبا والعكس، والانتقال من أحدهما إلى الآخر فيقوم الخطاب على إبدال الضمائر ونقل الكلام على الحكاية [١].

وللضمائر أثر كبير في بناء التراكيب اللغوية، واتحاد الكلمات ببعضها في البنية السطحية للنص، فالربط بالضمير إنما يتمثل في اجتماع الاسم الظاهر مع ضميره العائد إليه في تركيب واحد، وهو ما يعرف في الدراسات اللغوية المعاصرة باسم (الربط الإحالي) [٢]، والإضمار يُعد " شرطا من الشروط النحوية ـ التركيبية الأساسية لتماسك النص " [٣].

وتتجلى أهمية الضمير في بناء الجملة في مظهرين:

الأول: شكلي، حيث يتمتع الضمير بحجم بنيوي صغير نسبيا، إذا ما قورن مع بنية الاسم الظاهر [٤] مما يكسبه خفة وسهولة تغني عن تكرار الاسم الظاهر فيكون به الإيجاز والاختصار، يقول ابن يعيش:" وإنما أتي بالمضمرات كلها لضرب من الإيجاز واحتراز من الإلباس، فأما الإيجاز فظاهر لأنك تستغني بالحرف الواحد عن الاسم بكماله، فيكون ذلك الحرف كجزء من الاسم. وأما الإلباس فلأن الأسماء الظاهرة كثيرة الاشتراك. فإذا قلت: زيد فعل زيد، جاز أن يتوهم في (زيد) الثاني أنه غير الأول، وليس للأسماء الظاهرة أحوال تفترق بها إذا التبست، وإنما يزيل الالتباس منها في كثير من أحوالها الصفات، كقولك: (مررت بزيد الطويل، والرجل البزاز). والمضمرات لا لبس فيها، فاستغنت عن الصفات، لأن الأحوال المقترنة بها قد تغني الصفات"[٥].

---

(١) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش: جـ٢، ص ١٨٧

(٢) ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل: ص ٥٨

(٣) مدخل إلى علم لغة النص، روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر، ترجمة: إلهام أبو غزالة وعلي خليل: ص٢٣

(٤) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس: ص٢٩٠

(٥) شرح المفصل: جـ٣، ص: ٨٤

الثاني: وظيفي، حيث تستخدم الضمائر في الكلام استغناء عن تكرار الاسم الظاهر، لأن الاسم الظاهر متى احتيج إلى تكريره كان الاختيار ذكر ضميره، قال السهيلي: " فإذا تقدم في الكلام اسم ظاهر ثم أعيد تكريره أومأ المتكلم إليه بأدنى لفظ، ولم يحتج إلى إعادة اسمه لتقدم ذكره، فإذا أضمره في نفسه، دل المخاطب عليه بلفظة مصطلح عليها، سميت تلك اللفظة اسما مضمرا، لأنها عبارة عن الاسم الظاهر الذي أضمر استغناء عن لفظه الظاهر" (١). وبهذا تستخدم الضمائر لربط أجزاء النص ببعضها عن طريق الإحالة بالضمير، مما يوفر تتابعا متسقا بين مفردات النص وجمله.

وتتفرع الضمائر في العربية إلى قسمين كبيرين متقابلين هما: ضمائر الحضور، وضمائر الغياب، ثم تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري وهو الباث، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه، وهو المتقبل، وكل مجموعة تنقسم بدورها حسب الجنس والعدد إلى أقسامها المعروفة، وأما ضمائر الغياب فمعيار التفصيل فيها لا يتجاوز الجنس والعدد، وضمائر الحضور أكثر تفصيلا من ضمائر الغياب، وهذا يرتبط بأولوية الشخوص المشاركة في عملية التلفظ (٢).

وإذا كانت الضمائر تنقسم إلى ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب فإن ضمائر المتكلم والمخاطب تكون في الغالب محيلة إلى عناصر إشارية خارج النص، فدورها يكون ضعيفا في تحقيق ربط النص، على عكس ضمائر الغائب التي تحقق الترابط النصي داخل التراكيب، وذلك راجع لطبيعتها التي تفتقر دائما إلى مذكور يعد مرجعا لها (٣).

وقد تنوعت الضمائر المحيلة في الأحاديث القدسية بين ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب، وفيما يلي تمثيل لورودها في نصوص الأحاديث القدسية:

---

(١) نتائج الفكر: ص ٢١٨

(٢) ينظر: عناصر السبك بين القدماء والمحدثين، د.نادية رمضان محمد: ص ٥٧٣

(٣) البيان في روائع القرآن، تمام حسان: ص١١٩

. الربط الإحالي بضمير المتكلم

ضمير المتكلم في الأحاديث القدسية ورد دالا على ذاتين، الذات الأولى هي الذات الإلهية أما الذات الثانية فهي ذات النبي صلى الله عليه وسلم، وقد عبر عن الذات الإلهية الضمير (أنا . نحن . ناء الفاعلين . تاء الفاعل . ياء المتكلم) وهي ذات مسيطرة على نصوص الأحاديث القدسية لأن الكلام هنا، أغلبه كلام الله تعالى، وأغلب الضمائر المحيلة تحيل إحالات خارجية على الذات الإلهية، مثاله قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: ((يا عبادي إني حرّمتُ الظّلم على نفسي وجعلتهُ بينكم محرما فلا تظالموا....)) (١)، فياء المتكلم ضمير أحال إحالة خارجية على الذات الإلهية، وقد تكون الإحالة بالضمير داخلية كما في قوله ﷺ: ((قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو لِيخلقوا حبّة أو شعيرة)) (٢)، فضمير المتلكم (الياء) أحال إحالة داخلية على سابق هو (الله) تعالى.

ويرد الضمير (أنا . نحن) في مقامات الوعد والترغيب، وفي سياقات الطمأنينة والتوبة والغفران، من ذلك قوله تعالى: ((أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني في ملإ...)) (٣) وكذلك قوله تعالى في سياق العفو: ((... نحن أحق بذلك منه تجاوزا عنه...)) (٤). كما وقد يرد في مقام المهيمن على الأشياء، كقوله تعالى بعد أن يقبض الأرض ويطوي السماوات: ((أنا الملك. أين ملوك الأرض؟)) (٥).

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤١، رقم ١٦٠
(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥٥٩ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٤٥، رقم ١٦٢

(٣) صحيح البخاري: رقم ٦٩٧٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٥٧، رقم ٣٠
(٤) حديث صحيح أخرجه الترمذي في سننه: رقم ١٣٠٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٧٨، رقم ٤٩
(٥) صحيح البخاري: رقم٤٨١٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٢٧، رقم ٨١

أما ضمير المتلكم (تاء الفاعل) فهو مقترن بالله تعالى الفاعل والمحدث للأشياء، وهو القوة الفاعلة في نصوص الأحاديث القدسية، مثال ذلك قوله ﷺ: ((قال الله عز وجل: إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة، فإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبتها سيئة واحدة)) [١] فتكرر الضمير(تاء الفاعل) في قوله (كتبتها، أكتبها، كتبتها) العائد على الله عز وجل لبيان دقة الحساب ورحمته تعالى بعباده، ومن ذلك قوله تعالى لملائكته في حديث فضل مجالس الذكر: ((... فأشهدكم أني قد غفرتُ لهم ...)) [٢].

وضمير المتكلم (ياء المتكلم) من أكثر أنواع الضمائر ورودا في الأحاديث القدسية، وهو يعود على الله عز وجل في أغلبه، وقد يعود على الرسول ﷺ، كقوله: ((يقوم الرجل من أمتي من الليل يُعالج نفسه إلى الطهور وعليه عُقد فإذا وضّأ يديه انحلت عُقدة، وإذا وضّأ وجهه انحلت عُقدة وإذا مسح رأسه انحلت عُقدة، وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة فيقول الله عز وجل للذين وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي يُعالجُ نفسه يسألني ما سألني عبدي هذا فهو له)) [٣] فتكررت ياء المتكلم ثلاث مرات في قوله (أمتي) وهو عائد على النبي محمد صلى الله عله وسلم، وتكرر مرتين في قوله (عبدي) وهو عائد على الله عز وجل، وضمير الملكية غالبا ما يأتي في مقام التشريف والإكرام، وبيان سعة رحمته عز وجل بعباده.

وتحيل ضمائر المتكلم في الأحاديث القدسية، على الملائكة وبعض الأنبياء، والمؤمنين من أهل الجنة، وإبليس، والجنة والنار، والرحم والسماء والأرض، والكواكب والشمس والقمر، وقد عبرت عن هذه الذوات ضمائر المتكلم (نحن، أنا، نا الفعالين، ياء المتكلم). مثال ذلك ضمير

---

(١) صحيح مسلم: رقم ١٢٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣، رقم ٣

(٢) صحيح البخاري: رقم٦٠٤٥ ، وينظر: صحيح الأحاديث القدسية ، مصطفى العدوي: ٥٩، رقم ٣٤

(٣) حديث صحيح ـ أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم ١٠٥٢، و الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ١٧٧، رقم ١٢٥

المتكلم العائد على الملائكة في قوله ﷺ: ((ليس من عمل يوم إلا وهو يختم عليه فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة: يا ربنا عبدك فلان قد حبسته)) [١]، ومن ذلك قول الملائكة لما أمرهم أن يحيوا الفقراء والمهاجرين في الجنة: ((... ائتوهم فحيوهم فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم ...)) [٢].

ويظهر ضمير المتكلم (نا الفاعلين) في مجادلة أهل الجنة في إخوانهم من المسلمين الذين لم يدخلوا معهم، يقول ﷺ: ((ما مجادلةُ أحدكم في الحقّ يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أُدخلوا النار. قال: يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار. قال: فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم. قال: فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه فيخرجونهم فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا، قال: ويقول: أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان ثم قال: من كان في قلبه وزن نصف دينار حتى يقول: من كان في قلبه وزن ذرة))[٣] فيظهر ضمير المتكلم (نا الفاعلين) في (ربنا ـ إخواننا ـ معنا ـ أخرجنا ـ أمرتنا) الذي يحيل إحالة داخلية معجمية على متقدم ذكره في نص الحديث هم (المؤمنون أهل الجنة).

وقد يحيل ضمير المتكلم (الياء) على بعض الأنبياء كما في حديث أيوب عليه السلام مع ربه، يقول ﷺ: ((بينما أيوب يغتسل عُريانا خرّ عليه جَرادٍ من ذهب فجعل يحثي في ثوبه فنادى ربُّهُ: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك))[٤].

---

(١) حديث صحيح ـ أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم ١٤٦ ، و الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٢٥٨، رقم ١٦٥

(٢) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده : رقم ٦٥٧٠ ، و الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٢٦٥، رقم ١٧١

(٣) حديث صحيح ـ أخرجه النسائي: رقم ٥٠١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٣١ـ ٣٢، رقم١٦

(٤) صحيح البخاري رقم: ٣٣٩١ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٢١٢، رقم ١٤٥

وفي حجاج الجنة والنار يقول ﷺ: ((تحاجّتْ الجنة والنار فقالت النار: أُوثرتُ بالمتكّبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخُلُني إلا ضعفاء الناسِ وسقَطُهم ...)) [1] فضمير المتكلم (تاء الفاعل) في (أوثرت) و(ياء المتكلم) في (لي، يدخلني) أحال إحالة داخلية في النص إلى (الجنة والنار)، وخلق روابط تتراكم بها الجمل فيتسق مبناها، ويتلاحم معناها.

. الربط الإحالي بضمير الخطاب

ضمير المخاطَب هو الضمير المقابل لضمير المتكلم، وهو يحيل إلى متلقي النص القدسي، وهي ذات مشاركة في الخطاب، وقد أحيل إليها بضمائر الخطاب (الكاف . أنت . أنتم . واو الجماعة . ياء المخاطبة). وقد تعدد المخاطب في الحديث القدسي، وابن آدم هو أكثر المخاطبين ورودا في نصوص الأحاديث القدسية، وهو المقصود بالخطاب والتوجيه والتربية الربانية.

وضمير الخطاب (أنت) المستتر كثير الورود في نصوص الأحاديث القدسية، مثاله خطاب الله تعالى لابن آدم: ((قال الله عز وجل: يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفيك آخره)) [2] فالضمير المستتر (أنت) في الفعل (تعجز) يحيل على المخاطب وهو (ابن آدم) وقد أوضحه ضمير الخطاب (الكاف) في (أكفيك).

كما يرد ذكر النبي محمد ﷺ كمخاطب مثال ذلك في قوله تعالى في حديث الشفاعة: ((يا محمد سل تعط، واشفع تشفع...)) [3] وهو هنا ضمير مستتر تقديره (أنت)، وقوله ﷺ

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٤٨٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ١١٩، رقم٧٦

(٢) حديث صحيح ـ أخرجه الإمام أحمد: رقم ٢٢٣٦٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ١٨٥، رقم ١٣٢

(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٤٤، رقم ٩٥

في حديث الكوثر: ((... فأقول: يا رب أصحابي فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى))[1] فيظهر ضمير الخطاب في قوله (إنك، لك، بعدك).

ويأتي ذكر الله تبارك وتعالى كمُخاطَب في الأحاديث القدسية التي وردت في سياقات الاسترحام والاستعطاف، كقول إبراهيم عليه السلام: ((يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني...))[2] وكقول آخر أهل النار دخولا الجنة: ((أي ربِّ اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها واحرقني ذكاؤُها فيدعو الله ما شاء أن يدعوه))[3].

ويرد ضمير الخطاب بكثرة في خطاب الله تعالى لعباده في الأحاديث القدسية مثاله قوله ﷺ: ((يخرج من النار أربعة يُعرضون على الله عز وجل فيأمر بهم إلى النار فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب قد كنت أرجو إن أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها فيقول: فلا نعيدك فيها))[4] فضمير الخطاب (الكاف) في (نعيدك) يبين طرفي الحوار والمخاطَب، ومثاله قوله تعالى: ((يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى))[5].

ويظهر ضمير الجمع في خطاب الله للعباده، فيما يرويه ﷺ عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: ((يا عبادي إني حرّمتُ الظّلم على نفسي وجعلتهُ بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ...))[6] ففي قوله (تظالموا) ضمير واو الجمع أحال إحالة سابقة على العباد.

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٥٨٦ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٤٠ـ ١٤١، رقم ٩٢

(٢) صحيح البخاري: رقم ٣٣٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٤، رقم ١١

(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٩، رقم٦٣

(٤) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد: رقم ١٣٠٦٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٢٩رقم ٨٥

(٥) صحيح مسلم: رقم ١٠٣٦ ، و الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص ١٧٥، رقم ١٢٢

(٦) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، و الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص ٢٤١، رقم ١٦٠

وفي خطاب الله تعالى لآدم يقول ﷺ: ((خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك نَفر من الملائكة جُلوس فاستمع ما يُحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلقُ ينقصُ بعدُ حتى الآن))[١] ومنه قوله تعالى: ((يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول: أخرج بعثَ النارِ...))[٢] فيظهر ضمير الخطاب في قوله (تحيتك وتحية ذريتك...) وضمير الخطاب (الكاف) في (لبيك . سعديك . يديك).

ومن خطاب العبد لربه تعالى بضمير الخطاب (الكاف) قوله ﷺ في حديث آخر أهل النار دخولا الجنة: ((... ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنة فيقول: أي ربِّ اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها واحرقني ذكاؤُها فيدعو الله ما شاء أن يدعوه ثم يقول الله: هل عسيت إن أُعطيتَ ذلك أن تسألني غيره. فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره...))[٣] في قوله (لا وعزتك . لا أسألك)، وقد ورد ضمير الخطاب في مقام الاستعطاف والاسترحام.

وظهر ضمير الخطاب (الكاف) في خطاب غير العاقل، مثاله حوار تعالى مع الرحم، يقول ﷺ: ((إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب.

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٢٢٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٠١ ، رقم ١٤١

(٢) صحيح البخاري: رقم ٣٣٤٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٠١، رقم ١٤١

(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٩٩ ـ ١٠٠، رقم ٦٣

قال: فهو لك))[1] فضمير الخطاب (الكاف) في (بك) يعود على الله تعالى، أما في (وصلك، قطعك) فيعود على الرحم، وبهذا عملت الضمائر على اتساق النص وترابط جمله وتماسك ألفاظه.

. الربط الإحالي بضمير الغائب:

ضمير الغائب من أكثر الضمائر ورودا في الأحاديث القدسية، وقد سيطر على شبكة الإحالة في الأحاديث القدسية من خلال:

أ. التراكم الإحالي وذلك بالإحالة إلى اسم معين دون غيره من العناصر الإشارية مما يجعله محور النص، أو يقصد به كثرة الإحالات مع وحدة المرجع [2]، من ذلك قوله ﷺ: ((يقوم الرجل من أمتي من الليل يُعالج نفسه إلى الطهور وعليه عُقد فإذا وضّأ يديه انحلت عُقدة، وإذا وضّأ وجهه انحلت عُقدة وإذا مسح رأسه انحلت عُقدة، وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة فيقول الله عز وجل للذين وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي يُعالجُ نفسه يسألني ما سألني عبدي هذا فهو له))[3]. فيظهر ضمير الغيبة الظاهر والمستتر في قوله (نفسه، عليه، وضأ [هو]، مسح [هو]، وضأ [هو]، يعالج [هو]، سألني [هو]، له) تراكم ضمائر الغيبة المحيلة مع وحدة المرجع إلى العبد المؤمن.

وكذلك في قوله ﷺ: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)) [4]

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٥٩٨٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٢، رقم ١٥٦

(٢) ينظر: الأمثال القرآنية دراسة في معايير النصية ومقاصد الاتصال، فتحي محمد اللقاني: ص ١٤٤

(٣) حديث صحيح ـ أخرجه ابن حبان في صحيحه: رقم٢٦١٩ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٧، رقم١٢٥

(٤) صحيح البخاري: رقم ١٠٩٤، و الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٧٨، رقم ١٢٦

فضمائر الغيبة (يدعو [هو]، له، سأل [هو]، فأعطيه، يستغفر [هو]، له) تحيل على العبد المؤمن مركز النص، وفي هذا ربط لبنية النص السطحية، وشد لخيوط شبكة الإحالة في مركز واحد.

ب ـ التشابك الإحالي وذلك من خلال الإحالة بضمير الغيبة على أكثر من عنصر إشاري داخل النص، مما يحمِّل القارئ دورا مهما في تحديد المراجع أو العناصر الإشارية المفسرة لهذه الإحالات [١]، ومن الأمثلة الدالة على ذلك قوله ﷺ: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ـ وهو أعلم بهم ـ كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يُصلون)) [٢].

فضمير الغائب المستتر (هو) في (فيسألهم) عائد على الله تعالى وهو يحيل إحالة خارجية، وضمير الغائب المتصل (هم) يحيل على الملائكة وهم عنصر إشاري مذكور في النص، فتكون الإحالة إليهم إحالة داخلية، والضمير (بهم) يعود على الملائكة، وضمير الغائب (هم) المتصل بالفعل (تركناهم) والفعل (أتيناهم) يعود على جماعة العباد، كما أن الضمير (هم) المنفصل الواقع في جملة الحال للتأكيد وبيان حال العباد المنتظرين للصلوات، يحيل إحالة داخلية على العباد لإعلاء مكانتهم ومنزلتهم، وبيان عظيم عبادتهم. وبهذا فالنص قد أحال بضمير الغيبة الظاهر والمستتر على أكثر من عنصر إشاري، فأحال إلى الله تعالى والملائكة والعباد الصالحين.

ويظهر التشابك الإحالي في نصوص الأحاديث القدسية السردية الطويلة، كحديث قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح (الخضر)، يقول ﷺ: ((أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسُئل أيُّ الناس أعلمُ؟ فقال: أنا فعتبَ الله عليه إذ لم يَرُدّ العلمَ إليه فقال له: بلى لي عبد بمجمع البحرين وهو أعلمُ منك. قال: أي رب ومن لي به؟ وربما قال (أي رب وكيف لي

---

(١) ينظر: الأمثال القرآنية دراسة في معايير النصية ومقاصد الاتصال، فتحي محمد اللقاني: ص١٤٥

(٢) صحيح البخاري: رقم ٥٣٠ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص ١٨١ ـ ١٨٢، رقم١٣٠

به) قال: تأخذ حوتا فتجعله في مكتلٍ حيثما فقدت الحوت فهو ثمّ . وربما قال: (فهو ثمّة) وأخذ حوتا وجعله في مكتلٍ ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فرقد موسى واضطرب الحوتُ فخرج وسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق . فقال هكذا مثل الطاقِ . فانطلقا يمشيان بقية ليلتِهما ويومهما حتى إذا كان من الغد قال لفتاه: (آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) ولم يجد موسى النّصبَ حتى جاوزَ حيث أمرهُ الله قال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا فكان للحوت سربا ولهما عجبا، قال له موسى: (ذلك ما كنا نبغي) فارتدا على آثارهما قصصا . رجعا يقصان آثارهما . حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلّم موسى فردّ عليه فقال: وأنَّى بأرضك السلام. قال أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني مما عُلّمت رشدا. قال يا موسى إني على علم من الله علّمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علّمكه الله لا أعلمه. قال: هل أتّبعك. قال: (إنك لن تستطيع معي صبرا، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) إلى قوله (إمرا) فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة كلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخِضر فحملوهم بغير نَولٍ فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوقع على حرفِ السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين قال له الخضر: (يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر) إذ أخذ الفأس فنزع لوحا قال: فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحا بالقدوم فقال له موسى: ما صنعت قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا. قال (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا؟) قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا) فكانت الأولى من موسى نسيانا فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان فأخذ الخضر برأسه فقلعه هكذا وأومأ سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئا . فقال له موسى (أقتلت نفسا زَكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا) قال: (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا ؟) قال: (إن سألتك

عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض مائلا . أومأ بيده وأشار سفيان كأنه يمسح شيئا إلى فوق فلم أسمع سفيان يذكر (مائلا) إلا مرة . قال: (قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا عمدت إلى حائطهم لو شئت لاتخذت عليه أجرا، قال: (هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) قال النبي ﷺ: (وددنا أن موسى كان صبر فقص الله علينا من خبرهما) قال سفيان قال النبي ﷺ: (يرحم الله موسى لو كان صبر يقص الله علينا من أمرهما) وقرأ ابن عباس: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين)) [1].

فضمائر الغائب في الحديث محيلة على عدد كبير من العناصر الإشارية المتداخلة والمتشابكة في نسج أحداث النص، وهي:

. الله تعالى: إليه، فقال [هو] مستتر.

. موسى عليه السلام: قام [هو] ضمير مستتر، يرد [هو]، عليه، له، هو، قال [هو]، لفتاه، أمره، عليه.

. الخضر عليه السلام: هو ، به، هو، فرد [هو] ، قلع [هو]، له، له.

. الخضر وموسى عليهما السلام: بهما، يضيفوهما، خبرهما.

. علم الله بالأمور: علمنيه، تعلمه، علمكه، أعلمه. (ويظهر هنا الإيجاز بالضمائر في النص، وهو أحد عناصر البصمة الأسلوبية المميزة لأسلوب الأحاديث القدسية).

. يوشع بن نون وموسى: رؤوسهما (والحوت)، ليلتهما، يومهما، لهما، آثارهما.

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٣٤٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٠٤ . ٢٠٨، رقم١٣٤

. الحوت: فتجعله، خرج [هو]، سقط [هو]، سبيله، فصار [هو]، أنسانيه.

. النبي محمد ﷺ: فقال [هو] هكذا مثل الطاق . أومأ [هو]. بيده . أنه.

. الشيطان: أنساني [هو]، أذكره.

. أصحاب السفينة: كلموهم، سفينتهم، أهلها، أمامهم

. السفينة: فخرقتها.

. الغلام: رأسه . خلعه . كان/هو . أبواه.

. رأس الغلام: خلعه

. الراوي (سفيان) الناقل للحديث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (أصابعه، كأنه، يقطف/هو، يذكر).

. علم الخضر: عليه . بعدها.

. أهل القرية: أتيناهم . حائطهم.

. القرية: أهلها . فيها.

. الجدار: ينقض [هو] . أقامه [هو] . عليه.

فأحال ضمير الغائب على أكثر من عشرين عنصرا إشاريا في نص حديث واحد، وضمائر الغيبة على كثرة تكررها تداخلت مع بعضها بتلاؤم وبانسجام مع مراجعها، في ترابط متشابك العرى يستدعي من القارئ إنعام الفكر والالتحام بالنص للوصول إلى مراجع الضمير في كل إحالة.

ومن مفارقات هذا التراكم الإحالي، أنه كلما زادت الضمائر المحيلة بين الجمل، زادت حاجة الجمل لجمل سابقة ولاحقة تفسر معناها، وبهذا تستغني الجمل عن استقلاليتها، وتترابط ببعضها في نص متكامل، فيتحقق للنص اتساقه وانسجامه.

وفي كل نص لا بد من ضمائر رابطة، وإذا حذف الرابط لابد وأن تحل محله قرينة لفظية أو معنوية تدل عليه، وإلا اختل التركيب، وضمائر التكلم تفتقر إلى متكلم، وضمائر الخطاب تفتقر إلى مخاطب، أما ضمائر الغيبة فتفتقر إلى مذكور يعد مرجعا لها فلا يتضح معناها إلا بواسطة ذلك المرجع، وشرط الإضمار أن يكون بين الضمير ومرجعه مطابقة في اللفظ والقصد، بحيث لو عدل عن الإضمار إلى الإظهار كان اللفظ نفسه والمدلول نفسه [١].

وتنوع الضمائر بين ضمير الغيبة وضمائر المتكلم من الخصائص الأسلوبية للأحاديث القدسية، وهو ما يسمى بالالتفات، ومثاله قوله ﷺ: ((العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته))[٢] وهنا تبادل في الضمائر بين ضمير هاء الغيبة في (إزاره) وضمير المتكلم (ياء المتكلم وتاء الفاعل) في (ينازعني، وعذبته) وهذا الالتفات يعطي حركة وتلاؤما في النص، ويجعل المتلقي في تواصل مستمر مع النص " وهذا المقام يناسب الحضور أكثر من الغياب لبيان قوة الله وعظمته، فهذا التبادل في الدور ينقل النص إلى حالة من الحركة تؤثر في المتلقي وتجعله يتواصل مع النص وينسجم معه، وأنت إذا تقرأ هذا النص تجد أن الله عز وجل مُحدِّثٌ ومُحَدَّثٌ عنه في نفس الوقت ولا تشعر بانفكاك تراكيبه رغم ذلك التبادل في الضمائر"[٣]. وسيتم التوسع في موضوع الالتفات في الفصل السادس من البحث.

---

(١) ينظر، البيان في روائع القرآن، تمام حسان: ص ١١٩

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٦٢٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٤٠، رقم ١٥٩

(٣) دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي، محمد عرباوي: ص٩٣

فكان للضمير دور كبير في اتساق النص لما يقوم به من دور في ربط عناصر الجملة المركبة بين المسند والمسند إليه، كأن يقع الضمير في جملة المسند الواقعة خبرا أو حالا، أو صفة أو صلة، فيحيل إلى المسند إليه ويربطه بالنص ، وفيما يلي بيان لدور الضمائر في ربط الجمل واتساق التراكيب.

. الربط الإحالي بالضمير في جملة الخبر:

حين تقع الجملة اسمية كانت أم فعلية في محل رفع خبر، يكون الخبر مستقلا عن المبتدأ ومجاورا له، ولربط المبتدأ بخبره الجملة لابد من آلية تربط بين العنصرين، وتعقد الصلة بين الطرفين، وهذه الآلية تتمثل في اسم ظاهر أو ما يقوم مقامه كالضمائر، ليتحقق لها الانسجام والترابط في النص، ويفهم السامع من الخطاب أن المبتدأ هو العنصر المعني بالحكم الخبري لا غيره (١).

وقد ورد الربط بالضمير في جملة الخبر بين المسند والمسند إليه في مواضع عديدة من الأحاديث القدسية، وللرابط دور في الربط اللفظي والمعنوي، ويبين (الاستراباذي) حاجة الجملة الواقعة خبرا إلى الضمير الرابط بقوله: "... وإنما احتاجت إلى الضمير لأن الجملة في الأصل كلام مستقل، فإذا قصدت جعله جزء الكلام، فلا بد من رابطة تربطها بالجزء الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير، إذ هو موضوع لمثل هذا الغرض" (٢).

ومثال الضمير كرابط في جملة الخبر قوله ﷺ: ((قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء))(٣) فضمير الغائب المتصل (هم) يحيل على جملة المبتدأ (المتحابون في جلالي) إحالة قبلية ويربطها بشبه الجملة (لهم منابر من نور) المتعلق بخبر

---

(١) ينظر: الرابط اللفظي في لغة الحديث الشريف، حامد علي منيفي: ص ١٢٨

(٢) شرح الكافية: جـ١، ص٢٠٨

(٣) حديث صحيح أخرجه الترمذي في سننه: رقم ٢٣٩٠ كتاب الزهد ـ باب ما جاء في الحب في الله

محذوف للمبتدأ تقديره (كائن) " وهو الضمير نفسه في الجملة الفعلية (يغبطهم) ويحيل إلى المرجع نفسه، وهو مطابق له نوعا وعددا، فهذا الضمير الموجود في جملة الخبر جعل كل الجمل مترابطة متماسكة في النص تؤدي معنى فضل الحب في الله، ولولاه لبدا الكلام متنافرا ومفككا يحتاج إلى بيان مقصوده بتراكيب أخرى "[1].

وقد يكون الرابط في جملة الخبر ضميرا مستترا، يقول ﷺ قال: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟))[2] فالرابط بين الجملة الفعلية الواردة في نص الحديث (يدعوني، يسألني، يستغفرني) هو الضمير المستتر الواقع في محل رفع فاعل تقديره (هو) والعائد على العبد المتهجد في جوف الليل، وهو الرابط الذي ربط الجمل الفعلية الواقعة في محل رفع خبر للمبتدأ السابق (من)، وأحال إليها إحالة قبلية داخلية ثلاث مرات فاتسق بها النص، وفهم القارئ بها المراد بالضمير المستتر، دون الحاجة للبحث عنه خارج النص.

والمطابقة بين الضمير الرابط وما يحيل إليه من شروط الاتساق والتماسك النصي، مثال ذلك قوله ﷺ: ((حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسرا فكان يأمرغلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه))[3] فالرابط هو الضمير المستتر في جملة خبر كان (يخالط) أحال على اسم كان المحذوف (رجل) وطابقه مطابقة تامة في النوع والعدد، وكذلك في (يأمر غلمانه) ضمير الغائب المستتر (هو) والظاهر في (غلمانه) مطابق لمرجعه في النص، كما أن عود ضمير الغائب المتصل في لفظ (منه، وعنه) جاء مطابقا ومماثلا لمرجعه (اسم كان المحذوف)، وساهم في اتساق وتماسك النص، فشرط الربط بالضمير " أن يكون بين الضمير ومرجعه

---

(١) دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي، محمد عرباوي: ص٩٤

(٢) صحيح البخاري، رقم ١٠٩٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٨، رقم١٢٦

(٣) صحيح مسلم: رقم ١٥٦١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٨٧، رقم ٤٩

مطابقة في اللفظ والقصد بحيث لو عدنا بالإضمار إلى الإظهار لحصلنا على اللفظ نفسه وعلى المدلول نفسه " [1]. فيتم الربط بالضمير المستتر (هو) على مستويين، المستوى التركيبي من خلال ربط الجملة المشتمل عليها بما قبلها، وعلى المستوى الدلالي من خلال المطابقة بين الضمير الرابط والمرجع الذي يعود عليه داخل البنية اللغوية، فجاء النص محكما، والخطاب موجزا بليغا.

ويظهر الربط بالضمير المفرد المخاطب (التاء) في حديث إبراهيم عليه السلام مع ربه جل وعلا، يقول ﷺ: ((يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوامه فيلقى في النار))[2] فالرابط هو ضمير المتكلم (التاء) المطابق لمرجعه في جملة الخبر (وعدتني) العائد على ضمير الخطاب (إنك)، الذي بدوره أحال على طرف الحوار الأول وهو الله عز وجل، والضمير المفرد المتصل (الياء) في جملة (وعدتني) أحال على طرف الحوار الثاني وهو إبراهيم عليه السلام وطابقه في التذكير والإفراد.

وفي جملة الخبر (حرمت) قام ضمير المتكلم المتصل (التاء) بربط جملته بالحرف الناسخ واسمه (إني). والضميران المتصلان (الياء في فإني) و(التاء في حرمت) يحيلان إحالة داخلية على المتكلم وهو الله تعالى، والذي يدلنا على ذلك هو سياق الحال، فالله عز وجل حرم الجنة على الكافرين فهي حرام أيضا على آزر والد إبراهيم عليه السلام، وهذه الضمائر في مطابقتها لما تعود عليه، في الجنس والعدد، تقوم بدور الربط في النص وجلاء معناه، وأمن اللبس فيه، وتقوم بربط أجزاء النص والإحالة بين عناصره تحقيقا لاتساقه وارتباطه وتماسكه.

---

(١) البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان: جـ١، ص ١٣٧

(٢) صحيح البخاري، رقم ٣٣٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤ ، رقم١١

وقد طابق الضمير الرابط في جملة الخبر الأصل النحوي في عودته على أقرب مذكور في المواضع التي ورد فيها من الأحاديث القدسية، ولم يرد رابط خبر المبتدأ محذوفا مع الخبر الواقع جملة كما أنه غالبا ما يأتي مطابقا لمرجعه مطابقة تامة. وقد ورد في الأحاديث القدسية عود الضمير على ضمير مقدر بما يدل عليه علما [1]، مثال ذلك، قوله ﷺ: ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم...))[2] فالهاء في (يكلمهم) رابط عائد على مرجع مقدر غير مذكور استغني عنه بما يدل عليه من معنى السياق وما سيأتي ذكره في النص من تفصيل، والتقدير: ثلاثة رجال لا يكلمهم الله، حيث أضمر الحديث الشريف لفظ (الرجال) للتشويق وجذب الأذهان بالتفصيل بعد الإجمال.

(١) ينظر :الرابط في لغة الحديث الشريف، حامد علي منيفي: ص ١٣٢ ـ ١٣٥

(٢) صحيح البخاري: رقم ٢٢٤٠، كتاب الشرب والمساقاة، باب إثم من منع ابن السبيل من الماء

ـ الربط الإحالي بالضمير في جملة النعت:

إذا وقع النعت جملة يكون شأنه كشأن الخبر الجملة، فلا بد أن يشتمل على ضمير رابط يربط جملته بالمنعوت، ويرتبط به الموصوف بصفته، مما يؤدي إلى اتصال الكلام وتماسكه، والغالب في الرابط أن يكون مذكورا ويطابق المنعوت، يقول ابن عقيل في هذا:" لا بد للجملة الواقعة صفة من ضمير يربطها بالموصوف "(١).

وكثيرة هي الجمل التي وقعت في محل نعت في الأحاديث القدسية، مثال ذلك قوله ﷺ: ((إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض، وعنقه منثن تحت العرش، وهو يقول: سبحانك ما أعظمك ربنا، فيرد عليه: ما يعلم ذلك من حلف بي كذبا))(٢) ولفظة (ديك) جاءت نكرة منعوتة وشكلت محورا لربط الضمائر بالجمل النعتية وشدها لبعضها فالجملة الفعلية (قد مرقت رجلاه الأرض) والاسمية (عنقه منثن تحت العرش) وقعتا نعتا وتحيلان إلى المنعوت (ديك) إحالة قبلية داخلية بواسطة ضمير الغائب المتصل (الهاء) المضاف إلى الفاعل (رجلاه) والمبتدأ (عنقه)، وهذه الضمائر قد ربطت النص، ولولاها لانفصلت العلاقة بين المنعوت ونعته، فأدمجت لحمته وسبكته في تركيبه اللغوي.

ويطابق الضمير المتصل في جملة النعت المحال إليه في النوع والعدد، يقول ﷺ: ((يخرج من النار أربعة يعرضون على الله عز وجل فيأمر بهم إلى النار، فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب قد كنت أرجو إن أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها، فيقول: فلا نعيدك فيها))(٣) وجملة (يعرضون على الله عز وجل) في محل رفع صفة وتطابق فيها الضمير (واو الجماعة) في (يعرضون) مع مرجعه (أربعة) الواقع فاعلا، فترابط بها النعت بمنعوته، واتسق بها النص وانسجم في معناه.

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: جـ٣،ص: ٢٠٦
(٢) أخرجه الطبراني في السلسلة الصحيحة: رقم ١٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص: ٢٧٥، رقم ١٧٦
(٣) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم ١٣٠٦٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٢٩، رقم ٨٥

وفي مثال آخر يقول ﷺ: ((أنزلت علي آنفا سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر)، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثتْ بعدك))[1]. حيث بين النبي ﷺ، لفظ (الكوثر) وهو نكرة لم يكن يعرفه الصحابة بعد بجمل خبرية اشتملت على جمل نعتية بداخلها كعنصر متمم لها، مما جعل لفظ (الكوثر) محور ربط للضمائر في الجمل المخبرة عنه والواصفة له، فجملة (إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل) وجملة (هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة) هي جمل خبرية اشتملت على جمل واصفة للخبر النكرة بداخلها (نهر) و(حوض) والضمير المتصل الغائب في (وعدنيه) و(عليه) يحيل إحالة قبلية داخلية مطابقة للنهر والحوض، وهو من ثم يحيل إلى مركز الإحالة الأصلي (الكوثر).

وفي قوله (ما أحدثتْ قبلك) تظهر الإحالة بالضمير المطابق لما تحيل عليه بالمعنى وليس باللفظ في الضمير المستتر(هي) الذي دلت عليه تاء التأنيث المتصلة بالفعل (أحدثت) والمحال إليه (العبد) المفرد المذكر، فالمطابقة هنا في المعنى والمقصود بلفظ (العبد) الأمة التي خالفت نهج الرسول ﷺ، وهي لفظ مؤنث يتطابق مع الضمير المستتر في (أحدثت) [2].

وتربط الضمائر المتصلة، خبر كان النكرة المنعوت بالجمل الوصفية، مثال ذلك قوله ﷺ: ((أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم! قال: إنهم كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئا، وتسد بهم الثغور، وتتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، قال: فتأتيهم

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٤٠٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص ١٤٢، رقم ٩٤

(٢) ينظر: دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي، محمد عرباوي: ص ٩٩

الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار))[1] فخبر كان هو (عباد) يحتاج إلى جمل تابعة تصفه ليتضح معناه لدى الملائكة الذين كانوا لا يعلمون من أمر العباد الذي أمروا بالسلام عليهم شيئا، فجاءت الجمل الواصفة (يعبدونني) (لا يشركون) (يتقى بهم) (يموت أحدهم) مرتبطة بالضمائر المتصلة (واو الجماعة) والضمير (هم) لتحيل على العباد إحالة قبلية مطابقة، ومن ثم تحيل على المحال إليه الأصلي (أول من يدخل الجنة).

ـ الربط الإحالي بالضمير في جملة الحال

إن الحال إذا وقع جملة فلا بد له من رابط يربط جملته بصاحب الحال، والرابط إما أن يكون الواو أو الضمير أو كلاهما بهدف وصل المعنى واتساق اللفظ، وقد وردت الجمل الحالية في الأحاديث القدسية في مواضع عديدة كقوله ﷺ: ((لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش...))[2].

فالضمير الرابط في الجمل الحالية (ترد [هي] أنهار الجنة) (تأكل [هي] من ثمارها) (تأوي[هي] إلى قناديل) هو الضمير المستتر المفرد المؤنث الذي تقديره (هي) والذي دلت عليه (تاء التأنيث) في الأفعال (ترد، تأكل، تأوي) لتحيل به إحالة سابقة على لفظ (أرواحهم) الذي هو جمع للمؤنث، وبهذا تكون الإحالة مطابقة للمعنى وليس للفظ " فإذا بحثنا عنه في المتقدم من النص نجد لفظتي (الأرواح والطير) كلاهما معرفة وجمع ويتطابقان مع الضمير المفرد المؤنث معنى وليس لفظا، وهنا يتعاضد الضمير المحيل مع قرينة الرتبة فيتبين أن المحال إليه هو (الأرواح) التي سبقت بالذكر أما (طير) فهي مضافة إلى جار ومجرور متعلق بالمحال إليه،

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: رقم ٦٤٧٤، الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٦٥، رقم ١٧١

(٢) صحيح مسلم: رقم ١٨٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٠٩، رقم ٧١

و(الأرواح) بدورها تعود إلى المرجع الأول في النص وهو (إخوانكم) وبعيدا عن هذا التحليل النحوي فإن المتلقي في هذا له الدور الرئيس في فهم النص، حينما يدرك أن موضوع الحديث لا يتعلق بالطير وإنما بشهداء غزوة أحد الذين أنعم الله عليهم بالحياة في الجنة، ويبدو جليا أن اتساق هذا النص بني على الإحالات وعلى مبدأ تعاضد الروابط ودور المتلقي " [١].

وهذه الجمل الحالية الواردة في الحديث تعد من المواضع التي يجب اقتران جملة الحال فيها بالضمير وحده دون الواو، ذلك أن جملة الحال فعلية فعلها مضارع (ترد أنهار الجنة) (تأكل من ثمارها) (تأوي إلى قناديل)، والنحاة قد منعوا دخول الواو على المضارع " لأنه شبيه باسم الفاعل فكأنك إذا قلت: جاء زيد يضحك، قلت: جاء زيد ضاحكا، وأنت لا تقول جاء زيد وضاحكا " [٢].

وجملة الحال قد ترتبط بالضمير والواو معا، أو ترتبط بالواو أو بالضمير وحده والربط بالضمير في جملة الحال شائع في الاستعمال اللغوي وفي لغة الحديث القدسي، فقد ورد الربط بالضمير في الجملة الواقعة حالا مطابقا لمرجعه ـ صاحب الحال ـ مطابقة تامة في قوله تعالى في حديث فضل مجالس الذكر والذاكرين: ((هم الجلساء لا يشقى جليسهم))[٣] فالضمير المتصل (الهاء) في كلمة (جليسهم) عائد على صاحب الحال (الجلساء).

وقد ربط ضمير الجماعة المتصل جمل الحال ببعضها في وصف حال الحجيج يوم عرفة، فعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: ((... ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة: ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، فيقول: انظروا

---

(١) دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي ، محمد عرباوي: ص٣٤١

(٢) النحو الوافي، عباس حسن: جـ ٢، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٩

(٣) حديث صحيح ـ أخرجه البخاري، رقم ٦٤٠٨ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص٦٠، رقم ٣٤

إلى عبادي جاؤوا شعثا غبرا حاجين، جاؤوا من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ولم يروا عذابي، فلم يُرَ يوم أكثر عتيقا من النار، من يوم عرفة)) [١].

فجملة (جاؤوا شعثا غبرا)، (جاؤوا من كل فج عميق)، (يرجون رحمتي)، (ولم يروا عذابي) جمل حالية فعلية ارتبطت بصاحب الحال عن طريق ضمير الجماعة (الواو) المطابق لما تحيل إليه في النوع والعدد. وقد كان للضمير كبير الأثر في تماسك النص وترابط جمل الحال مع المحال إليه. وهذه الجمل الحالية تعتبر من المواضع التي عدها النحاة من حالات وجوب اقتران الجملة الحالية . اسمية كانت أم فعلية . بالضمير وحده دون الواو، لأنها جاءت مؤكدة لمضمون جملة قبلها، وهي هنا جملة (انظروا إلى عبادي) فالرابط فيهم هو الضمير دون الواو.

وقد وردت جمل الحال مرتبطة بالضمير المستتر فقط في حديث آخر تباهى فيه الله تعالى بحال العبد يقيم الصلاة برأس الجبل خوفا وطمعا برضاه، يقول ﷺ: ((يعجب ربكم من راعي غنم في رأس شظية بجبل يؤذن بالصلاة ويصلي، فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني، قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة))[٢] فصاحب الحال (راعي غنم) والجمل الحالية الفعلية مرتبطة به بواسطة الضمير المستتر(هو) في (يؤذن، ويصلي، ويقيم، يخاف). وهذا من المواضع التي يجب اقتران الجملة الحالية . اسمية كانت أم فعلية . بالضمير وحده، لأن الحال مضارعة مثبتة، ويمتنع دخول الواو على المضارع، لأنه شبيه باسم الفاعل، والواو الداخلة على الفعل (ويصلي ويقيم) هي للعطف، وليست للحال.

فالجمل الحالية ارتبطت بصاحب الحال الذي ورد ذكره ثمان مرات بالإحالة إليه بواسطة الضمير، اعتزازا به وثناء عليه في قوله: عبدي، والضمير المستتر (هو) في (يؤذن، ويصلي، يؤذن ويقيم، يخاف)، والضمير المتصل (الهاء) في (أدخلته)، وكلها ضمائر تحليل على راعي الغنم

---

(١) حديث صحيح أخرجه ابن حبان: رقم ١٠٠٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٦٦، رقم ١١٢

(٢) حديث صحيح أخرجه أبو داود: رقم١٢٠٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٨٠، رقم ١٢٩

الذي ورد ذكره في أول نص الحديث، وورد خبره في آخره بأنه قد فاز بمغفرة الله ورضوانه "ورد العجز على الصدر هنا من المقومات التي دعمت دور الضمائر في اتساق وانسجام النص القدسي، وبواسطة الضمير العائد على صاحب الحال تم نسج العلاقة الترابطية بين عدة جمل حالية والجملة المشتملة على صاحب الحال مما أشاع الاتساق في كامل أجزاء النص، فدور الضمير تعدى أثره من مستوى الجملة الواحدة إلى مستوى النص" (١).

ومن الجمل الحالية التي ظهر فيها الربط بالضمير وبواو الحال ما ذكره الله تعالي في حال عباده الذين يتباهى بطاعتهم وتقربهم منه بالطاعات وأداء الفرائض. ما رواه عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب فرجع من رجع وعقب من عقب فجاء رسول الله مسرعا قد حفزه النفس، وقد حسر عن ركبتيه فقال: ((أبشروا هذا ربكم قد فتح بابا من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة يقول: انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى)) (٢).

فالرابط في الجمل الحالية (قد قضوا فريضة)، (وهم ينتظرون أخرى)، هو ضمير (واو الجماعة) الذي أحال إحالة قبلية نصية على صاحب الحال (عبادي) وتطابق معه. والعباد اتصل لفظهم بضمير المتكلم المسند إلى الله تعالى تشريفا وتكريما لهم هم المنتظرون للصلاة تلو الأخرى في محراب الذكر وقداسة العبادة إلى أن وصلوا إلى منزلة المباهاة بهم أمام الملأ الأعلى.

وجملة الحال (قد قضوا فريضة) من الجمل التي يجوز فيها الربط بالضمير (واو الجماعة) المسند إلى العباد، لأنها ماضية مصدرة بقد، فارتبطت بالضمير دون الواو، وهذا يتناسب وسياق السرعة في الإخبار، والاقتصاد في القول لسوق البشرى للعباد،وهو ما يفهم من المقام والسياق الخارجي للنص.

---

(١) دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي، محمد عرباوي: ص ١٠٣

(٢) حديث صحيح أخرجه ابن ماجة: رقم ٨٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٨٣، رقم ١٣١

أما الجملة الحالية (وهم ينتظرون أخرى) فهي من الحالات التي يجب ارتباطها بواو الحال، لأنها مصدرة بضمير صاحب الحال، وجاء الربط فيها بضمير الجمع الواو المتصل بالفعل (ينتظرون) لتقوية الربط والتأكيد على عظيم وشرف عملهم وعبادتهم في انتظار الصلاة تلو الأخرى في المسجد.

ولواو الحال دور مهم في بناء جملة الحال، فهي تربط جملة الحال بما سبقها، ليكون المعنى متصلا متماسكا، فتحقق الفائدة من إنشاء جملة الحال، ولولا الواو، لانفصلت أجزاء الكلام، ولتفككت عراه، مثال ذلك قوله ﷺ: ((قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يَسبُّ الدهرَ وأنا الدهر بيدي الأمر أُقلبُ الليلَ والنهارَ))[1] فجملة (وأنا الدهر) جملة حالية مصدرة بضمير صاحب الحال، وهي من الحالات التي يجب الربط فيها بالواو وحدها دون الضمير، وقد قامت (الواو) بفعل الربط بين الحال وصاحبه، وجعلت المعنى واضحا بينا، ومن دونها تصبح جملة الحال استئنافية لا علاقة لها بما قبلها.

والملاحظ في نصوص الأحاديث القدسية أن أغلب جمل الحال ترتبط بصاحب الحال بواسطة الضمير، فهو الرابط الأقوى والأكثر شيوعا في الجملة الحالية الواردة في الأحاديث القدسية، ورأي بعض النحاة أن الأصل في جملة الحال احتواؤها على ضمير رابط يعود على صاحب الحال[2]، فإن خلت الجملة من ضمير رابط استقلت بالإفادة، فتصل الواو بينها وبين صاحبها بصلة وثيقة، وقد يربط بالواو وبالضمير معا لتقوية الربط [3].

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٤٨٢٦ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٣٦، رقم ١٥٨

(٢) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام: جـ١،ص: ٣٩٨، والإيضاح في علوم القرآن، الخطيب القزويني: ص١٤٢

(٣) ينظر: شرح الكافية، الرضي الاستراباذي: جـ٢، ص: ٤١

. الربط الإحالي بالضمير في جملة الصلة:

الموصولات كلها مبهمة المدلول، غامضة المعنى، ولابد لها من جملة بعدها واجبة التأخير تزيل إبهامها تسمى (الصلة) ولا تنعقد هذه الصلة بالموصول إلا برابط يربط جملة الصلة ويعود على الاسم الموصول الذي جاءت الجملة لتوضيح إبهامه وكشف معناه، ويتحقق الانسجام والاتساق بمطابقته للموصول الخاص، أما في الموصول العام (ما ، من) فلا تشترط المطابقة التامة، لأنه أحادي اللفظ متعدد المعنى، ولذا جاز في الرابط أن يطابقهما لفظا أو معنى، والحمل على اللفظ أكثر ما لم يحصل لبس (١).

والربط بالضمير يحقق الاقتصاد في البنية اللغوية للنص، وهذا من المقاصد التي كانت تشتهر بها العرب في فصاحتها وبيانها، وتعددت الموصولات وتنوعت في الأحاديث القدسية خصوصا في مشاهد الآخرة، ومشهد الحساب يوم القيامة، بين موصولات مشتركة ك (أي، ما، من)، وموصولات مختصة ك (الذين والتي والذي) تصف حال أهل العذاب وتبين حال المؤمنين الذين وجوههم كالقمر ليلة البدر وكأضواء النجوم حين ذاك، يقول ﷺ قال: ((نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا أنظر أي ذلك فوق الناس، قال: فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون ننظر ربنا فيقول: أنا ربكم فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك، فينطلق ويتبعونه ويعطى كل إنسان منهم ـ منافق أو مؤمن ـ نورا ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفا لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء، ثم كذلك ثم تحل الشفاعة، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء

---

(١) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: جـ٤، ص ١٣

الجنة، ويجعل أهل الجنة يَرُشُّون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل، ويذهب حراقه ثم يسأل حتى تُجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها)) [1].

فوردت في الحديث القدسي أربعة موصولات ارتبطت بجملة الصلة بضمائر تحيل عليها وتقتصد طول المشهد المذكور وتفاصيله أشد اقتصاد. الموصول الأول مشترك هو: (أي) وصلته (ذلك فوق الناس) والضمير الرابط محذوف تقديره (هو) فيكون أصل التركيب (ذلك هو فوق الناس) والرابط يرفع الإبهام عن الاسم الموصول (أي) ويحيل إليه إحالة قبلية، والاسم الموصول بدوره يحيل إلى مرجعه من النص، وهو لفظ (كذا وكذا) لبيان كثرة عدد أمة محمد يوم ذاك في أرض المحشر.

والموصول الثاني (ما) موصول مشترك لغير العاقل، وصلته (كانت تعبد) والضمير الرابط بينهما (الهاء) ضمير الغائب المتصل، وهو محذوف تقديره (وما كانت تعبده)، فربط الضمير جملة الصلة بالموصول الاسمي، والموصول الاسمي بدوره أحال إلى مرجعه من النص، وهو (الشيء المعبود).

ويظهر الموصل العام (ما) وصلته في جملة (ما يزن شعيرة) والضمير الرابط بين الموصول وصلته هو الضمير المستتر (هو) الذي يحيل إحالة قبلية على الموصول (ما) ويزيل الإبهام عنه، ويربط جملة الصلة بنسيج النص وتركيبه. والموصول الثالث، هو (من) وهو موصول عام للعاقل، وجملة صلته (شاء الله) والرابط بين الموصول وصلته هو الضمير (الهاء) المحذوف، على تقدير (من شاءه الله) فتلاحمت بالضمير جمل النص، واتسقت في تركيبها.

ويظهر الموصول الاسمي (من) وصلته مرة أخرى في قوله (من قال لا إله إلا الله) والرابط بين الموصول الاسمي وجملته هو الضمير المستتر (هو) بعد الفعل (قال) والذي أحال إحالة قبلية

---

(١) صحيح مسلم: رقم ١٩١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٣٦ ـ ١٣٧، رقم ٨٩

على الموصول ولولا هذا الضميرالمحيل لحدث انكسار على مستوى التركيب، وانقطعت علاقة الاتساق بين جملة الصلة وموصولها[١].

والموصول الرابع، هو (الذين) وهو موصول مختص يدل على جماعة المؤمنين المخصوصة بالنور والمدح، وصلته الجملة الفعلية (يلونهم) والرابط هو الضمير البارز المتصل (هم) الذي يحيل إحالة قبلية على الموصول الاسمي ويطابقه مطابقة تامة، على مستوى اللفظ والمعنى، ويزيل الإبهام عنه، فضمير الجماعة (هم) يحيل إلى الموصول (الذين) ويزيل إبهامه، والموصول بدوره يحيل إلى مرجعه من النص وهم جماعة المؤمنين الذي وجوههم كأضواء النجم في السماء " وهذه الضمائر التي اشتملت عليها الجمل الصلات تحيل إلى موصولاتها، وهذه الأخيرة تحيل بدورها إلى مراجعها، وهذا التعدد والتداخل الإحالي أضفى على كتلة النص خفة واختصارا وعلى تركيبه تماسكا واتساقا وعلى معانيه تأثيرا وانسجاما " [٢].

ومن الربط الإحالي بالضمير المنفصل في جملة الصلة، قوله ﷺ: ((إن الله يقول لأهون أهل النار عذابا: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به. فيقول: نعم. فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئا، فأبيت إلا أن تشرك بي))[٣] فالضمير المنفصل (هو) يعود على عنصر إشاري لاحق مطابق له مطابقة تامة في الإفراد والتذكير وهو (الشرك).

كما ورد الضمير المتصل في قوله ﷺ: ((قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفُث ولا يَصخَب فإن سابَّهُ أحدٌ أو قائلهُ، فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من

---

(١) ينظر: درو الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي، محمد عرباوي: ص ١٠٦

(٢) المرجع السابق، ص: ١٠٧

(٣) صحيح البخاري: رقم ٦٥٥٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٥، رقم ١٢

ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه)) [1] فضمير الغائب المتصل في جملة الصلة (بيده) عائد على الموصول الاسمي (الذي) ويطابقه مطابقة تامة.

ومن الربط الإحالي في جملة الصلة قوله ﷺ: ((... وأخِرُّ ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط واشفع تُشفع فأقول: يا رب أمتي أمتي فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تُعط واشفع تُشفع فأقول: يا رب أمتي أمتي فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة وخردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط واشفع تشفع فأقول: يا رب أمتي أمتي فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردلٍ من إيمان فأخرجهُ من النار من النار من النار، فأنطلق فأفعل...))[2]. فالرابط الإحالي هو ضمير الغائب المتصل (الهاء) في جملة الصلة (كان في قلبه) جاء مطابقا للموصول الاسمي العام (من) فجاء مفردا مذكرا مراعاة للفظه، ويجوز هنا عدم المطابقة للموصول العام حملا على معناه، والحمل على لفظه بالمطابقة أكثر ورودا في الأحاديث القدسية.

وقد يحذف الضمير الرابط من جملة الصلة الفعلية كما في قوله ﷺ: ((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا...))[3] على تقدير: لو تعلمون ما أعلمه، وهو رابط منصوب بالفعل (أعلم)، وقد علل النحاة حذف الرابط المنصوب بطول الصلة، وللتخفيف، يقول الأنباري(ت ٥٧٧هـ): " وإنما حذف الضمير المفعول العائد إلى الاسم الموصول تخفيفا،

---

(١) صحيح البخاري: رقم ١٧٧١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٦٨، رقم ١١٥

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص: ١٤٤، رقم٩٥

(٣) حديث صحيح أخرجه ابن حبان: رقم ٢٤٩١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٤١، رقم ٢٣

لأن الاسم الموصول وصلته المركبة من الفعل والفاعل بمنزلة كلمة واحدة، فلما طال الكلام حسن الحذف، لأن طول الكلام يناسب الحذف" [١].

كما يحذف الضمير الرابط من جملة الصلة الواقعة شبه جملة كقوله ﷺ: ((يقوم الرجل من أمتي من الليل يُعالج نفسه إلى الطهور وعليه عُقد فإذا وضّأ يديه انحلت عُقدة، وإذا وضّأ وجهه انحلت عُقدة وإذا مسح رأسه انحلت عُقدة، وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة فيقول الله عز وجل للذين وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي يُعالجُ نفسه يسألني ما سألني عبدي هذا فهو له))[٢] فالرابط في جملة الصلة (وراء الحجاب) محذوف لوضوح المعنى المقصود، على تقدير (للذين وراءه في الحجاب)، والضمير (الهاء) مجرور بإضافته للظرف، وحذفه أبلغ من ذكره، وأشمل لكل معاني الغيبيات التي ترد في ذهن القارئ المتصور للخلق المخاطبين من وراء الحجاب من الملإ الأعلى.

وعليه، فذكر الرابط الضميري في جملة الصلة في الأحاديث القدسية أكثر من حذفه، وبذلك تكون لغة الحديث القدسي متفقة مع ما وضعه النحاة من قواعد " فجميع القواعد النحوية الخاصة بالرابط في جملة الصلة، التي وضعها النحاة، لأوجه المطابقة بين الضمير الرابط ومرجعه الموصول، من حيث (العدد) و (الجنس) اتفقت مع الواقع اللغوي، حيث جاءت لغة الحديث الشريف توثق ما جاء به النحاة من صور للمطابقة بين الرابط ومرجعه " [٣].

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن: جـ١، ص١٢٧

(٢) حديث صحيح ـ أخرجه ابن حبان في صحيحه: رقم ٢٦١٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٧، رقم ١٢٥

(٣) الرابط اللفظي في لغة الحديث الشريف: ص١٦٣

. الربط الإحالي بضمير الشأن:

ضمير الشأن هو تسمية بصرية، أما الكوفيون فيسمونه الضمير المجهول لعدم تقدم شيء عليه ليكون مرجعه(١)، وهذا الضمير يتصدر جملته، ويؤتى به في مواضع التعظيم والتفخيم، وإثارة الانتباه إلى ما يليه، والجملة التي تأتي بعده مفسرة له، ويأتي مفردا مذكرا، وإذا أتى للمؤنث بصيغة (هي) سُمِّيَ ضمير القصة. ويرى الدكتور تمام حسان أن ضمير الشأن يقوم بوظيفة الربط ويعود دائما على متأخر لفظا ورتبة، ويتطابق تذكيرا وتأنيثا في الغالب مع المسند إليه في الجملة المفسرة، ومن ثم تتشكل علاقة الربط (٢).

ويعد ضمير الشأن من أدوات الربط الإحالي بين العناصر اللغوية في التراكيب، لأنه يحيل إحالة بعدية للجزء المتمم لمعناه، مثاله قوله ﷺ: ((إذا سمعتم رجلا يقول: قد هلك الناس، فهو أهلكهم، يقول الله: إنه هو هالك))(٣). فضمير الشأن هو (الهاء) المتصل بالحرف الناسخ (إنّ) وهو اسمها، وضمير الفصل المذكور بعده (هو) تكرار وتأكيد له، وكلا الضميرين أحال إحالة بعدية على جملة بعده، وبهما قوي اتساق البنية اللغوية للنص.

وقد ورد ضمير الشأن في الأحاديث القدسية في عدة مواضع منها قوله ﷺ: ((... ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنة، فيقول:أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها...)) (٤). فضمير الشأن هو الضمير المنفصل للمفرد الغائب في جملة (هو آخر أهل النار) حيث وقع مبتدءا خبره الجملة المفسرة له والواقعة بعده، وكذلك في جملة (فإنه قد قشبني ريحها) فضمير

---

(١) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن: جـ١، ص ٣٢١

(٢) ينظر، البيان في روائع القرآن : جـ١، ص: ١٥١

(٣) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده: رقم ٧٤٩٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص ٤١، رقم ٢٤

(٤) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص ٩٩ . ١٠٠، رقم ٦٣

الغائب المتصل (الهاء) هو ضمير الشأن وقد أحال إحالة بعدية على الجملة المفسرة له (قد قشبني)، وهذه الجملة "المسبوقة بقد تفيد التحقيق، ولم تكف هذه الجملة فأضاف هذا الرجل جملة فعلية أخرى لزيادة التفسير (أحرقني ذكاؤها) فالجملة الأولى هي خبر للناسخ (إن) والجملة الثانية معطوفة عليها، وضمير الشأن (الهاء) قد أحال إليهما إحالة بعدية قريبة وتطابق مع شأن القشب والحرق في الإفراد والتذكير، فضمير الشأن بإحالاته البعدية قد حقق نوعا آخر من اتساق النص يختلف عن الذي تفعله معظم الضمائر التي تحيل في النص إحالات قبلية" (١).

ومما سبق تبين دور الإحالة بالضمير في تحقيق الترابط والاتساق في نصوص الأحاديث القدسية، التي تنوعت الضمائر المحيلة فيها، وتنوعت فيها الإحالات كذلك، وبعض الأحاديث القدسية اجتمعت فيها الإحالة الداخلية والخارجية معا في نص واحد، لكون المتكلم في الأحاديث القدسية هو الله تعالى، مما يحيل إحالة خارجية عليه، وقد كان لهذا النوع من الإحالة كبير الأثر في ربط داخل النص بخارجه، ربطا محكما متسقا ومتماسكا.

وأكثر الضمائر ورودا في نصوص الأحاديث القدسية هو ضمير (الغيبة) المتصل الذي كلما تراكم وتشابك في البنية التركيبية، جعل الجمل معتمدة على بعضها في اكتمال معناها، مما يؤدي إلى لزوم الترابط بين جمل النص كله، ولزوم التماسك بين النظام النصي بأكمله لمعرفة عود الضمير ومرجعه، مما يجعل القارئ ملتحما بالنص لفهمه، منكبا عليه مرتبطا به ارتباطا متماسكا لا ينفك.

---

(١) دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي، مصطفى عرباوي: ص ١٠٩

ب ـ الربط الإحالي باسم الإشارة:

أسماء الإشارة تندرج ضمن المبهمات كالضمائر في حاجتها لمفسر سابق أو لا حق لها، لذلك يكثر بعدها مجيء النعت أو البدل أو عطف البيان [١]، واسم الإشارة كباقي الروابط الإحالية، يحقق اتساق النص وتماسكه، وقد ذكره ابن هشام في مبحث روابط الجملة بما هي خبر عنه [٢].

وأسماء الإشارة تشبه الضمائر، وتقوم بنفس أدوارها في الربط بين الجمل، والإشارة إلى المحال إليه، وقد ذكر الدكتور تمام حسان أنه يصلح الربط بأسماء الإشارة في كل موضع تصلح فيه معاقبة اسم الإشارة لضمير الشخص، من دون أن يخل ذلك بالمعنى [٣]، وذلك عائد إلى ما بين الضمائر وأسماء الإشارة من تقارب، فأسماء الإشارة تشترك مع ضمائر الشخص في الدلالة على مطلق غائب أو مطلق حاضر [٤]، فهناك تقارب كبير بين أسماء الإشارة وضمائر الغائب، بدليل إمكانية استبدالها بأسماء الإشارة في كل موضع ترد فيه الضمائر رابطة بين عناصر الجمل دون أن يخل ذلك بالمعنى.

مثال ذلك قوله ﷺ لأصحابه: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: ((أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر: فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوءِ كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب))[٥] فلو استبدال اسم الإشارة (ذلك) بالضمير المنفصل (هو) لما تغير المعنى ولصلح التركيب أيضا،

(١) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن: جـ١، ص ٣١٩
(٢) ينظر: مغني اللبيب: جـ٢، ص ١٧٨
(٣) ينظر: البيان في روائع القرآن: ص ١٢١
(٤) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان: ص ١١٠
(٥) حديث صحيح ـ أخرجه البخاري: رقم ٨٤٦ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص ٢٦، رقم ١٣

وجملة (فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب) ستكون على تقدير (فهو مؤمن بي وكافر بالكوكب)، وجملة (فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب) ستكون على تقدير (فهو كافر بي ومؤمن بالكوكب).

فعملت أسماء الإشارة على ربط مفاصل النص ومتتاليات جمله بالإحالة داخل النص" وكان لمفسر اسم الإشارة في الجملة الثانية معنى الشرط الحاصل من الجملة الأولى، وجاءت الإشارة إلى شيء موجود أو حاصل في الذهن قبل التلفظ بالمشار به، لأن المشار إليه ورد في الكلام السابق لاسم الإشارة، واستعملت صيغة الإشارة للبعيد (ذلك) كون المحكي عنه غائبا متقدما في الذكر، رغم إمكانية استعمال الإشارة بالقريب لهذا الغائب إذ جرى ذكره عن قريب كأنه حاضر، فاسم الإشارة (ذلك) مبدل منه ومحيل، والبدل الذي يشير إليه هو كل من اللفظين (مؤمن وكافر) المتأخرين عنه والمحال إليهما، والعود على متأخر هو إحالة بعدية أو إحالة إلى لاحق تساهم في اتساق النص" (١).

وأكثر أسماء الإشارة الرابطة للجمل مختصة بالمخاطبات للبعيد ك (أولئك ، تلك، ذلك) لأن الإشارة أسلوب موجه لإشراك المخاطب في الحديث، وحين" توضع الإشارة في الاستعمال فإنها تحدث أثرا حسيا وتحقق التعريف بأن تخصص للمخاطب شيئا يعرفه بالعين أو بالقلب، فالإشارة إذن عملية موجهة للمخاطب بالأساس لا للمشار إليه، وهذه التقنية تجعل الإشارة عملا لغويا يحدثه المتكلم (المشير) للمخاطب (المشار إليه) وبالتالي فإن الإشارة لا تحقق المعنى الأصلي المقصود من الجملة، وإنما تحقق المعنى الأساسي للنص ككل وتوحد العمل اللغوي الذي يشمل تلك الجملة، ليصير كتلة متماسكة منسجمة" (٢).

وتظهر أهمية أسماء الإشارة في تحقيق ترابط النص عندما تحيل إحالات قبلية أو بعدية داخل النص، وهي في الغالب تحيل إلى داخل النص لافتقارها إلى متمم لمعناها، سواء أكان المحال إليه عنصرا معجميا أو نصيا من متتاليات جمل النص، وبذلك تسهم في التشكيل التركيبي

---

(١) دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي، محمد عرباوي: ص١٢٨
(٢) المرجع السابق: ص ١٢٩

للنص، وتعمل على تكثيف المعاني، وتحقيق الاقتصاد والإيجاز اللفظي، بالإضافة إلى دورها في ربط النص واتساقه، وقد تنوعت أسماء الإشارة الواردة في الحديث القدسي، وفيما يلي بيان لورود الإحالة باسم الإشارة في نصوص الأحاديث القدسية:

أ . هذا:

اسم الإشارة (هذا) هو أكثر أسماء الإشارة ورودا في نصوص الأحاديث القدسية، وقد تنوع وروده بين إحالة معجمية تحيل إلى عنصر إشاري مفرد، أو إلى مفهوم ناتج من متواليات جملية نصية، مثال ذلك قوله ﷺ: ((يجيء الرجل آخذا بيد الرجل. فيقول: يا رب، هذا قتلني، فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي، ويجيء الرجل آخذا بيد الرجل فيقول: إن هذا قتلني، فيقول له: لم قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان فيبوء بذنبه " [1].

فاسم الإشارة (هذا) أحال إحالة معجمية داخلية إلى سابق هو (الرجل) القاتل، ويؤكد هذا الإسناد في (قتلني) فالرجل الأول في قوله: (يجيء الرجل آخذا بيد الرجل) هو المقتول، والثاني هو القاتل. وقد جاءت الإحالة باسم الإشارة في سياق المقابلة وإبراز الفرق الكبير بين من قتل لتكون العزة لله، ومن قتل لتكون العزة لغير الله.

ومن الإحالة باسم الإشارة (هذا) قوله ﷺ: ((يعجب ربكم من راعي غنم في رأس شظية بجبل يُؤذِّن للصلاة ويُصلي، فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي هذا يُؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي وأدخلتُه الجنة)) [2].

---

(١) حديث صحيح، أخرجه النسائي في سنن، جـ٣، رقم ٣٩٩٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص: ٢٧٠، رقم ١٧٣

(٢) حديث صحيح، أخرجه أبو داود: رقم ١٢٠٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٠، رقم ١٢٩

فاسم الإشارة (هذا) أحال إحالة معجمية إلى سابق هو (عبدي) وفي هذه الإحالة إعجاب وفخر بهذا العبد، وضمير الملكية المتصل بلفظ (العبد) تعاضد مع اسم الإشارة (هذا) الدال على القريب لبيان قرب هذا العبد من الله تعالى ورضاه عليه.

وفي هذا الحديث إشادة بفضل المؤذن وعظيم مقامه، وقد قام اسم الإشارة بتجسيد المشار إليه المؤذن والمقيم للصلاة في رأس الجبل بعيدا عن أعين الناس، مخلصا لله فجعله حاضرا ماثلا أمام عين المتلقي لنص الحديث في مكان عال وحظوة رفيعة المقام، وقد قام الرابط الإشاري (هذا) بخلق عرى وأواصر تترابط بها جمل النص وتتوالد، فأعاد ربط العبد المؤذن بأفعال أخرى باتساق متداعي الألفاظ متسلسل الأفكار في قوله (يُؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي وأدخلتُه الجنة) فاسم الإشارة أحال إلى متقدم هو لفظ (عبدي) والذي بدوره يعود إلى مركز النص (راعي الغنم) الذي به افتتح الحديث، والذي تعود ضمائر النص كلها إليه.

ومن الإحالات الداخلية إلى لاحق باسم الإشارة (هذا) قوله ﷺ: ((قال الله عز وجل، إن أمتك لا يزالون يقولون: ما كذا؟ ما كذا؟ حتى يقولون: هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله))[1] فأحال اسم الإشارة (هذا) إلى عنصر إشاري معجمي لاحق، وهو لفظ الجلالة الله في قوله: (هذا الله)، كقوله ﷺ لأصحابه: ((أبشروا هذا ربُّكم قد فتح بابا من أبواب السماء يُباهي بكم الملائكة يقول: انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى))[2]، وفيه دلالة على عظيم المكانة والمقام.

وقد وردت الإحالة النصية باسم الإشارة (هذا) على مفهوم أو على متواليات جمل نصية، كقوله ﷺ: ((قال الله تعالى: قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن

---

(١) صحيح مسلم: رقم ١٣٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٢٠، رقم ١٤٨

(٢) حديث صحيح ـ أخرجه ابن ماجه: رقم ٨٠١ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٣، رقم ١٣١

الرحيم قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين. قال: مجدني عبدي (وقال مرة: فوّض إليّ عبدي) فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل)) (١) .

فأحال اسم الإشارة (هذا) في الحديث إلى متتاليات جملية واردة في سياق نصه، فاسم الإشارة الأول (هذا) أحال إلى الجملة الفعلية المتقدم فيها ضمير المفعول به وجوبا (إياك نعبد وإياك نستعين)، وأحال الثاني إلى جملة الدعاء الفعلية (اهدنا الصراط المستقيم).

وقد وردت الإشارة بـ (ذا) للمفرد المذكر من دون هاء التنبيه، في قوله ﷺ: ((أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك)) (٢).

وفيه من الإشارة الدونية والتجسيد بذم صنيع الرجل الذي ورد ذكره بلفظ (رجلا)، فالمغفرة بيد الله والرحمة من عنده وحده، ولا حق لعبد أن يشاركه الحكم على خلقه وهو المتصرف والمطلع على قلوبهم، وقد قام الرابط الإشاري (ذا) بدور مزدوج في الربط النسيجي للنص، فقد أحال على متقدم هو (رجلا) المذكور في أول نص الحديث، كما قام بدور المحال إليه للاسم الموصول بعده (الذي) الذي ارتبط بما بعده بالضمير المستتر في جملة الصلة (هو) والذي يعود في معناه على الرابط الإشاري في قوله (من ذا) المشير إلى الرجل المذكور في أول النص.

كما أن المخاطب بضمير الخطاب (الكاف) في قوله (وأحبطت عملك) هو المشار إليه بالأداة (ذا) العائدة إلى (رجل) في أول النص، وبذلك وسع الرابط الإشاري مدى الإحالة وربط

---

(١) صحيح مسلم: رقم٣٩٥ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٢٦ ـ ٢٢٧، رقم ١٥٣

(٢) حديث صحيح ـ أخرجه مسلم : رقم ٢٦٢١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٦، رقم٢١

أول نص الحديث بوسطه وآخره، وقد جاءت كلمة (رجلا) التي افتتح نص الحديث بها نكرة، لتقوم متتاليات الجمل بتعريف فعله المنكر وبيان سوئه، وإسناد الأفعال له عبر الروابط (اسم الإشارة والضمير والاسم الموصول) التي قامت بأبلغ بيان وأحكم اتساق.

وتختص أداة الإشارة (هذه) في الأحاديث القدسية بالإحالة إلى المفرد المؤنث غير العاقل، من ذلك قوله ﷺ: ((كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله، فقال له: هل من توبة ؟ قال: لا فقتله، فجعل يسأل فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال قيسوا فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغُفر له))[1] فاسم الإشارة (هذه) أحالة إحالة داخلية معجمية على سابق هو لفظ (القرية) الذي ورد ذكره ثلاث مرات في نص الحديث، وقد تطابق مع المحال إليه مطابقة تامة، وعمل على اقتصاد اللفظ، وتجسيد المعنى بالإشارة المحسوسة إليه، ليمثل قرب المسافة بين القريتين أمام القارئ والسامع لنص الحديث مجسدا محسوسا، حتى أنه من شدة قربه يمكن أن يقاس باليد وباتساع أشبارها، فيالروعة البيان ودقة التعبير.

وقد ورد في الأحاديث القدسية اجتماع اسم الإشارة المذكر (هذا) مع اسم الإشارة المؤنث (هذه) في نص واحد، مثال ذلك قوله ﷺ: ((أتاني جبريل بمثل هذه المرآة البيضاء فيها نُكتة سوداء قلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الجمعة جعلها الله عيدا لك ولأمتك، فأنتم قبل اليهود والنصارى، فيها ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله فيها خير إلا أعطاه إياه. قال: قلت: ما هذه النكتة السوداء؟ قال: هذا يوم القيامة تقوم في يوم الجمعة...)) [2].

---

(١) حديث صحيح ـ أخرجه البخاري: رقم ٣٤٧٠ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٧، رقم ٢٢

(٢) حديث صحيح . أخرجه الإمام أبو يعلي: رقم ٤٢٢٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٤٩، رقم ١٠٠

فعنصرا الإحالة (هذا وهذه) قاما بربط متتاليات الجمل وشد نسيجها، بربط أول النص بأوسطه وآخره، فجاء متماسكا مقتصد اللفظ كثيف المعنى، وعلى الرغم من تنوع العنصر الإحالي بأداتي الإشارة (للمذكر وللمؤنث) إلا أنهما أحالتا إلى مركز واحد هو (المرآة) التي تتركز فيها جميع مراجع الإحالات المختلفة بالضمائر وبأسماء الإشارة فتجمعها في بؤرة واحدة، فاسم الإشارة (هذه) في قوله: (هذه المرآةالبيضاء) يحيل إحالة لاحقة إلى المرآة التي مُثل بها ليوم الجمعة، واسم الإشارة (هذا) في قوله: (هذا يوم القيامة) أحال إلى يوم القيامة الذي مُثِّلَ بالنكتة السوداء في المرآة البيضاء، فيوم القيامة سيكون في يوم الجمعة والنكتة السوداء موجودة في المرآة البيضاء، وبذلك توحد المرجع الذي هو (المرآة) التي تجمع البياض مع النكتة السوداء، وتجمع جميع الإحالات.

ب . ذلك:

اسم الإشارة (ذلك) يدل على البعيد، وهو من أكثر أسماء الإشارة ورودا في الأحاديث القدسية بعد (هذا)، والإحالة به نصية داخلية في أغلب أحوالها، فقد يحيل على مفهوم في النص، أو على متتاليات جملية، كقوله ﷺ: ((قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، ...))[1] فقد أحال اسم الإشارة (ذلك) إلى جمل فعلية تحمل مفهوما هو التكذيب والشتم، فهي إحالة نصية، وليست معجمية تحيل إلى ذوات ومفردات، والإحالة بأداة الإشارة (ذلك) تكررت مرتين في سياقين متماثلين في قوله (ولم يكن له ذلك)، للتأكيد على بعد هذه الأفعال من المساس بالذات الإلهية، وتنزهه وتقدسه تعالى عما لا يليق به من أمور قد تقع من ابن آدم لجهله وضلاله، كما أن إسناد الفعل (كذبني) لابن آدم فيه عموم وتنكير وإبعاد له عن دائرة العبودية والقرب من الله تعالى، ويؤكد ذلك ضمير الغائب (الهاء) الذي تكرر مرتين في قوله (ولم يكن له ذلك) فالمخاطب مغيب من دائرة الحوار المباشر

(١) صحيح البخاري: رقم١٦٢٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٤، رقم ١٥٧

ومستبعد منها حسيا كذات ومستبعد معنويا فعله الدنيء الخاطئ في حق الله تعالى، وبهذا فالله تعالى يخاطب ابن آدم ويحاوره في كل مستوياته الفكرية والعقدية.

وقد تتالت الإحالة بـ (ذلك) أربع مرات في نص واحد، في قوله ﷺ، فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: ((... يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضَرّي فتضُرُّوني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ ما نقص ذلك من مُلكي شيئا. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخيَطُ إذا أُدخِل البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أُوفّيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه))[1] وهو في كل مرة ورد فيها أحال إحالة نصية داخلية على متتاليات جملية، كالتالي:

. ذلك الأول، أحال إلى مفهوم نصي سابق، هو الجملة الشرطية (لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ منكم ما زاد ذلك).

. ذلك الثاني، أحال إلى مفهوم نصي سابق هو الجملة الشرطية (لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ ما نقص).

. ذلك الثالث، أحال أيضا إلى مفهوم نصي هو الجملة الشرطية (لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كل إنسان مسألته ما نقص).

. ذلك الرابع، يحيل إلى مفهوم ناتج عن متواليات جملية في النص، بأسلوب الاستثناء (إنما) والجمل المعطوفة عليه في قوله (إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أُوفّيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله) بمعنى الحساب وإحصاء الأعمال يوم القيامة، فمن عمل خيرا سيراه.

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤١، رقم ١٦٠

وعبارات النفي المتكررة (ما زاد ذلك في ملكي، ما نقص ذلك من ملكي، ما نقص ذلك مما عندي) فيها تأكيد على عظمة قدرة الله وسعة ملكه، وضآلة قدرة البشرية وعجزهم، واسم الإشارة (ذلك) خلق في النص روابط نسيجية، أحكمت مفاصل اتساقه، وجعلت النص كلاما مسبوكا مصهورا، موجزا في لفظه، مكثفا في معناه وإحالته، فجاءت جمله مترابطة باسم الإشارة (ذلك) لتفصل مفهوما مركزيا هو قدرة الله وعجز الخلق كلهم.

كما توالى ذكر أداتي الإشارة للبعيد (ذلك و أولئك) في نص واحد، في قوله ﷺ: ((سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثلُ مُلْكُ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيتُ ربي. فيقول: لك ذلك ومثلُه ومثلُه ومثله فقال في الخامسة: رضيت ربِّ. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ غرستُ كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر)) [1].

فاسم الإشارة (ذلك) أحال إحالة داخلية سابقة على معنى ناتج عن مفهوم نصي هو (أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا) والإحالة باسم الإشارة (ذلك) الذي يدل على المفرد البعيد، تتناسب والسياق الذي وردت فيه وأحالت إليه، فملك ملك من البشر أصبح بفضل اسم الإشارة (ذلك) محسوسا مجسدا في ذهن السامع، ولقلته وبعد الأرض والملك البشري يومئذ استخدم له هذا العنصر الإحالي المفرد، وبذلك كان للموصول الاسمي (ذلك) دور في الربط اللفظي والمعنوي معا، فتداخلت به الجمل وارتبطت باتساع الإحالة، واتساق تراكيبها.

(١) حديث صحيح ـ أخرجه مسلم: رقم ١٨٩ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٦، رقم ٦٠

واسم الإشارة (أولئك) الوارد في الحديث للإشارة للجمع البعيد، ربط جملة مقول القول المتضمنة للسؤال بجوابها في قوله: (قال[موسى]: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ غرستُ كرامتهم بيدي) وأحال إحالة بعدية على لاحق هو (الذين أردت) والمشار إليه هنا هم الزمرة المصطفاة من خير عباد الله وأقربهم منه مكانة، وقد قوي الربط الإحالي باسم الإشارة (أولئك)، والموصول الاسمي (الذين) الذي ربط سابق النص بمتتاليات الجمل اللاحقة به، وتطابق مع مرجعه (أولئك) الذي يعود بدوره على (أعلاهم منزلة) مطابقة تامة.

وقد تأتي الإحالة في الأحاديث القدسية باسم الإشارة (كذا) الذي حذفت منه لام البعيد وكاف الخطاب كقوله ﷺ: ((ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ... ورجل ساوم رجلا بسلعة بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى بها كذا وكذا فأخذها ولم يعط بها)) [1] فاسم الإشارة (كذا) يحيل إحالة خارجية على مفهوم لم يرد ذكره لفظا في النص، وهذه الإحالة تفتح المجال للقارئ والسامع لسد فراغات النص وملئها بكل عبارات الكذب التي قد يذكرها الإنسان الغاش الكاذب على سلعته، والتي كانت سببا لاستبعاد الله تعالى له من رحمته وتعذيبه بالعذاب الأليم.

ومن أمثلة الإحالة بأداة الإشارة (كذا) قوله ﷺ: ((كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله، فقال له: هل من توبة؟ قال: لا فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال قيسوا فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغُفر له))[2] فأحال اسم الإشارة (كذا) المكون من (كاف التشبيه، وذا/ اسم الإشارة) إلى محال إليه خارجي، هو عبارة عن مفاهيم ومعان تفصيلية توضح القرية المنشودة، وفي هذا اقتصاد لفظي، لتكثيف المعنى بما يخدم النص ويفيد القارئ،

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٧٨٩، كتاب الأحكام، باب من بايع رجلا لا يبايعه إلا للدنيا

(٢) صحيح البخاري: رقم ٣٤٧٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٧، رقم ٢٢

وذلك باستبعاد كل معنى تفصيلي بالإشارة الخارجية المفتوحة إليه، ليقوم القارئ بإتمام خيط نسجه دون الابتعاد عن الهدف المقصود من النص، ودون أن يتشتت ذهنه عن المغزى المنشود منه .

كما وردت صيغة (كذلك) المسبوقة بكاف التشبيه في الأحاديث القدسية للدلالة على علو المنزلة وبعدها في قوله ﷺ لأصحابه: ((هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تُضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: فإنكم ترونه كذلك ...))[1] فالرابط الإشاري (كذلك) ربط آخر النص بأوله بالتشبيه والإحالة على القمر البعيد المنير ليلة البدر، وعلى الشمس العالية الساطعة في اليوم الصحو، وفيها دلالة على رفيع المنزلة وعلو المكانة.

جـ. تلك:

وهي من أسماء الإشارة التي وردت كرابط إحالي في بنية نص الحديث القدسي، وتتألف من (اسم الإشارة (تا)، ولام البعيد، وكاف الخطاب)، وقد تكررت أربع مرات في حديث الشفاعة، بالصيغة التركيبية نفسها، يقول ﷺ: ((إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيأتون موسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتون فأقول أنا لها فأستأذن على ربي فيُؤذن لي ويُلهمني محامده أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخِرُّ ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط واشفع تُشفع فأقول: يا رب أمتي أمتي فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال: يا

---

(١) صحيح البخاري: رقم٧٤٣٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٩، رقم ٦٣

محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تُعط واشفع تُشفع فأقول: يا رب أمتي امتي فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط واشفع تشفع فأقول: يا رب أمتي أمتي أمتي فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردلٍ من إيمان فأخرجهُ من النار من النار من النار فأنطلق فأفعل، ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك ثم أخر له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع وسل تُعطى واشفع تُشفّع فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول وعزّتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله)) (١).

فاسم الإشارة (تلك) ربط النص بالإحالة على متقدم ومتأخر في الوقت نفسه، المحال إليه المتقدم هو (المحامد) الواردة في أول نص الحديث في قوله (ويُلهمني محامده)، والمحال إليه اللاحق هو (بتلك المحامد)، فخلق روابط نسيجية سابقة ولاحقة بين الجمل المتوالية، كما كثف النص بالإيجاز وتركيز المعنى في الشفاعة المحمدية وعظيم مكانة نبي الأمة المصطفى محمد ﷺ بين الأنبياء. وفي اسم الإشارة (تلك) من الإبهام والغموض ما يجعلها تتناسب وغموض المحامد ـ في صياغتها ومعانيها ـ عن علم البشر، فكان هذا الإبهام دافعا يحض القارئ على البحث عن هذه المحامد التي استفتح بها سيد الأمة محمد ﷺ دعاءه ونجواه، بالنظر إليها في كتب مفسري الحديث أو الرواة للحديث، وحين لا يجدها يلهمه الاجتهاد بذكر محامد إلهية تنبع من نفسه يستفتح بها كل دعاء له ونجوى.

د . هؤلاء:

وردت الإحالة باسم الإشارة (هؤلاء) الدال على الجمع القريب في الأحاديث القدسية بالإحالة على عنصر معجمي، ومطابقته مطابقة تامة، بإحالات داخلية وخارجية، مثال الإحالة

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٠ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٤، رقم ٩٥

الخارجية قوله ﷺ: ((إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صليت العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين فقال أهل الكتاب: هؤلاء أقل منا عملا وأكثر أجرا قال الله هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟ قالوا: لا. فقال: فهو فضلي أوتيه من أشاء))[1] فاسم الإشارة (هؤلاء) أحال إحالة خارجية سابقة إلى عنصر معجمي يفهم من خلال السياق الخارجي للنص، وهو حوار النبي ﷺ مع أصحابه، وتطابق في الإحالة اسم الإشارة (هؤلاء) مع المحال إليه (أمة محمد).

ومن الأحاديث التي اجتمع فيها اسم الإشارة (هؤلاء) مع اسم الإشارة (كذا) قوله ﷺ: ((إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفهُ ويستُره فيقول: أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي ربِّ حتى إذا قرَّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتُها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيُعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين))[2] وفي اشتراك أداتي الإشارة في الحديث سبك لنسيجه واتساق لألفاظه، وإحكام لمعانيه، فقد أحال اسم الإشارة (هؤلاء) على الكفار والمنافقين إحالة داخلية معجمية، وطابق المحال إليه مطابقة تامة، وربط قول الأشهاد ببنية النص ومعناه، أما اسم الإشارة (كذا) فقد أحال إحالة خارجية إلى مفهوم، هو الذنب الذي قام به المؤمن بتفاصيل أحداثه، وفي ذلك من الإيجاز العجيب، والتكثيف العظيم للمعنى المقصود إيصاله للسامع والقارئ للحديث.

ولم يرد اسم الإشارة (هؤلاء) في مقام خطاب وإشارة الله لعباده المؤمنين، ذلك أنه تعالى حين يخاطبهم يناديهم بصيغة (عبادي) بدلا من (هؤلاء) لما فيها من القرب والتودد والألفة،

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥٣٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٠، رقم ١٠١

(٢) صحيح البخاري: رقم ٢٤٤١ ، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٧٤، رقم ٤٦

والتشريف والتكريم، بخلاف الإبهام الذي تفيده (هؤلاء) في افتقارها وحاجتها لمشار إليه يحدد مدلول معناها.

هـ . أولئك:

وهو من أسماء الإشارة الدالة على الجمع، ولم ترد الإحالة به كثيرا في الأحاديث القدسية، ومثاله قوله ﷺ: ((خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك نَفر من الملائكة جُلوس فاستمع ما يُحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلقُ ينقصُ بعدُ حتى الآن))[1]. وقوله ﷺ: ((... فأعلاها منزلة؟ قال [الله]: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر))[2] وفي كليهما أحال على عنصر معجمي لاحق له، ففي قوله: (أولئك نفر من الملائكة جلوس) أحال اسم الإشارة (أولئك) على عنصر معجمي لاحق هو (الملائكة)، وفي الثاني أحال اسم الإشارة (أولئك) على الموصول الاسمي (الذين أردت) الذي أحال بدوره على (أعلى أهل الجنة منزلة) وهي إحالات داخلية ربطت جمل النص ببعضها وجعلت النص متسقا متماسكا.

وفي الربط بأسماء الإشارة إحالة معنوية للمعاني المنشودة وإشارة حسية مقامية، وهذا يتناسب وأسلوب الخطاب في الأحاديث القدسية، فهو خطاب مباشر شفوي يعتمد على القرينة المقامية والنصية معا، وغالبا يأتي الخطاب للمحال إليه بأسماء الإشارة في الأحاديث القدسية بصيغة المذكر(هذا، ذلك، هؤلاء، أولئك) ويقصد به الكل، ليشمل جميع المخاطبين ذكورا وإناثا، واعتُمد التذكير لتركيز ذهن المتلقي واهتمامه على هدف النص وغرض خطابه.

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٢٢٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٠١، رقم ١٤١

(٢) صحيح مسلم: رقم ١٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٦، رقم ٦٠

وقد وردت الإحالة باسم الإشارة (هذه) إلى غير العاقل في الأحاديث القدسية في قوله ﷺ يا أبا ذر هل تدري أين تغيب هذه ؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ((فإنها تغرب في عين حامئة تنطلق حتى تخرّ لربها عز وجل ساجدة تحت العرش فإذا حان خروجها أذن الله لها فتخرج فتطلع فإذا أراد أن يُطلعها من حيث تغرب حَبسها فتقول: يا ربِّ إن مسيري بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غِبت فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها))[1] ففي قوله (أين تغيب هذه) إحالة خارجية إلى مشار إليه خارج نص الحديث هو (الشمس)، وفيه تجسيد للشمس ومثولها متحدثة في الخطاب، وبقائها حاضرة في المشهد أمام القارئ والسامع لنص الحديث.

وأسماء الإشارة فيها إشارة حسية تقرب المشاهد وتجسد المعاني وتكثفها، كقوله ﷺ لأصحابه: ((هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تُضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: فإنكم ترونه كذلك...))[2] فالإشارة في النصوص الخطابية تحدث أثرا حسيا وتحقق التعريف بالشيء، فتخصص للمخاطب شيئا يعرفه بالعين سبق له أن رآه " وبالتالي فإن الإشارة لا تحقق المعنى الأصلي المقصود من الجملة، وإنما تحقق المعنى الأساسي للنص ككل وتوحد العمل اللغوي الذي يشمل تلك الجملة، ليصير كتلة متماسكة منسجمة"[3].

---

(١) حديث صحيح ـ أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم٢١٤٩٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٨٦، رقم ١٨٢

(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري: رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٩، رقم ٦٣

(٣) دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي، محمد عرباوي: ص ١٢٩

جـ ـ الربط الإحالي بالاسم الموصول

الأسماء الموصولة كالضمائر وأسماء الإشارة تشترك في أنها مبهمة وتفتقر إلى متمم لمعناها يأتي بعدها هو جملة الصلة، ومفسر آخر هو ما تحيل إليه في النص، فتقوم بوظيفتين أساسيتين، هما الربط والإحالة لاتساق النص وتماسكه.

والموصول الاسمي هو " اسم مبهم يحتاج دائما في تعيين مدلوله، وإيضاح المراد منه، إلى أحد شيئين بعده: إما جملة وإما شبهها وكلاهما يسمى صلة الموصول"(١)، وجملة الصلة هي تركيب لغوي يأتي بعد الاسم الموصول وتشتمل على ضمير يعود على الاسم الموصول ويطابقه، وهذا الضمير يسمى العائد أو الرابط(٢).

وتنقسم الأسماء الموصولة إلى نوعين، موصولات خاصة، تدل على عدد وجنس معين، مثل (الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي) وموصولات مشتركة تصلح الإحالة بها على مختلف المعدودات والأجناس، مثل (من، وما). وفي الأحاديث القدسية تنوعت الإحالة بالأسماء الموصولة بين مشتركة وخاصة، وبين إحالة داخلية وخارجية، وكان للموصول الاسمي المشترك الحضور الأكبر.

وفيما يلي بيان لبعض المواضع التي ورد فيها الموصول الاسمي في نصوص الأحاديث القدسية:

أ. الموصول المشترك (من ، ما):

الموصول المشترك لا يشترط فيه المطابقة لما يحيل إليه في النوع أو العدد، فيكون بلفظ واحد

---

(١) النحو الوافي، عباس حسن: جـ ١، ص٣٤١

(٢) ينظر: المرجع السابق: جـ١، ص: ٣٧٦

للجميع، ويشترك فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، ويكون بمعنى (الذي) أو فروعه[1] فكل اسم من الموصولات المشتركة ثابت على صورة واحدة لا تتغير بتغير الأنواع التي تدل عليه.

كما أنه لا يشترط فيه المطابقة مع الضمير العائد عليه من جملة الصلة، لأن الموصول العام لفظه مفرد مذكر دائما، ولكن معناه قد يكون مقصودا به المفرد أو المثنى أو الجمع بنوعيه، ولذلك جاز في الضمير الرابط في جملة الصلة أن يعود على لفظ الموصول أو دلالة معناه.

والموصول الاسمي كباقي أدوات الاتساق الإحالي، إلا أن ربطه النصي يكون من نوع مزدوج الوظيفة، فيكون هو مرجع الضمير/ المحال إليه، وفي الوقت نفسه هو أداة الربط والإحالة، فيخلق علاقات رابطة في النص بين سابقه ولاحقه، ويقوم بالتوسيع الإحالي بين داخل النص وخارجه ليشمل النص بكل أبعاده.

وقد ورد الموصول الاسمي المشترك (من) في الأحاديث القدسية، في قوله ﷺ: ((... ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تُعط واشفع تُشفع فأقول: يا رب أمتي أمتي فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط واشفع تشفع فأقول: يا رب أمتي أمتي فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردلٍ من إيمان فأخرجهُ من النار من النار من النار فأنطلق فأفعل، ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك ثم أخر له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع وسل تُعطى واشفع تُشفّع فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول وعزّتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله)) [2].

(١) ينظر: همع الهوامع، السيوطي: جـ ١،ص: ٢٨٨

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٤، رقم ٩٥

فتكرر الموصول الاسمي (من) في الحديث أربع مرات، في قوله (من كان في قلبه مثقال ذرة، من كان في قلبه أدنى، فيمن قال لا إله إلا الله، لأخرجنّ منها من قال لا إله إلا الله)، وأحال إحالة بعدية على لاحق، وهو في الوقت نفسه محال إليه بضمير الغائب في جملة الصلة (الهاء) في كلمة (قلبه) والضمير المستتر في الفعل (قال)، والعائد يتطابق مع المحال إليه (من ـ الاسم الموصول) مطابقة مراعية للموصول الاسمي المشترك (من) من حيث اللفظ، وهو الأكثر ورودا في الأحاديث القدسية.

وقد خالف الموصول الاسمي (من) المحال إليه، في العدد بعودته على معدود جمع كقوله ﷺ:((تحاجّتْ الجنة والنار فقالت النار: أُوثرتُ بالمتكّبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخُلُني إلا ضعفاء الناسِ وسقَطُهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار إنما أنت عذابٌ أُعذّب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله، فتقول: قط قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله عز وجل يُنشئ لها خلقا)) [1] .

فالموصول الاسمي الأول (من) أحال إلى (ضعفاء الناس وسقطهم) وأحال الثاني إلى (المتكبرين والمتجبرين) وبذلك كانت الإحالة إلى جماعة وليس لمفرد، ولم يُخِلْ ذلك بالتركيب والمعنى لأن الموصول الاسمي (من) من الموصولات المشتركة، لفظها للمفرد ومعناها يشمل الجميع، وقد حذف العائد (ضمير الغائب) من جملة الصلة المحيل إلى (من) على تقدير (من أشاؤهم) لاقتصاد اللفظ، وشمول المعنى بالموصول الاسمي (من). فمشيئة الله تُدخل الجنة ضعفاء الناس وسقطهم وآخرين سيدخلونها لا نعلمهم، ومشيئته تُدخل النار المتكبرين والمتجبرين

(١) صحيح البخاري: رقم ٤٨٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٩، رقم ٧٦

وآخرين سيدخلونها لا نعلمهم، فجعلت الإحالة المعنى عميقا ووسعت مجاله، وربطت داخل النص بخارجه لمناسبتها للاشتراك والشمول.

وبذلك تكون الإحالة بـ (من) إحالة داخلية إن قُصِر المعنى فقط على ضعفاء الناس وسقطهم والمتكبرين والمتجرين، وإن نُظِر للمعنى بشكل شمولي، تكون الإحالة بـ (من) إحالة خارجية، فيحيل الموصول الاسمي على محال إليه خارج النص، ليشمل كل العباد بجميع أعمالهم سواء أكانوا صالحين أم عاصين.

وقد أدغم حرف الجر (مِن) مع الموصول الاسمي (مَن) للتخلص من التقاء الساكنين في قوله ﷺ: ((تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئا؟ قال: لا. قالوا: تَذكّر قال: كنتُ أُداين الناس فآمر فتياني أن يُنْظِروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر قال: قال الله عز وجل: تجوَّزوا عنه))[1] فالموصول الاسمي المشترك (من) متطابق مع العائد المحذوف من جملة الصلة المحيل إليه وهو (واو الجماعة)، على تقدير (ممن كانوا قبلكم) وهي إحالة مطابقة من حيث المعنى فقط لا من حيث اللفظ، وبهذا قام الموصول الاسمي المشترك (من) بالربط بين الجمل، وخلق علاقات رابطة قبلية وبعدية داخل النص وخارجه، فهو أداة إحالة تحيل إحالة خارجية، وفي الوقت نفسه محال إليه بضمير جملة الصلة .

وورد الموصول الاسمي المشترك (ما) للمفرد غير العاقل في قوله ﷺ: ((قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر))[1] فالاسم الموصول (ما) أحال إحالة خارجية إلى (النعيم) وتطابق مع المحال إليه في النوع والعدد، وقام بدور مزدوج في الربط كباقي الموصولات، فأحيل إليه بضمير الغائب المحذوف على تقدير (مالا عين رأته، ولا أذن سمعته، ولا خطر [هو] على قلب بشر)، مما أحكم ربط نسيج النص أوله بآخره، وداخله بخارجه.

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٣٠٧٢ ، الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٨٩، رقم٥٦

وقد ورد الاسم الموصول (ما) بإحالة داخلية على متأخر في قوله ﷺ: ((أول ما يحاسب به العبد صلاته فإن كان أكملها وإلا قال الله عز وجل انظروا لعبدي من تطوع فإن وجد له تطوع قال: أكلموا به الفريضة))[1] فالموصول الاسمي العام (ما) أحال إحالة بعدية على (الصلاة) وتطابق مع ما يحيل عليه (الصلاة) في معناه العام فقط لأن الصلاة لفظ مفرد مؤنث تأنيثا مجازيا، والموصول الاسمي (ما) لفظه للمفرد المذكر ولغير العاقل، أما معناه فمتعدد الدلالة يصلح للمؤنث والمذكر، والمثنى والجمع. والضمير العائد على الموصول الاسمي (ما) من جملة الصلة هو ضمير الغائب المتصل (الهاء) في قوله (أول ما يحاسب به العبد) وهو يتطابق مع مرجعه مطابقة تامة في التذكير والإفراد.

وقد اجتمعت كلا من (ما ومن) في حديث واحد طويل لفظه، يقول ﷺ لأصحابه: ((هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تُضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها ـ شك إبراهيم[2]. فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب السراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يُجيزُها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدرَ عِظَمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبَق بقَى بعمله، ومنهم المخردَل أو المجازَى أو نحوه، ثم يتجلى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر

(١) حديث صحيح ـ أخرجه النسائي في سننه: رقم ٤٦٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٠، رقم ١٢٨
(٢) إبراهيم بن سعد ـ راوي الحديث

الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصبُّ عليهم ماءُ الحياة فينبتون تحته كما تنبتُ الحبةُ في حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنة فيقول: أي ربِّ اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤُها فيدعو الله ما شاء أن يدعوه ثم يقول الله: هل عسيت إن أُعطيتَ ذلك أن تسألني غيره. فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أي ربِّ قدمني إلى باب الجنة فيقول الله له: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أُعطيت أبدا ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول: أي ربِّ، ويدعو الله حتى يقول هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، ويعطي ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام إلى باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الحَبرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أي ربِّ أدخلني الجنة، فيقول الله: ألست قد أُعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت فيقول: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول: أي ربِّ لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فإذا ضحك منه قال له: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمنّه، فسأل ربه وتمنى حتى إن الله ليذكره يقول كذا وكذا حتى انقطعت به الأمانيُّ قال الله: ذلك لك ومثلُه معه)) (١).

وقد تنوعت الإحالة بـ (من) في الجزء الأول من نص الحديث، بين إحالة داخلية وخارجية، وبين إحالة على سابق ولاحق، وبين إحالة مطابقة وغير مطابقة للمحال إليه، كقوله (فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٩- ١٠٠، رقم ٦٣

الطواغيت) فالموصول الاسمي (من) يحيل إحالة داخلية على سابق هو (الناس) جميعا، وهذا الجمع يتطابق والمعنى المشترك في (من) ويختلف عنه في اللفظ، و (من) ظاهر لفظها للمفرد المذكر، والعائد مستتر في جملة الصلة تقديره (من كان هو يعبد)، وهو مطابق للموصول الاسمي في النوع والعدد، وقد عملت (من) على الربط والإحالة واتساق النص وتماسكه، وكذلك في قوله (فكون أنا وأمتي من يجيزها) أحال الموصول الاسمي (من) على جمع مشترك وهذا يتطابق مع دلالة معناه المشترك فقط، والعائد ضمير واو الجماعة في جملة الصلة مستتر كذلك على تقدير (من يجيزونها)، لتركيز اهتمام السامع على الضمير المتصل (الهاء) العائد على النار، وبيان المفارقة وفضل هذه الأمة.

وكذلك في قوله (وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله) فالعائد مستتر في جملة الصلة على تقدير (من أرادهم) وضمير الجمع يحيل إلى الموصول الاسمي (من) ويطابقه في معناه المشترك لا في لفظه، وفي قوله (من كان لا يشرك بالله) و(ممن أردا الله أن يرحمه) العائد في الجملة الأولى مستتر على تقدير (هو) وفي الجملة الثانية ظاهر متصل، وكلا الضميرين للمفرد المذكر ويتطابق مع الموصول الاسمي (من) المحال إليه مطابقة تامة، وفي هذا تخصيص بضمير المفرد المذكر للفئة التي اختارها الله للخروج من النار، والنجاة منها برحمته.

أما الموصول الاسمي (ما) فقد ظهر في الجزء الثاني من نص الحديث المختص بقصة آخر أهل النار دخولا الجنة، وفيه ارتبطت (ما) بجملة الصلة (شاء) أربع مرات، في قوله: (ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء فيصرف الله وجهه عن النار) وقوله: (فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت) وقوله: (ويعطي ما شاء من عهود ومواثيق) وقوله: (فيسكت ما شاء الله أن يسكت).

فالموصول الاسمي (ما) يحيل إحالة خارجية على مفهوم يُستدل عليه من مضمون نصِّ الحديث، وهو مضمون العهود والمواثيق والمدة الزمنية التي يكون الرجل فيها مستقرا قبل معاودته

الطلب من رب العالمين بالاقتراب من الجنة، والعائد في جملة الصلة (شاء) مستتر على تقدير (شاءه) وهو يتطابق مع المحال إليه/ الاسم الموصول مطابقة تامة، وحذف الرابط المتصل هنا جائز لتلافي طول الكلام واقتصاده في المعنى المقصود، يقول الأنباري (٥٧٧هـ):" وإنما حذف الضمير المفعول العائد إلى الاسم الموصول تخفيفا، لأن الاسم الموصول وصلته المركبة من الفعل والفاعل بمنزلة كلمة واحدة، فلما طال الكلام حسن الحذف، لأن طول الكلام يناسب الحذف" (١).

كما حذف العائد ضمير الغائب (الهاء) من جملة الصلة في قوله (أن لا تسأل غير ما أعطيت) على تقدير (ما أعطيته لك) وكذلك في قوله (فرأى ما فيها من الحِبْرة والسرور) ضمير الغائب مستتر في جملة الصلة، على تقدير (ما كائن هو فيها) وفي هذا الحذف من الاقتصاد اللغوي الذي يركز انتباه القارئ على الجنة التي انفقهت أبوابها أمام هذا الرجل المنبهر بنعيمها بعد أن رأى النار وقشبه ريحها، كما أن حذف الضمير العائد من جملة الصلة جائز إذا أمن اللبس، وقد علل النحاة جواز حذفه بطول الصلة وطول الكلام.

وبهذا فالضمير العائد في جملة صلة الموصول الاسمي (ما) يكثر حذفه في الأحاديث القدسية، وهذا مطابق لما وضعه النحاة من قواعد خاصة بالرابط في جملة الصلة، في مطابقته لمرجعه الموصول الاسمي العام (ما، من) مطابقة تامة أو مطابقة للفظه فقط أو لدلالة معناه.

ب . الموصول الخاص (الذي . التي . الذين)

(الذي) موصول اسمي خاص للمفرد المذكر، وهو من أكثر الموصولات الخاصة ورودا في الأحاديث القدسية، وعمله في النص مزدوج من حيث الربط والإحالة، ومثاله قوله ﷺ: ((أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر

(١) البيان في غريب إعراب القرآن : جـ١، ص: ١٢٧

لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك))[1] فقام الموصول الاسمي (الذي) الخاص بالمفرد المذكر بدورين مزدوجين، فهو أداة ربط إحالي أحال إحالة داخلية على كلمة (رجل) وطابقها مطابقة تامة، كما أنه عنصر إشاري/ محال إليه، أحالت إليه ضمائر الغائب الظاهرة والمستترة في قوله (يدعوني [هو] . له . يسألني [هو] . فأعطيه . يستغفرني [هو] . له) فربط ما قبله بما بعده.

وقد يحيل الموصول الاسمي (الذي) على محال إليه نصي كما في قوله ﷺ: ((كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله فقال لأهله إذا أنا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائف[2] ففعلوا فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال ما حملني عليه إلا مخافتك فغَفَرَ له))[3] فأحال الموصول الاسمي (الذي) إحالة داخلية نصية على متتاليات جمل في قوله: (فخذوني فذروني في البحر في يوم صائف)، وقد حذف العائد من جملة الصلة في قوله (صنعت) على تقدير (صنعته) للخفة وأمن اللبس ومنعا لطول الكلام، يقول الأنباري: " لأن الاسم الموصول والفعل والفاعل والمفعول به بمنزلة شيء واحد، فلما جاءت هذه الإشارة بمنزلة شيء واحد طلبوا فيها التخفيف وكان حذف المفعول أولى، لأن المفعول فضله"[4].

كما أحال الموصول الاسمي (الذي) على محال إليه معجمي، في قوله ﷺ: ((إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ومازال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٦٢١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٦، رقم٢١

(٢) وفي بعض الروايات يوم عاصف

(٣) صحيح البخاري: رقم ٦٤٨٠ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٤٢، رقم٢٥

(٤) أسرار العربية: ص٣٢٨

لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)) [١].

فالموصول الاسمي (الذي) أحال إلى متقدم هو (السمع والبصر) في قوله (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به)، وقد أحال الرابط في جملة الصلة عليه بضمير الغائب المتصل (الهاء) في (به). وشاركه في الإحالة الداخلية إلى عنصر معجمي سابق الموصول الاسمي الخاص بالمفرد المؤنث (التي) في قوله (ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) فأحال إلى (يده، ورجله) وفي هذا مطابقة لقواعد النحاة في تأنيث وتذكير أعضاء البدن [٢]. وتطابق الموصول الاسمي (التي) مع العائد في جملة الصلة ضمير الغائب (الهاء) في (بها)، وبهذا تطابق العائد مع المحال إليه ، فربط الموصول الاسمي ما قبله بما بعده في النص، وخلق علاقات نسيجية بين جمله المتتالية .

وقد ورد الموصول الاسمي (الذي) في جملة القسم في قوله ﷺ: ((قال الله كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صيام أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك...))[٣].

فالاسم الموصول (الذي) في محل جر بالواو، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره (أقسم) وجملة الصلة الاسمية (نفس محمد بيده) لا محل لها من الإعراب، والعائد هو ضمير الغائب المتصل بشبه الجملة (بيده) المتعلقة بالخبر المحذوف للمبتدأ (نفس)، وقد ربط الموصول الاسمي النص السابق عليه بالإحالة إلى سابق هو لفظ الجلالة (الله) الوارد في أول نص

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٥٠٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٩ ـ ٨١، رقم٥١

(٢) ينظر: كتاب المذكر والمؤنث، المبرد: ص ٧٨، ٩٨، ١١٥

(٣) صحيح البخاري: رقم ١٧٧١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص١٦٨، رقم١١٥

الحديث، وربط القسم وباقي الجمل اللاحقة به بجملة الصلة بواسطة العائد الضمير المتصل في قوله (بيده) الذي أحال إلى الاسم الموصول (الذي) والذي بدوره أحال إلى لفظ الجلالة (الله) الوارد في أول نص الحديث، وبذلك ترابطت متتاليات الجمل واتسقت في انسجام إحالي يتسع بروابط الإحالة وينسجم بعودة الضمير.

كما ورد الموصول الاسمي الخاص بالجمع المذكر (الذين) في قوله ﷺ: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ـ وهو أعلم بهم ـ كيف تركتم عبادي؟...))[1] وأحال إحالة داخلية على سابق هو جمع الملائكة الذين يشهدون صلاة الفجر وهم (ملائكة الليل وملائكة النهار)، وعمل على ربط النص بما قبله، وما بعده عن طريق الإحالة إليه بضمائر الغائب (واو الجماعة)، و(هم) في جملة الصلة (باتوا) والجملة المعطوفة عليها (يسألهم ربهم) المطابقة للموصول الاسمي (الذين) في النوع والعدد .

وفي قوله ﷺ: ((يقوم الرجل من أمتي من الليل يُعالج نفسه إلى الطهور وعليه عُقد فإذا وضّأ يديه انحلت عُقدة، وإذا وضّأ وجهه انحلت عُقدة وإذا مسح رأسه انحلت عُقدة، وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة فيقول الله عز وجل للذين وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي يُعالجُ نفسه يسألني ما سألني عبدي هذا فهو له))[2] فالاسم الموصول (الذين) يحيل إلى متأخر عليه هم (الملائكة أو الملأ الأعلى الذين وراء الحجاب)، وصلة الموصول محذوفة لأمن اللبس على تقدير(مستقرون وراء الحجاب).

وظهر الموصول الاسمي (الذين) معطوفا عليه بجمل بعده، في قوله ﷺ، يقول الله عز وجل للفقراء والمهاجرين: ((أي عبادي، الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا وأوذوا في سبيلي،

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٥٥٥ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨١، رقم ١٣٠

(٢) حديث صحيح ـ أخرجه ابن حبان في صحيح: رقم ٢٦١٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٧، رقم١٢٥

وجاهدوا في سبيلي، ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير حساب ولا عذاب))[1] فالموصول الاسمي (الذين) ربط النص على مستوى سطح النص، وخلق روابط داخلية معنوية بين تراكيبه، فأحال إحالة داخلية على سابق هو لفظ (عبادي) المذكور في أول نص الحديث، وعمل على توالي النص واتساعه بإحالة الضمائر إليه في جملة الصلة والجمل المعطوفة عليها في قوله (قاتلوا، قتلوا، أوذوا، جاهدوا، ادخلوا).

كما اجتمعت أربع موصولات اسمية مشتركة وخاصة في نص حديث واحد، في قوله ﷺ: ((ألا إن ربي أمرني أن أُعلّمكم ما جهِلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نَحَلتُهُ عبدا حلالٌ وإني خلقتُ عبادي حُنفاء كُلّهم وإنهم أتتهم الشياطينُ فاجتالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللتُ لهم وأمَرَتهم أن يُشركوا بي ما لم أُنْزل به سُلطانا، وإن الله نَظَر إلى أهل الأرض فمقتهم عرَبهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلتُ عليك كتابا لا يَغسله الماءُ تقرؤه نائما ويقظان، وإن الله أمرني أن أُحَرّق قريشا فقلت ربِّ إذا يَثْلُغُوا رأسي فيدعوه خُبْزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نَغْزِك وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثلَه، وقاتل بمن أطاعك من عصاك قال: وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفَّقٌ، ورجل رحيمٌ رقيقُ القلب لكل ذي قُربى ومسلمٍ، وعفيفٌ متعفف ذو عيال. قال وأهل النار خمسة: الضعيفُ الذي لا زَبْرَ له الذين هم فيكم تَبعا لا يتبعون أهلا ولا مالا، والخائن الذي لا يخفى له طمعٌ وإن دقَّ إلا خانه ورجلٌ لا يُصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك))[2].

فوردت في الحديث أنواع مختلفة من الموصولات الاسمية المشتركة والخاصة (ما، من، الذي، الذين) وبدأ النص بالموصول المشترك (ما) ليحيل على معان عامة، كالمال الحلال، وتحريم كل ما فيه شرك بالله، فأحال على أشياء معنوية تدور في فلك العلم والجهل بالحلال والحرام، أما

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده: رقم ٦٥٧١

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٨٦٥ وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٨ ـ ١١٩، رقم ٧٥

الموصول الاسمي المشترك (من) فأحال إحالة خارجية شاملة عامة، للعباد الطائعين في الأول، وللعصاة في الثاني في قوله (قاتل بمن أطاعك من عصاك).

والرابط في جملة الصلة ضمير الغائب الواو على تقدير (قاتل بمن أطاعوك من عصوك) وهو عائد يتطابق مع الموصول (من) في دلالة معناه المشترك. وفي جملة صلة الموصول المشترك (ما) في قوله (ما جهلتم مما علمني ـ ما لم أنزل به ـ ما أحللت لهم) العائد هو ضمير الغائب المتصل في (به) والمستتر على تقدير (ما جهلتموه ـ ما علمنيه ـ ما أحللته) وهو ضمير مفرد يتطابق مع المحال إليه (ما) في اللفظ فقط لا في المعنى المشترك المحال إليه، وبإفراده اتضح مرجع الإحالة، فتميز الأمر المعنوي بالإفراد، وتعين الجمع لجماعة المخاطبين، فسهل إرجاع الضمير وإحالته لمرجعه، فاتساق النص وتلاحمت جمله بالربط اللفظي والمعنوي.

أما الموصول الخاص (الذي، والذين) في قوله (الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعا ـ والذي لا فيخفى له طمع) فقد ربطا أصناف أهل النار الخمسة بباقي النص وجمله وأوضحا أجناسهم وأحوالهم " وفي بيان أحد أصناف أهل النار وهو الضعيف اعتمد المتكلم على وصفه بجملتين الأولى تتكون من الموصول (الذي) والصلة (لا زبر له)، والثانية تتكون من الموصول (الذين) والصلة (هم فيكم تبعا) ونلاحظ أن المتكلم خالف الوزن الصرفي لاسم الموصول من المفرد إلى الجماعة رغم عودتهما على مفرد واحد هو (الضعيف) معتمدا في ذلك على الاتساق الدلالي الذي يحس به المخاطب في النص فيجعله قادرا على فهم المعنى رغم المخالفة الصرفية، كما أنه باستعماله الموصول الجمع (الذين) قد اختصر كلاما آخر يؤول بـ (الذي ومن مثله هم فيكم تبعا) "[1].

فكان للربط بالاسم الموصول دور كبير في تماسك النص وشدِّ أوله بآخره، وداخله بخارجه، وسابقه بلاحقه بواسطة الإحالة، ذلك أن الاسم الموصول يأتي محيلا ومحالا إليه في الوقت

(١) دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي، محمد عرباوي: ص١٢١

نفسه، وقد اعتمدت الأحاديث القدسية بشكل أساسي على الأسماء الموصولة المشتركة (من، ما) أكثر من المختصة، لعموم المخاطبين بها وشموليتهم في الأزمنة والأمكنة.

د ـ الربط الإحالي بأدوات المقارنة:

إن عملية المقارنة تتضمن الربط بين شيئين على الأقل يشتركان في سمة مشتركة بينهما، وأدوات المقارنة تشبه الضمائر وأسماء الإشارة والموصولات الاسمية في قيامها بالإحالة واتساق النص، عن طريق ربطها السابق باللاحق من الجمل، وقد استخدم هذا المصطلح (أدوات المقارنة) الأستاذ محمد خطابي في كتابه (لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب) [١]، واستخدمه عدد من الباحثين المحدثين بعده [٢].

ويقصد بأدوات المقارنة، الأدوات التي تؤدي إلى المطابقة أو المشابهة أو الاختلاف، أو المقارنة. وهي نوعان:

. أدوات مقارنة عامة: كألفاظ المقارنة التي تعبر عن التشابه مثل (شبيه ومشابه)، ويتفرع منها التطابق (كنفسه، عينه، نظير، مثيل، مساو) وألفاظ الاختلاف (كمختلف، مخالف، مغاير) وألفاظ المقارنة التي تعبر عن الآخرين (الآخر، أيضا، الباقي).

. وأدوات مقارنة خاصة: ويؤتى بها للموازنة بين شيئين أو أكثر من حيث الكم والكيف. ويقوم اسم التفضيل بوظيفة المقارنة الخاصة، مثل: أكثر، وأجمل [٣].

وتتميز ألفاظ المقارنة بأنها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها، لذلك فهي تعد وسيلة من وسائل الربط والاتساق، وعلى الرغم من أن أدوات المقارنة أضعف أدوات الربط الإحالي ووسائل الاتساق إلا أنها تؤدي وظيفة فعالة في تعليق أجزاء النص ببعضها واستمراريته، وقد

---

(١) ينظر : ص٩

(٢) ينظر: الإحالة ودورها في اتساق قصيدة (ساعة التذكار ـ لإبراهيم ناجي)، بو بكر نصبة: ص ١٤٨ ، والأحاديث القدسية دراسة لغوية نصية، بخيت فوزي جاب الله: ص١٥٢

(٣) ينظر: التماسك النصي في الشعر العربي المعاصر. دراسة نصية نحوية دلالية، حسام جايل عبد العاطي: ص٤٥

وردت الإحالة بأدوات المقارنة في الأحاديث القدسية، وهي (مثل ـ غير ـ وأفعل التفضيل) وهي أدوات تربط ما قبلها بما بعدها عن طريق التماثل والتشابه أو الاختلاف والمقارنة.

الربط الإحالي بأداة المقارنة (مثل):

كلمة (مثل) تفيد المشابهة، وقد وردت في الأحاديث القدسية بمعان أخرى كالمضاعفة مثال ذلك، قوله ﷺ: ((سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثلُ مُلك مَلك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيتُ ربي. فيقول: لك ذلك ومثلُه ومثله ومثله فقال في الخامسة: رضيت ربِّ. قال: رب فأعلاهم نزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ غرستُ كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر))[1].

فجاءت كلمة (مثل) لتحيل إحالة نصية داخلية على لاحق عليها وآخر سابق، فـ (مثل) الأولى في قوله (أترضى أن يكون لك مثلُ مُلك مَلك من ملوك الدنيا) إحالة بعدية على جملة (ملك ملك من ملوك الدنيا)، وأما الإحالة على متقدم سابق فهو في باقي ألفاظ (مثل) الواردة في الأحاديث القدسية، مثال ذلك قوله: (فيقول: لك ذلك ومثلُه ومثلُه ومثله ومثله) فهي تحيل على جملة (ملك ملك من ملوك الدنيا) من خلال ضمير الغائب المتصل (الهاء) في قوله (مثله) وهذا التكرار يفيد الاتساع وتراكم الفضل وكثرته في الجنة، وقد ساعد اسم الإشارة (ذلك) على تجسيد نعيم ملوك الدنيا المعروف للجميع بالإشارة إليه ماثلا أمام العين، ثم توالت ألفاظ المشابهة خمس مرات لتأكد فضل الله وعظيم كرمه الذي لا ينتهي ولا ينقطع.

وورد لفظ (مثل) بصيغة الجمع في قوله ﷺ: ((أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال: أوليست فيما شئت؟ قال: بلى ولكني أحب أن أزرع فأسرع وبذَر فتبادر الطرف

(١) صحيح مسلم: رقم ١٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٦، رقم ٦٠

نباته واستواؤه واستحصاؤه وتكويره أمثال الجبال فيقول الله تعالى دونك يا ابن آدم فإنه لا يُشبعك شيء))[1] فالرابط الإحالي (أمثال) ورد بصيغة الجمع، وساهم في ربط السابق باللاحق من النص، عن طريق بيان ارتفاع الزرع وضخامة علوه واتساع مداه، تمهيدا لقوله تعالى: (دونك يا ابن آدم) وتهيئة للقارئ للانعطاف به من فكرة الموافقة على الزرع والحصاد في الجنة إلى منعها.

وفي خلق ابن آدم استخدم لفظ (مثل) للإحالة على المدة الزمنية التي يقضيها في أطوار تخلُّقِه في بطن أمه، يقول ﷺ: ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك...)) [2] فقد جاءت الإحالة بكلمة (مثل) داخلية قبلية على سابق هو المدة الزمنية المذكورة، وهي أربعون يوما، وقد تعاضدت كلمة (مثل) مع اسم الإشارة الدال على البعيد (ذلك) للربط بين جمل النص، وتجسيد المعنى واقتصاد اللفظ.

والربط الإحالي بكلمة (مثل) والضمير المتصل بها ورد في قوله ﷺ: ((يقول الله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة))[3] ففي قوله (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) الرابط هو (مثل) المتصل ضمير الغائب (الهاء) المطابق لمرجعة مطابقة تامة والعائد على كلمة (حسنة).

والتاء في كلمة (حسنة) تدل على المبالغة، وصيغة الجمع في كلمة (أمثالها) جمع لـ (مثل) والمثل معدود مذكر ومع ذلك حذفت التاء من لفظ العدد والتي على الأصل القاعدي تكون

---

(١) صحيح البخاري: رقم٧٥١٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٤، رقم٥٩
(٢) صحيح مسلم: رقم ٣٠٣٦
(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٦٨٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٠، رقم١٥

(عشرة) ذلك أن " الحق لم يجعل الأصل في العطاء هو (المثل) بل جعل الأصل هو الحسنة وهذا هو مطلق الرحمة والفضل، ونعرف أن الحق يجزي الحسنة بعشر أمثالها ويضاعف ذلك إلى سبعمائة ضعف، لأن كل فعل تلازمه طاقة من الإخلاص في نفاذه، فكأن الحق قد وضع نظاما بأن الحسنة بعشر أمثالها، ثم بالنية المخلصة تبلغ الأضعاف إلى ما شاء الله. وقد وضع الحق هذا النظام، لأنه جل وعلا يريد للحسنة أن تُفعل، وينتفع الغير بها " (١).

وكلمة (أمثالها) جاءت جمع تكسير على وزن (أفعال) للدلالة على قلة (عشر أمثالها) وعظيم الكثرة في كلمة (وأزيد) الواعدة بتدفق الزيادة واستمرار الكرم الإلهي العظيم، وهذا كله في سياق الحديث عن الحسنات، أما سياق الحديث عن السيئات فجاءت فيه كلمة (مِثْل) مفردة متصلة بضمير الغائب (الهاء) المطابقة لمرجعها مطابقة تامة في قوله (سيئة مثلها) " ووزن (سيئة) فيعلة مبالغة في الوصف، مثل هيّنة، فعينها ياء ولامها همزة، لأنها من ساء، فلما صيغ منها وزن فيعلة التقت ياءان فأدغمتا " (٢).

وأفردت كلمة (مثل) للدلالة على تجاوز الله عن عباده ورحمته في الحساب والعقاب وكلمة (أو أغفر) فيها متسع وطمع بفضل الله العظيم، وأحالت كلمة (مثلها) إحالة داخلية إلى متقدم ذكره هو (الخطيئة) ليكون هذا أرحم تعامل وحساب يلقاه العبد، يقوم على مبدأ الكرم في التعامل واللطف والتودد بين الرب تعالى وعباده.

وأداة الربط الإحالي (مثل) تربط أجزاء النص، بإبراز العلاقة بين طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به)، وتقرب المعاني وتوضحها كمثل قوله ﷺ: ((أتاني جبريل بمثل هذه المرآة البيضاء فيها نُكتة سوداء قلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الجمعة جعلها الله عيدا لك ولأمتك،

---

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي: جـ٧،ص ٤٠١٧

(٢) تفسير ابن عاشور: جـ٢، ص٢٣٤

فأنتم قبل اليهود والنصارى، فيها ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه. قال: قلت: ما هذه النكتة السوداء؟ قال: هذا يوم القيامة تقوم في يوم الجمعة...)) [١].

فأحالت أداة الربط (مثل) على متأخر في النص هو (المرآة) وربطت معنى النص ومبناه، بربط ألفاظه وتقريب معانيه بالتشبيه، وقد ساعد الرابط الإحالي اسم الإشارة (هذه) على تجسيد المعنى المشار إليه وبيانه، وبهذا جعلت أداة الربط الإحالي (مثل) النص مرتكزا على المحال إليه لفظ (المرآة) الذي هو مركز النص وإليه تحيل أدوات الاتساق كلها من ضمائر وأسماء إشارة وغيرها.

ومن الإحالة بأداة المقارنة (مثل) قوله ﷺ في حديثه عن الصراط وأحوال الناس عند المرور عليه: ((... وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدرَ عِظَمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبَق بقَى بعمله، ومنهم المخردَل أو المجازَى أو نحوه...)) [٢] فالإحالة بأداة المشابهة (مثل) أوضحت المعنى وجعلته حيا ماثلا أمام السامعين، وجعلت الخطاب مشهدا ماثلا ينبض بأحداث دقيقة الوصف، وذلك بالتنويع بين الجمل الفعلية (تخطف الناس) والاسمية (فإنها مثل شوك السعدان) وبالتنويع بين الأساليب الخبرية (وفي جهنم كلاليب مثل السعدان) والأساليب الإنشائية (هل رأيتم السعدان؟).

الربط اللإحالي باسم التفضيل

ورد الربط الإحالي باسم التفضيل في الأحاديث القدسية كثيرا، مثاله قوله ﷺ: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم عز وجل ـ وهو أعلم

(١) حديث صحيح ـ أخرجه الإمام أبو يعلي: رقم ٤٢٢٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٩، رقم ١٠٠

(٢) صحيح البخاري، رقم ٧٤٣٧، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٩ ـ ١٠٠، رقم ٦٣

منهم . ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا. قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة قال فيقول فأُشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم))[1] فتكررت صيغ التفضيل في هذا الحديث تسع مرات، وهي (أعلم، وأشد، وأعظم) المشتقة من الفعل الماضي الثلاثي (علم، شدّ، عظم) وهي مفردة مذكرة لخلوها من (ال) ومن الإضافة، ويفصل بينها وبين التمييز شبه الجملة المتعلقة به.

كما يرد اسم التفضيل في الأحاديث القدسية نكرة بعده تمييز في قول أهل الكتاب يوم القيامة في حال أمة محمد ﷺ: ((... هؤلاء أقل منا عملا وأكثر أجرا...))[2] وقد ويرد معرفا بالإضافة كقوله ﷺ في حديث آخر أهل النار دخولا الجنة: ((أي رب لا أكون أشقى خلقك...))[3] ومنه كذلك قوله ﷺ في حديث الاحتضار وبيان حال المؤمن والكافر: ((فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا... وإن العبد الكافر إذا

---

(١) صحيح البخاري، رقم٦٤٠٨ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص٥٩ ، رقم ٣٤

(٢) صحيح البخاري، رقم ٧٥٣٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص ١٥٠ ، ١٠١

(٣) صحيح البخاري، رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص١٠٠، رقم١٣

كان في انقطاع من الدنيا... ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث، فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا...))[1].

واسم التفضيل في الأحاديث القدسية يرد في أغلبه بإحالة قبلية على ما تقدم ذكره في النص كقوله تعالى: ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك...))[2] فأحال اسم التفضيل (أغنى) إلى محال إليه متقدم هو (أنا). وقد يأتي بإحالة بعدية كقوله ﷺ: ((يُؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة... ثم يُؤتى بأنعم الناس كان بلاء في الدنيا من أهل النار، فيقول: اصبغوه فيها صبغة...))[3] فأحال اسم التفضيل (أنعم وأشد) إلى محال إليه أتى بعده هو (أنعم/ أهل النار، أشد/ أهل الجنة).

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده :رقم ١٨٠٦٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص١١٥ ـ ١١٦ ، رقم٧٣

(٢) صحيح مسلم: رقم٢٩٨٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٢ ، رقم ٩

(٣) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده: رقم ١٣٣٩٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٢، رقم٧٧

ثانيا: الاتساق بالأداة

للأداة في اللغة العربية وظيفتان أساسيتان، الأولى هي الربط بين أجزاء الكلام في الجملة الواحدة أو بين متتاليات الجمل فتكون نصا متماسكا لفظا ودلالة " وهذه الوظيفة تكتسبها من معناها الوظيفي الذي ينسحب على كل ما في حيزها من عناصر الجملة/ النص، أي أن كل ما في حيز النفي ـ مثلا ـ فهو منفي واشتراك عناصر الجملة في معنى النفي الحادث بسبب تقدم الأداة يجعل الأداة سببا في هذا الاشتراك بين هذه العناصر" (١).

والوظيفة الثانية للأداة في اللغة العربية الإيجاز في اللفظ " وتكتسب هذه الوظيفة من قدرتها على إفادة المعاني التي تؤديها الأفعال ومن ثم فهي تنوب عنها، فنجد على سبيل المثال (هل) تنوب عن (أستفهم) و(ما) تنوب عن أنفي، و(إلا) تنوب عن (أستثني)، كما أنها تعمل على عدم التكرار منعا للإكثار والإطالة... وتظهر هذه الوظيفة بصورة أوضح عندما تنوب الأداة عن جملة كاملة، فتؤدي معناها، مثل (نعم ولا) في الجواب. وعلى ذلك فهي تعمل على تحقيق الاقتصاد اللغوي الذي يؤدي بدوره إلى الاقتصاد في الجهد عند بناء النص" (٢).

واهتم علماء النص بدراسة الأداة ودورها في بناء النص، لأن النص عندهم" عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة تصل بين أجزاء النص"(٣) فتقوم بدورين مزدوجين هما، الربط الشكلي والربط الدلالي في النص. وقد قسم علماء النص عناصر الربط بالأداة إلى أقسام، هي(٤):

---

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان: ص١٢٣

(٢) الأحاديث القدسية دراسة لغوية، بخيت فوزي جاب الله: ص١٧٩

(٣) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي: ص٢٣

(٤) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، د.عزة شبل محمد: ص، ١٦٢ـ ١٤٧

١. الربط الإضافي:

وهو كل أداة تربط بين الجمل أو متتاليات الجمل في النص، وتضيف معنى جديدا فيه بطريق الجمع كما في (الواو. الفاء. ثم) أو التخيير (أو). ومثاله في الأحاديث القدسية قوله ﷺ: ((يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخٍ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار)) (١).

فجاء الربط بالفاء العاطفة في الحديث في قوله: (فيقول له . فيقول أبوه . فيقول إبراهيم . فيقول الله تعالى . فينظر فإذا فيؤخذ . فيلقى) فرتبت أدوار الحوار، وكثفت المعاني وعملت على إسراع وتيرة الأحداث والأفعال. والفاء من أدوات الربط والترتيب في اللغة، تعمل على ربط الأحداث المتعاقبة، وهذا يتناسب وطبيعة أسلوب نص هذا الحديث القدسي القائم على السرد والحوار" وللفاء خصوصية السبك، إذ إنها تعطف ما يصلح على مالا يصلح، أي: ما لا يصلح أن يكون صلة لعدم وجود ضمير رابط به على ما يصلح أن يكون صلة لوجود رابط به، نحو قولك: الذي يطير فيغضب زيد الذباب "(٢).

كما وردت الفاء العاطفة في قوله ﷺ: ((أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال: أولست فيما شئت؟ قال: بلى ولكني أحب أن أزرع فأسرع وبذَر فتبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاؤه وتكويره أمثال الجبال فيقول الله تعالى دونك يا ابن آدم فإنه لا يُشبعك

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٣٣٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٤، رقم ١١
(٢) من وظائف الصوت اللغوي، أحمد كشك: ص٩٧

شيء)) [1] فربطت الفاء الأحداث وكثفتها في المشهد، فجاء سريعا موحيا، يقول ابن حجر في ذلك: "وقوله: (فبذر) أي ألقى البذر فنبت في الحال، وفي السياق حذف تقديره: فأذن له فبذر (فبادر) وفي رواية محمد بن سنان (فأسرع فتبادر)، وقوله: (الطرف) بفتح الطاء وسكون الراء امتداد لحظ الإنسان إلى أقصى ما يراه، ويطلق أيضا على حركة جفن العين وكأنه المراد هنا ... والمراد أنه لما بذر لم يكن بين ذلك وبين استواء الزرع ونجاز أمره كله من القلع والحصد والتذرية والجمع والتكويم إلا قدر لمحة البصر " [2].

ومما ورد فيه الربط بفاء الجواب، قوله ﷺ في فضل الدعاء والصلاة آخر الليل: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر لله))[3] فالفاء واقعة في جواب الاستفهام (فأستجيب له، فأعطيه، فأغفر له) ربطت جمل النص وعقدت مفاصله، يقول ابن حجر في شرح الحديث " في قوله: من يدعوني لم تختلف الروايات على الزهري في الاقتصاد على الثلاثة المذكورة، وهي الدعاء والسؤال والاستغفار، والفرق بين الثلاثة أن المطلوب إما لدفع المضار أو جلب المسار، وذلك إما ديني وإما دنيوي، ففي الاستغفار إشارة إلى الأول وفي السؤال إشارة إلى الثاني، وفي الدعاء ما لا طلب فيه، نحو: يا الله. والسؤال طلب، وأن يقال: المقصود واحد وإن اختلف اللفظ... وقوله: (فأستجيب) بالنصب على جواب الاستفهام وبالرفع على الاستئناف، وكذا قوله: (فأعطيه، وأغفر له)" [4].

ووقعت الفاء رابطة لجواب الشرط كونه جملة طلبية في قوله تعالى: ((إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٤، رقم٥٩
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: جـ٧، ص٢٠٥
(٣) صحيح البخاري: رقم ١٠٩٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي،ص: ١٧٨ ، رقم١٢٦
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، جـ٤، ص: ١٣٢

فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة))[1] فجاءت الفاء في قوله: (فلا تكتبوها عليه . فاكتبوها بمثلها . فاكتبوها له حسنة . فاكتبوها له حسنة . فاكتبوها له بعشر أمثالها) وبهذا ارتفعت كفة الحسنات المكتوبة، مما يدل على لطف الله تعالى بعبادة وكرمه وتفضله عليهم في الحساب، فتظهر معاني الربوبية جلية واضحة، وتظهر بصمة الأسلوب الودود الذي يميز الخطاب في الأحاديث القدسية" وقد عقدت فاء الجواب والعاطفة في قوله (فإن عملها) بالإضافة إلى عناصر الربط الأخرى بين جمل النص فجعلتها كالجملة الواحدة... والفاء تدخل على جواب الشرط إذا لم يصح الجواب أن يعاقب الشرط، ويحل محله، وهذا يتحقق في مواضع محددة ذكرها النحاة منها إذا كانت جملة الجواب طلبية مثل قوله: (فاكتبوها)" [2].

وتنوع ورود الفاء بين معاني العطف والجواب في حديث فرض الصلوات، يقول ﷺ: ((... ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت علي موسى فقال: ما فرض الله لك على أمتك. قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعني فوضع شطرها فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها فقال راجع ربك فإن أمتك لا تطيق فراجعت فوضع شطرها فرجعت إليه، فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعته فقال: هي خمس وخمسون لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى، فقال: راجع ربك، فقلت: استحييت من ربي، ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى ...)) [3].

فوردت (الفاء) بشكل مكثف في هذا الحديث القائم على الحوار، وربطت الأحداث بالأفعال وشدتها بنصوص الحوار، في قوله: (ففرض . فرجعت . فقال . فارجع . فإن . فراجعني . فوضع . فرجعت . فقال . فإن . فراجعت . فوضع . فرجعت . فقال . فإن . فراجعته . فقال . فرجعت

---

(١) صحيح البخاري، رقم ٧٥٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧ ، رقم ١

(٢) الأحاديث القدسية دراسة لغوية نصية، بخيت فوزي جاب الله: ص١٨٣

(٣) صحيح البخاري، رقم ٣٤٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٦٢، رقم ١١٠

. فقال . فقلت) وبذلك رتبت تتابع الحوار وكثفت معاني الأفعال وأعطت الأحداث سرعة وترتيبا وبيانا .

وتربط (الفاء) الألفاظ والجمل ببعضها، كما في حديث مجادلة المؤمنين ربهم في إخوانهم الذين دخلوا النار:((يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار، قال: فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم، قال: فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه فيخرجونهم فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا ...)) [١] .

أما (الواو) فهي أداة ربط تربط مكونات الجملة، ومتتاليات الجمل المكونة لنص الأحاديث القدسية، محققة بذلك الاتساق والتماسك النصي بين جمله وفقراته، وهي تدخل على الجمل لمطلق الجمع وإشراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم، ومن الأمثلة عليها في الأحاديث القدسية قوله تعالى: ((ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا، فاستوفى منه ولم يعط أجره))[٢] فساهمت الواو في اتساق نص الحديث وسبكه، عن طريق ربط جمله ببعضها، وإشراك الثلاثة جميعا في الحكم نفسه المتمثل في قوله (أنا خصمهم) وبذلك عملت على انسجام النص " فجاءت الواو في سياق التفصيل كالخيط الذي يجمع بين فروع الشيء الواحد، فالرجل (الذي أعطى، والذي باع، والذي استأجر) هؤلاء بمثابة الفروع التي انبثقت من أصل واحد هو (ثلاثة)، وقد جاءت الواو جامعة لهذه الفروع رابطة بينها وبين أصلها" [٣].

كما عملت (الواو) كذلك على سبك النص وربط جمله والاشتراك في الحكم نفسه، مثال ذلك ما ورد في حديث الشفاعة، يقول ﷺ: ((ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك ثم أخر له

---

(١) حديث صحيح، أخرجه النسائي في سننه: رقم ٥٠١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص:٣١ ـ ٣٢، رقم١٦

(٢) صحيح البخاري: رقم٢٠٧٥

(٣) الأحاديث القدسية دراسة لغوية نصية، بخيت فوزي جاب الله: ص ١٨٤

ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله))[1] وهنا تعاضد الربط بالواو والفاء معا، فجاء نصا مسبوكا متسلسلا عذبا للسامعين، وعملت الفاء فيه على التعقيب والسرعة في ربط وصلات الحوار وتنظيمها، وإدارتها بشكل سريع موجز يصل إلى الأذهان بأقل الألفاظ.

كما ورد في الأحاديث القدسية الربط بأداة العطف (ثم) التي تفيد الترتيب والتراخي، فربطت مفرداته وجمله في إطار النص الواحد، فجاء متماسكا ملتحم الأطرف، ومن أمثلة ربطها بين الجملة قوله تعالى للمؤمنين في إخوانهم الذين أدخلوا النار: ((أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان، ثم قال: من كان في قلبه وزن نصف دينار، حتى يقول: من كان في قلبه وزن ذرة))[2] وقوله تعالى: ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد، ثم يُنفخ فيه الروح...))[3] ويظهر هنا ترتيب الأحداث وتراخيها في الوقوع.

ومن الربط بين الجمل بأداة الربط (ثم) قوله ﷺ في فضل الجهاد في سبيل الله: ((ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أُقْتَلُ في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل))[4] وأداة الربط (ثم) تفيد ترتيب الأحداث وتسلسلها بترابط متراخي السرعة.

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص: ١٤٤ ـ ١٤٥، رقم ٩٥

(٢) حديث صحيح، أخرجه النسائي في سننه: رقم ٥٠١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص: ٣١ ـ ٣٢، رقم ١٦

(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٦٤٣، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه

(٤) صحيح مسلم: رقم ٣٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص: ١٠٧، رقم ٦٨

ومن أمثلتها قوله ﷺ في حديثه عن أهوال يوم القيامة وعبور السراط: ((وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك [١] تأخذ من شاء الله ثم يُطْفأُ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة...))[٢] فربطت (ثم) بين أجزاء النص، وأحكمت تماسك معناه ودقة دلالة متواليات جمله.

وورد الربط بالأداة (أو) في نصوص الأحاديث القدسية، والربط بها يحقق معنى التسوية عند مُجري الخطاب بين شيئين أو أمرين، يقول ابن عاشور: " (أو) موضوعة لأحد الشيئين أو الأشياء، فيتولد منها معنى التسوية" [٣] ويقول الاستراباذي في معنى التسوية: " إن قام أو قعد فلأضربنه، أي قيامه وقعوده مستويان عندي، لا يمنعني أحدهما من ضربه " [٤].

وجاءت أداة الربط (أو) رابطة بين مفردات الحديث القدسي وجمله في قوله ﷺ في سياق الحث على الجهاد وفضله: ((انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يُخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي، أن أُرجعه بما نال من أجر أو غنيمة، أو أدخله الجنة))[٥] فربطت (أو) بين مفردتي (أجر و غنيمة) وربطت بين جملتي (أن أرجعه بما نال من أجر...) وجملة (أو أدخله الجنة) فأحكمت نسيج النص، وأفادت معنى التسوية والتخيير، فالمجاهد له إحدى الحسنيين الأجر والغنيمة، أو الجنة، ومرسل الخطاب عظيم الملك ويستوي عنده الخير كله، فهو قادر على إعطائه الغنيمة والأجر في الدنيا والجنة في الآخرة. ومن ذلك قوله ﷺ: ((يقول الله عز وجل:

---

(١) حسك: شوك " الحسك: نبات له ثمرة خشنة تعلق بأصواف الغنم، وكل ثمرة تشبهها نحو ثمرة القطب والسعدان والهراس وما أشبهه حسك ... والحسك: جمع حسكة، وهي شوكة صلبة " (لسان العرب، ابن منظور: ماد حسك)

(٢) صحيح مسلم: رقم ١٩١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص:١٣٦، رقم ٨٩

(٣) التحرير والتنوير: جـ١، ص١٤٥

(٤) شرح الكافية، الاستراباذي: جـ٤، س٤١٣

(٥) صحيح البخاري: رقم ٣٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص:١٠٧ ، رقم٦٨

من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد من جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر...)) [1]. وبأدوات الربط تلاحمت ألفاظ وجمل الحديث القدسي وتكاملت مع باقي الإحالات لتشكل نسيجا محكما متكاملا.

٢. الربط السببي:

وهو شكل من أشكال الربط بالأداة يكون بين سبب ونتيجته، وعليه تترتب الأفعال والجمل بعلاقة سببية أو تعليلية تجمع بينها وتربط دلالة معناها داخل نسيج النص، ومن أدوات الربط السببي في الأحاديث القدسية (الفاء السببية، ولام التعليل، ولأن، وحتى، والباء) وهي على قلة ورودها في نصوص الأحاديث القدسية كان لها دور كبير في إحكام ربط النص من حيث التركيب والدلالة.

وتندرج (الفاء) أيضا ضمن أدوات الربط السببي، وذلك لتعدد معانيها السياقية، فهي ترد أحيانا في سياق يحتمل الربط الإضافي والسببي معا كقوله ﷺ: ((أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال: أولست فيما شئت؟ قال: بلى ولكني أحب أن أزرع فأسرع وبذَر فتبادر الطرف نباته واستواؤُه... فيقول الله تعالى دونك يا ابن آدم فإنه لا يُشبعك شيء)) [2] ففي قوله (فأسرع وبذر فتبادر الطرف نباته واستواؤه) وقوله (دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء) ربطت الفاء بين طرفي الجمل التي تجمع بينها علاقة السببية والتعليل.

ومن أمثلته كذلك قوله ﷺ في علامة حب الله للعبد: ((إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه

---

(١) صحيح مسلم: رقم٢٦٨٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٣٠، رقم ١٥

(٢) صحيح البخاري، رقم ٧٥١٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص:٩٤ ، رقم ٥٩

فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض))[1] فالفاء في قوله: (فيحبه جبريل . فيحبه أهل السماء) رابطة بين السبب (إذا أحب الله عبدا) ونتيجته، التي هي بسط القبول له في الأرض، يقول ابن حجر في ذلك: " ومحبة الله تعالى لعبده هي إرادته الخير له وهدايته وإنعامه عليه "[2] وهذا النوع من الربط يحقق ترابطا على مستوى البناء اللغوي والدلالي، فيربط بين الجمل ومتتالياتها بعلاقات سياقية منطقية، وصولا للتلاحم النصي لكل مستويات الخطاب.

ومما جاء الربط فيه بلام التعليل في الأحاديث القدسية قوله ﷺ في إثم القتل بغير حق: ((يجيء الرجل آخذا بيد الرجل فيقول يا رب هذا قتلني فيقول الله له: لم قتلته، فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي، ويجيء الرجل آخذا بيد الرجل، فيقول: إن هذا قتلني، فيقول الله له: لم قتلته فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه))[3] وقد وردت لام التعليل في هذا الحديث مرتين في ذكر موقفين متقابلين، الأول في القتال في سبيل الله وإعلاء دينه، والثاني في القتال لغير الله والدفاع عما ليس بمشروع، فأحكمت اللام الربط المنطقي في بنية نص الحديث، فجاء نسيجا متلاحما مشدود العرى.

ومنه قوله ﷺ: ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل ماء، فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك))[4] فلام التعليل، قامت بالربط بين أجزاء النص، بين صاحب اليمين الكاذبة وسبب حرمانه من أن يكلمه الله تعالى أو أن ينظر إليه يوم القيامة، وهو (ليقطع بها مال رجل مسلم)، وجاءت لام التعليل متصلة بالفعل المضارع (يقطع) الذي يدل على فداحة هذا الفعل

---

(١) صحيح البخاري، رقم ٦٠٤٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٨، رقم ٤٢
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: جـ١، ص٤٦٢
(٣) حديث صحيح أخرجه النسائي في سننه: رقم٣٩٩٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص: ٢٧٠ ، رقم ١٧٣
(٤) صحيح البخاري: رقم ٢٢٤٠ ، كتاب الشرب والمساقاة

الدال على استمرار انقطاع مال الرجل المسلم وعظيم الخسارة المالية التي سيقع فيها بسبب اليمين الكاذبة التي صدقها وتعاقد عليها.

ومن الربط بلام التعليل والفاء معا قوله ﷺ: ((آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو[1] مرة وتَسْفَعه[2] النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين. فترفع له شجرة فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها فيقول: لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول: أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي رب؟ أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليها فيدنيه منها فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلنيها فيقول: يا ابن آدم ما يَصْرِيني[3] منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ قال: يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين)) [4] .

فاجتمعت في الحديث أدوات الربط السببي (الفاء ولام التعليل ولأن) في قول العبد: (فلأستظل بظلها) واقترنت الفاء السببية بلام التعليل في سياق تبرير العبد لربه سبب طلبه

---

(١) يكبو: يسقط على وجهه

(٢) تسفعه ـ بفتح التاء وإسكان السين المهملة وفتح الفاء معناه: تضرب وجهه وتسوده.

(٣) بفتح الياء وإسكان الصاد من (صَرِيَ) وهو القطع، ومعناه في الحديث ما يقطع مسألتك مني

(٤) صحيح مسلم، رقم ١٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص:٩٨ ـ ٩٩، رقم ٦٢

الاقتراب من ظل الشجرة بعد أن أخرجه من النار، وقوله: (فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها). ووردت أداة التعليل (لأن) في سياق تعليل الله تعالى لعبده بتكرار طلب المزيد من الخيرات رغم العهود والمواثيق التي أقرها على نفسه (وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه)، وفي هذا النوع من الحوار تلطف وتدرج بالعبد وصولا لفرحة العطاء، وهو أسلوب يقوم على الحوار المنطقي المعلل للأسباب، ويقوم في الوقت نفسه على الحوار الوجداني المليء بالرحمة والعطف الإلهي والكرم الرباني.

والحديث رغم تشابه جمل حواره وتكررها وإلحاح العبد فيها، جاءت عذبة مترابطة متآخذة، وكان لأدوات الربط الإضافي والشرطي دور كبير في تماسكها، وتلاحم مفاصلها، فجاءت أدوات العطف (الواو والفاء وثم) متلاحقة متتالية تربط الجمل وأجزاء النص ببعضها في قوله: (فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة ـ فترفع له شجرة ـ ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين) فنقلت المشهد بحركته وتوالي أحداثه ونبض إحساسه، بتقنية عالية تربط القارئ بالنص وتشده إلى متابعة الأحداث.

وكان للإحالة بالضمائر دور كبير في الإيجاز المعتمد على الترابط الجملي والتركيبي وانصهار النص في بوتقة الترابط والاتساق المتداخل الأطراف، ففي قوله (يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها) الفعل (أعطيتكها) اعتمد على اختزال الألفاظ بقوة الضمائر المتراصة والمتلاحمة الفاعلة في نسيج الأحداث، وكذلك في قول العبد: (أي رب أدخلنيها) جاء الإيجاز في الحوار المعتمد على قوة الضمائر والإحالات المركزة للأحداث والوقائع، وقد سبقت الإشارة إلى هذه البصمة الأسلوبية المعتمدة على اختزال الألفاظ بالضمائر في حديث قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وقد تكررت هذه السمة الأسلوبية في كثير من نصوص الأحاديث القدسية.

٣. الربط بأدوات الاستدراك:

ويكون الربط الاستدراكي بأداة العطف التي تفيد الاستدراك (لكن) المشددة والمخففة وما في معناها ك (بل) إذا سبقت بنفي أو نهي فتقرر حكم ما قبلها، وتثبت نقيضه لما بعدها، وهذا النوع من الربط هو ما يطلق عليه عند هاليداي ورقية حسن (الوصل/ الربط العكسي) الذي يعني عكس ما هو متوقع [١].

و(لكن) من أقل أدوات الربط ورودا في الأحاديث القدسية، مثالها قوله ﷺ: ((إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتيَ به فعرّفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء فقد قيل ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتيَ به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأُتيَ به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جوادٌ فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحب على وجهه ثم أُلقي في النار)) [٢] .

فجاءت أداة الربط الاستدراكي (لكن) في سياق التنفير من الرياء وفساد النية، فنفت حكم ما قبلها وأثبتت ما بعدها، وربطت الجمل السابقة باللاحقة ربطا عكسيا نابعا من معنى الجمل التي تتوسطها، فما قبلها كان أعمالا صالحة قام بها المقاتل والعالم والمنفق وقارئ القرآن، ولكنها بطلت لفساد نياتهم وعدم خلوص أعمالهم، فكان لها بعد تداولي في بناء النص، إذ

---

(١) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي: ص٢٣

(٢) صحيح مسلم: رقم ١٩٠٥ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٨، رقم ٧

رفعت التوهم عن السامع حتى لا يظن أن ما قبلها من أعمال صالحة كانت مقبولة. وسيتم التوسع في شرح البعد التداولي في الفصل السادس من البحث.

وفي الحديث تكاتفت آليات الربط كلها من أدوات الربط كالواو والفاء وأدوات الاستدراك وأدوات الحصر من أجل إحكام نسجه، كقوله (ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك)، كما جاءت الإحالة فيه بالضمائر مكثفة كقوله (تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن) وجاء الحذف فيه كقوله (فعرفه نعمه فعرفها) فحذف من الفعل (فعرفه) الفاعل (لفظ الجلالة) لأن السياق سياق محاسبة وتوبيخ للمرائين، وتنزه اسمه تعالى أن يكون مع ذلك في سياق واحد.

وفي قوله ﷺ: ((بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه رِجلُ جَرادٍ من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فنادى ربُّهُ: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك))[1] فجاءت أداة الربط الاستدراكي (لكن) رابطة بين الإجابة بـ (بلى)، وبين استدراك فعل أيوب في جمعه لجراد الذهب الذي خرَّ عليه، وربطت كذلك بين فعل الجمع ومبرره وهو الانتفاع بكل نعم الله المسخرة لعباده. أما الربط العكسي فقد قامت به (بلى) لتقدم الاستفهام المنفي عليها فأكدت إقرار أيوب عليه السلام بفضل ربه عليه واستغنائه به عمن سواه.

ومما ورد فيه الربط بالأداة (بل) الواردة بمعنى الاستدراك، ما رواه أبو هريرة حين قال: ((جلس جبريل إلى النبي ﷺ، فنظر إلى السماء، فإذا مَلَكٌ ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك: أفمَلِكا نبيا يجعلُك، أو عبدا رسولا، قال جبريل: تواضع لربك يا محمد، قال: بل عبدا رسولا)) [2] ومنه

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٤٩٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، حاشية ص ٢١٢ ، رقم ١٤٥

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده: رقم ٧١٦٠

حديث قريش للنبي ﷺ: ((ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك، قال: وتفعلون، قالوا: نعم، قال: فدعا، فأتاه جبريل، فقال: إن ربك عز وجل يَقرأ عليك السلام ويقول إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحتُ لهم باب التوبة والرحمة قال: بل باب التوبة والرحمة)) (١).

فجاءت (بل) رابطة اللاحق عليها بالسابق، من خلال إبطالها لما قبلها مضربة عما يقتضيه الكلام السابق، ومثبتة لما بعدها. وتدخل (بل) الكلام لرفع التوهم الذي يمكن أن يلحق بالسامع. والربط بها جاء في نهاية نص الحديث، وهي مع ذلك تمثل أداة ربط قوية أسهمت مع غيرها من عناصر الربط في تحقيق ترابط نص الحديث القدسي وانسجامه (٢).

٤. الربط بأدوات الشرط:

الربط الشرطي يعد نوعا من الروابط النصية، تقوم فيه الأداة بدور الربط بين متتاليات الجمل في النص، ويتحقق الربط في أسلوب الشرط من خلال تعلق تحقق الجواب بتحقق فعل الشرط. والربط بأدوات الشرط لا يقتصر على الربط في البنية اللغوية التركيبية، وإنما يتعداه للبعد الدلالي في المعنى، ولا يقتصر الربط بأدوات الشرط على الربط بين جملتين متعاقبتين وإنما بالعطف عليهما بجمل متتابعة متتالية في المعنى مما يؤدي إلى توسيع النص، وربط أجزائه ببعضها.

ومن الأدوات التي عبرت عن الربط الشرطي في الأحاديث القدسية (إذا ـ إن ـ من ـ لو ـ لما) مثاله قوله ﷺ في أجر من ذهب بصره واحتسب: ((إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة))(٣) فأداة الشرط (إذا) ربطت بين جملتي الشرط والجواب في قوله (إذا ابتليت

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده: رقم ٢٤٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٥٥، رقم ١٠٦

(٢) ينظر: الأحاديث القدسية دراسة لغوية نصية، بخيت فوزي جاب الله: ص٢٠٠

(٣) صحيح البخاري: رقم ٥٦٥٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص:٢٦٢ ، رقم ١٦٨

عبدي ـ عوضته منهما الجنة) وأحكمت نسيج النص بتوسيعه بواسطة عطف جملة (فصبر) على جملة الشرط، فدخلت جملة (فصبر) في جملة الشرط، فأصبح النص كالجملة الواحدة.

وقد كثُر الربط بأداة الشرط (إذا) في الأحاديث القدسية، وهي ظرف لما يستقبل من الزمان، تتضمن معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية الماضية للدلالة على تحقق الوقوع رغم أنها أداة شرط للاستقبال، وقد أشار السكاكي إلى نكتة ذلك بقوله: " وإذا للشرط في المستقبل... الأصل فيها القطع بوقوع الشرط، كما إذا قلت: إذا طلعت الشمس فإني أفعل كذا قطعا... وهو النكتة في تغليب لفظ الماضي معه على المستقبل في الاستعمال لكون الماضي أقرب على القطع من المستقبل"[١] ومثاله قوله تعالى: ((إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه))[٢] وقوله تعالى: ((إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض ...))[٣] .

وقد يأتي ما بعد أداة الشرط (إذا) ضميرا منفصلا ويكون جوابها فعل أمر مقترنا بالفاء لأنه جملة طلبية كقول العبد: ((إذا أنا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائف...))[٤]، وقد يحذف جواب (إذا) الشرطية لتقدم ما يدل عليه، كقوله تعالى: ((أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت شفتاه))[٥] فإن تقدير الجواب المحذوف (إذا هو ذكرني ذكرته) وهو حذف يفهم من السياق المقالي والمقامي للنص.

---

(١) مفتاح العلوم: ص٤٤٨

(٢) صحيح البخاري، رقم ٧٥٠٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٦ ، رقم ٤١

(٣) صحيح البخاري، رقم ٧٥١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٤، رقم ٩٥

(٤) صحيح البخاري، رقم ٦٤٨٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٤٢، رقم ٢٥

(٥) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٥٤٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦١، رقم ٣٦

وجملة (إذا) الشرطية ترد في الأحاديث القدسية بأنماط مختلفة مثال ذلك قوله ﷺ في حديث فضل مجالس الذكر: ((فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم...))[١] ففعل الشرط فعل ماض وجوابه ماض أيضا، وورد الحديث في رواية البخاري بصيغة أخرى فكان فعل (إذا) ماضيا وجوابها مضارعا في قوله: ((فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم...))[٢].

ومما جاء فيه الربط بأداة الشرط (إنْ) قوله تعالى: ((يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى))[٣] فأداة الشرط (إنْ) دخلت على الفعل المضارع في قوله: (إنْ تبذل الفضل خير لك . وإنْ تمسكه شر لك) وفيها دلالة على استمرار تحقق الجزاء بعد الشرط، وفي قوله تعالى: ((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرب إليّ شبرا تقربتُ إليه ذراعا، وإن تقرب إليّ ذراعا تقربتُ إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة))[٤] جاء فعل الشرط وجوابه ماضيين بعد (إنْ) للدلالة على تحقق وقوع فعل الشرط وجوابه، ورغم أن حرف الشرط (إنْ) يستعمل للدلالة على أمر مستبعد وقوعه أومشكوك في تحققه، إلا أن البصمة الأسلوبية للحديث القدسي قيدته بقيد التحقق وجعلته أمرا مرجو التحقق مرغوبا فيه.

وجاء الحذف مع (إنْ) في الجملة الشرطية غير المحفوظة الرتبة، فحذف فعل الشرط وبقي فاعله، كما في قوله تعالى: ((... فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات))[٥].

---

(١) صحيح مسلم، رقم ٢٦٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص٦٠، رقم ٣٥

(٢) صحيح البخاري، رقم ٦٤٠٨ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص٥٩ ، رقم ٣٤

(٣) صحيح مسلم: رقم ١٠٣٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص:١٧٥ ، رقم ١٢٢

(٤) صحيح البخاري: رقم ٧٤٠٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص:٥٧.

٥) صحيح البخاري: رقم ٦٤٩١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٤، رقم ٤

فالضمير المنفصل (هو) فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور بعده و(إنْ) تدل على تحقق وقوع الشرط والجواب أيضا، وقوله ﷺ في فضل النوافل: ((أول ما يحاسب به العبد صلاته فإن كان أكملها وإلا قال الله عز وجل: انظروا لعبدي من تطوع فإن وجد له تطوع قال: أكملوا به الفريضة))[1] فيه أكثر من موضع للحذف، فقد حذف منه جواب الشرط لتقدم ما يدل عليه مع (إن) الشرطية في الموضع الأول، والتقدير: فإن كان أكملها دخل الجنة، وحذف من (إن) الثانية المقترنة بلا النافية في قوله: (وإلا قال الله عز وجل) فعل الشرط والتقدير: وإن لم يكملها.

وقد تعاقب ورود أداتي الشرط (إذا) الدالة على ثبات تحقق فعل الشرط و (إنْ) الدالة على الشك في وقوعه في قوله ﷺ: ((يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة ، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة)) [2] وكان لتعاقب هاتين الأداتين دور في ربط أجزاء النص على صعيد المستوى اللفظي والمعنوي معا.

ويأتي الشرط (بمن) الشرطية التي تربط بين حدثين أو فعلين وتستخدم للعاقل، ومما جاء فيه الربط بأداة الشرط (مَنْ) قوله ﷺ: ((يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة))[3]. فإذا) دلت على تحقق أمر اختيار العبد لنوع أعماله إن خيرا أو شرا، و(إنْ) دلت على تحقق عدل الله ورحمته بعباده. فشكلت أداة الشرط

(١) حديث صحيح أخرجه النسائي: رقم ٤٦٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٠.

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧ ، رقم ١

(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٦٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٠ ، رقم ١٥

(من) رابطا مفصليا بين متتاليات جمل الحديث حيث تكررت في بداية كل جملة من جمله، ودخلت (الفاء) على جواب الشرط لكونه جملة اسمية في قوله (فله عشر أمثالها) وقوله (فجزاؤه سيئة).

ومن الربط الشرطي (بمن) قوله ﷺ: ((إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة... ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة...))[١] وجاءت (من) في الأحاديث القدسية فعلها ماض وجوابها مضارع مقترن بلام الأمر وبالفاء، مثاله قوله ﷺ: ((فمن وجد خيرا فليحمد الله...))[٢] وقد يرد فعلها ماضيا وجوابه مقترنا (بالفاء وقد)، كقوله ((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب))[٣] والشرط بالأداة (من) فيه من عمومية الخطاب المختلطة بخصوصية التلقي " بحيث لا يتوجه الأمر مباشر إلى فرد بعينه، بل يذكر الحكم بأسلوب (من) ويأتي الأمر باتباعه لكل من يرغب في اتباع الأمر والقيام بواجباته "[٤].

ومن أدوات الشرط الواردة في الأحاديث القدسية (لو) وهي أداة شرط غير جازمة تدل على الزمن الماضي، وإذا وقعت شرطا فإنها تقلب معنى الفعل إلى المستقبل كغيرها من أدوات الشرط، وهي حرف امتناع لامتناع، أي امتناع الجواب لامتناع الفعل إذا دخلت على جملتين مثبتتين، وقد تدل على امتناع الشرط وامتناع الجواب جميعا، وقد ذكر هذا الوجه ابن هشام في كتابه مغني اللبيب[٥]، وهو كثير الورود في الأحاديث القدسية.

وترد (لو) في الحديث القدسية على ثلاث صيغ:

. لو + جملة أنّ + جملة فعل ناسخ

---

(١) صحيح البخاري، رقم ٦٤٩١ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤، رقم ٤

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٤١، رقم ١٦٠

(٣) صحيح البخاري: رقم ٦٥٠٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٧٩. ٨١، رقم ٥١

(٤) الظواهر التركيبية في الأحاديث القدسية، جهاد العرجا: ص٤١

(٥) جـ٢، ص١٠٢

مثاله قوله ﷺ: ((يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي)) (١).

. لو+ جملة أنّ + جملة فعل ماض منفي بما

مثاله قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: ((يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا ...))(٢) وهذا التركيب يدل على أن (لو) لا ترد دائما بمعنى الامتناع لامتناع، لأن فعلها هنا مثبت وجوابها منفي.

. لو+ جملة فعلية فعلها ماض

مثاله قوله ﷺ: ((أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده... لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي)) (٣).

وترد (لو) الشرطية محذوفة الجواب كما في قوله ﷺ: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم عز وجل ـ وهو أعلم منهم ـ ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا. قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة،

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٥٥٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص:٢٥، رقم ١٢

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤١، رقم ١٦٠

(٣) صحيح مسلم: رقم : ٦١٧٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٧٠، رقم ٤٤

قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى جليسهم))[1] وتقدير المحذوف في أسلوب الشرط بـ (لو) (لو رأوني فكيف حالهم؟) (لو رأوا جنتي فكيف يكون حالهم ؟) (لو رأوا النار فكيف يكون حالهم؟)[2].

ومما ورد فيه الربط بأداة الشرط (لما) قوله ﷺ في أرواح الشهداء في الجنة: ((أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديلُ معلقةٌ بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن تَرُدّ أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا)) [3].

و(لما) الشرطية تأتي للأمر الذي وقوعه لوقوع غيره، وهي حرف وجوب لوجوب، أو حرف وجود لوجود ولذلك تُسمي (لما) التعليقية، أي التي يتعلق وجود جوابها بوجود شرطها "وقد تميز الشرط بكثرة وروده في نصوص الأحاديث القدسية، لأن طبيعة الحديث ووظيفته تؤيدان ورود هذا الأسلوب فيه، فالرسول ﷺ لم يكن يوجه الأمر توجيها مباشرا إلى المسلمين، إنما كان

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩، رقم ٣٤
(٢) ينظر: الخصائص التركيبية للأحاديث القدسية، أيمن حامد:٣١٣
(٣) صحيح مسلم : رقم ١٨٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص:١٠٣ ، رقم ٦٥

يوضح الحقيقة المجردة ويبين الحكم العام، ليتيح للإنسان حرية الرأي، واستقلال التفكير، ليتحمل كل فرد مسؤولية أعماله، والشرط من أكثر الأساليب التي تساعد على ذلك"[١].

٥ . الربط الزمني:

يدور الزمن في الأحاديث القدسية حول ما كان وما هو كائن وما سيكون، ويدور في زمن ما قبل الخلق وزمن الدنيا وزمن القيامة، وتهيمن صيغة الفعل الماضي على نصوص الأحاديث القدسية فتدل تارة على الماضي، وتارة على الحاضر، وتارة على المستقبل، مما يجعل منه فعلا مطلقا حرا في تحديد الزمان وفق ما يقتضيه السياق[٢]. ويتحقق الربط الزمني في الحديث القدسي من خلال عنصرين هما: (الربط بالتتابع الزمني) و(الربط بالتعقد الزمني).

الأول . الربط بالتتابع الزمني من خلال حروف العطف (و. ف . ثم) فهذه الأدوات تعمل على ترابط الأحداث داخل النص، عبر التتالي الزمني غير المحدد بأداة الربط (الواو) كما سبق ذكره في حديث الشفاعة في قوله تعالى للنبي محمد ﷺ: ((... يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع ...))[٣] وفيه أيضا تتابع للأحداث بتعاقب متسارع بحرف الفاء، ومنه قوله ﷺ: ((كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات ...))[٤].

كما تفيده أداة الربط (ثم) الترتيب المتراخي لمراحل تطور الجنين في بطن أمه، في قوله ﷺ: ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة

(١) الظواهر التركيبية في الأحاديث القدسية، جهاد يوسف العرجا: ٣١
(٢) ينظر: الأحاديث القدسية دراسة أسلوبية، محمد متولي محمد: ص١٧
(٣) صحيح البخاري، رقم ٧٥١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٤، رقم ٩٥
(٤) صحيح البخاري: رقم ٣٤٦٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٦٨، رقم ١٧٢

مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا ويؤمر بأربع كلمات، ويقال: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح))[1] .

الثاني ـ الربط بالتعقد الزمني، وقد ذكره كمصطلح الدكتور فتحي محمد اللقاني في كتابه (الأمثال القرآنية دراسة في معايير النصية)[*]، وبين أن التعقد الزمن يشمل أنواعا من الأزمنة منها (الربط الزمني المعلق) وتمثله أدوات الشرط التي تعلق زمن حدوث الجواب بتحقق الشرط وتربط الشرط بالجواب، وهي كثيرة الورود في الأحاديث القدسية وسبق التطرق لها.

وفي أسلوب الشرط لا بد من متقدم في الزمن وهو فعل الشرط ومتأخر عليه في زمن التحقق وهو الجواب، ولا يمكن أن يقعا معا في الوقت نفسه، بل لابد أن يكون بينهما فرق زمني يطول ويقصر وفق السياق المقامي للحديث. ومثاله في الأحاديث القدسية قوله تعالى: ((... من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له))[2] وقوله ﷺ في جزاء من ذهب بصره واحتسب: ((إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة))[3] وقوله ﷺ: ((من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ بيتا من جهنم))[4]، فالجواب في الأول يقع بعد وقوع الشرط بقصر مهلة وسرعة تحقق، أما الجواب في الثاني فيقتضي وقوعه مضيّ زمن بعد وقوع الشرط، وهو زمن الصبر على الابتلاء وفيه تمهل، وقد يطول أو يقصر حسب شدة الابتلاء ودرجة صبر العبد واحتسابه، أما الجواب في الحديث الثالث، فيقتضي زمنا أبعد من زمن الدنيا وفيه تأخير وفسحة في الوقت لأنه سيكون في الآخرة وقت الحساب.

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٦٤٣، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه
- **:ص١١٢**

(٢) صحيح البخاري: رقم ١٠٩٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٨، رقم ١٢٦

(٣) صحيح البخاري: رقم ٥٦٥٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٦٢، رقم ١٦٨

(٤) حديث صحيح أخرجه ابن حبان في صحيحه: رقم ٢٦١٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص:١٧٧، رقم ١٢٥

ومن صور التعقد الزمني أيضا (التداخل أو الربط المتزامن بين الأحداث) وهو ما ذكرته الدكتورة عزة شبل في كتابها علم لغة النص[١] ويظهر غالبا في الجمل الحالية في الأحاديث القدسية، مثاله قوله تعالى: ((آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسعفه النار مرة...))[٢] فقد ارتبط الحال (يمشي مرة ويكبو مرة وتسعفه النار مرة) بالفعل (يدخل).

ومما يدخل في التعقد الزمني الجمل التي تبدأ بأداة الربط (لما . و بينما) حيث تفيدان تزامن وقوع حدثين أو أكثر. ومثاله قوله ﷺ: ((بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه ...))[٣] فكلمة (بينما) فيها معنى الشرط وأفادت تزامن حدثين في وقت واحد هما الاغتسال ونزول الجراد على أيوب عليه السلام، فساهمت في الترابط الزمني للنص.

ومثال الربط بـ (لما) التي تفيد معنى الوجود لوجود[٤] قوله ﷺ: ((لما فرغ الله من الخلق قامت الرحم، فقال: مه؟ قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال: ألا ترضين أن أصل من وصلك))[٥] فقد تزامن قيام الرحم لمخاطبة ربها مع انتهائه من الخلق، ومنه قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى: ((لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله فحمد الله بإذن الله، فقال له ربه: يرحمك ربك...))[٦] فأسهمت أداة الربط الزمني (لما) في ربط الأحداث الزمنية المتتالية، بدءا بنفخ الروح فالعطس، ثم حمد آدم لله، فرحمة الله تعالى به " وهي أحداث

---

(١) ص: ١٦٥
(٢) صححي مسلم: رقم ١٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٩٨، رقم ٦٢
(٣) صحيح البخاري: رقم ٣٣٩١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢١٢، رقم ١٤٥
(٤) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام: جـ١، ص٤٨٥
(٥) صحيح البخاري: رقم ٤٥٥٢
(٦) حديث صحيح أخرجه ابن حبان في صحيحه: رقم ٢٠٨٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص:١٩٤ ، رقم ١٣٧

مرتبة ترتيبا متعاقبا، فلم يكن بين هذه الأحداث مهلة، مما يدل على شدة حرص آدم أن يحمد الله عز وجل، وسرعة إجابته سبحانه وتعالى"[1].

ومن صور التعقد الزمني (ظاهرة الحذف) وما تختصره من أحداث توجز السرد وتكثفه، وتسرع وتيرة الحكاية، كقوله ﷺ في خروج بعض من يدخلون النار منها: ((يخرج من النار أربعة يعرضون على الله عز وجل فيأمر بهم إلى النار فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب قد كنت أرجو إن أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها، فيقول: فلا نعيدك فيها))[2] وفيه اختصار سردي وحذف لتفاصيل الأحداث والأمور التي أخرجت الثلاثة الباقين من النار.

ومن صور التعقد الزمني وجود الوقفات الوصفية التي تغني النص السردي وتثريه بتفاصيلها، ووجود المقاطع الحوارية التي لها دور في بسط المشاهد أمام المتلقين بدقة وتتبُّع، ومثال هذه الوقفات الوصفية التي توقف زمن السرد وتقدم كثيرا من الجزئيات التفصيلة الهامة في نقل المشهد، قوله ﷺ، في حديث رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الآخرة: ((هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة... ويضرب السراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بقى بعمله، ومنهم المخردل أوالمجازى أو نحوه...))[3] وفي النص وقفات وصفية وحوارية أدت إلى

---

(١) الأحاديث القدسية دراسة لغوية نصية، بخيت فوزي جاب الله: ص ٢١٥
(٢) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم ١٣٠٦٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٩، رقم ٨٥
(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٠٠، رقم ٦٣

تباطؤ زمن السرد وتوالي الأحداث، لكنها أغنت النص بتفاصيل وجزئيات جعلت المتلقي يلتحم بالمشاهد، يعيشها بنفسه وينفعل بها.

٦. الربط التضميني:

وهو شكل من أشكال ترابط النص " يعتمد على أداة نحوية يقع في حيزها جزء كبير من البنية التركيبية والمفهومية للنص"[١] وأداة الربط هنا لا تتوسط قولين تربط السابق منهما باللاحق، وإنما " تشد ما يقع في حيزها من بنية تركيبية ومفهومية دون أن تقع بين جزأين من أجزاء النص خلافا لغيرها من أدوت الربط الأخرى "[٢] وأدوات الربط التضميني، هي: فعل القول، الربط الاستفهامي، وأسلوب الحصر، وأدوات الاستفهام، وأدوات النداء، وأدوات القسم، وينقسم الربط التضميني إلى أقسام:

أ. الربط بألفاظ القول [٣]:

وهو الربط بفعل القول بحيث يصبح نص الحديث القدسي بمثابة مقول القول، ويكون فعل القول رابطا يُدخل متن الحديث القدسي في حيزه ويربطه بمركزه. وتظهر أهمية فعل القول في الحديث القدسي لطبيعة أسلوبه السردي، الذي يمتزج فيه الحوار بالقصص، وهو طابع أسلوبي يحتاج لرابط قولي قوي يربط الكلام ببعضه، ويكون بمثابة الخيط الشاد لخيوط نسيج سرده وحواره.

ويرد فعل القول في الحديث القدسي بصيغة الماضي (قال ـ قالوا ـ قلت) والمضارع (يقول ـ أقول) والمبني للمفعول (قيل ـ ويقال)، مثاله قوله ﷺ: ((قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم

---

(١) الأمثال القرآنية دراسة في المعايير النصية ومقاصد الاتصال، فتحي محمد اللقاني : ص ٢٢٩
(٢) الأحاديث القدسية دراسة لغوية نصية، بخيت فوزي جاب الله: ص٢٠٠
(٣) ينظر: الأمثال القرآنية دراسة في المعايير النصية ومقاصد الاتصال، فتحي محمد اللقاني: ص ٢٣٠

يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار)) [1]، ومنه قوله ﷺ: ((يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ...))[2] وقوله ﷺ في حديث رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة: ((... ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد. فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا. فيقال: اشربوا، فيتساقطون...))[3].

وتكرار فعل القول في نصوص الأحاديث القدسية يدل على وجود حوار واسع في هذه النصوص يقوم على التناوب بين أطراف تتبادل الحديث أخذا وردا، وفي هذا دلالة على ما سبق طرحه في الفصل الأول من البحث من أن لغة الحديث القدسي هي لغة خطاب قبل أن تكون نصا، تقوم على المشافهة التي دونت بتدوين الحديث فيما بعد.

وعلى ذلك كان لفعل القول في الحديث القدسي دور الربط اللفظي والفكري، فالحوار المترتب على القول ينقل المعاني والمضامين إلى المتلقي لأنه يكشف المعاني المترتبة على الحوار نفسه، والتي يصل إليها المتلقي بقراره وتسلسله في استماع الحوار كطرف مشارك لمن وُجه الخطاب إليهم. وهذا أسلوب وعظ غير مباشر في تلقي التعاليم والتربية الإلهية، يشيع في حواره النداء والبدء بالاستفهام وهو مما تتطلبه لغة المشافهة.

(١) صحيح البخاري: رقم ٤٨٢٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٢٣٦ ، رقم ١٥٨
(٢) صحيح البخاري: رقم٧٥٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٧ ، رقم١
(٣) صحيح البخاري: رقم٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص:١٣٤، رقم ٨٨

ب . الربط بأدوات الاستفهام:

والاستفهام لغة: طلب الفهم، وفهمت الشيء: عقلته وعرفته، وقد استفهمني الشيء فأفهمته، وفهمته تفهيما[١] أما اصطلاحا: فالاستفهام " استعلام ما في ضمير المتكلم"[٢] وهو " طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في ذهنه ما لم يكن حاصلا عنده لما سأله عنه " [٣] فهو صيغة طلبية تنبني عليها جملة طلبية يحددها المتكلم حسب طلبه، وقد قسم العلوي في الطراز أدوات الاستفهام إلى أنواع منها ما يطلب به التصور تارة والتصديق تارة أخرى كـ (الهمزة) وما يطلب به التصديق فقط وهو (هل)، وما يطلب به التصور فقط وهو بقية ألفاظ الاستفهام[٤].

والربط الاستفهامي شكل من أشكال الربط التضميني، وأدوات الاستفهام تقوم بدور الربط في النص، وتجعل كل ما في حيزها يدخل في معناها، لذلك تعد من أداوت الربط التضميني، وقد أشار الدكتور تمام حسان إلى دور أدوات الاستفهام في ربط الكلام ببعضه، يقول في ذلك:" يربط حرف الاستفهام بين عناصر الجملة التي دخلها حتى ليصبح كل ما في حيزه مشمولا بالمعنى العام الذي عبر عنه الحرف، فهناك فرق بين: ما كان هذا؟ وأين كان هذا؟ ومتى كان هذا؟ بحيث يكون الاستفهام الأول عن الماهية، والثاني عن المكان، والثالث عن الزمان، ويصبح هذا هو معنى الجملة، ولا يأتي معنى (كان) و (هذا) إلا في المرتبة الثانية، لأنهما يبقيان لو حذفت أداة الاستفهام، فلا يتغير شكلهما، وإن تغير بعد الحذف مضمونهما" [٥].

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة فهم
(٢) التعريفات، الجرجاني: ص١٨
(٣) الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي: جـ٤،ص ٢
(٤) ينظر: الطراز، العلوي: جـ٣، ص١٥٨
(٥) البيان في روائع القرآن : جـ١،ص١٥٣

وقد وردت أداوت الاستفهام في الأحاديث القدسية كـ (هل، والهمزة، وكيف، وما ، وأي، وأين، وأنى، وكم، وماذا، ومَنْ) وأداة الاستفهام هي التي تلخص معنى الاستفهام الذي تدخل من أجله على الجملة، ومثالها في الأحاديث القدسية قوله ﷺ في حديث رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الآخرة: ((هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ قلنا: لا... ثم يُؤتى بجهنم تعرضُ كأنها سراب فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله، فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد ...))[1].

وهنا ورد الاستفهام بـ (هل) في أكثر من موضع كرابط للحديث بين جمله ومفاصل معانيه، وجاءت (هل) بمعنى الطلب الحقيقي للرد على السؤال وهذا أسلوب خطابي متدرج للإقناع وتبسيط المعنى للأذهان. ومنه قوله ﷺ لأبي ذر في حديث أشراط الساعة الكبرى: ((يا أبا ذرٍ هل تدري أين تغيب هذه؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تغرب في عين حامئة...))[2] وتأتي (هل) لطلب التصديق الإيجابي، وقد وردت بهذا المعنى كثيرا في نصوص الأحاديث القدسية منها سؤال الله تعالى للملائكة في حديث فضل مجالس الذكر يقول ﷺ: ((فيسألهم ربهم عز وجل ـ وهو أعلم منهم ـ ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني... فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: يقول وهل رأوها... قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها، يقولون: لا والله يا رب))[3] وأغلب دخول (هل) في الأحاديث القدسية على الجمل الفعلية، كالحديث السابق في قوله تعالى: ((هل رأوني ... وهل رأوها)) .

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٤، رقم ٨٨

(٢) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم ٢١٤٩٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٨٦ ، رقم ١٨٢

(٣) صحيح البخاري: رقم ٦٤٠٨، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩ ، رقم ٣٤

وقد ورد الاستفهام (بالهمزة) في الأحاديث القدسية في مواضع متنوعة، فدخلت (الهمزة) على حرف النفي (لم) في قوله تعالى: ((ألم أكرمك وأسودك وأزوجك...))[١] وعلى حرف النفي (ما) مثاله: ((أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده))[٢] وقوله تعالى للرحم: ((أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك))[٣] ووردت همزة الاستفهام داخلة على الجملة الفعلية الماضية كقوله تعالى: ((أظلمك كتبتي الحافظون))[٤]. وقوله تعالى: ((أفظننت أنك ملاقيَّ))[٥].

وتدخل على الفعل المضارع ((أتنكر من هذا شيئا))[٦]، وعلى الجملة الاسمية في قوله: ((أفلك عذر؟))[٧] وفيها تقدم الخبر الجار والمجرور على المبتدأ (عذر) " ويفيد الاستفهام في هذا التركيب التهديد، وقد كان الأصل في التركيب (مالك عذر) فالاستفهام جزء من جملة الاستفهام، وهي معطوفة على ما قبلها من الجمل، ولكن خُصت الهمزة بالتقديم على العاطف تنبيها على أنها أصل أدوات الاستفهام الذي له صدر الكلام "[٨] وتدخل على الواو كذلك في قوله: ((أوليست فيما اشتهيت))[٩].

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٩٦٨، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٤، رقم ٧٩

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٥٦٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص:٧٠، رقم ٤٤

(٣) صحيح البخاري: رقم ٥٩٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٢، رقم ١٥٦

(٤) حديث صحيح أخرجه الترمذي: رقم ٢٦٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٣، رقم ١٨

(٥) صحيح مسلم: رقم ٢٩٦٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٤ ، رقم ٧٩

(٦) حديث صحيح أخرجه الترمذي: رقم ٢٦٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٣، رقم ١٨

(٧) الحديث نفسه

(٨) الظواهر التركيبية في الأحاديث القدسية، جهاد العرجا: ص١٨

(٩) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٤ ، رقم ٥٩

كما ورد الاستفهام في الأحاديث القدسية بالأداة (ما) في قوله: ((ما يقول عبادي؟))[1] وقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ((ما تحت رجليك))[2]. وجاءت (ما) الاستفهامية مجرورة في الأحاديث القدسية كقوله تعالى: ((فمم يتعوذون)) وقوله ﷺ: ((يجيء المقتول بقاتله يوم القيامة فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟ قال: فيقول علام قتلته، فيقول على ملك فلان))[3] وعلى كلا الروايتين يكون الاستفهام مجرورا (بفي) أو (بعلى).

وورد الاستفهام بأداة الاستفهام (ماذا) في الأحاديث القدسية، وهي مركبة من (ما) حرف الاستفهام و(ذا) الاسم موصول، وبعده جملة صلة الموصول. مثاله قوله تعالى لأهل الجنة: ((ماذا تريدون؟ فيقولون: ربنا رضوانك...))[4] وفي قول موسى عليه السلام عندما أتاه ملك الموت: ((... ارجع إلى عبدي فقل: ألحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعره فإنك تعيش بها سنة. قال: ثم مَهْ؟ قال: ثم تموت...))[5] فـ (مه) أصلها (ماذا)، والهاء للسكت. ويقدّر بعدها جملة فعلية، على تقدير: ثم ماذا يكون بعد ذلك، أو يقدر بعدها ظرف، على تقدير: ثم ماذا بعد ذلك.

وورد الاستفهام في الأحاديث القدسية (بمن) وهي أداة استفهام يسأل بها عن العاقل، مثاله قوله تعالى: ((من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان))[6] وقوله ﷺ: ((قال الله عز وجل: إن أمتك لا يزالون يقولون ما كذا؟ ما كذا؟ حتى يقولوا: هذا الله خلق الخلق فمن خلق

---

(١) صحيح البخاري، رقم ٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩

(٢) صحيح البخاري: رقم ٣٣٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤ ، رقم ١١

(٣) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده: رقم ١٦١٦٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٧٢ ، رقم١٧٤

(٤) حديث صحيح أخرجه الإمام أبو يعلى، رقم ٤٢٢٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٨-١٤٩، رقم١٠٠

(٥) صحيح مسلم: رقم١٨٤٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٠٩ ، رقم ١٤٤

(٦) صحيح مسلم: رقم١٦٢١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٦، رقم ٢١

الله؟))[1] وقوله تعالى لسيدنا نوح عليه السلام يوم القيامة: ((من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ...))[2] وقول موسى عليه السلام في قصته مع الخضر ((أي ربِّ ومن لي به))[3].

كما وردت أداة الاستفهام (كيف) في قوله تعالى في حديث فضل مجالس الذكر: ((كيف لو رأوني))[4] وقول العبد في حديث فضل التزاور والتواد: ((يا رب كيف أعودك))[5] وقول آخر أهل النار دخولا الجنة: ((يا رب كيف وقد نزل الناس منازلهم))[6]. وورد الاستفهام (بأي) و(أين) في قول العباد لله تعالى في حديث رضوان الله على أهل الجنة، يقول تعالى: ((ألا أعطيكم أفضل من ذلك. فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من هذا))[7]، وورد الاستفهام بأداة الاستفهام (أنى) مرة واحدة في الأحاديث القدسية في قول الخضر لموسى عليه السلام: ((وأنى بأرضك السلام)) [8].

وقد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معان سياقية أخرى فيأتي الاستفهام بالهمزة بمعنى التعجب والإعجاب، كقوله تعالى: ((أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ ...))[9] ويرد بمعنى الإنكار والتوبيخ، في قوله ﷺ: ((إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة ـ يعني

---

(١) صحيح مسلم: رقم ١٣٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٢٠ ، رقم ١٤٨

(٢) صحيح البخاري، رقم ٤٤٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٦، رقم ٩٦

(٣) صحيح البخاري: رقم ٣٤٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٠٤.

(٤) صحيح البخاري: رقم ٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩ ، رقم ٣٤

(٥) صحيح مسلم: رقم ٢٥٦٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٠ ، رقم ٤٤

(٦) صحيح مسلم: رقم ١٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٦ ، رقم ٦٠

(٧) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٩٢، رقم ٥٧

(٨) صحيح البخاري: رقم ٣٤٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٠٤ ، رقم ١٤٣

(٩) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٣، رقم٣٨

العبد ـ من النعيم أن يُقال له: ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد))[1] ومنه قوله ﷺ: ((قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة))[2].

والاستفهام هنا إنكاري معناه النفي على تقدير: لا أحد أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، وفيه معنى التهويل والتنبيه على سوء هذا الصنيع. وقد أفادت (من) الاستفهامية معنى التعجيز وربطت جمل النص بمعناها، يقول ابن حجر العسقلاني: " فليخلقوا ذرة أو شعيرة، أمر بمعنى التعجيز وهو على سبيل الترقي في الحقارة أو التنزل في الإلزام "[3] وفي الحديث تقارب أسلوبي مع الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾[4] وفي هذا التقارب دلالة على أن مصدرهما واحد وأن الحديث القدسي هو كلام الله تعالى.

ومن المعاني السياقية التي خرج فيها الاستفهام عن معناه الحقيقي، ما ورد في حديث فضل مجالس الذكر ومجالسة الصالحين، وحوار الله تعالى لملائكته في شأنهم: ((... فيسألهم ربهم عز وجل ـ وهو أعلم منهم ـ ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: كيف لو رأوني...))[5] ويرد الاستفهام بـ (ما) و(هل) للتعجب والتباهي بفضل صنيع العباد أمام الملائكة ورفع شأنهم، ويرد هذا الأسلوب من السؤال والإجابة لتبسيط الإفهام وتذليله للسامعين بمختلف مستوياتهم.

---

(١) حديث صحيح أخرجه الترمذي: رقم ٣٣٥٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٠ ، رقم ٨٦
(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥٥٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤٥، رقم ١٦٢
(٣) فتح الباري: جـ٢١، ص١٥٨
(٤) سورة البقرة: ١١٤
(٥) صحيح البخاري، رقم ٦٤٠٨ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩، رقم٣٤

ومن سمات أسلوب الاستفهام في الحديث القدسي إعادة الجملة الاستفهامية كاملة والإجابة عن السؤال باستفهام آخر، كسؤاله تعالى للشهداء في الجنة: ((هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا. ففعل ذلك بهم ثلاث مرات...)[1]، وقوله تعالى: ((يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟...))[2].

وقد ترد بعض الإجابات من غير جنس السؤال وبعيدة عن صيغة ألفاظه، إلا أنها مرتبطة بالمعنى النفسي للسائل، وتكون بذلك أبلغ مما لو كانت من جنس ألفاظ السؤال، مثال ذلك حديث البطاقة وفضل لا إله إلا الله، يقول العبد بعد أن رأى سجلاته وما كتبه الكتبة الحافظون: ((يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تُظلم)) [3].

فقوله تعالى: (إنك لا تظلم) جواب ليس من جنس السؤال الذي طرحه العبد (ما هذه البطاقة مع هذه السجلات) إلا أنه جواب عالج خوفه ودل على معنى الجواب من خلال سياق الكلام، وهو جواب جاء بعد تتابع الأسئلة الموجهة من الله إلى العبد لإغلاق باب الإنكار عليه وإقراره بظلمه، يقول ﷺ في مطلع هذا الحديث: ((إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب))[4] .

ثم يأتي الكلام مخالفا لجواب المسئول في قوله تعالى بعد أن أقرّ العبد بذنبه وقال (لا يا رب) فيقول تعالى: (بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم)، وبذلك كان الاستفهام

(١) صحيح مسلم: رقم ١٨٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٠٣ ، رقم ٦٥

(٢) صحيح مسلم: رقم٢٥٦٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٠ ، رقم ٤٤

(٣) حديث صحيح أخرجه الترمذي في سننه: رقم ٢٦٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٣، رقم١٨

(٤) حديث صحيح أخرجه الترمذي في سننه: رقم ٢٦٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٣، رقم ١٨

لإقرار العبد بذنبه، ولبيان رحمة الله بعباده وعظيم كرمه، فلا يثقل مع اسم الله شيء، ولا يدخل النار من أخلص إيمانه بوحدانية الله وصدق رسالة نبيه، ويدخل قوله تعالى (بلى إن لك عندنا حسنة...) في الربط الاستدراكي بين متتاليات الجمل داخل النصوص، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في مبحث أدوات الربط.

وهذا الحديث في مضمونه يتصل ويترابط مع أحاديث قدسية كثيرة، منها حديث القاتل لتسعة وتسعين رجلا وغفر له(١). وحديث الرجل الذي لم يعمل خيرا وأمر بعد موته بأن يحرقوه ويرموا نصف بقاياه في البر ونصفها الآخر في البحر، وذلك لخشيته من الله وخوفه من حسابه له، فغفر الله له (٢)، وهي كلها أحاديث تدور حول موضوع (المغفرة) وهو الموضوع الأساس لنصوص الأحاديث القدسية والخيط الجامع لها، وسيأتي بيان ذلك في الفصل الثالث من البحث.

وورد الاستفهام بـ (لعل) وهو من الأدوات التي يقل استعمالها في نصوص الأحاديث القدسية من ذلك قوله تعالى لآخر أهل الجنة: ((يا ابن آدم لعلي إن أعطيتُكَها سألتني غيرها. فيقول: لا يا ربِّ ويعاهده أن لا يسأله غيرها... لعلي إن أعطيتك منها تسألني غيرها...))(٣).

(١) صحيح البخاري: رقم ٣٤٧٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٧ رقم ٢٢

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٤٣، رقم ٢٧

(٣) صحيح مسلم: رقم ١٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٧ ـ٩٨ ، رقم ٦٢

جـ ـ الربط بأدوات الحصر:

وهو شكل من أشكال الربط يتم عبر أدوات الحصر التي تقصر ما بعدها على ما قبلها، ومن أدوات الحصر الواردة في الأحاديث القدسية (إنما ـ والنفي والاستثناء بإلا) وهي تقوم بربط المتتاليات التركيبية في النصوص، مثال ذلك قوله تعالى للجنة وللنار: ((إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار إنما أنت عذابُ أعذبُ بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها...))(١).

و(إنما) أداة للحصر وللقصر، قصر الله تعالى بها في الحديث السابق الرحمة على الجنة، وحصر بها العذاب على من في النار "وكل ما تلى (إنما) يدخل في حيزها ويتعلق بها، ومن المعلوم أن (إنما) تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما يتنزل هذه المنزلة "(٢).

كما أن لها دورا في اتساق النص وربط كل جمله، فهي تجعل متتاليات النص التركيبية مقيدة بمعناها، ومأسورة بزمامها، مثال ذلك قوله ﷺ: ((إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس. أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صُلِّيَت العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتاب: هؤلاء أقل منا عملا وأكثر أجرا، قال الله: هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟ قالوا: لا فقال: فهو فضلي أوتيه من أشاء))(٣) فربطت (إنما) جمل النص، وجعلت الممثل له والممثل به وما يتعلق بهما من متتاليات جملية مقرونا بالرابط (إنما) الذي أدخل النص كله في حيز معناها.

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٤٨٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٩ـ ١٢٠ ، رقم ٧٦
(٢) دلائل الإعجاز، الجرجاني: ص٣٣٠
(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٥٣٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٠ ، رقم ١٠١

ومما ورد فيه الربط (بالنفي والاستثناء بإلا) قوله ﷺ: ((يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة))[1] ويظهر أثر هذا الرابط في حال إطالة الكلام بين النفي والاستثناء، حيث يدخل كل ما في حيزه من جمل تحت معناه ويرتبط به، ويتعلق به، من ذلك قوله ﷺ: ((ألم تروا إلى ما قال ربكم؟ قال: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكواكب وبالكواكب))[2] فالحصر قام بإحكام ربط جمل النص، وهذا النوع من الحصر يأتي كأسلوب خطابي عندما يكون المخاطب منكرا لأمر أو يشك فيه، يقول الجرجاني: " وجملة الأمر أنك متى رأيت شيئا هو من المعلوم الذي لا يشك فيه قد جاء بالنفي، فذلك لتقدير معنى صار به في حكم المشكوك فيه"[3].

د . الربط بأدوات النداء:

النداء في اللغة هو الصوت، مثل الدعاء، وقد ناداه ونادى به مناداة ونداء أي: صاح به، والنداء، ممدود: الدعاء بأرفع صوت، وقد تبدل الهمزة ياء تخفيفا، وهي لغة بعض العرب، وأندى الرجل: إذ حسن صوته[4]. واصطلاحا: وهو طلب إقبال المخاطب بأحد حروف النداء " وهو توجيه الدعوة للمخاطب، وتنبيهه للإصغاء وسماع ما يريده المتكلم "[5].

والربط الندائي شكل من أشكال الربط التضميني، وأدوات النداء من الأساليب الإنشائية وتعد من أدوات الربط لأنها تربط بين النداء والجواب، وتتصدر الجملة وتجعل كل ما في حيزها يدخل في معناها، وبذلك تشد النص بعضه ببعض تركيبا ومعنى، والأصل في النداء الطلب

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٤٢٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٠، رقم١١٦
(٢) صحيح مسلم: رقم ٧٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٩، رقم ١٤
(٣) دلائل الإعجاز: ص٣٣٠
(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة ـ ندي
(٥) النحو الوافي، عباس حسن: جـ٢، ص٢٣

للتنبيه، ويخرج عن أصله لأغراض بلاغية حسب المعاني السياقية التي يرد فيها، كالتقرب والتودد والتوسل والدعاء، والاستنكار، والتحذير.

وقد ورد النداء في الأحاديث القدسية منادى مضافا ومنادى مفردا، والمنادى المضاف كقوله (يا رب، يا ابن آدم، يا رسول الله، يا أهل الجنة، يا أهل النار، يا نبي الله، يا عبادي) وقد ورد المنادى المفرد موجها إلى الأنبياء كقوله تعالى: (يا آدم ، يا محمد، يا إبراهيم، يا موسى، يا أيوب، يا جبريل) ولم يخرج عن ذلك لأن الأحاديث القدسية إما نداء موجه من الله عز وجل إلى عباده، أو موجه من العباد إلى الله تعالى .

وأدوات النداء في الأحاديث القدسية هي (يا، وأي، واللهم) وأكثر هذه الأدوات استخداما في الأحاديث القدسية هو حرف النداء (يا) وقد كثر النداء به في مواضع عديدة من نصوص الأحاديث القدسية، وهو يستخدم لنداء البعيد وقد يؤتى بها للقريب لنكت تستخرج من السياق، كإظهار الحرص على إقبال المدعو، والعناية بالمخاطب، وتعظيم شأن المدعو[١] .

ومثال النداء بـ (يا) في الأحاديث القدسية قوله تعالى: ((يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط أو شيئا تكرهه؟))[٢] وقوله تبارك وتعالى: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ...))[٣] ومنه خطابه تعالى لآدم عليه السلام، يقول ﷺ: ((يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك...))[٤] ومنه نداء الله تعالى لنبيه محمد ﷺ في حديث الشفاعة، في قوله ﷺ: ((فأستأذن على ربي فيُؤذن لي ويُلهمني محامد أحمده

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن : جـ٢، ص١٠٦
(٢) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده: رقم ١٣٣٩٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٢، رقم ٧٧
(٣) صحيح مسلم، رقم ٢٥٧٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤١، رقم١٦٠
(٤) صحيح البخاري، رقم ٣٣٤٨ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٣، رقم٧٨

بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخرُّ له ساجدا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي...))[1].

والنص بأكمله يتكون من جمل ندائية، تبدأ كل جملة فيه بحرف نداء، من ذلك ما جاء النداء فيه للثقلين الإنس والجن معا، في قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه))[2].

وقد تكرر النداء في تسعة مواضع متتالية من نص الحديث، للدلالة على أهمية وعظم الأمور الواردة، وللتنبيه على ضرورة تلقيها وتعلمها، ذلك أنها أمور كما يقول ابن تيمة تجمع الدين كله " فكل ما نهى الله عنه راجع إلى الظلم، وكل ما أمر به راجع إلى العدل" [3].

(١) صحيح البخاري، رقم ٧٥١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٤، رقم٩٥
(٢) صحيح مسلم، رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤١، رقم ١٦٠
(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية: جـ١٨، س١٥٧

فكان لأداة النداء الدور الكبير في الربط بين مفاصل النص، ومتتاليات جمله بالربط بين المنادى وجوابه، فشكل نص الحديث نداءات متتالية من الله تعالى لعباده، ولم يُذكر فيه رد العباد وإجابتهم، ذلك أن في مثل هذه النصوص المقدسة يكون الرد بالإجابة والتطبيق الفعلي لهذه النداءات والامتثال لمضامينها، وحرف النداء (يا) الدال على البعيد يوحي بالترفع الإلهي عن من لا يستجيب لهذه النداءات ويمتثل لها، وأن تحقق القرب لا يكون إلا بالعبادة وحسن النية والامتثال لأوامر الله حتى يحصل القرب المنشود، وهو ما يوضحه قوله تعالى في حديث تقرب العبد من الله تعالى: ((وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ...))[1].

وحرف النداء (يا) يجوز استخدامه للقريب إذا دل السياق علي ذلك، فيرد في خطاب الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ولآدم عليه السلام وللمؤمنين في الجنة، يقول تعالى في حديث الشفاعة: ((يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع))[2]، فدل النداء على علو منزلة الرسول محمد ﷺ واصطفاء الله له، ومنه قوله تعالى في حديث اختصام الملإ الأعلى: ((يا محمد: قلت: لبيك ربّ، قال فيم يختصم الملأ الأعلى...))[3]. وقوله تعالى مخاطبا آدم: ((يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال وما بعث النار؟))[4] ومنه نداؤه تعالى لأهل الجنة: ((يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير بيديك، فيقول: هل رضيتم؟ ...))[5].

---

(١) صحيح البخاري: رقم٦٥٠٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٩ ـ ٨١، رقم ٥١

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٤، رقم٩٥

(٣) حديث صحيح أخرجه الترمذي في سننه: رقم ٣٢٣٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٠، رقم١٥٥

(٤) صحيح البخاري: رقم ٣٣٤٨ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٣، رقم٧٨

(٥) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٢، رقم٥٧

وقد يخاطب الله تعالى أحد عباده يوم القيامة بقوله: (أي فُلْ) كما ورد في حديث شهادة جوارح الإنسان عليه يوم القيامة يقول ﷺ: ((فيلقى العبد فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع، فيقول: بلى))[1] و(فل) بضم الفاء وتسكين اللام في هذا النداء كناية عن العبد أي يا فلان، وهي ليست ترخيما كما ذهب إليه بعض شراح الحديث، إذ لو كان ترخيما لما حُذفت الألف، ولما سكّنت اللام، وفي الترخيم يفتح أو يضم آخر الكلمة المرخمة، وقد تكون (فُلْ) على لهجة من لهجات العرب بمعنى (فلان) وقد جاءت هنا في سياق التوبيخ والتعزير لهذا العبد فجاءت موجزة لا تلطف فيها ولا لين.

ويستخدم حرف النداء (أي) في مواضع عديدة من الأحاديث القدسية، منها نداء العباد لربهم ونداء جبريل عليه السلام لله تعالى، و (أي) حرف يدل على القرب بين المنادِي والمنادَى، من ذلك نداء آدم عليه السلام لربه بعد أن أتم خلقه وعرض عليه ذريته فقال آدم:((أي رب من هؤلاء، قال هؤلاء ذريتك...))[2]. وقول موسى عليه السلام وهو يحاور ربه تعالى ويسأله عن عبد له بمجمع البحرين: ((... أي رب ومن لي به؟... أي رب وكيف لي به؟...))[3] ومن ذلك قول آخر أهل الجنة: ((أي رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها...))[4]. وفي هذا دلالة على استخدام (أي) على القرب، ولفظ الجلالة (ربّ) مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة على تقدير (ربي) تخفيفا لكثرة استخدامها، فحذفت الياء وكسر ما قبلها للدلالة عليها.

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٩٦٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٤، رقم ٧٩

(٢) حديث صحيح أخرجه الترمذي في سننه: رقم ٣٠٧٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٩٥، رقم١٣٨

(٣) صحيح البخاري: رقم ٣٤٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٠٥ . ٢٠٨، رقم ١٤٣

(٤) صحيح مسلم: رقم ١٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٨ ، رقم٦٢

وورد في الأحاديث القدسية النداء بصيغة (اللهم) وهو منادى مبني على الضم في محل نصب على النداء، والميم عوضا عن حرف النداء المحذوف، مثاله دعاء الرُّسِل وقت عبور الصراط في حديث الشفاعة بقولهم: ((اللهم سلم سلم))[1] والنداء بـ (اللهم) وبما بعده من فعل الأمر، له خصوصيته ودلالة على الأمن والقرب من الله، ورجاء استجابة الدعاء.

وأغلب النداءات الواردة في الأحاديث القدسية حقيقية لطلب الإجابة لكون الحديث القدسي أغلب أسلوبه يعتمد على الحوار والسؤال والإجابة من الله تعالى لعباده، وقد يخرج النداء في بعض الأحيان إلى معان سياقية من ذلك، قوله ﷺ في حديث آخر أهل الجنة دخولا بها: ((أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول: يا بن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها...))[2] ونداء العبد لربه هنا حكمي غرضه التوسل والاسترحام، كما أن نداءه تعالى هنا أيضا نداء حكمي في قوله (يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها) يدل على الإنكار، فخرج عن المعنى الحقيقي للنداء.

وقد ترد أداة النداء للدلالة على أدب الحوار وبعد المنزلة والتعظيم، من ذلك النداء الوارد في حديث فضل مجالس الذكر، تقول الملائكة: ((لا والله يا رب ما رأوها))[3] فأداة النداء هنا ليس لها معنى حقيقيا، وإنما تعكس علو منزلة المخاطب وتعظيمه، ومنه قول الرحم: ((بلى يا رب)) بعد سؤالها في قوله ((أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك))[4].

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٠٠ ، رقم٦٣

(٢) صحيح مسلم: رقم ١٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٨ رقم٦٢

(٣) صحيح البخاري: رقم ٦٤٠٨ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩ ، رقم ٣٤

(٤) صحيح البخاري: رقم ٥٩٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٢، رقم ١٥٦

وفي الأحاديث القدسية يأخذ النداء شكلا آخر فيكون من غير أداة، ويُعبِّر عنه بصيغة النداء نفسها، من ذلك ما ورد في حديث رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة: ((ينادي مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون... وإنا سمعنا مناديا ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإننا ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة ...))[1] ففعل النداء في قوله (ينادي مناد) وقوله (سمعنا مناديا ينادي) حلّ محل أداة النداء وأدّى معناها، ومن ذلك نداؤه تعالى لجبريل عليه السلام، في قوله ﷺ: ((إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه...))[2] فيظهر النداء بالفعل (نادى . وينادي) متسلسلا متتاليا من السماء إلى الأرض وصولا لقلوب العباد.

وبهذا كان للنداء في الأحاديث القدسية دور في الربط اللفظي والتماسك النصي وكان له دور دلالي معنوي كذلك في لفت انتباه العبد لخطاب ربه، وسعيه الدءوب للتقرب من الله تعالى، وكان للنداء دور الربط الحواري في أسلوب السرد الذي تقوم عليه أغلب نصوص الأحاديث القدسية، مما يجعل منه خطابا تواصليا يفترض شخوصا وحوارا واقعيا، ويجعل المتلقي يحس بواقعية الحوار ويلتحم بسياقه كطرف أساسي فيه، فيسمع أصوات الأحياء، ويسمع أصوات الأموات أيا كان حالهم في الجنة ونعيمها أم في النار وجحيمها، ويسمع أصوات الناس في المحشر يطلبون الشفاعة ويحاسبون وغير ذلك من أصوات النداء المتنوعة في سياق الأحاديث القدسية، وفيه تتجلى مستويات الخطاب ويتنوع المخاطبون وتتعدد الأصوات، مما يجعله حقلا خصبا للدراسة والتدبر.

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٤، رقم ٨٨

(٢) صحيح البخاري: رقم ٦٠٤٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٨، رقم ٤٢

هـ. الربط بأدوات القسم:

القسم هو أسلوب توكيد بيمين موثقة لأمر ما، والجملة المؤكدة هي القسم، والاسم الذي يدخل عليه القسم هو المقسم به، ويُصدر بأداة تسمى أداة القسم، وهي من الأدوات التي تقوم بدور الربط بين الجمل، يقول الدكتور تمام حسان في هذا: " وأداة القسم أيضا تربط بين القسم وجوابه ولا يكون القسم إلا على زعم تأكيد صحة قضية هي التي تسمى الجواب أي لا قسم إلا وله جواب ففي قوله جل شأنه: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾(١) لو لم تكن أداة القسم لأصبح الضمير في (إنه) عائدا على رب السموات والأرض لا إلى ما سبق ذكره من آيات الله في الأرض والأنفس والأرزاق التي في السماء وبهذا يتغير المعنى مما يدل على ارتباط الجملة والجواب بأداة القسم" (٢).

وأُدرج القسم في وسائل الربط، لقوة الارتباط الناتجة عن أداة القسم بين جملتي القسم وجوابه، والقسم في الأحاديث القدسية ليس شائعا لأن المتلكم هو الله تعالى، وما ينقله الراوي إن هو إلا وحي يوحى، وكلامه منزه عن الشك والتكذيب، وأكثر أدوات القسم ورودا في الأحاديث القدسية هو(الواو) وقد جاء القسم بالواو بأنماط مختلفة، بلفظ الجلالة (الله) أو بلفظ (وعزتك، أو والذي نفسي بيده) كقوله ﷺ: ((أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطتُ عملك))(٣).

ويرد القسم في جواب الملائكة في حديث فضل مجالس الذكر، يقول ﷺ: ((فيسألهم ربهم عز وجل ـ وهو أعلم منهم ـ ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك

---

(١) سورة الذاريات:٢٣
(٢) البيان في روائع القرآن: ص١٣٦
(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٦٢١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٦ ، رقم٢١

ويحمدونك ويمجدونك قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك ...))[1] وقد اكتملت أركان القسم في هذا الحديث، حيث جاء حرف القسم (الواو) والمقسم به (الله) وجواب القسم، وقد وردت جملة القسم منفية في بـ (لا)، في موضعين وورد الجواب منفيا بـ (لا) في الموضعين الآخرين. وهذا الحديث من أكثر الأحاديث ورودا في الاتساق والترابط والتماسك النصي، فكل جملة من جمله تتسق في بنيان نصه كلبنة ملتحمة منسجمة في نسيجه بتناسق دقيق محكم الربط والتركيب.

وجاء القسم بلفظ (وعزتك) في قوله ﷺ: ((يؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة فيقول: اصبغوه صبغة في الجنة فيصبغونه فيها صبغة، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط أو شيئا تكرهه؟ فيقول: لا وعزتك ما رأيت شيئا أكرهه قط. ثم يؤتى بأنعم الناس كان في الدنيا من أهل النار فيقول: اصبغوه فيها صبغة فيقول: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط قرة عين قط، فيقول: لا وعزتك ما رأيت خيرا قط ولا قرة عين قط))[2] ومنه قول أيوب عليه السلام: ((بلى وعزتك، ولكن لا غنى لي عن بركتك))[3] فجاء القسم بالعزة في الحديث الأول منفيا (بلا) في قوله (لا وعزتك)، وفي الثاني جاء محذوف الجواب في قوله (بلى وعزتك) تفسره الجملة السابقة عليه في قوله: (يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟) والجواب: (بلى وعزتك أغنيتني)، فمسوغ الحذف دلالة المتقدم عليه.

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٤٠٨ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩ ، رقم ٣٤

(٢) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم١٣٣٩٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٢، رقم٧٧

(٣) صحيح البخاري: رقم ٣٣٩١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: حاشية ص٢١٢، رقم ١٤٥

وورد القسم بصيغة (والذي نفس محمد بيده، والذي نفسي بيده) وهو من أساليب الرسول ﷺ الشائعة في لغة الحديث الشريف، مثاله قوله ﷺ في فضل الصوم: ((والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك))[١] وقوله ﷺ: ((فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم ...))[٢] وهذه الصيغة من القسم تتألف من واو القسم والمقسم به وهو الاسم الموصول، ويأتي بعدها جواب القسم أو المقسم عليه وقد جاء جملة اسمية مؤكدة بلام الابتداء (لخلوف)، وجاء في الحديث الثاني جملة منفية (بلا) هي (لا تضارون).

والقسم في الحديث القدسي على قلة وروده صريح في لفظه، ويرد في سياقات لها أهمية كبيرة في تأكيد المعنى وتوثيق زمامه في النفس. فكان له بعد تداولي نفسي بالإضافة إلى بعده اللفظي التركيبي، فأسهم مع غيره من أداوت الربط الأخرى في تماسك النص واتساقه.

و ـ الربط بأدوات النفي:

النفي لغة: الجحد، ونفى الشيء ينفي نفيا: تنحى[٣]. واصطلاحا يعرفه الجرجاني بقوله: " النفي هو ما لا يجزم بلا، وهو عبارة عن الإخبار بترك الفعل "[٤]، فهو الإخبار بالسلب والانتفاء والجحد، وينقسم النفي في النحو إلى قسمين: النفي الصريح الذي يتم بواسطة أدوات النفي، والنفي الضمني الذي يُفهم من خلال السياق[٥].

(١) صحيح البخاري: رقم ١٧٧١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٦٨، رقم ١١٥
(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٩٦٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٤، رقم ٧٩
(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة ـ نفي
(٤) التعريفات: ص٢١٩
(٥) ينظر: النفي بين النظرية والتطبيق في الجملة الفعلية، محمد عبدالله الخباص: ١٣

وأدوات النفي التي وردت في الأحاديث القدسية هي: (لا، ما، لم، ليس، لن)، وأمثلتها كالتالي:

. لا النافية:

ورد النفي بكثرة في الأحاديث القدسية، وأكثر أدوات النفي ورودا هي (لا النافية) وتقع في بداية التركيب، وتدخل على المضارع والماضي والجملة الاسمية، وتفيد نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها نفيا نصيا، وهي ثلاثة أنواع: النافية للجنس، والعاملة عمل ليس، وغير العاملة.

مثال ورود (لا النافية للجنس) في الأحاديث القدسية، قوله ﷺ: ((إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر، قال: يقول الله عز وجل: صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلا الله لا شريك له، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا شريك لي، وإذا قال:لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال صدق عبدي لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي))[1].

فتكررت في الحديث (لا النافية للجنس) خمس عشرة مرة، كخيط رابط يشد جمل النص، ويركز على فضل الشهادة (بلا إله إلا الله)، واقترنت أداة النفي (لا) بأداة الاستثناء (إلا) لتشكل معنى القصر الذي هو من وسائل الترابط والتماسك في النصوص، فالألوهية مقصورة على الله وحده ومنفية عن كل ما سواه استغراقا مطلقا لكل الأجناس.

ويجوز في قوله (لا إله . ولا حول . ولا قوة) أن تعرب (لا) على ثلاثة أوجه، الأول نافية للجنس تعمل عمل (إن) فينصب الاسم بعدها وخبرها محذوف تقديره (حق) فصار المثبت هو استحقاق الله جل وعلا للعبادة، والإثبات بعد النفي أعظم دلالة على الإثبات من إثبات مجرد من النفي، و(لا النافية) هنا هي (لا التبرئة) كما يسميها بعض النحاة وفيها تبرئة الله من أن

(١) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه: رقم ٣٧٩٤، الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص٦١، رقم٣٧

يكون له شريك تعالى عما يصفون. والوجه الثاني يجوز فيه أن تكون (لا) عاملة عمل (ليس) فتكون حرف نفي ناسخا ترفع الاسم بعدها، والوجه الثالث هو أن تكون (لا) غير عاملة فتكون حرف نفي مهملا، فيرتفع ما بعدها على الابتداء، وذلك لتكرارها مع العطف(١).

والوجه الأول أقوى لشمولية النفي فيه واستغراقه لكل جنس، والثاني هو أضعفهم لأن حرف النفي (ليس) لنفي الحال، فهو ينفي معنى الخبر في الزمن الحالي، في حين أن مقصود لفظ التوحيد هو نفي المعنى بعبودية غير الله مطلقا وأبدا، وكذلك الوجه الثالث في إهمال إعمال (لا النافية) يقلل من معنى الجملة المقصود وقوة النفي فيه.

وورد النفي (بلا العاملة عمل ليس) مرة واحدة في الأحاديث القدسية، وذلك في قوله تعالى في حديث النعيم في الجنة: ((أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)) (٢) فرفعت (لا) الاسم بعدها وجاء خبرها جملة فعلية، وبأداة الربط (لا) تعالقت الجمل وترابطت ببعضها لتشكل مقطعا واحدا يمثل صلة الموصول الاسمي (ما)، وشكلت جملتي (ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت) توازيا تركيبيا أكد الاتساق والتماسك النصي في الحديث، وأعلى نبرة العذوبة الصوتية بين جمله، فجاءت جمله مترابطة كالسلاسل متلاحمة ندية الألفاظ متقاربة المباني والتراكيب.

وورد في الأحاديث القدسية النفي (بلا) غير العاملة، وهي ثلاثة أقسام أيضا (لا الجوابية، ولا العاطفة، ولا النافية) مثال (لا الجوابية) ـ التي ترد جوابا بالسلب لسؤال ـ قوله ﷺ: ((يؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة، فيقول: اصبغوه صبغة في الجنة فيصبغونه فيها صبغة، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط، أو شيئا تكرهه؟ فيقول: لا وعزتك ما رأيت شيئا أكرهه قط، ثم يؤتى بأنعم الناس كان في الدنيا من أهل النار، فيقول:

(١) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل: ص٣٩٩
(٢) صحيح البخاري، رقم ٣٠٧٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٨٩، رقم ٥٦

اصبغوه فيها صبغة، فيقول: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط، قرة عين قط؟ فيقول: لا وعزتك ما رأيت خيرا قط، ولا قرة عين قط))[1].

ففي قوله (لا وعزتك) جاءت الأداة (لا) جوابية وتصدرت جملة جواب الاستفهام، وشكلت بذلك دعامة للاتساق، فشملت بمعناها كل الجمل بعدها، وشدتها في سياق الاستفهام، وفيه وردت أيضا (لا العاطفة) في قوله (ولا قرة عين قط) فعطفت الكلام الذي بعدها على الكلام المنفي الذي كان قبلها (ما رأيت خيرا قط) فوصلت الجمل وعطفتها على بعضها وسبكتها بمعنى النفي بكل مضامينه، ومثال (لا الجوابية) ما ورد في حديث فضل مجالس الذكر ومجالسة الصالحين في قول الملائكة: ((لا والله ما رأوك ... لا والله يا رب ما رأوها..))[2] وهو حديث كثر وروده وتكرر في مبحث الربط بالإحالة والربط بفعل القول وأداة النداء ووردت (لا النافية غير العاملة) في الأحاديث القدسية لنفي الأفعال المضارعة غالبا، كقوله ﷺ: ((إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها، وأُعطيتُ الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم [3]، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يُرد، وإني أعطيتُك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم...)) [4].

فوردت (لا النافية) في بداية الجمل قبل الفعل المضارع، بمعنى الدعاء في قوله (لا يهلكها ـ لا يسلط) كما أفادت (لا النافية) النفي المطلق في الزمن في قوله (لا يُرد ـ ولا أهلكهم ـ ولا أُسلط عليهم)، وتكررت أربع مرات مقترنة (بأن المصدرية) في قوله (أن لا يهلكها ـ وأن لا

---

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: رقم ١٣٣٩٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٢، رقم٧٧

(٢) صحيح البخاري: رقم ٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩، رقم ٣٤

(٣) بيضتهم: جماعتهم وأصلهم

(٤) صحيح مسلم: رقم ٢٨٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٥٠ ـ ١٥١، رقم ١٠٢

يسلط عليهم . أن لا أهلكهم . وألا أسلط) وفي قوله (ألا أسلط عليهم عدوا) أدغمت (أن المصدرية) مع أداة النفي (لا) للخفة وللتسهيل وتفادي التكرار، وفيه فصلت (لا النافية) بين الحرف الناصب ومنصوبة، وهذا الفصل قليل الورود في اللغة، ولكن له وقع في النفس في قوله (أن لا يهلكها . أن لا يسلط عليهم)، إذ شكل الفصل بها وقفة صوتية تثير الانتباه لأهمية معنى النفي وفضل النبي محمد ﷺ على أمته.

ومثال الفصل (بلا النافية) في الأحاديث القدسية قوله ﷺ: ((يخرج من النار أربعة يعرضون على الله عز وجل فيأمر بهم إلى النار فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب قد كنت أرجو إن أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها، فيقول: فلا نعيدك فيها))[1] ففي قوله (أن لا تعيدني فيها) فُصل بين (أن المصدرية) وفعلها المنصوب (بلا النافية)، وهذا الفصل جعل لحرف النفي (لا) أثرا صوتيا لدى السامع، ونبه القارئ إلى انعطاف الحال في سياق الحديث بالخروج من النار وغفران الله للعباد.

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده: رقم ١٣٠٦٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٩، رقم ٨٥

كما وردت (لا النافية) غير العاملة في قوله ﷺ: ((قال الله عز وجل: إن أمتك لا يزالون يقولون ما كذا))[1] وقوله تعالى: ((لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن له...))[2] وقوله: ((إذا أراد عبدي أن يكتب سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها))[3]، و(لا النافية) هي أكثر أدوات النفي وروداً في الأحاديث القدسية لما فيها من أبدية النفي المطلق وعموم الزمان، ولم ترد (لا النافية) مع غير الفعل المضارع إلا مرة واحدة في الأحاديث القدسية في قوله تعالى في وصف الجنة: (ولا خطر على قلب بشر) فجاء الفعل الماضي بعد (لا النافية) غير العاملة، وقد أوَّل مفسروا الحديث أن (لا) هنا بمعنى (لم) وخطر بمعنى (يخطر) للدلالة على الاستمرار في توارد الأفكار إلى ما لا نهاية له دون طائل الوصول إلى مدارك وصف جنات النعيم أمام عقل العباد المحدود في الدنيا.

. ما النافية

وردت (ما النافية) في الأحاديث القدسية مقترنة بالجمل الاسمية والفعلية، مثاله قوله ﷺ: ((كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة))[4] ففي قوله (فما رقأ) دخلت أداة النفي (ما) على الفعل الماضي، كما دخلت عليه في حديث تحريم الظلم في قوله تعالى: ((ما زاد ذلك في ملكي شيئا... ما نقص ذلك من ملكي شيئا... ما نقص ذلك مما

(١) صحيح مسلم: رقم ١٣٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٢٠ ، رقم ١٤٨
(٢) صحيح البخاري: رقم ٦٦٠٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص٢٧٩، رقم ١٨١
(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧، رقم١
(٤) صحيح البخاري: رقم ٣٤٦٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٦٨، رقم ١٧٢

عندي))[1]، ودخلت على الفعل المضارع في قوله: ((وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه))[2].

ودخلت على الجملة الاسمية في قوله تعالى: ((ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة))[3] ووردت (ما النافية) مسبوقة بأداة الاستفهام (الهمزة) في قوله تعالى للرحم: ((أما ترضين أن أصل من وصلك))[4] وقوله تعالى: ((أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده... أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي))[5]، وأداة النفي (ما) في الأحاديث السابقة حققت الترابط والاتساق في النص، وجعلت التركيب الذي دخلت عليه ملتحما بسابقه ومرتبطا بلاحقه، وجعلت المعنى تاما متسقا بين أجزاء النص.

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤١، رقم ١٦٠

(٢) صحيح البخاري: رقم ٦٥٠٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٨١، رقم ٥١

(٣) صحيح البخاري: رقم ٦٤٢٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٠، رقم ١١٦

(٤) صحيح البخاري: رقم ٥٩٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٢، رقم ١٥٦

(٥) صحيح البخاري: رقم ٢٥٦٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٠ ، رقم ٤٤

. لم النافية

وهي حرف نفي مختص بالدخول على الفعل المضارع، وصرف معناه للزمن الماضي، ومن أمثلتها في الأحاديث القدسية قوله ﷺ: ((قال الله عز وجل إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها))(١)، فصرفت أداة النفي (لم) زمن الفعل المضارع (يعملها) إلى الزمن الماضي. ومن أمثلتها كذلك قوله ﷺ: ((قال رجل لم يعمل خيرا قط إذا مات حرقوه...))(٢) وقوله ﷺ في حديث الاحتضار: ((فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط...))(٣)، فقلبت أداة النفي (لم) زمن الفعل المضارع (لم يدعها) إلى الماضي، للدلالة على تحقق وقوع هذا الأمر وثبات حقيقته.

ودخلت على الفعل المضارع المبني للمجهول في قوله ﷺ: ((قال إبليس: يا ربِّ ليس أحد من خلقك إلا جعلت له رزقا ومعيشة فما رزقي؟ قال: ما لم يُذكر اسم الله عليه))(٤). ووردت مسبوقة بهمزة الاستفهام في قوله تعالى محاسبا عبده على النِّعم يوم القيامة: ((ألم نصح لك جسدك)) (٥) فجاءت صيغة استفهام بمعنى التقرير والتأكيد، وقلبت أداة النفي (لم) زمن الفعل المضارع (نصح) إلى الماضي الذي حدث وانتهى في الدنيا، فدلت (لم) على الإقرار والإيجاب

(١) صحيح مسلم: رقم ١٢٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٣، رقم ٢
(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٤٣ ، رقم ٢٧
(٣) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: رقم١٧٨٠٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١١- ١١٦، رقم٧٣
(٤) حديث صحيح أخرجه الترمذي: رقم ٣٣٥٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٠ ، رقم ٨٦
(٥) حديث إسناده صحيح أخرجه أبو نعيم في كتاب الحلية: جـ٨، ص ١٢٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٧٩، رقم ١٨١

والإثبات بدلالة السياق الواردة فيه، وبذلك فقامت بدورها في ترابط النص واتساقه، وجعلت معناه تاما منسجما.

. ليس: لنفي الحال.

وهي من أدوات نفي الحال ووردت في الأحاديث القدسية وتكررت كثيرا في حديث الشفاعة، يقول ﷺ: ((إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيأتون موسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى، فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ...)) [1] وجاء هنا اسمها ضمير رفع متصلا، وخبرها شبه جملة.

ووردت (ليس) في قول إبليس: ((يا رب ليس أحد من خلقك إلا جعلتَ له رزقا ومعيشة فما رزقي؟ قال: ما لم يُذكر اسم الله عليه)) [2] فجاء اسمها نكرة وخبرها جارا ومجرورا، وقد يتقدم خبرها الظرف على اسمها كما في قوله ﷺ: ((هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب)) [3] وقد وردت في الحديث نفسه مسبوقة بأداة الاستفهام (الهمزة) في قوله تعالى لآخر أهل النار دخولا الجنة: ((ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أُعطيت أبدا...))، لتقوية الربط والاتساق النصي، فهمزة الاستفهام دخلت على (ليس) وحولت معناها من النفي إلى التقرير، والحديث تكرر في مواضع عديدة لكثرة الإحالة فيه بالضمائر والأسماء الموصولة وأدوات الربط.

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٤، رقم ٩٥
(٢) حديث أخرجه أبو نعيم الأصبهاني: جـ ٨، ص ١٢٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٩٠، رقم١٣٥
(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٩ ، رقم ١٦٠

. لن النافية

وهي حرف نفي ينصب الفعل المضارع ويخلصه للاستقبال، ولم ترد بكثرة في الأحاديث القدسية، مثالها قوله تعالى في حديث تحريم الظلم: ((يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ...))[1]، والحديث بالإضافة إلى ما فيه من الربط بأداة النفي (لن) يشتمل كذلك على الربط بالنداء، والربط الإحالي بالضمائر والربط بالتوازي التركيبي، وفي قوله تعالى: ((كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني...))[2] فجملة (لن يعيدني) المنفية " وقعت هي وفعلها المضارع المنصوب بها في جملة مقول القول، التي تضم تكذيب العبد لخالقه وهي الفكرة التي تحاول مقاطع النص الاتساق فيما بينها للتوحد في معناها والانسجام معها" [3].

وبذلك كان لأدوات النفي دور الربط بين جمل النص، فجاءت الجمل المنفية متسقة مع باقي الجمل في النص، كأخبار أو أحوال أو صفات أو أجوبة للشرط والقسم، وجاءت أداة النفي رابطة موسعة لبناء النص.

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤١ ، رقم ١٦٠
(٢) صحيح البخاري: رقم ٤٩٧٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٤، رقم١٥٧
(٣) دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي، محمد عرباوي: ص١٦٢

ثالثا: الاتساق بالحذف

الحذف من أكثر الظواهر اللغوية شيوعا في اللغة العربية، اهتم بدراسته علماء العربية القداماء والمحدثون على المستوى النحوي والبلاغي، وقد فهمه علماء العربية القدامى على أنه وسيلة للإيجاز والاختصار، وزاد على هذا علماء النص المحدثون بعدين جديدين، فاعتبروا الحذف أداة ربط واتساق وسبك نصي تحيل على سابق مذكور يفهم من السياق بالقرائن الحالية والمقالية، فيملأ السامع به الفراغ البنيوي والدلالي بالاعتماد على ما سياق النص، وفي الوقت نفسه هو أداة تواصل ذات بعد تداولي لما تثيره في نفس المتلقي من إعمال العقل لفهم المقصود واستثارة انتباهه للاقتراب من عالم النص ودلالاته.

والحذف عنصر من عناصر الاتساق والسبك النصي كالإحالة ويظهر دوره في الربط بين الجمل المكونة للنص، وقد قسم هاليداي ورقية حسن الحذف في علم النص إلى ثلاثة أقسام، هي[1]:

أ. الحذف الاسمي: وهو حذف الاسم داخل الجملة كالمبتدأ، أو الخبر، أو الفاعل، أو المفعول به، أو المضاف إليه، وهو كثير الورود في الأحاديث القدسية، لتعدد صوره وأنواعه، ومثاله قوله ﷺ: ((أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك))[2] فحذف من النص المفعول به (الذنب) من الأفعال التالية (لا يغفر ـ أغفر ـ غفرت) لدلالة السياق عليه، والتقدير (لا يغفر الله لفلان ذنبه ـ أغفر ذنبه ـ غفرت لفلان ذنبه) والغرض من الحذف تركيز ذهن المتلقي على معاني (الغفران)، وإبعاد لفظ (الذنب) وتهميشه مهما قلّ أو عظم، لبيان عظم ذنب من تألى وأطلق أحكامه وقنط الناس من رحمة الله. فأمر الحساب والغفران مختص بالله تعالى، وهو وحده

(١) ينظر: طبيعة النص وعلاقته بسياق المقام من منظور مايكل هاليداي ورقية حسن، شريفة بلحوت: ص ١٢١

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٦٢١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٦، رقم ٢١

أعلم بعباده وأرحم بهم، وهو المتكفل بهم والمطلع على سرائرهم، فأنى لعبد ضعيف قاصر أن يتألى عليه.

ومن أمثلة الحذف الاسمي قوله ﷺ: ((يعجب ربكم من راعي غنم في رأس شظية بجبل يؤذن بالصلاة ويصلي، فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة))[1] فحذف مفعول الفعل (غفرت) لدلالة السياق عليه، على تقدير (غفرت لعبدي ذنبه)، ومن أمثلته أيضا قوله تعالى: ((أي فل الم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع: فيقول: بلى ...))[2] فحذف المفعول من الأفعال التالية (أزوجك، وترأس، وتربع) لدلالة السياق عليه، والتقدير: وأزوجك النساء، وترأس القوم، وتربع الغنيمة. والغرض من الحذف إثبات معاني الأفعال وتركيز انتباه المتلقي على فحواها لأهميته.

وقد يحذف المفعول لقرينة لفظية قبلية سابقة، كقوله ﷺ: ((يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا...))[3] فحذف مفعول الفعل (أزيد، وأغفر) لقرينة سبق الذكر، والتقدير: وأزيدها، وأغفرها، وفي هذا دليل على ما سبق ذكره في الفصل الأول من البحث في غلبة الجمل القصيرة على نصوص الأحاديث القدسية.

وقد يحذف المفعول لقرينة بعدية، كقوله تعالى: ((أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته))[4] فحذف مفعول الفعل (شققت) لدلالة اللاحق عليه، والتقدير: شققت لها اسما، لدلالة قوله (من اسمي) وهو لاحق على الفعل.

---

(١) حديث صحيح أخرجه أبو داود في سننه: رقم ١٢٠٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٠ ـ ١٨١، رقم ١٢٩

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٩٦٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٤، رقم ٧٩

(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٦٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٠، رقم ١٥

(٤) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده: رقم ١٦٥٩

وقد يحذف المفعول من جملة الصلة، كما في قوله ﷺ في سؤال موسى عليه السلام ربه عن أدنى أهل الجنة وأعلاهم منزلة: ((... قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر))(١) وقد سبقت الإشارة إلى هذا الحديث في حذف العائد من جملة الموصول في قوله (أردت) والتقدير: أردتهم، فحذف (المفعول به) الذي هو الرابط في جملة الموصول (الذين). وفي الحديث حذف آخر للموصول الواقع في محل (مفعول به) لدلالة السياق عليه، في قوله (لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر) على تقدير: ولم تر عين ما أعددت لهم، ولم تسمع أذن ما أعطيتهم، ولم يخطر على قلب بشر ما أكرمتهم به، فحذف الموصول وصلته لدلالة السياق عليها مما أدى إلى ترابط النص وتلاحم لفظه ودلالته.

وقد يحذف المبتدأ من النص بغرض تركيز انتباه المتلقي في معنى الخبر، مثال ذلك قوله ﷺ في قصة الخضر مع سيدنا موسى عليه السلام: ((حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم موسى فرد عليه فقال: وأنى بأرضك السلام، فقال: أنا موسى، فقال موسى بني إسرائيل، قال: نعم...))(٢) فحذف المبتدأ من قول الخضر (موسى بني إسرائيل) لسبق الذكر في النص وأمن اللبس، والتقدير: أأنت موسى بني إسرائيل.

ومنه قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى: ((يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى))(٣) فحذف المبتدأ من النص لدلالة السياق عليه، وبهدف تركيز انتباه المتلقي على محتوى الخبر في قوله (خير لك ، وشر لك) والتقدير: فهو خير لك، فهو شر لك، وفيه حذف آخر للرابط

---

(١) صحيح مسلم: رقم ١٨٩ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٦ ، رقم ٦٠

(٢) صحيح البخاري: رقم ٣٤٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٠٤ ـ ٢٠٧، رقم١٤٣

(٣) صحيح مسلم: رقم١٠٣٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٥، رقم ١٢٢

(الفاء) الواقع في جواب الشرط لكونه جملة اسمية، وفي هذا العدول لفت لأذهان السامعين وجذب لانتباههم.

وورد حذف الفاعل من الأحاديث القدسية لوجود دليل يدل عليه في سياق الجملة، مثاله قوله تعالى: ((إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه))[1] فقد حذف الفاعل من الفعل (كره) لدلالة السياق عليه " فالمحب للقاء الله هو العبد المؤمن، لذلك ذكره، وإضافته إليه إضافة تشريفية، بخلاف الكاره للقاء الله وهو العبد العاصي الكافر، فعدل عن ذكره إلى الحذف منكرا له محقرا لشأنه "[2].

ومن الحذف الاسمي قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى: ((ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر...))[3] فحذف المضاف في قوله (بي) لدلالة السياق عليه، وأقام المضاف إليه مقامه، والتقدير: أعطى بعهدي، ومن ذلك قوله تعالى: ((أنا مع عبدي إذا هو ذكرني، وتحركت بي شفتاه))[4] فقد حذف المضاف من قوله (وتحركت بي شفتاه) لسبق الذكر، والتقدير (وتحركت بذكري شفتاه).

ب ـ الحذف الفعلي: وهو حذف الفعل من الجملة ولا يكون إلا بقرينة حالية أو مقامية تدل عليه، وتشعر به، وتربط النص ببعضه وتبين معناه، ويحذف الفعل إذا كان الهدف هو التركيز على الفاعل أو على من وقع عليهم الحدث، ويرد حذف الفعل في الأحاديث القدسية في جواب الاستفهام، مثاله قوله ﷺ: ((يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله عز وجل: يا ابن

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٦، رقم ٤١
(٢) الأحاديث القدسية دراسة لغوية نصية، بخيت فوزي جاب الله: ص١٧٣
(٣) صحيح البخاري: رقم ٢١١٤
(٤) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده: رقم ١٠٩٧٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦١، رقم٣٦

آدم كيف وجدت منزلك، فيقول: أي رب خير منزل...))[1] فحذف الفعل من قوله (خير منزل) على تقدير (وجدته خير منزل) ومسوغ الحذف هو قرينة سبق الذكر في قوله (كيف وجدت منزلك) فارتبط النص بالحذف واتسق به تركيبا ومعنى، وبهذا الحذف يركز المتلقي على المقصود من السؤال، وهو فضل المنزلة التي حل بها، لا على فعل الإيجاد وحده.

وحذف الفعل بعد أداة الشرط (لو) في قوله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة: ((لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به...))[2] والتقدير: لو ثبت أن لك، و (أنَّ) المفتوحة الهمزة والمشددة إذا وقعت بعد (لو) وجب حذف الفعل، لأن ما في أن من معنى التحقق والثبات منزل منزلة الفعل المحذوف[3]، ومن أمثلة حذف الفعل من جواب الاستفهام قوله: ((ومن يشهد لك، فيقول: محمد ﷺ وأمته))[4] على تقدير: يشهد محمد وأمته. فيُكتفى في الجواب بذكر الفاعل لدلالة المقام والمقال على الفعل المحذوف.

جـ. الحذف الجملي: وورد حذف الجملة في الأحاديث القدسية لدلالة السياق عليه، ومثاله قوله ﷺ: ((أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال: أوليست فيما شئت، قال: بلى ولكني أحب أن أزرع فأسرع وبذر فتبادر الطرف نباته واستواؤه...))[5] فحذفت الجملة الفعلية من قوله (فأسرع وبذر) لدلالة السياق على إيذان الله له بالزرع، وتقديره: فأذن الله له فأسرع وبذر، وفي الحديث حذف آخر بعد (بلى) فتم الاكتفاء بحرف الجواب عن الجملة، والتقدير: بلى أنا فيما شئت. ويكثر حذف الجملة في الأسئلة التي يجاب عنها (بنعم أو لا أو

(١) حديث صحيح أخرجه النسائي: رقم ٣١٢٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٠٦، رقم٦٧
(٢) صحيح البخاري: رقم ٦٥٥٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٥، رقم ١٢
(٣) ينظر: شرح الكافية للرضي الاستراباذي: جـ١، ص٢٠٠
(٤) صحيح البخاري: رقم ٤٤٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٦، رقم ٩٦
(٥) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٩ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٤، رقم ٥٩

بلى). وبهذا كان للحذف دور كبير في ربط بنية النص التركيبية، وتكثيف معناه، وجعله وحدة متكاملة متسقة، يشد بعضها بعضا.

والحذف من خصائص لغة المشافهة، إذ فيه يدل السياق والحال المشاهدة على المحذوف ويغنيان عنه، وهو إلى جانب ما يؤديه من قيمة دلالية وتركيبية من حيث الربط الذهني واللفظي هو في أصله اختصار وإيجاز يتناسب ولغة المشافهة، فيكثر حذف أدوات الاستفهام والنداء في نصوص الأحاديث القدسية، مثاله ما ورد في قصة موسى عليه السلام مع ملك الموت حين فقأ عينيه، فرجع إلى الله تعالى فقال: ((إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني. قال: فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل: ألحياة تريد؟))[1].

فالسياق يدل على غرض الاستفهام في العبارة الأخيرة، على الرغم من حذف أداة الاستفهام، كما أن الجمل الواردة بعدها دلت على المحذوف، لارتباطها بها في المعنى في قوله تعالى: (فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعره فإنك تعيش بها سنة...)، وبذلك جعلت أداة الاستفهام النص متسقا متماسكا رغم حذفها.

ومن أمثلة الحذف لدلالة السياق عليه والمشافهة، قول آدم في الحديث القدسي: ((وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين))[2] فحذف المبتدأ من الإجابة عن السؤال، لأن المشافهة أغنت عن تكراره فجاء الحذف سمة أساسية في النصوص.

ومن أمثلة حذف أداة النداء، قول المؤمنين لربهم يوم القيامة: ((ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار))[3] فحذفت أداة النداء لقرب العباد من ربهم في أرض المحشر يوم القيامة. ويتكرر النداء المحذوف الأداة في قول العباد: ((ربنا أخرجنا من أمرتنا،

(١) صحيح مسلم: رقم ١٨٤٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٠٩، رقم ١٤٤
(٢) صحيح البخاري: رقم ٣٣٤٨ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٣، رقم ٧٨
(٣) حديث صحيح أخرجه النسائي: رقم ٥٠١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣١ ـ ٣٢، رقم ١٦

قال: ويقول: أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان، ثم قال: من كان في قلبه وزن نصف دينار، حتى يقول: من كان في قلبه وزن ذرة))[1] وكأنهم بعد أن أخرجوا من يعرفونهم من النار يريدون أن يخرجوا الباقين أيضا، وفي الحوار حذف يدل عليه السياق.

كما حذفت أداة النداء في قول سيدنا إبراهيم في أرض المحشر حين يلقى أباه (آزر) وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول إبراهيم: ((ألم أقل لك لا تعصيني))[2] فحذفت أداة النداء لأنها لا تناسب المقام، فالمقام ليس موضع نداء لأن الأمر قد انتهى، ولا مكان في الجنة للكافرين.

(١) حديث صحيح أخرجه النسائي: رقم ٥٠١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣١ ـ ٣٢، رقم ١٦
(٢) صحيح البخاري: رقم ٣٣٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣ ـ ٢٤، رقم ١١

رابعا: الاتساق بالاستبدال

الاستبدال عملية إحلال أو تعويض عنصر لغوي بعنصر لغوي آخر، وهو من علاقات الاتساق والسبك، تتم في النص على المستوى المعجمي والنحوي، وهو علاقة ربط بين كلمات وجمل النص، والاستبدال يقوم على مبدأ الإيجاز والبعد عن التكرار، فيكثف المعاني، ويقلل المباني اللغوية في النص، وقد قسم هاليداي ورقية حسن الاستبدال إلى ثلاثة أنواع، هي[1]:

أ. الاستبدال الاسمي: وفيه يتم استبدال اسم مكان اسم، ومثاله في الأحاديث القدسية قوله ﷺ: ((أبشروا هذا ربكم قد فتح بابا من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة، يقول: انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى))[2] فقد حلت كلمة (أخرى) مكان كلمة (فريضة) ودل على ذلك السياق الذي وردت فيه، فاستبدل بذلك اسما باسم، ومثاله كذلك قوله ﷺ: ((أول ما يحاسب عليه العبد صلاته فإن كان أكملها وإلا قال الله عز وجل انظروا لعبدي من تطوع فإن وجد له تطوع قال: أكملوا به الفريضة))[3] فحلت كلمة الفريضة مكان كلمة (الصلاة) السابقة عليها، وفي أغلب حالات الاستبدال النصي يكون المستبدل منه متقدما على المستبدل به ليتحقق بذلك ترابط النص وتماسكه.

وقد يتم الاستبدال بين الاسم والمركب الإضافي، كقوله ﷺ: ((قرصت نملة نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله))[4] فقد استبدلت كلمة (قرية النمل) وهي مركب إضافي بكلمة (أمة) لدلالة السياق عليه.

---

(١) ينظر : طبيعة النص وعلاقته بسياق المقام من منظور مايكل هاليدي ورقية حسن، شريفة بلحوت، ص١٢٢

(٢) حديث صحيح أخرجه بن ماجة: رقم ٨٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية مصطفى العدوي: ص١٨٣، رقم ١٣١

(٣) حديث صحيح رواه النسائي: رقم ٤٦٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية مصطفى العدوي: ص١٨٠، رقم ١٢٨

(٤) صحيح البخاري: رقم ٣٠١٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية مصطفى العدوي: ص٢٧٣، رقم ١٧٥

ب ـ الاستبدال الفعلي: وفيه يتم استبدال جملة بفعل يدل عليها، ويفيد معناها، طلبا للخفة وبعدا عن التكرار، كقوله تعالى: ((يا ابن آدم لعلي إن أعطيتُكها سألتني غيرها...)) [1] .

جـ ـ الاستبدال القولي: وهو كثير الورود في الأحاديث القدسية، ويقصد به استبدال جملة بكلمة طلبا للخفة وعدم التكرار، ويرد الاستبدال القولي مع حروف الجواب (نعم ولا وبلى) لأنها تحل محل جملة الجواب وتؤدي معناها.

ومن أمثلة الاستبدال القولي في الأحاديث القدسية قوله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة: ((لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به، فيقول: نعم...))[2] فحلت (نعم) محل جملة الجواب، ومسوغ ذلك دلالة السياق، وتقديره: نعم، كنت أفتدي به.

ومنه قوله تعالى محاسبا عبده على نعمه يوم القيامة: ((أي فل ألم أكرمك، وأسودك وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع، فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني))[3] فقد ناب حرف الجواب (بلى ـ ولا) محل جملة الجواب لدلالة السياق، وسبق الذكر في السؤال المتقدم لفظه على تقدير: (بلى أكرمتني وسودتني) و(لا لم أظن أني ملاقيك) وفي هذا من الترابط النصي، الذي يتلازم فيه الفهم مع العودة إلى سابق مذكور في النص ليتحقق به تعالق اللفظ واكتمال المعنى بين الجمل، ففهم الثاني (المستبدل منه) لا يتحقق إلا بالعودة إلى الأول (المستبدل به) والبحث عنه في السياق، وبذلك يتحقق الترابط والتماسك داخل النص.

---

(١) صحيح مسلم: رقم ١٨٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٨، رقم ٦٢

(٢) صحيح البخاري: رقم ٦٥٥٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٥، رقم ١٢

(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٩٦٨ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٤، رقم ٧٩

خامسا ـ الاتساق بالتوازي التركيبي:

التوازي التركيبي من وسائل الربط النحوي الشكلي داخل النص، يؤدي إلى ترابط المباني النحوية المتماثلة في بنائها النحوي، وهو من الظواهر التركيبية التي يزخر بها القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1] ويتكرر في الحديث النبوي الشريف والشعر العربي القديم والحديث، وهو موضوع ليس بجديد إذ بحثه اللغويون القدامى باسم (التماثل والموازنة) فعرّفه ابن أبي الإصبع بقوله: " أن تتماثل ألفاظ الكلام، أو بعضها، في الزّنة دون التقفية"[2] وأطلق عليه القزويني مصطلح (الموازنة) وعرفه بقوله: " أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية "[3]، وأقرب تعبير جاء به القدامى لأسلوب الجمل المتوازية هو التعبير الذي أورده قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) بعبارة (اتساق البناء) في كتابه (جواهر الألفاظ) بقوله: " وأحسن البلاغة: الترصيع، والسجع، واتساق البناء، واعتدال الوزن، واشتقاق لفظ من لفظ، وعكس ما نُظم من بناء، وتلخيص العبارة بألفاظ مستعارة..."[4]. لكن ما أورده (قدامة) جاء كلاما عاما، ذكرتْ فيه بلاغة المعاني والألفاظ دون تحديد لمفهوم التوازي، والقدامى على الرغم من وعيهم بوجود ظاهرة الجمل المتوازية إلا أن تحليلهم لها لم يتجاوز حدود الشواهد مقطوعة من سياقها ومعناها العام، ولم تتخط جهودهم حدود النص.

ويقصد بالتوازي التركيبي أو المباني المتوازية في إطار علم النص الحديث، اتفاق البناء النحوي للجمل المتوازية مع تواليها " بحيث تتفق في البناء النحوي اتفاقا تاما ... ويشترط لهذا التوازي أيضا التوالي، فإذا توازت جملتان غير متواليتين فلا يدخل ذلك في نطاق هذه الظاهرة لوجود فاصل شكلي بين الجمل المتوازية، وهذا الفاصل الشكلي يفقد النص التوازي المقصود،

(١) سورة الصافات: ١١٧ ـ ١١٨
(٢) تحرير التحبير: ص٢٩٧
(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: ص٥٢٢
(٤) جواهر الألفاظ: ص٣

ويفقده كذلك كثيرا من الأبعاد الدلالية المقصودة من هذا التوازي... وهو من وسائل الربط الشكلي أو الظاهري داخل النص " [١].

فتُكون الجمل سلاسل متشابهة القوالب تقدم فيها مضامين مختلفة، وبهذا يكون التوازي شكلا من أشكال التكرار التركيبي، يكون بتكرار الصيغة التركيبية باعتبارها من أقسام التكرار التي تحقق للنص تماسكه وترابطه من خلال تشابه التراكيب المتماثلة، مما يؤدي إلى تشاكل جمل النص واتساقها [٢]، بالإضافة إلى ما يشيعه (التوازي التركيبي) في النص من إيقاع موسيقي وتماسك صوتي، وما يقوم به من تأكيد على أهمية المباني التركيبية النحوية الجزئية والكلية الواردة في متن الحديث.

والتوازي التركيبي نوعان [٣]:

أ ـ التوازي التركيبي التام: وهو ما كانت فيه التراكيب في حالة تطابق تام من حيث البنية النحوية أو المقطعية، والجمل المتوازية قد تكون اسمية أو فعلية، مثال ذلك في الأحاديث القدسية، قوله ﷺ في حديث الشفاعة: ((ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك ثم أخر له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله)) [٤]. فورد في الحديث التوازي التركيبي داخل الجملة الواحدة وهي جملة القسم في قوله (وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله) وورد التوازي التركيبي بين الجمل المعطوفة في قوله تعالى: (... وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع).

---

(١) الجمل المتوازية في ديوان أبي القاسم الشابي ـ دراسة نحوية دلالية، محمود محمد الجعيدي: ص١
(٢) ينظر: الأحاديث القدسية دراسة لغوية نصية، فوزي بخيت جاب الله: ص٧٥
(٣) ينظر: الجمل المتوازية في ديوان أبي القاسم الشابي ـ دراسة نحوية دلالية: محمود محمد الجعيدي: ص٣ ، والأحاديث القدسية دراسة لغوية نصية، فوزي بخيت جاب الله: ص٧٦
(٤) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص: ١٤٤ ـ ١٤٥ ، رقم ٩٥

وفي حديث فضل الذكر ومجالسة الصالحين يقول ﷺ: ((فيسألهم ربهم عز وجل - وهو أعلم منهم - ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا. قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة ...)) (١).

فورد في نص الحديث أكثر من توازٍ تركيبي، فداخل جملة مقول القول (يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك) تطابق تركيبي تام، حيث يتألف كل تركيب من (فعل مضارع، وضمير رفع فاعل هو (الواو)، وضمير نصب مفعول به هو (كاف الخطاب). وكذلك في قوله: (أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا) وقوله: (أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة)، وقوله: (أشد منها فرارا وأشد لها مخافة) فهي جمل مركبة من بنى نحوية متماثلة تتألف من (خبر كان المنصوب، والجار والمجرور، والتمييز)، وهذا التماثل بين جمل الحديث أدى إلى ترابط النص وتجانسه واتساقه.

. التوازي التركيبي الناقص: ويكون بوجود اختلاف بين الجمل المتطابقة في بنائها النحوي بالزيادة أو الحذف، أو الاستبدال" ويقصد به التطابق التام في كل عناصر البناء النحوي للجمل المتوازية توازيا أفقيا، أو رأسيا عدا عنصر أو عنصرين من عناصر البناء، ويكون ذلك بالحذف أوالزيادة أو الاستبدال... وقد يقع في جمل اسمية أو فعلية أو شرطية... " (٢) .

---

(١) صحيح البخاري: رقم٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص٥٩، رقم ٣٤

(٢) الجمل المتوازية في ديوان أبي القاسم الشابي . دراسة نحوية دلالية، محمود محمد الجعيدي: ص٤

ومثاله في الأحاديث القدسية قوله تعالى للجنة والنار: ((أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابٌ أعذبُ بك من أشاء أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها...))[1] فهنا توازٍ تركيبي ناقص من خلال الزيادة بحرف القصر (إنما). وفي قوله تعالى: ((أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن بي خيرا فله، وإن ظن شرا فله))[2] توازٍ تركيبي ناقص بالحذف، حيث حذف الجار والمجرور (بي) من التركيب في قوله تعالى: ((إن ظن بي خيرا فله، وإن ظن شرا فله))[3]، وفي قوله تعالى: ((يا ابن آدم، إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفافٍ، وابدأ بمن تعول ...))[4] نشأ التوازي التركيبي الناقص بسبب الاستبدال في قوله (إن تبذل الفضل خير لك، إن تمسكه شر لك) فاستبدل المفعول به (الفضل) بضمير الهاء (تمسكه) .

وكلا النوعين من التوازي التركيبي التام والناقص جاء متمما لأدوات التماسك السابق ذكرها وعمل على تقوية لحمة الجمل في بناء النص، وشد أركانه لبعضها فجاء نصا متسقا منسجما متآخذا ببعضه، يتقاطر عذوبة وسلاسة.

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٤٨٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٩، رقم ٧٦

(٢) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده: رقم ٩٠٦٥ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٤، رقم ٢٩

(٣) ينظر: الأحاديث القدسية دراسة لغوية نصية، بخيت فوزي جاب الله:ص٨٠

(٤) صحيح مسلم: رقم ١٠٣٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٥، رقم ١٢٢

الفصل الثالث

(المستوى المعجمي للخطاب)

المبحث الأول: (دراسة نظرية للمستوى المعجمي)

إن دراسة المستوى المعجمي وعلاقته بتنوع مستويات الخطاب في الأحاديث القدسية وعمومية المخاطبين الموجه لهم هذا النص المقدس، يفتح آفاقا للتساؤل أمام الباحث حول مفهوم المستوى المعجمي وعلاقته بالحقول الدلالية، وأثر هذا المستوى في بناء نص متماسك ملتحم، فيه من القداسة ما فيه من بلاغة التركيب ومعاني الإقناع ذات الدلالة المستمرة باستمرار الحياة والعباد .

فما المقصود بالمستوى المعجمي وما هي أدواته؟ وما دوره في اتساق النص؟ وما وظيفته في تحقيق الاتساق داخل نصوص الأحاديث القدسية، وما مدى قدرته على إحداث التواصل والإقناع؟

المستوى المعجمي في الخطاب أو ما يمكن أن يطلق عليه الربط المعجمي من أبرز عناصر التماسك إذ يربط بين جمل النص من دون وصل أو إحالة، ويتحقق ذلك الربط بواسطة العلاقات المعجمية القائمة بين مفردات النص والوحدات اللغوية المكونة له، وتتجسد هذه العلاقات داخل النص عن طريق عنصرين هما: التضام والتكرار [1].

والربط المعجمي يسهم بشكل كبير في اتساق النصوص، ولذلك فهو يعد من أهم قضايا نحو النص، لأنه يتضمن المحور النحوي والدلالي في الوقت نفسه، فمتتاليات الجمل لا تكون نصا إلا إذا كانت هناك علاقات ووشائج بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو لاحقة بحيث تؤدي مجتمعة وظيفة نصية وتواصلية في النص كله.

والربط المعجمي من الوسائل التي تجعل النص محتفظا بكينونته وتجعله قادرا على التواصل مع مختلف العقول وفي مختلف الأزمنة، لأنه يربط بين نظام اللغة في تراكيبها ومفرداتها، وبين ما تؤديه من معان وأغراض تتعلق بقصد المتكلم وفهم المتلقي لفحوى الخطاب، الأمر الذي

(١) ينظر: إسهام التضام في تماسك النص الشعري القديم ـ معلقة طرفة بن العبد أنموذجا، صالح حوحو ، ص: ٢٢٠

يكسب النص خاصية الاستمرارية، ويتسق مع مستويات المخاطبين بتنوع فئاتهم وقدراتهم ومداركهم وتنوع الخلفيات الثقافية التي ينحدرون منها.

والمتلقي المقصود بالخطاب في الأحاديث القدسية هم البشر عامة، وقد وُجه الخطاب في بعض الأحاديث القدسية ليشمل الإنس والجن معا، وهؤلاء المتلقين يختلفون في درجات تلقيهم واستجابتهم، تصديقا أو تكذيبا، إنكارا أو ترددا، مما يستوجب أن يكون نص الخطاب مبنيا وفق مستويات تتسق مع مختلف حالات التلقي والقبول، وهو ما يمكن تطبيقه على المستوى المعجمي وأدواته كالتكرار والتضام.

وقسم الباحثان (هاليداي ورقية حسن) الاتساق المعجمي إلى نوعين: التكرار والتضام، والتكرار شكل من أشكال الاتساق المعجمي، يستوجب إعادة عنصر معجمي، أو مرادفه، أو شبه مرادف ... الخ. أما التضام فهو عملية توظيف زوج من الكلمات، بالفعل أو بالقوة، في خطاب واحد، نظرا لوجود علاقة بينهما، ويمكن أن تكون هذه العلاقة، علاقة تعارض، أو علاقة الكل بالجزء أو علاقة الجزء بالجزء، أو عناصر من نفس القسم العام [1].

(١) ينظر: الاتساق في الإنجليزية، هاليداي ورقية حسن، لندن ١٩٧٦، ص٢٤ ـ ٢٥، نقلا عن: محمد خطابي، لسانيات النص: ص١٢١

المبحث الثاني: أدوات المستوى المعجمي

١ . (التكرار)

التكرار من الأساليب التعبيرية المعروفة التي استعملها العرب في كلامهم لغايات متعددة، يقول ابن قتيبة (٢٧٠هـ): " وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه، ففيها الاستعارة والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار" (١)، ويقول ابن فارس: " ومن سنن العرب التكرير والإعادة وإرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر" (٢). والتكرار من الأساليب التي خاطب بها القرآن الكريم والحديث النبوي جميع العباد، وهو من الظواهر اللغوية التي تندرج ضمن الآليات المسئولة عن إحداث الاتساق النصي وانسجام الخطاب على المستوى اللفظي الظاهري والمستوى المعنوي الكامن في البنية العميقة الدلالية للنص، والتي لا يمكن الولوج إليها إلا بعد دراسة المستوى التركيبي الشكلي للنص.

فما هو التكرار، وما هي أنواعه؟ وما دوره في تحقيق الاتساق في الأحاديث القدسية؟

التكرار لغة:

جاء في لسان العرب في مادة (كرر): كرّر، ومصدره الكرّ، كرَّ عليه يكرُّ كرا، وكرورا وتكرارا، والكرُّ: هو الرجوع، يقال: كرَّه وكرَّ بنفسه يتعدى ولا يتعدى.وكرّ عنه: رجع، وكرَّ على العدو يكُرُّ، ورجل كرار، ومِكَرّ، وكذلك الفَرَسُ، وكرر الشيء وكركره: أعاده مرة بعد أخرى. والكَرَّة: المرّة، والجمع كرات، ويقال: كررتُ عليه الحديث، وكركرته إذا رددته عليه.والكرُّ: الرجوع على الشيء ومنه التكرار، وتكركر الرجل في أمره أي: تردّد (٣).

---

(١) تأويل مشكل القرآن: ص٢٣٣
(٢) الصاحبي في فقه اللغة: ص٢٠٧
(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: جـ٥، ص١٣٥ ـ ١٣٦

ويعرفه الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) بقوله: " والتكرار: عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى"(١).

فمعاني التكرار المعجمية تدور حول معنى الرجوع والترديد، وهذه المعاني مرتبطة بمعناه في علم النص الحديث، فالرجوع مرتبط بعلاقة الإحالة لما يُقيمه من علاقات قبلية بالرجوع إلى سابق متقدم في النص فيكسب النص اتساقا وترابطا، وكذلك معنى الترديد مرتبط بانسجام الخطاب مع القارئ الذي ما أن ينفصل عن معناه بعد طول عرض وخطاب حتى يحيله الترديد إلى قلب المعنى المنشود للنص، ويثبت جذور المعنى في نفسه وصولا للإقناع.

والتكرار في الاصطلاح هو: تكرار كلمة أو جملة أكثر من مرة لمعان متعددة، كالتوكيد والتهويل والتعظيم وغيرها(٢)، وقد ذكره اللغويون القدماء تحت باب التوكيد، كباب من أبواب النحو، ودرسه البلاغيون كأسلوب من أساليب الفصاحة وحسن النظم والبيان، يقول ابن جني: "اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكّنته واحتاطت له، فمن ذلك التوكيد، وهو على ضربين: أحدهما: تكرير الأول بلفظه، وهو نحو قولك: قام زيد قام زيد، وضربتُ زيدا ضربتُ، وقد قامت الصلاة قد قامت الصلاة.... والثاني: تكرير الأول بمعناه وهو على ضربين: أحدهما للإحاطة والعموم، والآخر للتثبيت والتمكين، الأول كقولنا: قام القوم كلهم، ورأيتهم أجمعين، والثاني نحو قولك: قام زيد نفسه ورأيته نفسه " (٣).

والمحدثون تناولوا التكرار وفق رؤية جديدة "كشكل من أشكال التماسك المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف أو شبه مرادف .... قصد التأكيد "(٤). وقد أدرجه بعضهم ضمن الإحالة كأداة من أدوات الربط والاتساق النصي(٥). وبذلك يكون التكرار هو إعادة لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة لفظا أو معنى لأغراض بلاغية عديدة، أهمها الربط بين

(١) معجم التعريفات، علي بن محمد الجرجاني: جـ١، ص٦٥
(٢) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب: جـ٢، ص: ٧٥٠
(٣) ينظر: الخصائص: جـ٣، ص: ١٠١ ـ ١٠٤
(٤) نحو النص ـ اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي: ص١٠٦
(٥) ينظر: نسيج النص، الأزهر الزناد: ص١١٩

عناصر النص المتباعدة، وتمكين المعنى ومد جذوره في نفس المخاطبين للتأثير فيهم وإثارة انفعالهم ووجدانهم لتهيئتهم للفهم والإقناع.

وقد شاع استعمال التكرار في القرآن الكريم لكونه تحديا للغة العرب في أحسن ما يتقنون من فصاحة وبيان، ويشير الباحث (عبد الملك مرتاض) عند تطرقه إلى تكرار آية (فبأي آلاء ربكما تكذبان) في سورة الرحمن، إلى أن دور التكرار هو الاتساق، و تكثيف سطح الخطاب والتأثير في طبيعة بنائه ومعمارية نسجه(١). فيتحقق بالتكرار التماسك النصي عن طريق امتداد خيط نسيجي واحد بين عباراته وجمله يظهر بين حين وآخر شادا للنص، ورابطا للمعنى من الانفكاك والتشتت.

واستعمل النبي ﷺ التكرار كأسلوب فني في إبلاغه لرسالته، بهدف البيان والإفهام، وأشار أنس ابن مالك رضي الله عنه إلى هذا عندما وصف منطق رسول الله ﷺ، فقال: ((كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تُفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا))(٢). فهو إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا بمعنى أنه يكررها ثلاثا، وهذا أمر قد يُحتاج إليه إذا دعت الحاجة إلى هذا، لبعد المخاطب، أو لأنه لم يصغ إليه الإصغاء المطلوب، أو لاشتغال عن المتكلم، فيعيد ذلك ثلاثا من أجل أن يسمعه أو يفهم عنه مراده. وإذا أتى على قوم سلم ثلاثا والسلام إنما يشرع مرة واحدة، ولكن تكراره ليبلغ السلام جميع الحضور، وقد يُراد بالسلام في هذا السياق الاستئذان (٣). وقال المناوي في فيض القدير في حكمة التكرير ثلاثا: " لتحفظ وتنقل عنه، وذلك إما لأن من الحاضرين من يقصر فهمه عن وعيه، فيكرره ليفهم ويرسخ في الذهن" (٤).

---

(١) ينظر: نظام الخطاب القرآني: ص ٢٢٦
(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه، جـ١، ص٣٠، رقم الحديث:٩٥
(٣) ينظر: شرح كتاب رياض الصالحين، خالد السبت، كتاب الأدب، باب استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب، ص: ٨٩
(٤) المجلد الأول، ص١٧٧

وينقسم التكرار إلى أربعة أقسام، التكرار المباشر، والتكرار الجزئي، والترادف، والاشتراك اللفظي[1].

أ ـ التكرار المباشر/ أو ما يسمى التكرار المعجمي البسيط

ويقصد به تكرار الكلمات في النص دون تغيير بما يعنى استمرار الإشارة إلى العنصر المعجم[2]. وقد تنوعت أشكال التكرار المباشر في الأحاديث القدسية كما يظهر في الحديث القدسي الذي نزل بعد أن صلى الرسول صلى الله عليه بأصحابه في الحديبية، على إثر ليلة ماطرة، فقال: ((هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر: فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب))[3]، فتكررت كلمة (مؤمن، وكافر) ثلاث مرات في النص، وتكررت كلمة (الكوكب) وتكررت كلمة (كذا) مرتين.

وقد شملت كلمة (عبادي) الواردة في أول الحديث الطائفتين إلا أن الحديث فصل في أمرهما بالفعل (أصبح) الدال على التحول والتغير، فمن ينسب المطر لله على أنه من نعمه وعطائه وتفضله، ينزله بقدر وقت ما شاء فهو مؤمن بالله، ومن نسب نزول المطر لوقت معلوم مقرون بظهور نجم أو كوكب في السماء على أنه الفاعل المنشئ للمطر فذلك كفر، لأن النوء (نجم أو كوكب في السماء) مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا.

ومثال التكرار التام بتكرر الجمل في الحديث القدسي، قوله ﷺ: ((إنّ عبدا أصاب ذنبا ـ وربما قال أذنب ذنبا ـ فقال رب أذنبت ذنبا ـ وربما قال أصبت ـ فاغفر، فقال ربه: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبا أو أذنب ذنبا ـ فقال: رب أذنبتُ ـ أو أصبتُ ـ آخر فاغفره، فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب

(١) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد: ص١٤٣
(٢) ينظر: المرجع السابق: ص١٤٣
(٣) صحيح البخاري: ٨٤٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٦، رقم ١٣

ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا ـ وربما قا أصاب ذنبا ـ فقال رب أصبتُ ـ أو أذنبتُ ـ آخر فاغفره لي فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء))[1].

فتكررت جملة (أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي) ثلاث مرات في نص محكم نسجه بالتكرار، ومترابطة جمله بأفعال القول وبالاستفهام، والإحالة بالضمير، والربط بالأداة، وهذا التكرار جاء لغرض توكيد فكرة سعة مغفرة الله لعباده التائبين المستغفرين وتقريرها في نفوسهم، ومد جذورها في وجدانهم، وتمكينها في أفئدتهم.

وقد تكررت جملة الاستفهام تكررا تاما في قوله ﷺ: ((إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرَّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هالك، قال: سترتُها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين))[2] فتكررت الجملة الاستفهامية (أتعرف ذنب كذا) مرتين، وتكرار الاستفهام بالهمزة

أدى وظيفة معنوية هي إقرار المخاطب بأمر ثابت عنده، فهو نفسه من قام بهذه الذنوب واقترفها، والحديث نفسه يكشف عن مغزى التكرار بقوله (حتى إذا قرّره بذنوبه) فالتقرير والاعتراف بالذنب هو القصد المنشود، وهذا الإقرار بظلم الإنسان لنفسه من المحاور الأساسية التي تدور حولها أساليب التكرار في الأحاديث القدسية، وفيها بيان لعظيم لطف الله وامتنانه بالمغفرة على عباده في قوله (حتى إذا قرَّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتُها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته).

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٣، رقم ٣٨
(٢) صحيح البخاري: رقم ٢٤٤١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٤، رقم ٤٦

والتكرار أظهر التمايز بين موقف المؤمن المستغفر التائب وفوزه بمغفرة الله، مقابل موقف الكفار والمنافقين الذين لعنوا وطردوا من رحمة الله وذلك هو الخسران المبين، يقول الدكتور أحمد بدوي في دور التكرار في النصوص المقدسة: "والتوكيد من أهم العوامل لبثّ الفكرة في نفوس الجماعات وإقرارها في قلوبهم إقرارا ينتهي إلى الإيمان بها، وقيمة التوكيد بدوام تكراره بالألفاظ عينها ما أمكن، فإذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخا، تنتهي بقبوله حقيقة ناصعة، وللتكرار تأثيره في عقول المستنيرين، وتأثيره أكبر في عقول الجماعات من باب أولى، والسبب في ذلك كون المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية، التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان، فإذا انقضى شطر من الزمن نسي الواحد منا صاحب التكرار وانتهى بتصديق المكرر. واستخدم القرآن التوكيد وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه وإقراره في أفئدتهم حتى يصبح عقيدة من عقائدهم، والصورة أوضح إن كرر المعنى في أكثر من صورة، فيكون ذلك أعم نفعا وأكثر تأثيرا"(١).

ومن أمثلة تكرار الألفاظ والجمل معا في نص الحديث القدسي الواحد قوله ﷺ: ((سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلّك مَلِك من مُلوك الدنيا، فيقول رضيت ربي، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيتُ ربّ، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: ألئك الذين أردتُ غرستُ كرامتهم بيدي وختمتُ عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر))(٢) فورد في نص الحديث تكرار تام للمفردات وتكرار تام للجمل بهدف تعميق الفكرة لدى القارئ وربط عناصر النص ببعضها واتساقها في نص منسجم متآخذة جمله برقاب بعضها البعض، وهو كالآتي:

---

(١) من بلاغة القرآن: ص١٤٣
(٢) صحيح مسلم: رقم ١٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٦، رقم ٦٠

. تكرر لفظ (الجنة) أربع مرات، بهدف إظهار الاستعذاب والترغيب فيها، كما تكرر لفظ (ومثله) أربع مرات متتالية دون فاصل بينها للدلالة على عظم عطاء الله وواسع خيره وفضله، وللترغيب في الجنة والإقبال على العمل الصالح.

. وتكررت جملة (اخل الجنة) وجملة (رضيتُ ربي) مرتين للتأكيد على فضل الله ومغفرته لعباده.

وفي الأحاديث القدسية تكررت بعض الجمل تكرارا تاما لتجسيد المشاهد، وتحريك أدوار الشخوص القائمة بها، من ذلك ما ورد في حديث الاحتضار وخروج روح الكافر، يقول ﷺ: ((.... فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري ...))[1]. فتكرار إجابة الكافر بجملة (هاه هاه لا أدري) فيها دلالة على التردد والحيرة والخوف، وفي كل مرة تكررت فيها حملت دلالات أكثر وأعمق، فهي إقرار بكفر نعم الله التي أرسلها للهداية وفيها إقرار من العبد بظلمه لنفسه وخسرانه. وتكرر الجملة ثلاث مرات أشاع في النص حركة تذبذب واضطراب وقلق، تجزع منها النفس وتقلق، وتضطرب معها الأحاسيس والمشاعر، فتنفر من قولها ومن خذلانها، فيكون القارئ في موقف المعتبر والمخير في أي الفريقين يكون.

ومن أمثلة تنوع التكرار بين نوعيه التام اللفظي والجملي في الأحاديث القدسية ما ورد في قوله ﷺ: ((هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة .... ويضرب السراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل،

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده: ٤/ ٢٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٥

ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان... فيعرفونهم في النار بأثر السجود، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود، حرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود...))[1].

فتكرر لفظ (الشمس والقمر والطواغيت) مرتين لبيان أصناف العباد بين ضال ومؤمن في أرض المحشر، وتكرر لفظ (سَلّم) مرتين للدعاء في قول الرُّسل وقت عبور الناس على الصراط (اللهم سلم سلم)، وتكررت الجمل في قوله (هل تضارون في القمر ليلة البدر، هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب) وتكرر المركب الإضافي (شوك السعدان، وأثر السجود) ثلاث مرات في النص، وفي كل تكرار كان المعنى يتجدد وزوايا النص تنشد وتتسق وترتبط بالتكرار أكثر وأكثر، ويشيع من خلاله إيقاع طروب تقتنع به النفس وتطيب بمعانيه في الشدة واللين.

ومطلع هذا الحديث يتشابه مع مطالع أحاديث قدسية أخرى، كقوله ﷺ في حديث شهادة جوارح الإنسان عليه يوم القيامة: ((هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس في سحابة؟ قالوا: لا، قال: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة...))[2] وتشابه مع مطلع حديث رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة، يقول ﷺ: ((هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ قلنا:لا، قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما ....))[3] ورغم التشابه في مطالع هذه الأحاديث إلا أنها مداخل مألوفة لمواضيع أخرى مختلفة يتهيأ بها القارئ ليرتقي في مدارج نصوصها، وفي هذا التكرار تثبيت لفكرة

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٩، رقم ٦٣
(٢) صحيح مسلم، رقم ٢٩٦٨ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٤، رقم ٧٩
(٣) صحيح البخاري، رقم ٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٤، رقم ٨٨

رؤية المؤمنين لربهم وأهمية إقرارهم وإيمانهم بها، وأتى التكرار كرابط متعالق مع الرابط الاستفهامي، للتدرج في الإقناع بما لا يدع مجالا للتردد في الإيمان بحقيقة رؤية المؤمنين لله عز وجل في الآخرة.

كما تشابهت مطالع كثير من الأحاديث القدسية، فأغلبها يبدأ بحرف التوكيد (إنّ) الذي يشيع في النص كله معنى التوكيد والإقرار، ويشكل مدخلا قويا به تُشدُّ كل المعاني بالتأكيد الإلهي واليقين، وذلك بهدف التقرير والتنبيه على أهمية الأمور المذكورة وضرورة الإقبال عليها بالاستماع والتفهم والتدبر، مثاله قوله ﷺ: ((إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم....))[1] وقوله: ((إن الله قال: إذا تلقاني عبدي بشبر تلقيته بذراع ...))[2] وقوله: ((إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق ...))[3] وقوله: ((إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه...)) [4].

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٩٢
(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٦٧٥ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٩٢
(٣) حديث صحيح، أخرجه الترمذي: رقم ٢٦٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٣٣
(٤) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده: ٤/ ٢٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ١١٥ ـ١١٦

ب . التكرار الجزئي

وهو ثاني أنواع التكرار، ويقصد به التكرار الاشتقاقي أو تكرار جذر الكلمة، وهو شكل آخر من أشكال الربط الذي يُضفي على النص طابع التنوع وينفي عنه الرتابة [١]. فيكون اللفظ مذكورا بأشكال مختلفة بزيادة أو نقصان في حرف أو حركة، وذلك بالاعتماد على تكرر الجذر اللغوي ولكن في صور لفظية مختلفة حسب السياق الوارد فيه، مما يعطي النص بعدا دلاليا عميقا، يشد الفكرة ويثبتها في ذهن المتلقي، ويكتسب النص في الوقت نفسه تماسكا لفظيا وتلاحما نصيا بين أجزائه.

وقد ورد التكرار الجزئي في القرآن الكريم، وفي بيان وظيفته التماسكية يقول عبد المالك العايب: " كما يقوم التكرار الجزئي بدوره على مستوى النص القرآني في الربط بين أجزائه المتقاربة أو المتباعدة داخل السورة الواحدة أو بين كافة السور، ومهما تكن اللفظة فإنها تبقى جزءا أساسيا في الصورة الفنية لعملية الاتساق في النص، وقوةٌ تلاحم أجزائه، وترسم عليه تلك البنية التماسكية، حيث يقف نجاحه وفق الحاجة، ووفق ما يقتضيه السياق " [٢].

وفي الأحاديث القدسية كثر ورود التكرار الجزئي، بحيث يكاد لا يخلوا نص حديث قدسي منه، ويغلب وروده في بيان المفارقات الشاسعة التي تظهر بين أهل الإيمان وأهل الكفر، كما يكثر ظهوره في المواقف المرتبطة بإقامة الحجة على الإنسان للإقناع أو الإقرار بأمر ما قام به المخاطب، من باب الاعتراف وتسليم الأمر.

ومثاله في الأحاديث القدسية قوله ﷺ: ((يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه أزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تُخزني يوم يُبعثون فأيُّ خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ

(١) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد: ص١٤٥
(٢) أثر الربط المعجمي في اتساق النص القرآني: ص٧٠

ملتطخ فيؤخذ بقوامه فيُلقى في النار))[1] فالتكرار الجزئي متمثل في قوله (أباه ـ أبوه ـ أبي) وقوله (لا تعصني ـ لا أعصيك) وقوله (تخزني ـ خزي ـ أخزى). وفي الحديث نفسه تكرار تام متمثل في تكرار اسم سيدنا إبراهيم تودد واستعذابا في قوله: (يلقى إبراهيم ـ يا إبراهيم) وتكرار اسم (آزر) فيه تأكيد على كفره، وتنفير من فعله (أباه آزر ـ على وجه آزر) وقد قام التكرار بتعميق المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي في استحالة دخول الكافرين الجنة.

ومثاله قوله ﷺ في التنفير من فساد النية: ((ورجل تعلم العلم وعلّمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبتَ ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار ...))[2]. فتكرار جذر الفعل الثلاثي (علم) بصيغ مختلفة جاء لهدف تعميق المعنى في نفوس السامعين وتنفيرهم من الرياء وبطلان الأعمال في قوله (تعلم ـ العلم ـ علّمه ـ عملتَ ـ تعلمتُ ـ علمته ـ عالم) كما تكرر جذر (قرأ) الثلاثي في قوله (قرأ القرآن ـ قرأتُ ـ قرأتَ ـ قارئ)، وتكرر جذر (عرف) الثلاثي في قوله (فعرّفه ـ عرفها) ثلاث مرات متتالية للإقرار والتأكيد.

وورد التكرار الجزئي مكثفا في حديث فضل التقرب إلى الله، يقول ﷺ: ((يقول الله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يُشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة))[3].

(١) صحيح البخاري: رقم ٣٣٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣، رقم١١
(٢) صحيح مسلم : رقم ١٩٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨، رقم ٧
(٣) صحيح مسلم، رقم ٢٦٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٠، رقم١٥

وفي هذا الحديث تكرر جذر الفعل الثلاثي (قرب) في قوله (تقرب ـ تقربتُ) أربع مرات، وتكرر الجذر (لقي) الثلاثي (لقيني ـ لقيته) مرتين، وتكرر جذر (مثل) الثلاثي في (أمثالها ـ مثلها ـ بمثلها) ثلاث مرات، للتأكيد على أهمية وفضل التوبة والاستغفار والتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، وفيه بيان للطف الله بعباده المستغفرين من ذنوبهم غير المصرين على العناد ومخالفة أوامر الله ورسوله.

وظهر في أسلوب هذا الحديث (رد العجز على الصدر) وهو نوع من التكرار يُظهر المراوحة والتنوع في الأساليب الفنية الخاصة بالحديث القدسي، وهو من الأساليب التي خاطب بها القرآن العرب لما اشتهروا به من فصاحة وبيان، وهو متمثل في قوله (من تقرب مني شبرا تقربت من ذراعا) وقوله (ومن أتاني يمشي أتيته هرولة) وقوله (ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة). كما تكررت الضمائر المحيلة مرات عديدة في نصه، وقد سبقت الإشارة إلى هذه الإحالات في الفصل الثاني من هذا البحث، وبهذه الألفاظ المتكررة والمتداخلة مع باقي أدوات الربط النصي نسج التكرار نصا محكم البناء والرصف متعاضد الأركان، سميك الوشي والطراز.

ويشكل التكرار الجزئي دعامة فكرية للمتلقي، لكثرة وروده بتنوع وكثافة في نصوص الأحاديث القدسية بهدف البيان وتوضيح المضامين العميقة وإتمام تفاصيل معناها، ويتجلى التكرار الجزئي بكثافة في قوله ﷺ: ((إذا أحبّ الله عبدا نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبَّه، فيُحبُّه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبُّه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض))[1] فنجد تكرر الجذر (حبب) الثلاثي سبع مرات بصيغ مختلفة في نص الحديث، وكلها تعبر عن الحب الإلهي العظيم والتودد والتقرب من العباد في قوله (أحبّ ـ يُحِبُ ـ فأحبّه ـ فيُحبُّه ـ فأحبوه) ليشمل الحب كل أركان بنية نص الحديث،

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٠٤٠ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٨، رقم٤٢

ويشدها لنفس المتلقي فيُبسط للنص القبول في النفوس والآذان والقلوب والعقول، فتطرب له رغم تكرر اللفظ بكثافة في نص متلاحم الأركان وجيز العبارة.

فساعد تكرار اللفظ على انسجام النص وتناسق معانيه بالإضافة إلى اتساق ألفاظه، وبالتكرار يمكن النظر" للكلمة أو العبارة المكررة باعتبارها بؤرة ومركزا تدور المعاني المختلفة حوله، ثم تتكثف لتعاود الدوران من جديد "[1]، وقد كان للفظ (الحب) مركز البؤرة في نص الحديث الذي تدور في فلكه محاور النص وعباراته.

ومن أمثلة ورود التكرار الجزئي في الأحاديث القدسية كأداة اتساق معجمي وربط نصي، قوله ﷺ: ((إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضتُ فلم تَعُدني، قال: يا ربِّ كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أن عبدي فلانا مرض فلم تَعده، أما علمتَ لو أنك عدته لوجتني عنده. يا ابن آدم استطعمتُك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أُطعمُك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمَك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تَسّقِني قال يا رب؟ كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقِه، أما إنك لو أسقيته وجدتَ ذلك عندي))[2] فتكررت في النص ثلاث كلمات بصيغ مختلفة، بهدف تأكيد فكرة الود والتراحم والبذل والعطاء بين المسلمين والحث عليها، وتمكينها في النفوس بمختلف صورها وأشكالها، وهي كالتالي:

الجذر (عود) الثلاثي في قوله: (تعدني ـ أعودك ـ فلم تعده ـ لو عدته).

والجذر (طعم) الثلاثي في قوله: (استطعمتك ـ تطعمني ـ أطعمك ـ استطعمك ـ تطعمه ـ لو أطعمته).

---

(١) أثر الربط المعجمي في اتساق النص القرآني، عبدالمالك العايب: ص٦٩
(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٥٦٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٠، رقم ٤٤

والجذر (سقي) الثلاثي في قوله: (استسقيتك ـ تسقني ـ أسقيك ـ استسقاك ـ فلم تسقه ـ لو أسقيته).

كما تكررت جملة (وأنت رب العالمين) ثلاث مرات وهي من التكرار التام، للتأكيد على معاني الربوبية والألوهية وأن الله تعالى هو المتكفل بأرزاق العباد، وهو المربي الحاث والمرشد لهم لطريق الفلاح والصلاح الفردي والجماعي، مما يكسب المجتمع تماسكا وتلاحما منطلقا من التلاحم النصي الذي انبنى به النص، وتأثر به الفرد القارئ والمستمع.

والتكرار الجزئي يشيع في النص إيقاعا سمعيا تطرب له الآذان وتألف للفظه النفوس، ويرسخ معناه في الأذهان، كقوله ﷺ: ((... إن الله أمرني أن أحرق قريشا، فقلت رب إذاً يثلغوا[1] رأسي فيدعوه خبزة، قال: استخرجهم كما استخرجوكَ، واغزُهم نُغزِك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله ...))[2] والمقصود بقوله (أمرني أن أحرق قريشا) أي أقاتلهم، ومنه قوله تعالى للجنة وللنار: ((... أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار إنما أنت عذابٌ أعذبُ بك من أشاء من عبادي))[3] وفي هذا الحديث تكرار لجذر الرحمة والعذاب، وإبراز للرحمة الإلهية وتخويف من عذاب النار، وفي نسبة الرحمة إلى الذات الإلهية في قوله (أنت رحمتي) بيان لاختصاص الرحمة بالله تعالى، وفي تنكير لفظ (عذاب) في قوله (إنما أنت عذاب) تهويل وترهيب من سوء المصير في النار والعذاب فيها.

(١) يثلغوا: بفتح اللام أي يشدخوه ويشقوه، ويدعونه خبزة، أي مكسرا قطعا.
(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٨٦٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٨
(٣) صحيح البخاري: رقم ٤٨٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٩

جـ . الترادف:

وهو شكل من أشكال التكرار وشكل من أشكال الاتساق المعجمي، يقوم على إعادة مرادف عنصر معجمي في النص بحسب السياق الذي يقتضيه، ويُعرفه ابن فارس لغة بقوله: " الراء والدال والفاء أصل واحد مطرد، يدل على اتباع الشيء، فالترادف التتابع، والرديف الذي يتابعك" (١). ويعرفه الشريف الجرجاني اصطلاحا بقوله: " المترادف ما كان معناه واحدا وأسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك، أخذ من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر، كأن المعنى مركوب واللفظان راكبان عليه، كالليث والأسد ... " (٢).

والترادف يكسب النص تنوعا وتلونا داخل إطار النص وخارج حدود الجملة، مما يضفي عليه خصوصية في المعنى وجمالية في الأسلوب تجذب القارئ وتحرك ذهنه داخل نص متعالق يحيل بعضه إلى بعض. والترادف " هو أحد العلاقات الدلالية، ووسيلة من وسائل اتساع اللغة، يسهم في امتداد المعنى داخل النص، مما يمكن للمتكلم الانتقال بيسر وسهولة بين ألفاظه المترادفة، التي تلائم سياقه بسعة التعبير، وكثرة المترادفات، وتنوع الدلالات" (٣).

وقد ورد الترادف كصورة من صور التكرار وآلية من آليات الاتساق المعجمي في الأحاديث القدسية، مثاله قوله ﷺ: ((إن الله سيُخلّص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فيَنشُرُ عليه تسعةٌ وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب ...))(٤) وفي تكرار الأسئلة المترادفة المعنى تأكيد وإقرار بفعله وظلمه لنفسه في الحياة الدنيا، وقد ثبت التكرار بالترادف المعنى، ليرسخ في ذهن المتلقي هذا الاعتراف والاستنطاق الجلي النابع من

(١) معجم مقاييس اللغة: جـ٢، ص٥٠٣
(٢) كتاب التعريفات: ص٢٠١
(٣) أثر الربط المعجمي في اتساق النص القرآني، عبدالمالك العايب: ص٨٤
(٤) حديث صحيح رواه الترمذي، رقم: ٢٦٣٩، الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص٣٣، رقم ١٨

الإنسان بتقصيره وظلمه لنفسه، لعدم استثماره الحياة الدنيا لعمل الأفعال الصالحة الموصلة للجنان في الآخرة.

وأمام هذا الإقرار الجلي الواضح يظهر اللطف الإلهي ويتجلى في أعظم صوره وأجلها، ذلك أنه تعالى هو من يَعلم السر وأخفى ويعلم بواطن النفس وخلوص نياتها، فلم يظلم هذا العبد الذي نطق بالتوحيد والشهادة عن يقين قوي صادق بتفرد الله تعالى بالوحدانية والربوبية، فأثقلت نيته ونزاهة توحيده الموازين وأدحض صدق يقينه سجلات المعاصي التي قيدها الكتبة الحافظون.

كما ظهر الترادف جليا واضحا في حديث فضل التقرب إلى الله تعالى بقوله ﷺ: ((إن الله قال: إذا تلقاني عبدي بشبر تلقيته بذراع، وإذا تلقاني بذراع تلقيته بباع، وإذا تلقاني بباع جئته أتيته بأسرع))[1] بين كلمتي (جئته أتيته) المتواليتين للتأكيد على أهمية الفكرة وهي المغفرة وقبول الله للتوبة الصادقة، وفرح الله تعالى بتوبة عبده.

وظهر الترادف بكثافة في حديث فضل الذكر ومجالسة الصالحين، قال ﷺ: ((... فيسألهم ربهم عز وجل ـ وهو أعلم منهم ـ ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يُسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا، قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة قال

(١) صحيح مسلم، رقم ٢٦٧٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٨، رقم ٣١

فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال يقول ملَك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى جليسهم)) [1].

فالترادف ورد في (يُسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك) للدلالة على تنوع وكثرة عبادات الصالحين في مجالس الذكر، وللتأكيد على خلوصهم للعبادة وتفرغهم لها وابتعادهم عن الدنيا ومتاعها رغبة في فضل الله وغفرانه. وفي إجابة الملائكة لسؤال الله لهم عن رؤية عباده للجنة: (لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة) والتكرار بين الجمل (أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة) للترغيب والحث على العمل الصالح والمداومة عليه، كما استخدم تكرار الجمل للتهويل والتعظيم من أهوال النار وللتخويف والتحذير منها وذلك في قول الملائكة في سؤال الله عن النار: (لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة) فجملة (أشد منها فرارا) هي مرادفة لمعنى جملة (أشد لها مخافة) وفي هذا التكرار تلوين للمعاني بمختلف الألفاظ للتهويل والترغيب والحث والتأكيد بما يحقق انسجام النص وفهم القارئ له وتأثره بمعناه، وبذلك يكون مخيرا أي الطريقين يسلك بعد أن عُرضت على نفسه مختلف الألفاظ والتعابير التأكيدية.

والتكرار بالترادف يعمل على توصيل القصد وترسيخه في ذهن المتلقي، من خلال جمع تراكيب النص، وتعليق بعضها ببعض، ويعمل على بناء نص الحديث القدسي من خلال التركيز على المجال الدلالي الرئيسي، الذي يُشكل موضوعه (علاقة الخالق بعباده وامتنانه عليهم بالمغفرة) عبر تعالق المعاني في حقول دلالية صغرى تشكل في مجموعها حقلين دلاليين رئيسيين، هما مجال النعيم ومجال العذاب، ويكشف الترادف عن قدرة اللغة وبراعة استخدامها في النص عبر استقصاء المترادفات، التي تُسهم في تحقيق الغاية المنشودة، وهي شدّ ذهن القارئ وتركيزه

(١) صحيح البخاري: رقم٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص٥٩، رقم٣٤

في معاني الكلمات المألوفة، ومترادفاتها المستخدمة عبر ثنايا النص ككل، لتشد التراكيب اللفظية النص وتجعل منه وحدة متماسكة [١].

ومن أمثلة الترادف في الأحاديث القدسية قوله ﷺ، في حديث فضل الشهادة: ((انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يُخرجه إلا إيمانٌ بي وتصديقٌ برسلي أن أُرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدتُ خلف سرية، ولوددت أني أُقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل)) [٢].

وقد تلونت ألفاظ هذا الحديث بالمترادفات مما أدى إلى تثبيت الفكرة وإبرازها بالثنائيات المترادفة في قوله (إيمان . وتصديق) وكلا اللفظين مترادفان، إلا أن ورود كل منهما في سياق خاص كان له مزية في دقة اللفظ وتمامه، فالإيمان وهو أعم وأعمق كان مرتبطا بالله في قوله (إيمان بي)، أما التصديق وهو جزء من الإيمان ومنزلة من كله جاء مرتبطا بالرسل في قوله (وتصديق برسلي).

والترادف في الحديث أيضا بين كلمتي (أجر . وغنيمة) وكلاهما من الخيرات المادية المحصودة بعد انتهاء القتال، ويدل على ذلك السياق حين خُير المتلقي بين غنائم الدنيا أو الجنة في قوله (أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة)، وقد تعني (أو) هنا مطلق الجمع بمعنى (الواو)[٣]، فيكون المعنى بالجمع بين الغنائم الدنيوية المادية والفوز بالجنة معا وذلك لبيان فضل الجهاد في سبيل الله تعالى.

والفعل (انتدب) الذي أفتتح به نص الحديث أتى بمعنى تضمن وتكفل، وهو يوفر ضمانا نفسيا، ويتعهد بالكفالة الإلهية المطلقة للمجاهد في العطاء، وفي هذا النوع من التكرار حثٌ وترغيب للنفس على الجهاد والخروج في سبيل الله، والتكرار بالترادف الوارد في هذا الحديث بين

---

(١) ينظر: أثر الربط المعجمي في اتساق النص القرآني، عبدالمالك العايب: ص٨٦ ـ ٨٧
(٢) صحيح البخاري: رقم ٣٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص١٠٧، رقم ٦٨ .
(٣) ينظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: جـ٦،ص٨

لفظي (الإيمان والتصديق) هو نفسه قد ورد في حديث الاحتضار وخروج الروح، في قوله: ((.... فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ .... وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت...))[1] وقد اقترن الإيمان بالتصديق في سياق يظهر سرعة الإجابة وإيجازها لثباتها ويقين النفس العميق بها.

وللسياق دور في بيان معاني الألفاظ وتحديد دلالاتها، ومن المترادفات التي قرّب السياق معناها قوله تعالى للشهداء في الجنة: ((يا ابن آدم كيف وجدت منزلك، فيقول: يا رب خير منزل، فيقول: سل وتمنه، فيقول: ما أسال وأتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة))[2] فتكرار اللفظ المترادف (سل) و (تمنى) مرتين في سياق قوله (سل وتمنه) وقوله (ما أسال وأتمنى) قرب معنى اللفظين وجعلهما في حكم المترادفين فالسؤال يكون لما تطلبه وتتمناه النفس، إلا أن في تكرارهما معنى إضافي اختص بكل واحد منهما، فالأول ورد في سياق توجيه السؤال من الله تعالى لعبده الشهيد، والثاني ورد في سياق إجابة العبد أمام الكرم الرباني بنفي كل حاجة متبقية أو لذة لم ينلها في الجنة.

وأسلوب النفي والقصر ورد للتأكيد على انتفاء كل المطالب وتحقق كل الأماني في الجنان، لذلك تمنى الشهيد بعد ما رأى من روعة الخلود وعظيم العطاء والنعم أن لو قُتل في سبيل الله عشر مرات، تلذذا بالشهادة في سبيله وابتغاء مرضاته، وفي تكرار العدد (عشر مرات) تكرار لفظي يوحي بالكثرة، يحرك الشوق والحماس، وفيه ترغيب وحث على الشهادة والجهاد في سبيل الله، وقد كشف السياق الغرض من التكرار في قوله (لما يرى من فضل الشهادة) والفعل (يرى) حوّل المسار اللفظي من المعنوي المفهوم إلى المحسوس، ومن المنطوق إلى المشهود، وهو أسلوب

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده: ٤/ ٢٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٥

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده: ٣/ ١٣١ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص١٠٨، رقم ٦٩

فني للإقناع والتأثير في السامع والمتلقي، فيختار أي طريق يسلك وأي عمل يُعد وأي جزاء يحصد.

والترادف الجملي في الأحاديث القدسية، ورد في قوله ﷺ: ((إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدّ البصر ...))[1] ففي قوله (انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة) ترادف بين معنى الجملتين، ورغم توالي الجملتين المترادفتين، وارتباطهما بأداة الربط (الواو) إلا أن لكل منهما معنى خاصا يضيفه للآخر، ويحمل دلالات نفسية متفردة به تهيئ القارئ ليدخل في النص القدسي، وتشعره بهيبة الموت وعظيم وطأته. كما أن الترادف القائم على التشبيه في قوله (بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس) يقوم على التشبيه لتقريب المعنى وتوضيحه وتوكيده في نفس المتلقين.

ومن الترادف بالألفاظ المتعاطفة بهدف إشباع المعنى وتوكيده قوله صلى الله عليه في حديث الجنة والنار مع رب العالمين: ((تحاجت الجنة والنار فقالت النار، أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقَطُهم ...))[2] وفي هذا الحديث جاء الترادف بين لفظي (المتكبرين والمتجبرين) وبين (ضعفاء الناس وسقطهم) وهو ترادف فيه بيان وتفصيل لأجناس الداخلين للجنة والداخلين للنار.

يقول ابن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث: " أما سقطهم بفتح السين والقاف أي ضعفاؤهم والمحتقرون منهم، وأما (عجزهم) فبفتح العين والجيم جمع عاجز أي العاجزون عن طلب الدنيا والتمكن فيها والثروة والشوكة، وأما الرواية رواية محمد بن رافع ففيها (لا يدخلني إلا ضعاف الناس وغرتهم) فروى على ثلاثة أوجه حكاها القاضي وهي موجودة في النسخ إحداهما: (غرثهم) بغين معجمة مفتوحة، والثاء مثلثة، قال القاضي: هذه رواية الأكثرين من شيوخنا،

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده: ٤/ ٢٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٥
(٢) صحيح البخاري، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٩ ـ ١٢٠

ومعناها أهل الحاجة والفاقة والجوع، والغرث الجوع. والثاني: (عَجَزَتهم) بعين مهملة مفتوحة وجيم وزاي وتاء، جمع عاجز، كما سبق. والثالث: (غِرّتُهم) بغين معجمة مكسورة وراء مشددة وتاء مثناة فوق، وهكذا هو الأشهر في نسخ بلادنا أي البُلهُ الغافلون الذين ليس بهم فَتكٌ وحِذق في أمور الدنيا، وهو نحو الحديث الآخر (أكثر أهل الجنة البله) قال القاضي: معناه سواد الناس وعامتهم من أهل الإيمان الذين لا يفطنون للسُّنَّه فيَدخُلُ عليهم الفتنة أو يُدخلهم في البدعة أو غيرها، فهم ثابتوا الإيمان وصحيحوا العقائد، وهو أكثر المؤمنين وهم أكثر أهل الجنة، وأما العارفون والعلماء العالمون والصالحون المتعبدون فهم قليلون وهم أصحاب الدرجات، قال وقيل معنى الضعفاء هنا وفي الحديث الآخر (أهل الجنة كل ضعيف متضعِّف) أنه الخاضع لله تعالى المذل نفسه له سبحانه وتعالى ضد المتجبر المستكبر ... وقوله: (بالمتكبرين والمتجبرين) قيل: هما بمعنى، وقيل المتكبر المتعاظم بما ليس فيه والمتجبر الممنوع الذي لا يوصل إليه وقيل الذي لا يكترث بأمر. وقوله (ضعفاء القوم وسقطهم) بفتحتين أي المحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم هذا بالنسبة إلى ما عند الأكثر من الناس وبالنسبة إلى ما عند الله هم عظماء رفعاء الدرجات، لكنهم بالنسبة إلى ما عند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له في غاية التواضع لله والذلة في عباده فوصفهم بالضعف والسقط بهذا المعنى صحيح أو المراد بالحصر في قول الجنة (إلا ضعفاء الناس) الأغلب . والله أعلم "[1].

ومن التكرار بالألفاظ المترادفة قوله ﷺ في وصف الكوثر: ((... فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم))[2] فالترادف بين لفظي (نهر، وحوض) وفي هذا التكرار تفصيل واستعذاب بذكر الموصوف وبيان خيراته، لحث النفوس واستنهاضها للتمسك بسنة النبي محمد ﷺ واتباع هديه، وهو ترادف زاد المعنى عمقا وتوطيدا في النفس، وساعد على انسجام النص وتناسق معانيه بالإضافة إلى اتساق

(١) فتح الباري: جـ٨،ص٥٩٨
(٢) صحيح مسلم: رقم ٤٠٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٢، رقم٩٤

ألفاظه وتنوعها، لاستيعاب المعنى وإشباعه، وعرضه بأساليب مختلفة تتماشى وطبيعة المتلقين المتفاوتة، للتأثير فيهم وإقناعهم.

وظائف التكرار وأغراضه:

ذكر البلاغيون أغراضا عديدة للتكرار، كابن رشيق القيرواني (٤٦٣هـ) الذي يذكر منها التشويق والاستعذاب، والتنويه والإشادة، والتوبيخ والتقرير، والتشهير والازدراء[١]. وتنبه علماء النص المحدثون لوظائفه واهتموا بدوره في تدعيم الاتساق النصي من خلال ربط الوحدات المعجمية " وإيجاد صورة لغوية تستهوي القارئ، وإيجاد تفاعل منطقي لسير الأحداث عبر تحريك الشخصيات المعبرة عن توجهات أو سلوكيات محددة للإشادة بها أو العكس، والاعتماد على النمط الوصفي من خلال ربط حيثيات الموصوف بما يدركه المتلقي" [٢]. وقد جاء التكرار في الأحاديث القدسية لأغراض عديدة تخدم المتلقي في توضيح الرسالة الموجهة إليه، وترسيخها في ذهنه بغرض التأثير فيه وإقناعه، ومن تلك الأغراض:

١. التوكيد:

ورد التكرار بهدف التوكيد في قوله ﷺ في حديث نعيم الدنيا وبؤسها في الآخرة: ((يؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة فيقول: اصبغوه صبغة في الجنة فيصبغونه فيها صبغة فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط أو شيئا تكرهه؟ فيقول: لا وعزتك ما رأيت شيئا أكرهه قط، ثم يُؤتى بأنعم الناس كان في الدنيا من أهل النار فيقول: اصبغوه فيها صبغة فيقول: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط قرة عين قط فيقول: لا وعزتك ما رأيتُ خيرا قط ولا قرة عين قط))[٣] فتكرر القسم مرتين في قوله (لا وعزتك) ولكنه ورد في كل مرة بمعان

(١) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه: جـ٢، ص٧٣
(٢) أثر الربط المعجمي في اتساق النص القرآني، عبدالمالك العايب: ص ٨٩
(٣) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده: ٣/ ٢٥٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٢

مختلفة وفي سياقين مختلفين هما سياق الوعد والنعيم وسياق التهديد والوعيد، وتكررت كلمة (قط) في نص الحديث ست مرات بدلالات متعددة تتفق والسياق الواردة فيه، وبهذا حقق التكرار التعاقب والانسجام وشد القارئ بإيقاعه المتصاعد من تكرار الألفاظ وتكرار الحروف، فأشاع قلقلة وقرعا عاليا في النص يثير الانتباه ويوقظ الشعور.

وورد التكرار بغرض التوكيد في قوله ﷺ: ((إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة))[1]. فتكرار لفظ الحسنات في مقابل السيئات توكيد على كتابة وتوثيق الملائكة لعمل ابن آدم كله صغيره وكبيره، وفيه بيان للطف الله بعباده ورحمته في الحساب، وفيه دعوة لخلوص النية ومجاهدة النفس على فعل الخيرات.

وجاء التكرار بغرض التوكيد والتوبيخ في قوله ﷺ: ((يقول الله تعالى لأهون أهل الأرض عذابا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تُشرك بي))[2] فتكرار الجملة الفعلية (تشرك) في قوله (أن لا تشرك بي شيئا ـ أبيت إلا أن تُشرك بي) فيه دلالة على إصرار العبد على الشرك ورفضه التوحيد منذ الأزل، فأنى له أن يفتدي بملء الأرض ذهبا في وقت لا ينفعه فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وأتى التكرار في الأحاديث القدسية بغرض التأكيد والتنبيه على أهمية أمر التوحيد والعبودية كما في قوله ﷺ في حديث البطاقة: ((إن الله سيخلّص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق

---

(١) صحيح البخاري، رقم ٦٤٩١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤، رقم ٤

(٢) صحيح البخاري: رقم ٦٥٥٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٥، رقم١٢

يوم القيامة فيُنشَر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وَزْنَك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال: إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يَثقُل مع اسم الله شيء)) (١).

والأمر المهم الذي أتى الحديث للتنبيه إليه هو فضل التوحيد، فقد تكررت كلمة البطاقة تكرارا تاما في هذا النص أربع مرات والمقصود بها هو إخلاص توحيد هذا الرجل من أمة محمد ﷺ الذي يخلصه (بمعنى يميزه ويختاره) الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق وقت الحساب، وتكررت كلمة (السجلات) في نص هذا الحديث المحبوك بالتكرار خمس مرات في قوله (تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر. هذه السجلات . فتوضع السجلات . فطاشت السجلات)، وهو تكرار كلي وجزئي جاء للتهويل وبيان عظم السجلات وكثرة ما سُجل فيها من ذنوب العبد وظلمه لنفسه في مقابل العفو الإلهي والعدالة الربانية المتمثلة في غفران الله لعبده وتحننه عليه وتفضله عليه في الحساب. وتُجسد الألفاظ هذه المعاني بتكرار التوكيد بالحرف (إنّ) والنفي لكلمة (ظلم) في قوله (فإنه لا ظلم عليك اليوم) وقوله (إنك لا تظلم).

وورد التكرار بغرض التوكيد للتنبيه والإشادة في قوله ﷺ: ((إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي))(٢) بتكرار الجذر الثلاثي (ظلل) أربع مرات في حديث لا يتجاوز نصه عشر كلمات، دلالة على أهمية الفكرة المطروحة على

(١) حديث صحيح رواه الترمذي: رقم ٢٦٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٣، رقم ١٨
(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٥٦٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٨٢، رقم ٥٢

السامع، وفيه تنبيه وإشادة بفضل الأخوة والمحبة في الله، وهذا التكرار رغم تقارب مخارج حروفه وتقارب مواقع ألفاظه من بعضها تبقى له سلاسة في النطق، ووقع في السمع واستعذاب في الوجدان، ذلك أنه تكرار مندمج باتساق في بنية النص الظاهرة والعميقة.

٢ ـ القسم: على الرغم من قلة ورود القسم في الأحاديث القدسية كون المتكلم بها هو الله تعالى جل جلاله، وراويها هو الرسول محمد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إلا أنه قد تكرر فيها القسم بصيغة (والذي نفسي بيده) وصيغة (والذي نفس محمد بيده) في قوله ﷺ: ((والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة))(١)، وقوله في حديث اختبار بعض الناس ـ ممن لم تبلغهم دعوة الرسل ـ في عرصات القيامة: ((فو الذي نفس محمد بيده لو دخلوها كانت عليهم بردا وسلاما))(٢).

وفي تكرار صيغتي القسم تقارب معنوي إلا أن لكل منهما تفردها بلطائف دلالية تتناسب والسياق الواردة فيه ففي " قوله والذي نفس محمد بيده جاء لفظ نفس مضافا إلى الاسم الظاهر (محمد) لأنه أشد تحديدا لمدلوله في مقام الترهيب والمهابة في المواطن التي يرى فيها النبي ﷺ أنها بحاجة إلى هذا الترهيب، وقد استعملها في أكثر من موضع .... وقد يستعمل صيغة: والذي نفسي بيده أيضا كثيرا في كلامه وهي صيغة تحمل معنى الصيغة الأولى ولكنها تشير إلى أن النبي ﷺ يريد أن يقول: إني وأنا الرسول إليكم لا أملك أمر نفسي، فنفسي بيد خالقها يقلبها كيف يشاء، فأضاف استعمال الاسم الظاهر في الصيغة الأولى ما لا تحمله الصيغة الثانية من المبالغة والغضب " (٣).

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٣٣٤٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص١٢٣، رقم ٧٨
(٢) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده: ٢/ ٢٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٣
(٣) التكرار في الحديث النبوي الشريف، أميمة بدر الدين، ص: ٩١

وتكرر القسم كذلك بصيغ مترادفة في قوله تعالى في حديث الشفاعة: ((... وعزتي وجلالي وكبريائي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله))[1] وهو تكرار لتأكيد معنى المغفرة والرحمة الإلهية بالعباد المسلمين.

٣ . التحذير:

وقد ورد التكرار في الأحاديث القدسية بغرض التحذير كقوله ﷺ: ((إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأُتيَ به فعرَّفهُ نعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهدتُ، قال: كذبتَ ولكنك قاتلتَ لأن يقال جريءٌ فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلّمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبتَ ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، ولكنك فعلت ليقال هو جوادٌ فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه ثم أُلقي في النار))[2].

فتكررت في النص السابق جمل متماثلة في سياقات مختلفة، عملت على توحيد بناء النص وأثرت المعنى وعمقته في ذهن السامع والقارئ، وشددت على التحذير من الرياء بمختلف صوره وألوانه وأنذرت من عدم خلوص النية في الأعمال، والجمل المتكررة هي كالتالي:

. فأُتيَ به فعرَّفهُ نعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ (تكررت ثلاث مرات في النص)

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ١٤٥

(٢) صحيح مسلم: رقم ١٩٠٥ والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨، رقم٧

. فقد قيل، ثم أُمر به فيُسحب على وجهه حتى أُلقي في النار. (تكررت ثلاث مرات في النص) وهذا التكرار هدفه إبراز معاني التحذير والوعيد لسوء عاقبة المرائين وخسارة أعمالهم يوم القيامة.

ومنه ما ورد في تحذير المقنطِين من رحمة الله، يقول ﷺ: ((أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك))[1] فقد تكررت جملة (والله لا يغفر الله لفلان)، وجملة (أن لا أغفر لفلان)، وجملة (قد غفرت لفلان) وفي هذا التكرار تأكيد وتحذير من سوء عمل من يحكم على الناس من دون علم ببواطن نفوسهم ونياتهم، والغفران والمحاسبة على الأعمال هي أمور خاصة بالله لا يحق لبشري التعدي عليه، وفي هذا تحذير وبيان للويل وبئس المصير لمن قنّط الناس من رحمة الله وواسع غفرانه.

ويظهر معنى التحذير والتهويل في قوله ﷺ عندما طلبت منه قريش أن يجعل الصفا ذهبا شرطا ليؤمنوا، فدعا جبريل فقال: ((إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: بل باب التوبة والرحمة))[2] ويظهر التحذير والتهويل من العذاب لقريش على تماديها وبطشها في الضلالة بصيغ العذاب المتعاقبة في قوله (عذبته عذابا لا أعذبه) فكان للمفعول المطلق (عذابا) دور كبير في رفع حدة الزجر والتهويل وشموليته لكل أصناف العذاب، وفي صيغة النفي في قوله (لا أعذبه أحدا من العالمين) تحذير ووعيد يجعل المتلقي في تهيب من أن يقع عليه مثل هذا العذاب .

٤ . التهويل والتعظيم:

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٦٢١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٦، رقم٢١

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده: ١/ ٢٤٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ١٥٥

أغلب الأحاديث القدسية تركز على فكرة استمالة النفوس وترغيبها في التوبة، وتؤكد على واسع مغفرة الله وعظيم كرمه وعطائه، ولإبراز هذه الفكرة ظهر التهويل والوعيد في مواضع متفرقة لإظهار الوعد الحق المنشود والترغيب فيه، من ذلك قوله تعالى لملائكته وهو يسألهم عن عباده في مجالس الذكر: ((... فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا... قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة ... قال فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال يقول ملَك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى جليسهم))[1] فالتكرار بالترادف في قول الملائكة (لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا) وقولهم في أمر النار: (لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة) يمكّن الفكرة في نفوس المتلقين ويرسخها بالتكرار المترادف، ويربط النص برباط متداخل يحيل فيه التالي على السابق بالألفاظ والضمائر.

وقد سبق التطرق إلى هذا الحديث في الفصل الثاني من هذا البحث بذكره في مبحث الإحالة وأدوات الربط والاتساق، فهو يشتمل على أنواع الربط الإحالي بالضمير والربط بالأداة والربط بالحذف والتوازي التركيبي والنداء، وقد تنوعت فيه مستويات الخطاب فشملت كل المخاطبين، وجاء الخطاب فيه بشكل غير مباشر للمتلقين المعارضين أو غير المقبلين على مجالس الذكر لعدم معرفتهم بفضلها، والخطاب موجه فيه أيضا للمشتغلين بالدنيا عن الذكر ببيان واسع فضل الله ومغفرته، وموجه أيضا للمتعبدين بالبشرى بأن المغفرة قد شملتهم في الدنيا قبل الآخرة وشملت كل من جالسهم، بدليل حصول العبد الذي أشير إليه (بفلان) في قول أحد الملائكة

(١) صحيح البخاري، رقم ٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩، رقم ٣٤

مستدركا نزول الغفران على جميع الجلساء بقوله (فيهم فلان ليس منهم) ورد الله بشموله معهم في المغفرة بقوله تعالى (هم الجلساء لا يشقى جليسهم).

ويظهر في الأحاديث القدسية تكرار موضوعات معينة للتوضيح والتفصيل والإفهام والإقناع، ومن أهم الموضوعات التي تكرر عرضها في الأحاديث القدسية بأساليب لفظية مختلفة وصور متنوعة، موضوع (المغفرة) الذي يشكل بؤرة النصوص ومنبعها فنجد أحاديث كثيرة تصب فيه بشخوص مختلفة وأساليب سردية متنوعة وأحداث متجددة، تبدأ بحديث المتقرب إلى الله بالحسنات وبالتوبة وبالاستغفار وقبول الله ذلك منه وفرحه بعودة عبده المنيب، يقول تعالى في ذلك: ((ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة))[1]، ومنه حديث البطاقة ومغفرة الله لعبده الموحد بلا إله إلا الله بيقين خالص صادق أمام السجلات التي بمد البصر في قوله ﷺ: ((.... فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء)) [2].

ومن مواضيع المغفرة حديث الذي قتل تسعة وتسعين نفسا ثم غفر الله له لصدق توبته وقبول الله ذلك منه، في قوله ﷺ ((كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا .... فغُفر له))[3]. وقوله ﷺ في الحديث السابق في فضل مجالس الذكر: ((قال فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم))[4] فكانت المغفرة للعباد الذاكرين وامتدت لتشمل العبد الذي مرّ بهم لحاجة فمكث فيهم، لتبقى المغفرة الإلهية عامة سارية بلطفه لجميع عباده.

ويدخل في التكرار تكرار الأحداث والقصص في الأحاديث القدسية كقصة آخر أهل النار دخولا الجنة التي وردت في حديث سؤال موسى عليه السلام ربه عن أدنى أهل الجنة منزلة،

---

(١) صحيح مسلم : رقم ٢٦٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٠، رقم ١٥

(٢) حديث صحيح أخرجه الترمذي: رقم ٢٦٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٣، رقم ١٨

(٣) صحيح البخاري: رقم ٣٤٧٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٧، رقم ٢٢

(٤) صحيح البخاري: رقم٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩، رقم ٣٤

يقول ﷺ: ((هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة فيقول: أي ربِّ كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ ...))[1] وتكررت قصة هذا الرجل في مطلع حديث آخر في قوله ﷺ: ((إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا، رجل يخرج من النار حبوا. فيقول الله: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا ربِّ وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة ...))[2] كما تكررت قصته في نهاية حديث عبور الصراط، في قوله ﷺ: ((ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنة ...))[3].

وتكررت كذلك في حديث آخر بتفصيل أكثر في عرض أحداثها، يقول ﷺ: ((آخر من يدخل الجنة رجلٌ فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسعفه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منكِ لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين. فتُرفع له شجرة فيقول: أي ربِّ أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتُكها سألتني غيرها فيقول: لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذِرُهُ لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيُدنيه منها فيستظل بظلها ويشربُ من مائها ثم تُرفع له شجرةٌ هي أحسن من الأولى فيقول: أي ربِّ أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتُك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره ....))[4].

---

(١) صحيح مسلم: رقم ١٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٦، رقم ٦٠

(٢) صحيح البخاري: رقم ٦٥٧١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٧، رقم ٦١

(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٩، رقم ٦٣

(٤) صحيح مسلم: رقم١٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٨، رقم ٦٢

كما وردت في الأحاديث القدسية بعض الأحداث والأفعال المتكررة، من ذلك أمر (إخراج أهل التوحيد من النار) الذي تكرر في أكثر من حديث ولكن في سياقات مختلفة وبأغراض متنوعة، يقول ﷺ: ((ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار، قال: يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار، قال: فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم، قال: فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ومنهم ....))[1] وتكرر الأمر نفسه في قوله ﷺ: ((يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا...))[2].

والأحداث نفسها تتكرر في حديث رؤية المؤمنين ربهم يقول ﷺ: ((وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا....)) [3].

وتكررت كذلك في الأحاديث القدسية بعض الأوصاف كوصف الصراط في حديث آخر أهل الجنة دخولا بها، وحديث رؤية المؤمنين ربهم في قوله ﷺ: ((ويضرب السراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم

---

(١) حديث صحيح أخرجه النسائي: ٨/ ١١٢ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣١، رقم ١٦

(٢) صحيح البخاري: رقم٢٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٢، رقم ١٧

(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٥، رقم ٨٨

سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظَمها إلا الله تخطف النار بأعمالهم فمنهم الموبَق بقَى بعمله، ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه ...))[1]، وقوله ﷺ: ((... ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا يارسول الله، وما الجسر؟ قال: مدحَضَةٌ مَزِلةٌ عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مُفلطَحة لها شوكة عُقيفاء تكون بنجدٍ يُقال لها السعدان، والمؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والرِّكاب فناج مُسَلَّم وناج مخدوش ومكدوس[2] في نار جهنم ...)) [3].

وبذلك تدور بالتكرار مواضيع الأحاديث القدسية في دائرة محكمة تتسع وتضيق بحسب الفكرة المراد تأصيلها وتثبيت جذورها في نفس المتلقين، ليصبح التكرار أداة للنسج النصي في ظاهر النص وفي عميق بنيته، ويصبح التكرار رابطا من الروابط النصية التي تشد عرى النص وتحكم فتل خيوطه.

وتتعدد مستويات الخطاب وتتنوع صور الخطاب أمام المخاطبين المتلقين للحديث القدسي وذلك لتنوعهم واختلاف قدراتهم وثقافاتهم وتهيُّئهم النفسي وقبولهم الوجداني لما يستمعون إليه،

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٩، رقم ٦٣

(٢) مدحضة: من دحضت رجله دحضا زلقت. مُزِلّة: من زلت الأقدام سقطت. والكلاليب: جمع كلوب بفتح الكاف وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق عليها اللحم. وخطاطيف: جمع خطاف بالضم وهو الحديدة المعوجة كالكلوب يختطف بها الشيء. وحسكة: بفتحات وهي شوكة صلبة معروفة والحسك نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم، وربما اتخذ مثله من حديد وهو من آلات الحرب. مفلطحة: أي عريضة. عقيفاء: معوجة. (ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود أحمد العيني: جـ٢٠/ ص٣٢٠) والسعدان: جمع سعدانة وهو نبات ذو شوك شوكته من جميع الجوانب يضرب به المثل في طيب مرعاه، قالوا: مرعى ولا كالسعدان . (ينظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: كتاب الرقاق:جـ١١،ص٤٥٣). وقوله (موبق بقى بعمله) أي بقي على الصراط بعمله الصالح فلم يسقط في جهنم، والمخردل: المقطع، تقطعه كلاليب الصراط حتى يهوي في النار. فناج مسلم،أي سَلِمَ، والمخدوش من أصابه خدش، والمكدوس: المتراكم فوق بعضه. (ينظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: كتاب الرقاق:جـ١١،ص٤٥٤)

(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٤، رقم ٨٨

فمنهم الصالح والفاسد والمتردد، والضال، وطالب الهداية، وصاحب النفس الهينة المطواعة للخير، ولذلك تكررت المواضيع واختلفت الصياغات وتنوعت الشخوص والأدوار المطروحة لتتناسب والمقاييس المختلفة للمتلقين.

فنجد في موضوع المغفرة نماذج بشرية عديدة تُجسده وتمثله لتؤكد فكرة (المغفرة) ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ: ((أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان: وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك))[1] والتنكير في كلمة (رجلا) وكلمة (فلان) جعل الخطاب عاما مستغرقا جميع الشخوص والأفراد في موقفين متناظرين بين موقف العبد الصالح والعبد الضال، وكيفية محاسبة الله للناس وقبول الأعمال بالنيات، وتنحدر من صلب فكرة هذا الحديث فروع بنماذج بشرية متعددة كقاتل التسعة والتسعين، وصاحب السجلات التسعة والتسعين مع البطاقة، ولعل في تكرار هذا الرقم (التسعة والتسعون) إشاعة للتهويل والتعظيم من ظلم العباد لأنفسهم ومغفرة الله لهم وتكرمه وامتنانه عليهم، وفي هذه الأحاديث تتجلى معاني الربوبية والقداسة المرتبطة بالإله الواحد الأحد العدل الذي لا رب سواه قادر على الحكم بين العباد.

كما يظهر في الأحاديث القدسية تكرار لبعض الأرقام كالرقم (ثلاثة) بهدف التأكيد على رحمة الله بعباده رغم ظلمهم لأنفسهم وتفضله عليهم بالمغفرة والرضوان، من ذلك قوله ﷺ: ((إن عبدا أصاب ذنبا ـ وربما قال أذنب ذنبا ـ فقال رب أذنبت ذنبا ـ وربما قال أصبت ـ فاغفر، فقال ربه: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبا أو أذنب ذنبا ـ فقال: رب أذنبتُ ـ أو أصبتُ ـ آخر فاغفره، فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا ـ وربما قال أصاب ذنبا ـ فقال رب أصبتُ ـ أو أذنبتُ ـ آخر فاغفره لي فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٦٢١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٦، رقم ٢١

الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء))[1] ففي قوله (غفرت لعبدي ثلاثا فليفعل ما شاء) تكرار للتأكيد على مطلق مغفرته لعبده المداوم على التوبة والاستغفار والإنابة، ومثله في تكرار الرقم (ثلاثة) قوله تعالى للشهداء: ((... هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ...))[2] وفي هذا التكرار الرقمي تأكيد للكرم الإلهي وبيان لعظيم مكانة الشهداء عند الله تعالى.

وقد تتكرر كلمات بعينها ثلاث مرات متتالية بصيغة واحدة للتأكيد والتهويل، مثاله قول النار (قط قط قط) في الحديث الذي رواه النبي ﷺ: ((... فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجلَه فتقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويُزوى بعضها إلى بعض)) [3].

ويبقى الغرض الديني الإرشادي هو الذي يحكم التكرار في نصوص الأحاديث القدسية، وهو تكرار تأصل بنوعيه اللفظي والمعنوي في نصوص الأحاديث القدسية " ومثل هذا التكرار من شأنه أن يجعل الحركة بكليتها أشبه ما تكون بدائرة كبيرة نقطة البداية والنهاية فيها واحدة، والمتأمل في هذه البنية التكرارية يلحظ أنها تعتمد على تحويل الشكل التعبيري إلى بنية مغلقة، بدايتها تلتحم بنهايتها، ومن ثمة نقول على النص أنه قد حقق معنى التماسك بمفهومه الشكلي " [4].

والتكرار في الأحاديث القدسية في كل مرة ورد فيها لبس أسلوبا جديدا واكتسب معنى إضافيا، وأُخرج بإخراج جديد يتناسب والسياق الوارد فيه، مما أكسب كل نص مزية وتميزا، لكونه تكرارا مندمجا في نسيج النص العام، لا يشعر فيه القارئ بثقل التكرار، ولا يحس معه المتلقي بالملل ولا يتشتت به ذهنه، فيكون تحت تأثير قداسة أسلوبية وقداسة فكرية ترتقي بأسلوبها الفني المتماسك فوق مستوى العباد.

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٣، رقم ٣٨

(٢) صحيح مسلم: رقم ١٨٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٠٣، رقم ٦٥

(٣) صحيح البخاري: رقم ٤٨٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٩

(٤) عبدالمالك العايب، أثر الربط المعجمي في اتساق النص القرآني: ص٨٣ ـ ٨٤

٢. التضام:

التضام هو العنصر الثاني من عناصر الاتساق المعجمي، وهو من عناصر التماسك النصي وأداة من أدوات اتساقه يربط بين جمل النص دون وصل أو إحالة، بواسطة العلاقات المعجمية القائمة بين مفردات النص والوحدات اللغوية المكونة له، والتضام " علاقة تتم عبر توارد زوج من الكلمات ترتبط بعلاقة معجمية كالطباق، والجزئية والكلية، والعموم، والخصوص، والترتيب والمجاوزة وغيرها من العلاقات التي يمكن تحديدها من خلال قراءة النص قراءة واعية متأنية في مفرداته ووحداته وجمله " (١).

والتضام من الظواهر الخطابية ذات القيمة الإبلاغية، والمرتبط باستمرارية النص، إذ يحتوي على علاقات رابطة بين الجمل والعبارات تحتاج من القارئ إلى تفسيرها وتأويلها وربطها دلاليا بالمعنى العام للنص، وهو من وسائل توسع النصوص. وقد أدرج العلماء القدماء (التضام) ضمن باب علم البديع وبينوا دوره في تحسين الكلام ووظيفته في الجمع بين شيئين أو أشياء في النص أو الخطاب(٢). فما هو التضام، وما هي أنواعه؟ وما دوره في تحقيق الاتساق المعجمي في الأحاديث القدسية؟

التضام لغة هو الضم، يقول ابن منظور: " يقال ضم الشيء لشيء: أي جمعه، وقيل انضم وتضام ومنه ضممت هذا إلى هذا فهو ضام ومضموم، وضام الشيء: انضم معه"(٣)، وبهذا يكون التضام لغة بمعنى الاجتماع أو وصل الشيء بالشيء وضمه إليه، وهي معانٍ قريبة من دلالة الترابط والتماسك بين الشيئين، وقريبة من معناه الاصطلاحي اللساني الحديث الذي هو:" توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك"(٤).

---

(١) إسهام التضاد في تماسك النص الشعري القديم، صالح حوحو، ص: ٢٢٠
(٢) ينظر: لسانيات النص ـ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي: ص١٣٠
(٣) لسان العرب: مادة ضمم
(٤) لسانيات النص، محمد خطابي: ص٢٥

وشكل التضام ترابطا أفقيا بين كلمات النص، تترابط به مع بعضها بعلاقات نسقية محددة قابلة للتحليل، وهذه العلاقات توفر الاستمرار للنص، كعلاقة التضاد، وعلاقة التجاور، وعلاقة الكل بالجزء، التي يقوم المتلقي بفهمها وتأويلها بناء على معطيات السياق وبناء على حدسه اللغوي ومهاراته الاستيعابية، وللتضام دور كبير في إحداث النصية والاتساق بين المفردات، فهو:" توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة، فالعلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج في خطاب ما، هي علاقة التعارض من مثل: ولد، بنت، جلس، وقف، فلفظ الولد والبنت قد يردان في نص لا يعود فيه عليهما عنصر إحالي موحد ولكنهما يسهمان في النصية [(١)].

وأطلق بعض الباحثين على التضام اسما آخر هو (المصاحبة المعجمية)، يقول الأستاذ أسامة عبدالعزيز جاب الله:" المصاحبة المعجمية ويراد بها العلاقات القائمة بين الألفاظ في اللغة مثل علاقة التضاد وعلاقة التقابل وعلاقة الجزء بالكل وعلاقة الجزء بالجزء مما يشيع في اللغة "[(٢)].

وقد وجد (التضام) في الدرس اللغوي العربي القديم ـ وإن لم يصطلح عليه كعلم مستقل ـ تطرقت له كتب البلاغة تحت اسم (الائتلاف في المعنى) أو (مراعاة النظير) وتناوله البلاغيون بإفراط تحت علم البديع في باب التقابل والطباق والتضاد، إلا أنهم لم يتناولوه كأداة اتساق نصي تسهم في ترابط النص وتماسكه اللفظي والمعنوي، وإنما درسوه على مستوى الجملة وأثره في بيان معناها، وكان لعبدالقاهر الجرجاني في نظريته النظم، دور كبير في عرض التضام وتعالق الألفاظ بالمعاني وقبولها الارتباط ببعض.

(١) أثر عناصر الاتساق في تماسك النص، محمود سليمان الهوواشة: ص٩٤
(٢) ينظر: من مصطلحات اللسانيات النصية، مقاربة تحليلية ـ مقالة، أسامة عبدالعزيز جاب الله،: ص٧٥

والتضام بشكل عام يمكن فهمه من خلال وجهين هما:

أ ـ الوجه الأول: هو الطرق الممكنة في رصف جملة ما، فتختلف الطرق فيما بينها بالتقديم والتأخير أو بالفصل والوصل، ويمكن أن يُطلق على هذا الفرع من التضام اصطلاح (التوارد)، وهو بهذا المعنى أقرب إلى اهتمام دراسة الأساليب التركيبية البلاغية الجمالية منه إلى دراسة العلاقات النحوية اللفظية.

ب ـ الوجه الثاني: أن المقصود بالتضام أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصرا آخر، فيصطلح عليه (التلازم)، أو يتنافى معه فلا يلتقي به فيسمى (التنافي)، وعندما يستلزم أحد العنصرين الآخر فإن هذا الآخر قد يدل عليه بمعنى وجودي على سبيل الذكر أو يدل عليه بمبنى عدمي على سبيل التقدير بسبب الاستتار أو الحذف (١).

ويعرف الدكتور تمام حسان هذه العلاقات الثلاث للتضام على النحو التالي:

ـ التلازم: هو أن يستلزم أحد العنصرين التحليلين النحويين عنصرا آخر، وأهم نماذجه الاختصاص، وتلازم الصفة والمعطوف والمعطوف عليه.

ـ التنافي: هو أن يتنافى أحد العنصرين مع الآخر فلا يلتقي به.

ـ التوارد: هو الطرق الممكنة في رصد جملة ما فتختلف طريقة منها عن الآخر تقديما وتأخيرا وفصلا ووصلا (٢).

فالاتساق بواسطة التضام يتم عبر توارد الكلمات بعلاقات معجمية كالطباق والمقابلة والجزئية والكلية والعام والخاص، وأهم علاقات التضام التي أولتها بالاهتمام كتب اللغة الحديث، هي علاقة التقابل والتضاد وعلاقة الارتباط بموضوع معين (٣).

---

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان: ص٢١٦ ـ ٢١٧
(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: ص ١٢٧
(٣) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد: ص١٠٩

أنواع التضام:

للتضام نوعان على حسب تقسيم الدكتورة (عزة شبل) هما التقابل، وارتباط الكلمات بموضوع النص(١)، وسيركز هذا البحث على دراسة (التقابل) فقط كأداة ربط معجمي في نصوص الأحاديث القدسية.

التقابل:

التقابل يرد في المعاجم العربية باسم الطباق، وهو: الجمع بين الشيئين، يقولون طابق فلان بين ثوبين، ثم استُعمل في غير ذلك، فقيل: طابق البعير في سيره إذا وضع رجله في موضع يده، وكل فقرة من فقر الظهر والعنق طبق، وذلك أن بعضها منضود على بعض (٢). فالطباق هو الجمع بين الشيئين على وجه المساواة والتطابق، ويسميه بعض البلاغيين (المقابلة) كما ذهب إلى ذلك العلوي في الطراز (٣).

واصطلاحا: التقابل هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام من خلال لفظين متضادين، أو عبارتين متقابلتين، وقد ورد التضاد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ* وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ* وما يَسْتَوِيْ الأَحْيَاءُ ولا الأَمْوَات﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ* وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾(٥)، وقال العسكري في كتابه الصناعتين: " قد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هو الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة، أو الخطبة، أو البيت من أبيات القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل

(١) ينظر- علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد: ص١٥٧
(٢) ينظر: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري: ص٣٣٩ - ٣٤٠
(٣) ينظر: الطراز، العلوي: ص ١٣٠
(٤) سورة فاطر: ١٩ - ٢٢
(٥) سورة النجم:٤٣- ٤٤

والنهار ... الخ" [1]. والتضام عند علماء البديع هو الجمع بين لفظين متضادين في المعنى، ويسمون ذلك (الطباق) أو (المقابلة) كما هو بين لفظي الفرح والحزن، وقوله تعالى ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [2].

والتقابل أو الطباق هو من أدوات الربط وتطويل النص " ويتحقق الربط في النص بواسطة التقابل من خلال توقع القارئ للفظة المقابلة، فيفاجئه أسلوب القرآن بالإبحار داخل النص، من خلال سلاسل مترابطة من الوحدات التي تخلق الاتساق في النص، وهذا غير محدود بأزواج الألفاظ في جمل متاخمة، ولكنه يحدث في سلاسل مترابطة طويلة قد تقع داخل حدود الجملة، أو خارج حدودها في جمل أخرى " [3].

وفي الأحاديث القدسية ورد التقابل بين الألفاظ وبين التراكيب والعبارات اللغوية، وكان له دور في الاتساق والترابط النصي، وجعل المتلقي في اتصال تام بمعنى الحديث لا ينقطع عنه ولا ينفصل، وذلك بفعل تكاتف الروابط المعجمية من تضام وتكرار مع الروابط النحوية والإحالية التي توضح المعنى وتبسطه في الأذهان.

والتقابل ييسر الإفهام ويرفع المعنى جليا مجسدا للعيان، بفعل الجمع بين الأضداد لتبدوا في صورة واحدة في سياق متسق. فالمقابلات المذكورة في الأحاديث تجمع بينها وحدة السياق والموضوع لأداء وظيفة نحوية متمثلة في الإخبار والوصف والسرد، فتعمل على ربط الوحدات المفصلية مع بعضها البعض في بنية النص بواسطة الروابط المتنوعة [4]، مما يؤدي إلى تعالق معاني الألفاظ والجمع بينها، وتماسك جمل النص المتعاقبة بالتقابلات والربط بينها، ويبين الباحث عبدالمالك العايب أثر التقابل في ترسيخ المعنى في ذهن المتلقي بقوله: " وبهذه الجمل المتقابلة ... يظهر النص كعلاقة لغوية كبرى تختزن فيها مجموعة من الألفاظ المتضادة، كل مفردة منها

---

(١) ص:٣٣٩
(٢) سورة التوبة: ٨٢
(٣) أثر الربط المعجمي في اتساق النص القرآني، عبد المالك العايب: ص١٠٨ ـ١٠٩
(٤) ينظر: المرجع السابق: ١١٢

تحمل دلالة موازية للأخرى في علاقة متسقة، يُساهم السياق في فهمها، لتصل كما هو معروف في عملية التبليغ معكوسة إلى المتلقي حيث تنتهي إلى ذهنه، يفككها إلى حلقات ذات معان جزئية، حيث يُفهم اللفظ بضده، وفي الأخير يمكن أن يتحول هو أيضا إلى مُبلِّغ أو باثٍ لهذه الرسالة التي رُسخت عنده في صور متعالقة" (١).

ويظهر التقابل اللفظي في الأحاديث القدسية في أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: ((قال الله عز وجل: سبقت رحمتي غضبي))(٢) فالطباق بين لفظي (رحمتي وغضبي) وفيه تجسيد للرحمة الإلهية وسبق لطفه تعالى بالعباد، ومنه أيضا قوله ﷺ: ((أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطتُ عملك))(٣) فبين كلمتي (لا يغفر) و (غفرت) طباق سلب يظهر المعنى ويؤكده بالتضاد، وحرف التأكيد (قد) جاء مؤكدا للفعل (غفرتُ) للتأكيد على اختصاص الله تعالى بالغفران وقبول أعمال العباد. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: ((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ...)) (٤).

ومنه قوله ﷺ: ((قال رجل لم يعمل خيرا قط إذا مات فحرقوه واذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قَدَرَ الله عليه ليعذِّبنه عذابا لا يعذِّبه أحدا من العالمين فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلتَ ؟ قال: من خشيتك وأنت أعلمُ فغفَر له))(٥). وفي هذا الحديث يظهر التقابل بين لفظي (البر والبحر) ولفظي (اذروا وجمع) وهو تقابل بين الأمكنة والأفعال والأحداث غرضه إبراز معاني القدرة الإلهية، فلو كان هذا العبد في بر أو بحر فهو مبعوث ومحاسب والأمران سيان، وإن ذروه أو نثروه أو مزقوه فهو مجموع ماثل

(١) أثر الربط المعجمي في اتساق النص القرآني، عبد المالك العايب : ص ٨٣
(٢) صحيح مسلم: رقم ٢١٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٤
(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٦٢١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٦
(٤) حديث صحيح أخرجه ابن حيان: رقم ٢٤٩٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٤١
(٥) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٤٣

أمام الله. وبهذا تبقى المغفرة الإلهي مركز التقاء المفارقات والمقابلات، وتظهر جلية في قوله (فغفر له) الذي ينتهي نص الحديث بها ليبقى صداها عالقا في النفس.

وقد وردت هذه المقابلات في سياق شمل المعنى وعم مستويات الخطاب كلها، ليزداد الموحد إيمانا بالله ويدرك فضله عليه بالهداية والغفران، ويتنبه الضال لنفسه ويعللها بالأمل بالوعد والمغفرة، فيهتدي لطريق الصلاح والرشاد. أما المشرك فيرى في طاعة البر والبحر وانقيادهما وخضوعهما لرب العالمين نموذجا هو منه أولى بالتوحيد وعبادة الرحمن، وبهذا كان لعلاقة التعارض بين مفردات النص دور الاتساق والربط وشد عرى النص نحو مركز واحد هو الوعد بالغفران والدعوة لسلوك طريق الرضوان.

ومن متقابلات الأحاديث القدسية قوله ﷺ: ((قال الله تعالى يا ابن آدم قم إليّ أمش إليك وامش إليّ أهرول إليك))[1] فالتقابل بين (قم ـ وأمش) وبين (امش إلي ـ وأهرول إليك) فالقيام بالوقوف والثبات وعكسه المشي والحركة والإقبال، والمشي الهادئ هو عكس الهرولة المسرعة، وبهذا يبث النص بالمتقابلات التشويق والحماس للمسارعة في التوبة والإنابة إلى الله، وتبرز معاني الربوبية بالرحمة والمغفرة للعباد.

ومن ذلك قوله ﷺ في الحض على الجهاد وبذل النفس في سبيل الله: ((انتدب الله لمن خرج في سبيله ـ لا يُخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي ـ أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدتُ خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل))[2] فالتقابل اللفظي ورد في هذا الحديث بين لفظي (خرج ـ أدخله) (أُقتل ـ أحيا) للدلالة على عظم الشهادة وفضلها، وهذا الحديث سبق التطرق إليه في الربط المعجمي بالتكرار والربط النحوي بالإحالة وأدوات الربط والعطف.

---

(١) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده: ٤٧٨/٣ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٨، رقم ٣٢

(٢) صحيح البخاري: رقم: ٣٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٠٧

ويظهر التقابل الجملي أيضا في قوله ﷺ: ((قال الله: إذا أحب عبدي لقائي أحببتُ لقاءه، وإذا كره لقائي كرهتُ لقاءه))[1]، فالجملتان المكونتان للنص متقابلتان في المعنى ومرتبطتان بشكل متوازٍ في التركيب النحوي.

والأحاديث القدسية تركز في مفارقاتها على حال أهل الجنة وحال أهل النار، يقول ﷺ: ((يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ...))[2] ويقول ﷺ في محاسبة العباد يوم القيامة: ((إن الله يُدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرفُ ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي ربِّ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هالك قال: سترتُها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيُعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين))[3] فالتقابل يظهر بين حال المؤمن الذي ستر الله عليه وقت الحساب وحال الكافر الذي طُرد باللعن من رحمة الله في قوله (سترتها عليه، وأغفرها لك) وبين قوله (ألا لعنة الله على الظالمين)، ومنه قوله ﷺ في آخر أهل النار خروجا منها: ((إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل الجنة دخولا الجنة يُؤتى برجل فيقول: سلوا عن صغار ذنوبه واخبئوا كبارها ...)) [4].

ويظهر التقابل جليا واضحا في حديث الاحتضار وخروج الروح وبيان حال المسلم والكافر عند ذلك، يقول ﷺ: ((إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدّ البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥٤٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٦

(٢) صحيح البخاري: رقم ٢٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٢

(٣) صحيح البخاري: رقم ٢٤٤١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٤

(٤) حديث صحيح أخرجه الترمذي: رقم ٢٥٩٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٠١

تسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسكٍ وُجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك ؟ فيقول: ربي الله . فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسنُ الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت فوجهك الوَجْهُ يجئ بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مدّ البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث، فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[1] فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[2] فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت فوجهك الوَجْهُ يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: ربّ لا تقم الساعة)) [3].

وهذا الحديث طويل لكثرة تفاصيله وأهميتها في نقل خبايا وأسرار العالم السرمدي، الذي يجهل الإنسان تفاصيل ما يجري فيه، فينسج التقابل صورتين متكاملين، ومشهدين مفصلين، يبدآن بالاحتضار فخروج الروح حتى استقرارها في عالم البرزخ بانتظار قيام الساعة، تبدأ بعبارات متقابلة مرتبطة بالتوازي التركيبي في قوله:

(إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة).

(وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة).

ولعل تطابق المنطلقين للأحداث شكل عتبات متماثلة أسهمت في تقوية التماسك النصي بين جمل النص بعلاقات التقابل والتكرار، كما ظهرت في النص الشخصيات الفاعلة المحركة للأحداث (المؤمن والكافر) وهما لفظان متضادان.

---

(١) سورة الأعراف: ٤٠
(٢) سورة الحج: ٣١
(٣) حديث صحيح رواه الإمام أحمد: ٤/ ٢٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٥. ١١٦

ثم يبدأ التقابل في وصف ساعة الاحتضار بين المؤمن والكافر، بظهور الملائكة (بيض الوجوه) للمؤمن، و(سود الوجوه) للكافر، في قوله:

المؤمن: (نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس)

والكافر: (نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه)

ويظهر التقابل بين (بيض وسود) ليبين المعنى الذي ينسج على مستويات متعددة، فيبشر المؤمن بالأمن والأمان، ويهدد الكافر بسوء المآل، وينذر الضال المتردد بين الخير والشر، ويبصر الكافر بالعالم الآخر. ثم تستمر العبارات في بيان تفاصيل أدوار الملائكة في الاحتضار وهو من الغيبيات التي تجزع لها النفس وفي الوقت نفسه تهفو لمعرفتها ومعرفة تفاصيلها. وتستمر الجمل المتقابلة في بيان حال المؤمن والكافر ساعة الاحتضار فملائكة المؤمن (معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة) .

وملائكة الكافر (معهم المسوح).

وبالفرق الأكفان وفرق الحنوط، ثم يأتي دور (ملك الموت) مع كلا المشهدين، فمع المؤمن يقول: (أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان) .

ومع الكافر، يقول: (أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب).

وفرق بين (الطمأنينة والمغفرة والأمان) و(الخبث والسخط والغضب) وهو تقابل جملي يضع القارئ في موقف الاختيار، في أي الفريق أولى بالانضمام إليه، وهذه الطريقة هي من أساليب الحوار والإقناع في الحديث القدسي، فلا أوامر مباشرة يتلقاها المستمع وإنما هو حديث هادئ منطقي يفتح الموازنة أمام العقل والوجدان ليختار طريقه في الحياة ويحدد مقعده من الآخرة.

وفي موقف خروج الروح من الجسد تتعاضد المقابلات لتدعيم الوصف وبيانه، ففي وصف خروج روح المؤمن، يقول ﷺ: (تخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيّ السقاء فيأخذها فإذا

أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض).

أما روح الكافر فتخرج (فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض). ويظهر بالتقابل عظم الفرق بين الحالين، (فخروج الروح تسيل في رقة كقطرة من فيّ السقاء) فيه من الأريحية والسلاسة والرقة الكثير، وهو حال العبد المؤمن المتعبد الصابر في حياته الدنيا يكرمه الله على حسن عبادته وامتثاله لأمر مولاه، وأما الكافر والضال والعربيد الذي اتخذ الدنيا لعبا ولهوا، وصدا عن حدود الله وشرعه فروحه تخرج (ينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول) ويا لشدة الألم الذي يشيع من لفظ (ينتزعها) وما فيه من غلظة وقوة تمزق النفس، وهو يتقابل مع لفظ (تخرج تسيل) في وصف خروج روح المسلم وما فيه من انقياد وطواعية وفرحة بالخروج للقاء المولى والبهجة في جنانه. بعكس نفس الكافر التي ترفض الخروج خائفة تساق إلى الموت سوقا.

ويصف المشهد دقة التفاصيل حتى أنه يتطرق لوصف الروائح التي تلف الموقف لنقل الحدث بكل ملابساته وحيثياته، فالروح خرجت وبقيت بين يدي الملائكة، تفوح منها رائحة والمسك والطيب من المؤمن، وتفوح منها رائحة الجيف النتنة من الكافر. وفرق بين الرائحتين عظيم لا تقدره الكلمات والتشبيهات، ثم تنتقل الروح مع الملائكة إلى السماء، فيفتح لروح المؤمن أبواب السماوات ويُنادى بأحب الأسماء إليه ويشيعه الملأ الأعلى في كل سماء ويصل مزفوفا إلى السماء السابعة، أما الكافر فلا تفتح له أبواب السماء الدنيا وترجع روحه وتطرح طرحا من السماء إلى الأرض السفلى. والمشهدان يقومان على التقابل بين الألفاظ ومعاني الجمل، ويرسمان معان دقيقة لا تسعف ريشة الرسام على تتبع تفاصيلها وتقريبها.

ويستمر التقابل في حديث نزع الروح بين حال المؤمن والكافر وصولا إلى عودة الروح إلى القبر، فتتناظر الجمل والعبارات لتميز الفرق بين الحالين، يقول ﷺ في حال المؤمن في قبره:

((... فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسنُ الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجئ بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح)) أما الكافر بعد أن يتلعثم في إجاباته فلا يعرف من ربه ولا دينه ولا رسوله، فيقول: ((هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: ربّ لا تقم الساعة)) (١).

والتقابل واضح بين الأسباب ونتائجها وهو من التقابل الذي يؤدي إلى الحجاج المنطقي بهدف إقناع المخاطب واستمالة عقله، فحال المؤمن في قبره جزاء لإيمانه وتصديقه يتمثل في قوله (فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة) وحال الكفر جزاء لتكذيبه وصده عن دين الله وكفره يتمثل في قوله: (فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه) وفرق بين حال الناجح الذي يجتاز الامتحان والأسئلة البرزخية بثبات ويقين راسخ متأصل في الدنيا بالتوحيد والعبادة والسعي للخير، وبين الفاسد الخاسر المتلعثم الذي حبط صنيعه وهو في الآخرة من الأخسرين، فالأول يبشر بالخير الدائم والآخر يبشر بالخسران الدائم ويالها من نهاية لا يظلم الله فيها أحدا وهو أحكم الحاكمين، ويظهر ذلك في قوله (ويأتيه رجل حسن الوجه حسنُ الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجئ بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح) أما الكافر: (يأتيه

---

(١) حديث صحيح رواه الإمام أحمد: ٤/ ٢٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٥. ١١٦

رجل قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث) .

وبهذا الأسلوب التقابلي المتضاد يسعى الحديث القدسي إلى تحقيق دلالاته الإبلاغية المؤثرة في المتلقي، فالتقابل الحاصل عن طريق عرض الطرفين بشكل عكسي الألفاظ يضمن إيصال المعنى المقصود للمتلقي على نحو أشد وقعا وأكثر عمقا في النفس، لما فيه من الإبدال التهكمي وما للوصف فيه من أهمية في نقل المتلقي إلى قلب الحدث بظواهره وتفاصيل أحداثه(١).

وفي هذا الحديث اعتمد التضام على عرض صورتين متقابلتين بهدف " خلق إنسان واع بمسئوليته في تحديد مصيره، وأنه ليس بمقيد أن يكون ضالا أو مهتديا، بل هو على حرية في تحديد موقفه"(٢) فما يزال المستمع يتنقل ببصره في النص بين حال النعيم والشقاء في حال المحتضر المؤمن المنعم وحال احتضار الكافر في عذاب وشقاء، حتى يصل إلى نهاية النص، ويقف على ناصية نفسه ليختار ما تمليه عليه في أي الفريقين أحق أن يكون.

وبهذا يعتمد التضام في الأحاديث القدسية على مفهوم الوعظ والترغيب والترهيب، وإن كان الوعظ والترغيب أكثر وزنا وأثقل كفة في الأحاديث القدسية من الترهيب والوعيد، لارتباطها بمفهوم (المغفرة) الذي ترتكز عليه أغلب نصوص الأحاديث القدسية.

فيلخص أسلوب الأحاديث القدسية ذكر العذاب والنار ويعرضه مكثفا مجملا، في الوقت الذي يفصل فيه ذكر النعيم وحسن الجزاء والغفران للاستطالة والاتساع في الكلام، بعرض أبواب المغفرة والرضوان، وترجيح كفة الرحمة على كفة العذاب، وذلك تطييبا للقلوب وبهجة للنفوس، وتشويقا للروح والفؤاد. بعرض صور الغفران وكرم الله في قبول استغفار العباد، وفيه بيان للطفه فهو رب العباد والمتكفل والمتبصر بهم، وهذا يتنافى مع ظلم الإنسان لنفسه بكفره وعبادة غيره، وكلا الموقفين متناقضين متضادين ويمثلهما حديث البطاقة الذي يتجسد فيه العبد

---

(١) ينظر: أثر الربط المعجمي في اتساق النص القرآني، عبد المالك العايب: ص١١٩
(٢) المرجع السابق: ص١٢١

الظالم لنفسه المقر بذنوبه أمام عدل الله وكرمه وغفرانه في قوله (فاليوم لا تُظلم) وفي هذا الغفران الإلهي تداخل مع موضوع إثبات صفة (الرحمن) وتوحيده بالعبادة وفق نمط حجاجي يقوم على الإقناع، ليكون استنباط المتلقي قائما على اختياره واقتناعه بلطف الله تعالى ورعايته لعباده، وفيه دلالة نفسية يُحس بها القارئ قداسة الخالق وترفعه عن عقاب عباده وأخذهم بزلاتهم، فهو أعظم من أن يعذبهم بما كسبوا وألطف بهم من أنفسهم.

وفي قوله ﷺ في ذكر فضل يوم الجمعة، يقول ﷺ: ((أتاني جبريل بمثل هذه المرآة البيضاء فيها نكتة سوداء قلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الجمعة جعلها الله عيدا لك ولأمتك فأنتم قبل اليهود والنصارى، فيها ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه. قال: قلت: ما هذه النكتة السوداء؟ قال: هذا يوم القيامة تقوم في يوم الجمعة ونحن ندعوه عندنا (المزيد) قال: قلت: ما يوم المزيد ؟ قال: إن الله جعل في الجنة واديا أفيح وجعل فيه كثبانا من المسك الأبيض فإذا كان يوم الجمعة ينزلُ الله فيه فوضعت فيه منابر من نور من ذهب للأنبياء وكراسي من درٍّ للشهداء وينزلن الحور العين من الغرف فحمدوا الله ومجدوه، قال: ثم يقول الله: اكسوا عبادي فيكسون، ويقول أطعموا عبادي فيطعمون، ويقول اسقوا عبادي فيُسقون، ويقول طيبوا عبادي فيطيبون، ثم يقول: ماذا تريدون؟ فيقولون: ربنا رضوانك قال يقول: رضيت عنكم ثم يأمرهم فينطلقون وتصعد الحور العين الغرف وهي من زمردة خضراء ومن ياقوتة حمراء)) (١).

ويظهر في هذا الحديث التضام بين كلمتي (البيضاء ، وسوداء) فيوم الجمعة كالنقطة السوداء في شدة بياض وصفا، وجعلت سوداء للبيان والوضوح لتميزه بالفضل والخير عن باقي الأيام ولهول ما سيحدث فيه، إذ فيه تقوم الساعة، وقد أوضح التضاد اللوني تميز هذا اليوم وهول ما فيه، وسلط الذهن عليه، وقد ورد هذا التقابل اللفظي بين اللون الأبيض والأسود

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أبويعلى: رقم ٤٢٢٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٨ حديث رقم ١٠٠

لإبراز المعنى وبيانه وتقريبه للسامع بهدف ربطه بالنص والتحامه به، يقول ﷺ في بيان ميزة أمة محمد على باقي الأمم: ((... ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود)) (١).

كما أن بين جملتي (وينزلن الحور العين الغرف) وجملة (وتصعد الحور العين الغرف) تضاد بين حركة النزول والصعود من الغرف وهذا التقابل الحركي فيه تطويل في السرد لتشويق النفس وتلذذا بذكر النعيم في الجنان. وسُمي يوم الجمعة بعد قيام الساعة (بيوم المزيد) لأن العباد يزدادون فيه نعيما وتشريفا وبهاء بالنظر لوجه الله تعالى والتمتع بجزيل إكرامه وتشريفه، وفي هذا اليوم ينزل المؤمنون إلى سوق الجنة يتمتعون ويبتهجون جزاء عبادتهم لله وتعظيمهم لهذا اليوم في الدنيا فهو عيد للمؤمنين في الدنيا وعيد لهم في الآخرة.

والحديث على ما فيه من التهويل من قيام الساعة في يوم الجمعة، فيه ترغيب وتشويق ليوم المزيد بوصف ما فيه من مقاعد وكثبان المسك والحور وصعودهم إلى الغرفات، وذلك في قوله ﷺ: ((إن الله جعل في الجنة واديا أفيح وجعل فيه كثبانا من المسك الأبيض فإذا كان يوم الجمعة ينزلُ الله فيه فوضعت فيه منابر من نور من ذهب للأنبياء، وكراسي من درٍّ للشهداء وينزلن الحور العين من الغرف، وهي من زمردة خضراء وياقوتة حمراء)) والوصف آلية ساعدت السرد على تشكيل المكان في الحديث القدسي وذكر تفاصيله، فالوصف " يعمل على خلق بعض العلاقات الدالة داخل النسيج النصي بما يخدم الموضوع العام في شكل متسق معجميا"(٢) .

ومثاله قوله ﷺ في وصف حال من يخرجون من النار بفضل شفاعة الله تعالى وتكرمه على أمة محمد ﷺ: ((فيخرج أقواما قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبّة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب

(١) صحيح البخاري: رقم ٣٣٤٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٣، رقم ٧٨
(٢) أثر الربط المعجمي في اتساق النص القرآني، عبد المالك العايب: ص١٢٨

الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ...))[1]. فيظهر وصف المكان دقيقا مفصلا يقرب المشهد ويجعل المتلقي في حالة من الإحساس البصري المتجلي باللفظ، كأنه في وسط الموقف يشاهد ويرى، في قوله (قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة ...).

ويمتد التقابل في الأحاديث القدسية ليجسد صورة المكان الآخروي في عبور الصراط، وفي ساحة المحشر، مثاله قوله ﷺ: ((ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يُجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بقَى بعمله، ومنهم المخردَل أو المجازَى أو نحوه...))[2].

ويظهر التقابل المكاني في الحياة البرزخية في وصف قبر المؤمن ومكان استقراره إلى يوم القيامة ووصف قبر الكافر المشرك في قوله ﷺ: ((... فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسنُ الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجئ بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح)) أما الكافر ((فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٤، رقم ٨٨
(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٠٠، رقم ٦٣

أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث)) (١).

وكما ظهر التضام في وصف المكان ظهر كذلك في وصف الزمان، فهناك زمن الحياة الدنيا، ويقابله زمان الحياة الآخرة، والزمن يدور في محور قضية (الغفران) التي ترتكز عليها نصوص الأحاديث القدسية من ذلك الغفران في الآخرة بعد الممات كما جاء في حديث صاحب البطاقة الذي غُفر له لإخلاصه بالشهادة ووحدانية الله، وحديث الذي قتل تسعة وتسعين رجلا فغفر له نظير توبته الخالصة لله، وحديث الذي أمر بسحقه ورمي بقاياه في البر والبحر فغفر الله له يوم القيامة ذنوبه نظير صدق نيته بالتوبة والخوف من عقاب الله، وكما يظهر الغفران في زمن الآخرة وقت الحساب في قوله ﷺ: ((حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يُخالط الناس، وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه)) (٢).

ويظهر الغفران الإلهي في زمن الحياة الدنيا، وهو الغفران الذي يناله العبد المداوم على الاستغفار والتوبة بعد كل معصية في قوله ﷺ: ((إن عبدا أصاب ذنبا ـ وربما قال أذنب ذنبا ـ فقال رب أذنبت ذنبا ـ وربما قال أصبت ـ فاغفر فقال ربه: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخُذ به؟ غَفرتُ لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبا أو أذنب ذنبا ـ فقال رب أذنبت ـ أو أصبت ـ آخر فاغفره فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا ـ وربما قال أصاب ذنبا ـ فقال رب أصبت ـ أو أذنبت ـ آخر فاغفره لي فقال أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثا

(١) حديث صحيح رواه الإمام أحمد: ٤/ ٢٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٥ ـ ١١٦

(٢) صحيح مسلم: رقم ١٥٦١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٨، رقم ٤٩

فليعمل ما شاء))[1] فحصول العبد في الدنيا على الغفران المطلق في الزمن الممتد للآخرة والمتمثل في قوله (غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء) فيه تقابل مع زمن الذين حصلوا على الغفران في الآخرة بعد انتهاء الحياة، وفي الحديث حث وترغيب على الاستغفار والمداومة عليه.

ومن الغفران الإلهي في زمن الحياة الدنيا قوله ﷺ في فضل المؤذن وغفران الله له: ((يَعجَبُ ربكم من راعي غنمٍ في رأس شظية بجبل يؤذن بالصلاة ويُصلي، فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة))[2] وقوله ﷺ: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: ... من يستغفرني فأغفر له))[3] وقوله تعالى لملائكته في حال المؤمنين في مجالس الذكر (فأشهدكم أني قد غفرت لهم)، وينتقل الغفران من زمن الحياة الدنيا إلى زمن الآخرة في الجنان ليتحول إلى رضوان في قوله تعالى لأهل الجنة: ((رضيت عنكم)) وقوله تعالى لهم بعد أن يُسبغ عليهم نعمه: ((... ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا))[4]. ويبقى للتضام دور هام في تنويع الخطاب وتلوينه لإفهام مختلف مستويات المخاطبين بحمل المخالفين المعرضين على تغيير آرائهم، ولفت الغافلين لسعة رحمة الله وأهمية العبادة والطاعة، وتقوية إيمان المترددين بكرم الله وغفرانه لعباده، وترسيخ يقين المؤمنين الموحدين به.

وأدوات الاتساق المعجمي مع أدوات الاتساق النحوي ربطت الوحدات المفصلية لنص الحديث مع بعضها البعض، وجعلت القارئ في اتصال تام بمعنى الحديث، لا ينقطع عنه بفعل

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٣، رقم ٣٨

(٢) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده: ٤١٦/١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٠ ـ ١٨١، رقم ١٢٩

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري: ٢٩/٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٨، رقم ١٢٦

(٤) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٢، رقم ٥٧

الروابط النحوية والمعجمية التي هيأت النص للقارئ للفهم والتأويل، وفتحت للمعنى أبواب الاستمرار والتكاثر الدلالي، من ذلك الربط الإحالي بالضمير الغائب (الهاء) العائد علي (يوم الجمعة) في قوله (وجعل فيه، ينزل الله فيه، فوُضعت فيه)، والربط الإحالي باسم الإشارة (هذه الجمعة) و(ما هذه النكتة السوداء؟) كما ظهر الربط بالأداة كالواو والفاء وثم، في قوله: (فإذا كان يوم الجمعة، فوضعت فيه، وينزلن الحور العين، ثم يقول الله) ويظهر الربط بالنداء والاستفهام في قوله (يا جبريل ما هذه؟ ما هذه النكتة السوداء ؟ ما يوم المزيد؟).

ويظهر التكرار الجزئي في قوله (اكسوا عبادي فيكسون، ويقول أطعموا عبادي فيطعمون، ويقول اسقوا عبادي فيسقون، ويقول طيبوا عبادي فيطيبون) وفيه من التأكيد على حسن الكرم والنعيم، وفيه من التطويل والتلذذ اللفظي بذكر خيرات الجنات والفضل الإلهي الذي لا ينضب فيها.

والحديث يخاطب مستويات متنوعة من المتلقين، إلا أن ظاهره يركز على خطاب المتقين بتشويقهم للنعيم الأبدي، ويبقى المستوى الخطابي يدور في فلك المعنى الأساسي الذي تدور حوله أقطاب الأحاديث القدسية، وهو المغفرة، التي عبر عنها لفظ (الرضى) في قوله (ثم يقول: ماذا تريدون؟ فيقولون: ربنا رضوانك، قال يقول: رضيت عنكم) ولعلو درجة المخاطبين الصالحين، ارتقت درجة المغفرة إلى الرضوان الأبدي في أعلى الجنان. كما أن الحديث موجه أيضا للمخاطبين ضعفاء الإيمان لاستنهاض هممهم للعبادة والطاعة رغبة في التنعم بالفضل الإلهي ووصولا للرضوان والراحة الأبدية في الدنيا والآخرة، وفيه تنبيه للمخاطبين المشركين لهول هذا اليوم فهو اليوم المنتظر لقيام الساعة وبدء الحساب وانتهاء متاع الحياة، فيبقون في تربص وقلق من قيامها.

وقد عرضت الأحاديث القدسية حال أهل الجنة وحال أهل النار، بمفارقات عظيمة بين حاليهما، وذلك لما يُضفيه التقابل من دلالات إيحائية تبرز المعنى وتوضح الفرق الكبير بين الحالين، ذلك الفرق الذي لا تستوعبه الألفاظ المفردة إلا باتصالها بالرابط المعجمي المتضام بقوة

المفارقات المتعاكسة بين المعاني، ومن ذلك قوله ﷺ في وصف حال الشهداء في الجنة: ((أرواحهم في جوف طيرٍ خضرٍ لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرحُ من الجنة حيث شيئنا ففعل بهم ذلك ثلاث مرات)) (١).

وقد عرضت الأحاديث حال أقوام آخرين، هم (عتقاء الرحمن) الذين ركزت الأحاديث القدسية على عرض حالهم يوم القيامة وبسطت في وصف أمرهم وتنوع أجناسهم من ذلك قوله ﷺ في حديث رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الآخرة: ((... فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار بقيت شفاعتي فيقبض قبضته من النار فيخرج أقواما قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبّة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه)) (٢).

فالتضام ساعد على عقد المقارنات والمفارقات "وهذا التضاد بين الفريقين من شأنه أن يكشف عن أسلوب فني له تأثيره على المتلقي، من حيث تجلي المعنى بأبعاده المختلفة، لأنه يجمع بين متضادين متنافرين، وبالتضاد والتنافر تتبين الأشياء ويجد المتلقي راحة في التقاء الضدين، فيسارع إلى تصنيف نفسه حسب إدراكه الخاص"(٣)، فالناس يوم القيامة أصناف وأحوال والمتلقي يرى نفسه بين حال أهل الجنة في النعيم وحال الكافرين في النار، وحال من غفر الله لهم بفضله وامتنانه، وهذا الصنف الأخير هم الذين ركزت الأحاديث القدسية على

---

(١) صحيح مسلم: رقم ١٨٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٠٣، رقم ٦٥
(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٤، رقم ٨٨
(٣) أثر الربط المعجمي في اتساق النص القرآني، عبد المالك العايب: ص١١٧

تفصيل حالهم وجزائهم، وهم صنف لم يرد ذكره بصورة واضحة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، فجاءت الأحاديث القدسية بمستوى خطابي متفرد، يسلط الضوء على المستغفرين والتائبين، والمخلصين بالتوحيد ومن يحملون نيات صادقة لله وحده.

وعليه ظهر أثر التضام في كونه أداة ربط واتساق داخل النصوص، يعمل على خلق نسق متسق يساعد المتلقي على الفهم بالدلالات المتضادة المتناقضة، ويفتح أبواب التأويل وتوليد المعاني بشكل يضمن للنص استمراره وأبديته. ويعد التضام أحد الوسائل الهامة التي تُسهم في فتح قنوات التواصل بين النص والمتلقين على اختلاف أنواعهم" والتضام وسيلة من الوسائل الأكثر براعة في تجميع عدد من الأفكار وتوسيع المفاهيم داخل نطاق النص، باعتباره وسيلة قادرة على الربط بين الألفاظ في حقول دلالية مختلفة ... وللتضام وظيفة مرجعية داخل النص، وذلك بتعليق عناصره بلفظ وارد في أوله أو متكرر من حين لآخر (ماثل في النص)، وقد يكون اسما ظاهرا أو ضميرا يعود على المخاطب أو فكرة ما يدافع عنها أو وصفا داخليا أو خارجيا، فتكون بذلك كل أجزاء النص مجتمعة تعمل على توجيه ذهن المتلقي إليه وصرف انتباهه نحوه"(١)، وبذلك يكون للاتساق المعجمي دور كبير في الربط داخل النص القدسي من خلال التكرار والتضام وتحقيق التآلف بين جمل النص وأجزائه حتى يصبح نصا واحد متآخذا متسقا، متماسك العناصر، ومترابطا في شبكة من العلاقات المعجمية والأنظمة اللفظية الكفيلة بخلق الاستمرارية للنص.

ويندرج ضمن التضام العلاقات الدلالية (كالكل والجزء، والعام والخاص) وقد وردت لها أمثلة عديدة في الأحاديث القدسية منها قوله ﷺ: ((يؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة فيقول: اصبغوه صبغة في الجنة فيصبغونه فيها صبغة فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط أو شيئا تكرهه؟ فيقول: لا وعزتك ما رأيت شيئا أكرهه قط، ثم يؤتى

(١) المرجع السابق: ص١٣١

بأنعم الناس كان في الدنيا من أهل النار فيقول: اصبغوه فيها صبغة فيقول: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط قرة عين قط فيقول: لا وعزتك ما رأيت خيرا قط ولا قرة عين قط)) [1] .

فعلاقة العام والخاص ربطت بين ألفاظ الحديث، ويظهر بين كلمة (الناس) الواردة في أول الحديث وهي لفظة عامة، وبين تخصيصها إلى قسمين (أهل البلاء في الدنيا من أهل الجنة) و(أهل النعيم في الدنيا من أهل النار)، وهذه العلاقة ربطت المعنى في نص الحديث بأكمله، وشدت الجمل بروابط معجمية لفظية متدرجة في عرض الأفكار بهدف توضيح المعنى وبيانه.

ومنه قوله ﷺ: ((.... وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق مُوَفّقٌ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال، قال: وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زَبْرَ له الذين هم فيكم تَبَعا لا يتبعون أهلا ولا مالا، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دقّ إلا خانه ورجل لا يُصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك ...))[2] فذكر التركيب اللفظي الدال على العام، وهو (أهل الجنة ثلاثة ... ، وأهل النار خمسة...) ثم خصصه بذكر أجزائه وأصنافه بشرح مقتضب لكل صنف، وفي هذا ربط نصي بعلاقة العام والخاص، وجمع للمعاني بشكل منطقي متسلسل.

وورد الربط المعجمي بالعام والخاص، في قوله ﷺ في محاسبة العبد على النعيم الدنيوي يوم القيامة: ((إن أول ما يُسأل عنه يوم القيامة ـ يعني العبد ـ من النعيم أن يُقال له: ألم نُصح لك جِسمك ونَرويك من الماء البارد))[3] فكلمة (النعيم) عامة تشمل كل ما وهبه الله تعالى لعبده من صحة بدن ومال وصحة وذرية، ثم جاء تخصيص هذه النعم وحصرها في نعمتين هي صحة البدن ونعمة الماء البارد في قوله: (نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد)، ومن الربط

---

(١) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده: ٢٥٣/٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٢، رقم ٧٧

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٨٦٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٨ ـ ١١٩، رقم ٧٥

(٣) حديث صحيح، أخرجه الترمذي: رقم ٣٣٥٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٠، ٨٦

بعلاقة العام والخاص قوله ﷺ: ((كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به))[1] فقوله (كل عمل ابن آدم) تعبير عام لجميع الأفعال الصالحة التي يتعبد بها العبد ويتقرب بها إلى ربه، ثم خُصص (الصيام) لفضله وشرفه وخلوه من الرياء، وعظيم الصبر والتحمل فيه بمجاهدة النفس عن ملذاتها.

ووردت علاقة الجزء والكل في الأحاديث القدسية كرابط معجمي يُؤدي إلى اتساق النص وانسجامه، في قوله ﷺ في حديث شهادة جوارح الإنسان عليه يوم القيامة: ((... ويقال لفخذه ولحمه وعظمه: انطقي فتنطق فخِذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليُعذِرَ من نفسه. وذلك المنافق وذلك الذي يسخط))[2]، فذكرت أجزاء البدن وهي جزء من كل عام، وهذا الحديث ورد بصيغ متنوعة في صحيح مسلم في قوله ﷺ: ((هل تدرون مم أضحك، قال قلنا: الله ورسوله أعلم قال: من مخاطبة العبد ربه يقولك يا رب ألم تُجِرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا، قال: فيختم على فيه فيقالُ لأركانِهِ انطقي، قال: فتنطق بأعماله ...))[3] فالمراد بلفظ (أركانه) هي جوارحه وهي بمثابة الجزء من الكل.

يندرج تحت الربط بعلاقة الجزء والكل، ما ورد في حديث الذين يخرجون من النار بشفاعة أصحابهم المؤمنين وشفاعة الله تعالى وكرمه ورحمته وامتنانه: ((... يقولون: ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ... فيقول الجبار بقيت شفاعتي فيقبض قبضة

---

(١) أخرجه البخاري في فتح الباري: ١١٨/٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٦٨ ، رقم ١١٥

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٩٦٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٤ـ ١٢٥، رقم ٧٩

(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٩٦٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٥، رقم ٨٠

من النار فيخرج أقواما قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة ... فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم ...))[1] فترد في الحديث أجزاء من أبدان العباد الذين دخلوا النار ولم تأكلهم النار ممن حرم الله عليها صورهم كأثر السجود، وهو جزء من كل أبدان هؤلاء القوم، ومن أجزاء بدنهم القدم والساق، والرقبة، وفي ذكر هذه الأجزاء من دقة الوصف بتتبع الأجزاء ورسم تفاصيل مشهد الحساب وصور الغفران، ما يجعل القارئ كأنه موجود في عرصات القيامة وساحات المحشر ينظر ويرى.

ومن ذلك أيضا قوله ﷺ في وصف ساعة الحساب في المحشر: ((... ينادي مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع الصليب، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرٍ أو فاجر وغُبَرات من أهل الكتاب ...))[2] فلفظ (قوم) يشمل كل البشر بجميع أديانهم وأعمالهم، وفي قوله (فيذهب أصحاب الصليب مع الصليب، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرٍ أو فاجر وغُبَرات من أهل الكتاب) بيان لأجزاء الكل بأقسامه المختلفة، وفي هذه التقسيمات والتفريعات تسلسلات منطقية لباقي أجزاء النص، تربط جمله ومركباته بروابط معجمية من جهة، وتربط القارئ بمعاني النص ومقاصده من جهة أخرى.

وتظهر المصاحبة اللغوية الجامعة بين الألفاظ المتواردة في الأحاديث القدسية في قوله ﷺ في وصف الجنة: ((قال الله تبارك وتعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر))[3] فتظهر المصاحبة بين ألفاظ النص في قوله (عين رأت) و(أذن سمعت) و (خطر على قلب).

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٤ ـ ١٣٥، رقم: ٨٨

(٢) صحيح البخاري رقم: ٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٤، رقم ٨٨

(٣) أخرجه البخاري في فتح الباري: ٨/ ٥١٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٨٩، رقم ٥٦

كما تظهر المصاحبة اللغوية كذلك في قوله تعالى: ((...وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها...))[1] وهي بين العبارات التالية: (سمعه الذي يسمع به) و(بصره الذي يبصر به) و(يده التي يبطش بها) و(رجله التي يمشي بها).

ومن أمثلة التضام توارد بعد الألفاظ في سياق التقابل والمصاحبة كقوله تعالى: ((... من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب من ذراعا تقربت من باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ...))[2] فكلمة الشبر تستدعي الذراع والباع كنوع من أنواع القياسات اليدوية وهي ظروف مكانية، والمشي كذلك يستدعي الهرولة كنوع منه، وبين كل هذه الألفاظ ترابط معنوي يؤدي إلى ربط الجمل ببعضها واتساق النص.

****

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٥٠٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٨١، رقم ٥١

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٦٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٠، رقم ١٥

الفصل الرابع

(المستوى الدلالي للخطاب)

المبحث الأول: دراسة نظرية للمستوى الدلالي في الخطاب.

إن دراسة المستوى الدلالي تتطلب من الباحث الوقوف على عتبة مدخله، وهي عتبة (الانسجام أو ما يُسمى بالحبك) والانسجام هو الطرف الثاني الذي يقوم عليه التماسك النصي، وفي دراسة المستوى التركيبي في الفصل الثاني من البحث تمت دراسة الطرف الأول المكون للتماسك النصي وهو (السبك أو ما يُسمى بالاتساق) .

وإذا كان الاتساق التركيبي يقوم على الترابط اللفظي للنص على مستوى البنية السطحية، فإن دراسة المستوى الدلالي والذي يمكن أن يُطلق عليه (الانسجام الدلالي) تقوم على الترابط المعنوي في مستوى البنية العميقة للنص " ويعد المستوى الدلالي من أهم المستويات اللغوية، لأن الدلالة حاضرة وناتجة عن تفاعل المستويات كلها، ولو تفحصنا الخطوات التي تكاد تجمع عليها معظم الاتجاهات والمناهج الدلالية في محاولة الوصول إلى الدلالة لوجدناها تمر عن طريق الإفادة من مستويات اللغة: الصوتية والصرفية، والتركيبية والنحوية، والمعجمية، إذ تبدأ معظم المناهج الدلالية بفحص البنى التركيبية والصوتية والصرفية والمعجمية، لاستنطاق المعنى" [(١)].

والانسجام الدلالي يحقق الترابط النصي عبر ترابط علاقات معنوية ضمنية بين كلمات الجمل ومتتاليات النص التركيبية وأجزائه، وهذه العلاقات يتشارك فيها المرسل والمتلقي معا مما يضمن للنص استمراريته الدلالية، يقول الدكتور سعد مصلوح في هذا: " الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم. وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجا وإبداعا أو تلقيا واستيعابا، وبها يتم حبك المفاهيم من خلال قيام العلاقات (أو إضفاؤها عليها إن لم تكن واضحة مستعلنة) على نحو يستدعي فيه بعضها بعضا، ويتعلق بواسطته بعضها ببعض"[(٢)] فالمستوى الدلالي يبحث عن العلاقات المعنوية والدلالية التي تجمع بين الجمل ومسوغات الربط بالروابط الشكلية الواردة في

(١) التماسك النصي في سورة التوبة، خالد خميس فراج: ص ١٥٣
(٢) نحو أجرومية للنص الشعري: ص١٥٤

المستوى التركيبي النحوي، والروابط المعنوية الواردة في المستوى الدلالي والتي يترابط النص بها فيتسق تركيبه وينسجم معناه.

وتشتمل دراسة هذا الفصل على دراسة نظرية للمستوى الدلالي في الخطاب، ومظاهر الترابط الدلالي، والخطاب والبنية الكلية، السياق اللغوي الداخلي والمقامي الخارجي، والعلاقات الدلالية في سياق الأحاديث القدسية، والسياق وأثره في المتلقي وتفسير صيغ الخطاب في الأحاديث القدسية.

فما المقصود بالمستوى الدلالي؟ وما هي أنواع الدلالة في الأحاديث القدسية وما علاقتها بالمخاطبين؟ ولم يتعدد الخطاب ويتنوع بتنوع دلالات السياقات الوارد فيها؟

إن المستوى الدلالي يهتم بالمعنى وظلاله وطرائق التعبير عنه بأشكال مختلفة، ويهتم بالصلة بين اللفظ ودلالته، وأصبح (علم الدلالة) من فروع البحث اللغوي، وهو مرتبط بالمعنى ومرتبط بالنحو. وقد اهتم العرب بالمدلول اللغوي للمفردة في السياق الذي ترد فيه، كما اهتموا بدراسة معنى الجملة من خلال الأداء الفني لمنتج النص وإمكاناته اللغوية وقدرته على التعبير عن المعنى الكامن في نفسه، وعليه فقد أولوا اهتماما خاصا بدراسة المفردة في السياق وانتظامها في تراكيب دلالية.

والمستوى الدلالي بمعناه المتداول عند المحدثين هو نفسه عند علماء اللغة العربية القدماء، إلا أنهم لم يمنهجوه ويؤطروه بشكل نظري، وإنما أولوا عناية فائقة في دراستهم للفظ ومكانته في الاستعمال، وانتظام المعاني وتعالقها واتساقها للبيان والإفهام، والجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز وضع يده على أسس علم الدلالة التي انبثق منها الدرس اللساني في العصر الحديث، وهو من عنوان كتابه يعلن صراحة عن فتح باب دراسة الدلالة على مصراعيه وفي أعلى مستوياته وهو الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وهو في تبنيه لنظرية النظم، وضع أول لبنات علم الدلالة وأسس له.

وفي المعاجم اللغوية ورد معنى (الدلالة) بأنها مصدر من الفعل الثلاثي (دلَّ) ومن الممكن أن تلفظ كلمة (دلالة) بفتح أو كسر أولها، والدلالة في اللغة مصدر (دله)، يقول الجوهري: " الدليل: ما يُستدل به، والدَّليل: الدَّالُّ، وقد دَله على الطريق يدُلُّهُ دَلالةً ودِلالةً ودُلُولة، والفتح أعلى"(١)، وذكر ابن منظور أن: " دله على الشيء يدله دَلا ودلالة فاندلَّ: سدده إليه ...والدليل ما يُستدل به، والدليل: الدال. وقد دله على الطريق يدله دلالة ودلولة... ودللت بهذا الطريق: عرفته... والدلالة ما جعلته للدليل أو الدلال، وقال ابن دريد: الدلالة، بالفتح حِرفة الدَّلال. ودليل بيّن الدِّلالة، بالكسر لا غير "(٢) وابن فارس في مقاييسه يذكر أن: " الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم: دللت فلانا على الطريق، والدليل: الأمارة في الشيء"(٣). وعرفها الزمخشري بقوله: " دله على الطريق، وهو دليل المفازة، وهو أدلاؤها وأدللت الطريق، اهتديت إليه ودل على الصراط المستقيم" (٤).

فمعاني الدلالة اللغوية تنحصر في الإرشاد والهداية والتسديد والإبانة، ويترتب على هذه المعاني المعجمية توافر عناصر الهداية والإرشاد والتسديد، أي توافر مرشِد ومرشَد، ووسيلة إرشاد وأمر مرشَد إليه، وحينها تتحقق الدلالة باجتماع العناصر كلها متممة لبعضها، وبهذا تكون الدلالة أعم من العنى لأن المعنى جزء منها وهو ما تحاول الدلالة الكشف عنه وربط أواصره بين متتاليات جمل النص.

أما الدلالة في اصطلاح اللغويين، فقد تطرق لها الزبيدي في مادة (د ل ل) يقول:" وفي الاصطلاح: الدَّلالة: كون اللفظ متى أُطلق أو أُحس فُهم منه معناه للعِلم بوضعه، وهي منقسمة

---

(١) الصحاح: جـ٤، ص ١٦٨
(٢) لسان العرب: جـ٥، مادة ـ دلل
(٣) مقاييس اللغة: جـ٢، ص: ٢٦٠
(٤) أساس البلاغة: ص١٣٤

إلى المطابقة والتضمُّن والالتزام، لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وُضع له بالمطابقة وعلى جُزئه بالتضمُّن إن كان له جزء وعلى ما يلازمه في الذهن بالالتزام " [١].

وعرف الجرجاني (الدلالة) بأنها: " كون الشيء بحالة، يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول " [٢] وبهذا انتقلت كلمة (دلالة) من معنى الدلالة على الطريق وهو معنى حسي، إلى معنى عقلي مجرد هو الدلالة على معاني الألفاظ.

وقد جعل الجاحظ الدلالة مرادفة للبيان، ويظهر ذلك في قوله: " إن الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هي البيان"[٣] والبيان عنده هو " اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع" [٤].

والدلالة في التخاطب اللغوي على ضربين:

أ ـ دلالة معجمية حقيقية يقع الفهم عليها بالتبادر الأول من دون الحاجة إلى قرينة خارجية، وهي الأصل الذي تواصل به الإنسان البدائي ومن بعده.

ب ـ دلالة سياقية " وهي التي لا يمكن إدراكها من الكلام خاطرا أوليا، وإنما تحتاج إلى قرينة ما للوصول إلى دلالتها المبتغاة وضوحا وكشفا، وهي ما يمكن أن تُدعى أيضا بـ (دلالة القرينة) وقد وجدت لاحقا على الدلالة الحقيقية تلبية لسد حاجة الإنسان إدراكا للتطور الجاري " [٥].

---

(١) تاج العروس: جـ٢، ص ٢٣٤
(٢) التعريفات: جـ١، ص ١٠٤
(٣) البيان والتبيين: جـ١، ص٧٥
(٤) المرجع نفسه: جـ ١، ص: ٧٩
(٥) جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية النص القرآني أنموذجا، سيروان الجنابي وحيدر عيدان: ص٧٣

وقد اهتم ابن جني في كتابه (الخصائص) بدلالة الألفاظ والمعاني المحددة فيها، وقسم الدلالة إلى ثلاثة أقسام:

١. الدلالة اللفظية: وهي الدلالة المعجمية ودلالة البنية الصوتية على الحدث، وعدها ابن جني رأس الدلالات الثلاث " ويبدو أن المقصود منها دلالة اللفظ على معناه الوضعي المستفاد من المادة المعجمية التي يتكون منها وذلك كدلالة (ض/ر/ب) على حدث الضرب أي الصورة الذهنية المختزنة بإزاء هذه المادة في الذاكرة الإنسانية" (١).

٢. الدلالة الصناعية: وهي دلالة اللفظ على الزمن " ويقصد بها دلالة الصيغة أو الشكل المعين للكلمة على معنى إضافي لاحق بالمعنى الأصلي المتحصل من أصل المادة، كدلالة صيغة (ضرب) على المضي بالإضافة إلى دلالتها الأصلية على حدث الضرب" (٢).

٣. الدلالة المعنوية: وهي مرتبطة بالفاعل المسند إليه الحدث " والمقصود بها دلالة الالتزام أو التضمن وهي دلالة عقلية، فقولنا (قام) إثبات لحدث القيام في الزمن الماضي ويتضمن ذلك أن يلزم عنه وجود شخص أو شيء يسند إليه ذلك القيام" (٣).

ووضع ابن جني مراتب لهذه الدلالات من حيث القوة والضعف يقول في ذلك: " فأقواهن الدلالة اللفظية ثم تليها الصناعية ثم تليها المعنوية. ولنذكر من ذلك ما يصح به الغرض فمنه جميع الأفعال، ففي كل واحد منها الأدِلّة الثلاثة. ألا ترى إلى قام و(دلالة لفظه على مصدره) ودلالة بنائه على زمانه ودلالة معناه على فاعله. فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قِبَل أنها وإن لم تكن لفظا فإنها صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها. فلما كانت كذلك لحِقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به فدخلا بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة " (٤).

---

(١) دلالة السياق، عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي: ص:١٥
(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها
(٣) المرجع السابق: ص١٦
(٤) الخصائص: جـ٢، ص: ٩٨

والذي يبدو من دراسة القدماء للمستوى الدلالي أو ما كان يسمى بالحبك " أن مبدأ انتظام المعاني واتصال الكلام كان هو الأساس أو المنطلق الذي يحكم به الناقد على نصية النص، ومن ثم جعل شرطا من أهم شروط بناء النص، وانتظام المعاني واتصال الكلام، يقوم على خاصية الحبك أو التماسك الدلالي" (١).

وقد كان للعرب فضل السبق بوضع حجر الأساس لهذا العلم في تصنيفهم للمعاجم اللغوية كما فعل الخليل بن أحمد في معجم (العين)" حين بحث في تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر البنيوي، الحرفي، ومن ثم تقسيمه على ما يحتمله من ألفاظ مستعملة، وأخرى مهملة لدى تقليب الحرف في التركيب لتعود ألفاظا بداية ونهاية طردا وعكسا، ومن ثم إيجاد القدر الجامع بين المستعمل منها في الدلالة والمهمل دون استعمال" (٢) وكان لعلماء العربية دور كبير أيضا في تقعيدهم للقواعد العربية كما فعل سيبويه في (الكتاب) حين جمع اللغة من خلال الاستعمال الاجتماعي ووفق سياقاتها المختلفة والمتنوعة. وكذلك جهود علماء الأصول والقرآن والتفسير في دراسة ترابط الأصوات والحروف والألفاظ والجمل وعلم المناسبات، ودراسة الفروق اللغوية ومعنى المعنى في القرآن الكريم.

ورغم كل الجهود السابقة والتي بُذلت لم ينتهِ العلماء القدماء إلى إرساء نظرية دلالية متكاملة " فأصول علم الدلالة هي عربية الجذور، وإن بدايتها وحتى نضجها كانت بيد علماء عرب على الرغم من تباين وتنوع توجهاتهم المعرفية، أما فضل الغرب على هذا العلم فيكون في أمرين: أولهما وضع المصطلح، وهو (علم الدلالة) ... وثانيهما أن الغرب سعت إلى توحيد دراسة الدلالة في كتب مستقلة بدلا من تناثرها في بطون المظان" (٣).

---

(١) الأحاديث القدسية ـ دراسة لغوية نصية، بخيت فوزي جاب الله: ص٢٢٤
(٢) تطور البحث الدلالي، محمد حسين الصغير: ص٢٧
(٣) جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية النص القرآني أنموذجا، سيروان الجنابي وحيدر عيدان: ص٣٤

وعلم الدلالة عند علماء اللغة المحدثين يهتم بدراسة معاني التراكيب اللغوية، والعلاقات المعنوية داخل النص، وهي في أغلبها علاقات منطقية تنشأ بين المعاني وتؤدي إلى تماسك البنية السطحية والبنية العميقة داخل النص، وتقوم على مظهرين متكاملين هما:

. الاتساق الدلالي الداخلي: ويهتم بتماسك الألفاظ والعلاقات المعنوية التي تربط بين الألفاظ وتربط بين متتاليات الجمل على المستوى الأفقي، وبين العلاقات التي تربط النص ككل في المستوى الرأسي من البنية الكلية لنصوص الأحاديث القدسية مما يجعلها كلا واحد لا يتجزأ.

. والاتساق الدلالي الخارجي: الذي يهتم بالسياق والعلاقات السياقية التي تربط النصوص وتُحكم تماسكها، والاتساق الدلالي يتحقق " على المستوى الداخلي بين المعاني القريبة والبعيدة (أو الحقيقة والمجازية) والصور البلاغية والترابط الفكري بين فقرات النص، والتسلسل المنطقي، والحديث عن السياق الذي يتموضّع فيه النص ويجري في إطاره ... والحديث كذلك عن قضية التأويل، أي عن مسألة القراءة والقارئ والفهم التأويلي، وعلاقة النص بصاحبه وبقارئه، والحديث عن قضايا أخرى أو أدوات أخرى هي من صميم إنتاج النص كالغموض والإبهام، وعلاقة النص بالواقع" (١) .

والمستوى الدلالي مهمته هي " فهم النص وتفسيره وكشف أسراره التي تكمن في أعماقه والتي لا يمكن التوصل إليها من خلال بنيته السطحية. كما أنه يمثل الأداة المثلى التي يلجأ إليها الدارس للتفسير وللكشف عن أوجه الترابط النصي في التركيبات التي قد تبدو مفككة على السطح لا يربط بينها رابط ظاهر على سطح النص. ومن ثم يمكن الحكم على النص بالنصية من عدمها، وكذلك الحكم على النص بأنه نص محبوك أو ليس كذلك " (٢).

ولفهم النص بشكل متكامل لا بد من دراسته دراسة عميقة تتجاوز الشكل الخارجي والأدوات اللفظية في النص، لتصل إلى البنية العميقة والانسجام الدلالي القارِّ فيها، فالنص" كل

(١) مقدمة في التعريف بلسانيات النص ـ مقال، د.محمد بكاي التلمساني: ص٢٣
(٢) الأحاديث القدسية ـ دراسة لغوية نصية، بخيت فوزي جاب الله: ص٢٢٣

موحّد متجانس يخضع لترتيب وتنظيم معين يجعله منسجما ومتماسكا وكان لتحقيق ذلك لابد من توافر علاقات تتعدى الترابط الشكلي إلى ما هو أبعد وأعمق، ومن بين هذه العلاقات نجد: الإجمال والتفصيل، والعموم والخصوص، والبيان والتفسير... " (١).

ذلك أن للبنية العميقة دورا بارزا في تحقيق التماسك والحبك النصي أو ما يمكن تسميته بالاتساق الدلالي عن طريق تحديد العلاقات الدلالية التي تربط بين أجزاء النص، ويتجلى ذلك في الحالات التي يبدو فيها النص مفككا في بنيته السطحية اللفظية، لكن حين الغوص في أعماقه تظهر بنية عميقة محكمة الرصف والشّد، وقد يعتمد اكتشاف هذه البنية على بعض المفاهيم التي يستخدمها علماء النص مثل المفاهيم المنطقية الدلالية، ومجموع الحقول الموضوعية المركبة، وطبيعة علاقات الترميز الأدبي (٢).

(١) الانسجام النصي وأدواته ـ مقال، الطيب الغزالي: ص ٧٨

(٢) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل: ص ٣٤٤

المبحث الثاني: أدوات الانسجام الدلالي في الأحاديث القدسية

إن الانسجام الدلالي خاصية دلالية من خصائص الخطاب في الأحاديث القدسية، يعتمد على فهم كل جملة من جمل النص وعلاقتها بالجمل الأخرى المكونة له، ومن أهم آليات الانسجام الدلالي التي ذكرتها كتب البحث الدلالي، هي: السياق وعلاقات التماسك الدلالي، والتغريض، وترتيب الخطاب، والتأويل، وأزمنة الخطاب، وموضوع الخطاب (البنية الكلية).

ولدراسة مظاهر الانسجام الدلالي في الأحاديث القدسية سيتناول البحث العناصر التالية:

أ. البنية الكلية والانسجام الدلالي:

لكل خطاب بينة كلية ترتبط بها أجزاؤه " ويقصد بالبنية الكلية أن يكون للخطاب جامع دلالي، وقضية موضوعيّة يرتكز النص حولها، ويحاول تقديمها بأدوات متعددة " (١) فالبنية الكلية مفهوم مجرد، تتجلى به كلية الخطاب ووحدته وترابطه، والبنية الكلية هي الموضوع الرئيسي في الخطاب، والذي به تتمثل وحدة النصوص وتماسكها، وهو كمصطلح ذكره (محمد خطابي) في كتابه لسانيات النص وتردد ذكره في بحوث المحدثين من المهتمين بالدراسة النصية واللغوية.

ويصل المتلقي إلى البنية الكلية عن طريق اختزال أفكار الخطاب الواردة في أجزاء النص، ثم تحديد ما هو أساسي منها والتركيز عليه. واستبعاد العبارات والأفكار العرضية المتممة لمعنى الأفكار الأساسية في النص، كالتي لا يؤثر حذفها على البنية الدلالية الكلية موضوع الخطاب، مما يُبقي في يد القارئ محاور رئيسة يتكون منها موضوع الخطاب وهي تشكل مجتمعة البنية الكلية للنص، وتسعى في ترابطها إلى تدعيم الأساس الفكري المنبثقة منه باقي جمل الخطاب، وتأكيده في ذهن المتلقي بأشكال مختلفة. ويسميه بعض الباحثين بموضوع الخطاب أو موضوع

---

(١) التماسك النصي في سورة التوبة، خالد خميس فراج: ص١٥٧

التحاور أو البنية الدلالية وهي مصطلحات مترادفة تعني " بحث واستكشاف البؤرة المركزية في الموضوع عن طريق إعادة تنظيم محتويات الخطاب " (١).

والمفسرون في دراستهم للقرآن الكريم أشاروا للبنية الكلية أو ما يسمى بموضوع الخطاب " حين اعتبروا القرآن كالكلمة الواحدة له موضوع رئيس هو التوحيد والعبادة، وموضوعات فرعية تصب كلها وتخدم هذا الموضوع الرئيس. وما الآليات المختلفة لكشف انتظام النص/ الخطاب وتماسكه إلا لكشف هذا الموضوع الأول المقصود، فـ (السيوطي) كان أحد هؤلاء الذين نظروا إلى القرآن نظرة كلية، حيث وظّف جملة من المبادئ والعلاقات للدلالة على الاتحاد والترابط المضموني للسور، الذي يدل على وجود مقصد رئيس للنص/ الخطاب تتمحور حوله تلك الأجزاء المكونة للنص/ الخطاب، فاستخدام مبدأ الإجمال والتفصيل مثلا عند (السيوطي) يوحي بأن السور الشارحة تحمل نفس مواضيع السور السابقة، وأيضا عند حديثه عن انسجام فواصل الآي التي ضمّت لها، فإن هذه الفواصل مهما بدت بعيدة الموضوع في الظاهر فإنها في بنيتها العميقة تدعّمها وتقويها " (٢).

ومن الأدوات المستخدمة في تحديد البنية الكلية مبدأ التغريض، والتكرار، ومبدأ الجمع بين عناصر الجملة الواحدة والجمل مع بعضها البعض داخل النص. والتكرار سبق الوقوف عليه في الفصل الثالث من هذا البحث في دراسة المستوى المعجمي في الأحاديث القدسية، أما مبدأ التغريض فأغلب الباحثين حصروا مجاله في تحليل معنى (العنوان أو اسم السورة) وهو أمر غير موجود في الأحاديث القدسية، إذ أنها تشكل كلا متراصا متماسكا، وقد حاول بعض الباحثين والمفسرين لعلم الحديث أن يبوبوها في فصول وتحت عناوين اختلفوا في تسمياتها.

ويبقى للأحاديث القدسية رغم خلوها من معنى التغريض بنية كلية واحدة تجمعها، وغرض رئيس ينتظمها هو (المغفِرة)، والمغفرة هي الكلمة المحورية المتكررة والتي تشكل مركزا وبؤرة

(١) الانسجام النصي وأدواته ـ مقال، الطيب العزالي قواوة: ص ٧١
(٢) المرجع السابق: ص ٧٢ـ ٧٣

للأفكار في الأحاديث القدسية والتي تدور حولها البنى الجزئية والأفكار الفرعية المتممة لبنية النصوص في الأحاديث القدسية، وكان موضوع المغفرة مباشرا وصريحا تدور حوله موضوعات وعبارات وجمل نصوص الأحاديث القدسية من أولها حتى آخرها، فالمغفرة شكلت خيطا ناظما جامعا لنصوص الأحاديث القدسية في عقد فريد متماسك ومحكم.

وتقوم الأحاديث القدسية على دلالات كبرى تقوي وتعضد بؤرة النص وتدور في فلكها، يقول في هذا الباحث علي النعيم: " ونجد أن نصوص الأحاديث القدسية التي تقوم على الحوار تعبر في الغالب عن دلالات كبرى يدعو إليها النص. ويستنتج القارئ هذه الدلالات أو المفاهيم الناتجة عن الحوار . وقد يخلو النص من أي ذكر مباشر لهذه المادة، وقد يشير إليها بدالّة من دوالها ... ونذكر فيما يأتي أهم الدلالات الكبرى التي استخرجناها من هذه النصوص. فمن هذه الدلالات (العبادة) وأول دلالات وجودها لفظ (العبد) في هذه النصوص ... ثم نجد أصناف العبادة، وأساسها التوحيد والإيمان والذكر والتحميد والتمجيد ... والرحمة والتقرب لله والقرب منه ... والدعاء والرجاء والحب ... والخشية من الله والخوف منه ... والتطهر من الأغراض الدنيوية ... وخلوص النوايا في الأعمال كلها... فتلك جملة المعاني الكبرى التي تتصل بالعبادة والسلوك وتعتني بسريرة العبد وقلبه" (١).

وعرض الباحث المفاهيم العامة التي تتمحور حولها الأحاديث القدسية، وأهم المفاهيم التي ذكرها هي: العبادة والذكر والسلوك التربوي، إلا أنه لم يجعل لهذه المفاهيم والدلالات الكبرى بؤرة مركزية تجمعها وبنية دلالية كبرى تؤطرها وتحتويها، وعليه فقد يكون مفهوم (المغفرة) كما ورد في فصول هذا البحث هو مركز استقطاب هذه الدلالات الكبرى بمفاهيمها الكلية في الأحاديث القدسية.

(١) الأحاديث القدسية ـ دراسة في البنية اللغوية : ص١٦٣

ب . زمن الخطاب ودلالاته في السياق:

يظهر زمن الخطاب من تلاقي الألفاظ في التراكيب داخل النصوص، ويستشف القارئ الزمن المراد عرض الأحداث فيه من خلال تلاقي العناصر المعجمية المفردة مع بعضها البعض في تراكيب نحوية تعكس دلالات الزمن المراد تحديدا. والصيغ الفعلية هي من أهم المؤشرات الدالة على الزمن في أغلب نصوص الأحاديث القدسية السردية والحوارية، وكان في دلالتها على الزمن في ألفاظه كبير الأثر في نقل المخاطب إلى سياقات زمنية غيبية، وجعلها حاضرة ماثلة مشاهدة تنبض بالحركة وتعكس دلالات الاستمرار .

وللوقوف على دلالة النصوص لابد من تكاتف المستويات المعجمية والتركيبية والسياقية معا، وفي الأحاديث القدسية اتضحت دلالة زمن الخطاب عن طريق (الأفعال) وسيطرتها على نصوص السرد والحوار، وعن طريق دلالات المستوى المعجمي وما يتكرر فيه من ألفاظ دالة على الزمن مثل (الليل والنهار) و(الفجر والعصر والمغرب) و(ويوم القيامة والآخرة والحياة الدنيا) (ويوم الجمعة، ويوم الاثنين والخميس)، وفي استعمال بعض الألفاظ الدالة على الزمن والمداومة مثل (يتعاقبون . لا يزال . حين . حتى . الآن).

ومثال ذلك في الأحاديث القدسية قوله ﷺ: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له))[1]، فيظهر الزمن جليا في قوله (كل ليلة . ثلث الليل الآخر) وفيه دلالة على الاستمرار في حدث النزول والمداومة عليه، ويدل على ذلك لفظ (كل) الذي يدل على تساوي جميع الليالي وفيه دعوة وحث للعباد على اغتنام هذه الأوقات التي يعجز عن التعبد فيها باقي العباد، لانشغالهم عنها بالراحة أو بالغفلة، وفيه دعوة إلى استمرار التعبد بالدعاء والاستغفار لتحقيق هدف الوجود في الأرض المتمثل في قوله تعالى (إلا ليعبدون).

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: جـ ٣،ص: ٢٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٨، رقم ١٢٦

وللزمن صلة كبيرة بالمتلقي وله صلة وثيقة بالغرض الأساسي الذي تدور في فلكه الأحاديث القدسية وهو (المغفرة) ففرص المغفرة لا تنقطع وقد خصص الله لها وقتا بعينه أيما تخصيص في قوله (كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر). والحديث ينتهي بدعوة صادقة عامة شملت تفاصيل ما قبلها وهي قوله (فأغفر له).

ومن ألفاظ الزمن في الأحاديث القدسية قوله ﷺ: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم، وهو أعلم بهم ـ كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون))[1] وفي هذا الحديث تظهر ألفاظ الزمن مثل (الليل والنهار والفجر والعصر ويتعاقبون وباتوا) وهذه الألفاظ تدل على الاستمرار والاستغراق والمداومة وامتداد الزمن. والفعل (تركناهم وأتيناهم) يشبك خيوط الزمن الواردة في النص، ويفتح الخطاب على دلالات الاستمرار والاستغراق في العبادة.

وتمتد دلالة الزمن في الأحاديث القدسية الدالة على الاستمرار لتتحول إلى علاقة رابطة سببية ومدعاة لأن يباهي الله تعالى الملائكة بعباده المنتظرين للصلوات في المساجد بالتقلب بين أنواع العبادات بين يدي الرحمن وقد انصرفوا عن الدنيا وأخلصوا أنفسهم لله تعالى، وهذا ما يظهر معناه في الحديث القدسي الذي رواه عبدالله بن عمرو بن العاص: صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب فرجع من رجع وعقَّبَ من عقَّبَ . فجاء رسول الله ﷺ مسرعا قد حَفَزَه النَّفس وقد حَسَرَ عن ركبتيه، فقال: ((أبشروا هذا ربكم قد فتح بابا من أبواب السماء يُباهي بكم الملائكة يقول: انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى)) [2].

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٥٥٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص: ١٨١، رقم ١٣٠

(٢) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه: رقم ٨٠٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٨٣، رقم ١٣١

والفعل (عقَّب) بمعنى المنتظر، والتعقيب في الصلاة هو الجلوس بعد أن يقضيها لدعاء أو مسألة[1] وفي هذا التعقيب معنى الانتظار والاستمرار والاستغراق ويدل على هذا السياق اللفظي في قوله (قضوا فريضة وينتظرون أخرى)، وهو زمن مستمر يدور في فلك (المغفرة) وسبل الظفر بها في سياقات وأساليب مختلفة متنوعة بتنوع الأزمان والصيغ والألفاظ. وفي قوله تعالى: ((ومازال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه...))[2] دلالة على الاستمرار الزمني وفيه دلالة واضحة على المغزى الأساسي من التعبد والغاية القصوى التي يسعى إليها العبد وهي المغفرة والمعبر عنها بالمحبة في هذا السياق.

وتمثل الألفاظ الدالة على الزمن عاملا من عوامل الاتساق والربط الداخلي بين نصوص الأحاديث القدسية، يعمل على اتساقها وترابطها وتناسق أزمنتها ومدلولاتها، وهو زمن الاستغراق المستمر الذي يعم حياة العبد كلها بالعبادة والتوحيد وصولا إلى الجنان والفلاح والفوز بالمغفرة والرضوان.

وزمن الخطاب في الأحاديث القدسية له حاضر ومستقبل غيبي يطلع المتلقي عليه، وأغلب الأفعال في سياق الأحاديث القدسية تتلون دلالاتها بزمن الحاضر والمستقبل، ومثال ذلك حين يرد الفعل الماضي بدلالات الحاضر، والفعل الماضي في أصل وضعه وتسميته يدل على حدث انتهى وانقطع قبل زمن التكلم، إلا أنه قد يخرج إلى معنى الاستقبال والاستمرار إذا وُضع في سياق لغوي يدل تركيبه على ذلك، كقوله ﷺ: ((إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا، رجل يخرج من النار حبوا، فيقول الله اذهب فادخل الجنة... فيقول: يا رب وجدتها ملأى ...))[3] فالفعل الماضي (وجدتها) يدل على حدث ماض إلا أنه سيقع في زمن مستقبلي، وكأن المتلقي يخرج من الزمن المقيد بالحياة الدنيا إلى زمن غيبي ستحدث فيه هذه

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة ـ عقب
(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٤٠٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٥٧، رقم ٣٠
(٣) صحيح البخاري: رقم ٦٥٧١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٩٧، رقم ٦١

الأمور المستقبلية. وهذا الأسلوب فيه من تأكيد تحقق الوقوع، وثبات حدوث الأمور ما يجعل القارئ على بصيرة بما كان وبما سيكون.

ومنه قوله ﷺ: ((إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها...)) [1] فالفعل (خرجت) فعل ماض ولكن جاء في سياق يدل على الاستقبال بدلالة وقوع أداة الشرط (إذا) قبله الدالة على الاستقبال وثبوت تحقق ما بعدها قبل زمن وقوع الحدث لثبات أمر الموت على كل البشر. وفي قوله تعالى: ((إذا همّ عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة، فإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف...))[2] فجاء الفعل الماضي (همّ) للحث على الخير وإثبات وقوعه، والفعل الماضي (كتبتها) لبيان ثبات كرم الله مع عبده المبادر بالحسنات.

ومن الشواهد على ذلك قوله ﷺ: ((إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر، قال: يقول الله عز وجل صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي...))[3] فالفعل الماضي (إذا قال) لا يدل على حدث انتهى وانقطع، وإنما يدل على استمرار توحيد الله، وخلوص العبادة له، ومثله حديث فضل الصلاة وقراءة سورة الفاتحة فيها، يقول ﷺ: ((قال الله تعالى: قَسَمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين) قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: (الرحمن الرحيم) قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي...))[4] والأفعال الماضية (سأل ـ قال ـ حمدني ـ أثنى) تدل على الاستقبال والاستمرار في العبادة والحمد والثناء.

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٨٧٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١١٧، رقم ٧٤

(٢) صحيح مسلم: رقم ١٢٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٣، رقم ٣

(٣) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه: رقم ٣٧٩٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٦١، رقم ٣٧

(٤) صحيح مسلم: رقم ٣٩٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٢٧، رقم ١٥٣

ومنه قوله تعالى: ((إن الله عز وجل يقول أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت شفتاه))[1] فالفعلان الماضيان (ذكرني وتحركت) وقعا في سياق يدل على الاستقبال والاستمرار، ويدل على ذلك (واو المعية) الواردة في السياق في قوله (مع عبدي) فرغبة العبد في فضل الله وكرمه ونوال مغفرته يستلزم أمر (الذكر والعبادة) وبهذا كان للزمن دور كبير في ربط البنية الداخلية للنص، وإحكام نسج الدلالات واتساقها فجاء نصا مترابط اللفظ ومتماسك المعاني والأفكار والدلالات.

ومن ذلك دلالة الفعل الماضي المقترن بأداة الشرط (إنْ) على الاستقبال والاستمرار في قوله تعالى: ((أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملإٍ خيرٍ منهم، وإن تقرب إليّ شبرا تقربتُ منه ذراعا، وإن تقرب إليّ ذراعا تقربتُ منه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة))[2] فالأفعال الماضية (ذكرني وذكرته . وتقرب وتقربت . وأتاني وأتيته) الواقعة بعد إنْ الشرطية الدالة على إمكانية الوقوع والتحقق تدل على الاستقبال وليس على حدث صار وانقطع.

أما دلالة (الفعل المضارع) على الحال فهي دلالة ثابتة له، ومن ذلك قوله ﷺ في حديث فضل مجالس الذكر: ((... فيسألهم ربهم . وهو أعلم منهم . ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يُسبحونك ويكبرونك ويمجدونك ...))[3] فالأفعال المضارعة (يسبحونك، ويكبرونك، ويمجدونك) تدل على حالهم من المداومة على الذكر والعبادة في هذه المجالس.

وغالبا ما يدل الفعل المضارع في الأحاديث القدسية على الاستقبال، ويرتبط بحرف الاستقبال (السين)، يقول ابن هشام: " السين المفردة حرف يختص بالمضارع، ويخلّصه

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد جـ٢، ص٥٤٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص: ٦١، رقم ٣٦
(٢) صحيح البخاري رقم٧٤٠٥- والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص: ٥٧، رقم ٣٠
(٣) صحيح البخاري، رقم ٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص: ٥٩، رقم ٣٤

للاستقبال ... ومعنى قول المعربين فيها: (حرف تنفيس)، حرف توسيع، وذلك أنه يقلب المضارع من الزمن الضيق ـ وهو الحال ـ إلى الزمن الواسع ـ وهو الاستقبال ـ وأوضح من عبارتهم قول الزمخشري وغيره حرف الاستقبال "[1].

ومما ورد فيه الفعل المضارع دالا على الاستقبال قوله ﷺ: ((إن الله سيخلّص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فيَنْشُرُ عليه تسعةً وتسعين سِجلا كلّ سجل مثل مدِّ البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب ... فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. فيقول: احضر وَزْنَكَ. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقول: إنك لا تُظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشتِ السجلات، وثقُلتِ البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء))[2] فالأفعال المضارعة الواردة في هذا الحديث (فينشر ـ أتنكر ـ فتخرج ـ فتوضع ـ يثقل) دالة كلها على الاستقبال بدلالة دخول حرف (السين) على الفعل (سيخلص) الواقع في مطلع النص، ودلالة السياق على الزمن المستقبل المتمثلة في قوله (يوم القيامة) وباقي أفعال النص معطوفة على الفعل (سيخلص) وآخذة حكمه ومعناه كما أن الأفعال الماضية الواردة هنا دالة على الاستقبال لورودها في سياقه كـ (طاشت وثقلت).

وورد فعل (الأمر) في الأحاديث القدسية للدلالة على الاستقبال والاستمرار، في قوله ﷺ: ((يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم...))[3].

---

(١) مغنى اللبيب: جـ١، ص١١٩

(٢) حديث صحيح أخرجه الترمذي، رقم ٢٦٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص: ٣٣، رقم ١٨

(٣) صحيح مسلم: جـ٤، ص: ١٩٤

وقد جاءت في هذا النص أفعال الأمر الطلبية (فاستهدوني، فاستطعموني، فاستكسوني، فاستغفروني) دالة على الاستقبال بدليل دخول (السين) عليها والتي تفيد معنى الاستقبال، وتؤكد معنى المداومة والاستمرار في الذكر والعبادة والدعاء [1]، ويمثل هذا المعنى قوله (يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا) فظرف الزمان (الليل والنهار) يدل على استمرار صدور الذنب من العبد في يومه إما بلفظ أو حركة أو تقصر في الحقوق أو الواجبات، وقوله (وأنا أغفر الذنوب جميعا) فيه تأكيد عموم وشمول المغفرة الإلهية، وبهذا تترابط دلالة النص في بنيته العميقة بين متتاليات جمله التركيبية، وتترابط معاني نصوص الحديث القدسي عامة لتدور في بؤرة مركزية هي (المغفرة) وبذلك يتحقق الاتساق التركيبي والانسجام الدلالي في النص كله.

وفعل الأمر في الأحاديث القدسية ينقل دلالة زمنية أخرى غير الاستقبال والاستمرار، وهي دلالة الخطاب في الزمن الماضي قبل وجود البشرية في الأرض، ويظهر ذلك من خلال فعل الأمر الوارد في حوار الله تعالى لآدم في قوله ((اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيّونك...))[2] فقد جاء فعل الأمر (اذهب ـ فسلم ـ فاستمع) محمّلا بدلالات الزمن في ساعة خلق آدم وهو زمن ماض انتهى في وقت التكلم والتلقي لنص حديث، ولكن فعل الأمر جعله خطابا ممتدا عبر الزمن بمضامينه وتطبيق مفاهيمه.

كما يدل فعل الأمر في سياق الأحاديث القدسية على زمن الاستقبال الغيبي في أرض المحشر وقت الحساب، حين يرجو المؤمنون من ربهم الشفاعة والمغفرة لإخوانهم الذي أُدخلوا النار، يقول ﷺ: ((ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أُدخلوا النار، قال: يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا

(١) ينظر: الأحاديث القدسية ـ دراسة في البنية اللغوية، علي عبدالله النعيم: ص١٣٨ ـ١٣٩
(٢) صحيح البخاري، رقم ٦٢٢٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص: ٢٠١، رقم ١٤١

ويحجون معنا فأدخلتهم النار، قال، فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم ...)) [1] ففعل الأمر (اذهبوا فأخرجوا) يدل على زمن الخطاب المستقبلي في الآخرة.

ويظهر فعل الأمر بدلالة المستقبل الغيبي الذي أخبر الله تعالى به رسوله ﷺ في قصة آخر أهل النار دخولا الجنة، يقول ﷺ: ((ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنة فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار ... ثم يقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة ... ثم يقول: أي رب أدخلني الجنة ....))[2] ففعل الأمر (اصرف ـ قدمني ـ أدخلني) ورد بغرض الالتماس والرجاء في مستقبل غيبي بالنسبة للمتلقي.

وبهذا كانت دلالة الزمن في الأحاديث القدسية تتصرف في منطق الأحداث والوقائع وهي في عرضها لها لا ترتكز على السرد الخطي دائما فقد ترتد إلى الوراء في الزمن، وقد تمضي قدما مستشرفة أحداثا سابقة لأوانها. واستشراف الأحداث كان في دلالة الفعل الماضي والمضارع والأمر على أزمنة مستقبلية بعد الموت وساعة الحساب وفي أرض المحشر. وهذا التعامل الفني مع الزمن يخلق عنصر ربط للنصوص به تتشابك المعاني وتتآلف، وبه تنسجم الأفكار والمفاهيم وتتعالق، فيكون عنصر تشويق للمتلقي وعنصر فهم وبيان واستشراف لأبدية الزمن.

إن نصوص الأحاديث القدسية تعرض أبعادا زمنية تتشابه مع الأبعاد الزمنية التي عرضها القرآن الكريم، حول الزمن المرتد إلى الوراء وخلق آدم أو في استشراف الحياة الأبدية والنعيم في الجنة أو العذاب في النار، وبهذا يتطابق الزمن في الحديث القدسي من الرؤية الجديدة التي عرضها القرآن الكريم لمفهوم الزمن، حيث وظفه بطريقة معجزة تجاوزت مفهومه الدنيوي " وقد أثار النص القرآني الطرح الزمني مما يدل على أن الزمن مخلوق مع الكون، إلا أن القرآن وظفه

---

(١) حديث صحيح أخرجه النسائي، جـ٨/ ص١١٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٣١، رقم ١٦

(٢) صحيح البخاري، رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص٩٩، رقم ٦٣

بطريقة معجزة تجاوزت مفهومه الدنيوي المتعلق باليوم والشهر والسنة ... فيخرج الزمن عن تقديره الطبيعي في حياتنا اليومية إلى الدنيوية إلى تقدير يختلف في حياة الآخرة " [١] .

وعلماء اللغة العربية القدماء والنحاة كان لهم دور بارز في دراسة الزمن الصرفي والنحوي للأفعال "ولكنهم عندما تطرقوا إلى الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية، وجدنا أنهم تحدثوا عن الزمان وكأنه مدلول عليه بصيغة الفعل دلالة تنفصل عن القرائن اللفظية والمعنوية التي تمثل ملابسات القول التي ترد فيه ... فهم لما رأوا أن المضارع المجزوم بـ (لم) يدل على الماضي، قالوا: إن (لم) حرف قلب تقلب معنى المضارع إلى الماضي، ولما وجدوا أن الماضي في السياق أو التركيب قد يدل على المستقبل قالوا: إن التعبير بالماضي عن المستقبل من باب الاستعارة، ولما وجدوا أن المضارع قد يدل في التركيب اللغوي عن الماضي قالوا: إن ذلك يأتي لنكتة بلاغية أو حكمة أرادها المتكلم ... وهكذا" [٢].

أما الباحثون المعاصرون فيرون أن الزمن في اللغة العربية ذو طبيعة نحوية، يتعالق فيها الزمن الصرفي مع الزمن النحوي السياقي، وعليه فقد فرقوا بين نوعين من أنواع الزمن الوارد في الخطاب، هما:

١ . الزمن الصرفي: وهو الزمن الذي تدل عليه الأفعال وهي مفردة خارج سياق الجملة والتركيب.

٢. الزمن النحوي: وهو الزمن الذي يكتسبه الفعل بعد التركيب داخل سياق النص، وما يصاحبه من قرائن لفظية وحالية [٣]. وللحديث عن الزمن في الأحاديث القدسية عودة في الفصل السادس من البحث في مبحث العدول.

---

(١) بنية الزمان والفضاء في قصص الحديث النبوي، سهام سديرة: ص٢٤ . ٢٥ .

(٢) الانسجام النصي وأدواته . مقال، الطيب العزالي قواوة: ص: ٧٤ . ٧٥ .

(٣) ينظر: الانسجام النصي وأدواته ـ مقال، الطيب العزالي قواوة: ص ٧٦

جـ. السياق والانسجام الدلالي:

احتلت نظرية السياق في التراث العربي والدراسات اللغوية الحديثة مكانا بارزا وذلك لفهم النصوص أو تحليلها، أو بهدف استنباط الأحكام منها، وللسياق علاقة قوية بالدلالة " فهو القرينة الفنية الكاشفة للوجه المراد من المفردة إذ يقوم بعملية ترشيح دلالي للاكتناز المعنوي الموجود في المفردة الواحدة " [(١)]، فالسياق هو المرشد والموجه في تحديد دلالة الألفاظ، ذلك أن لكل لفظ في اللغة العربية معان معجمية متعددة، وله معنى واحد بعد دخوله في التركيب والسياق، وبذلك يكون السياق هو الحَكم في توجيه دلالة الألفاظ.

والسياق لغة من الجذر اللغوي (س و ق)، يقول ابن منظور: " السَّوق معروف ساقَ الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا... وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت ... ويقال فلان في السِّياق أي في النَّزع ... والسِّياق نزع الروح ... كأن روحه تساق لتخرج من بدنه "[(٢)]، وذكر الزمخشري في مادة (س و ق) معان كثيرة، منها التتابع: " تساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث... "[(٣)] فالسياق لغة هو التتابع والانقياد والإخراج. وهذه المعاني قريبة من الاستعمال اللغوي للسياق فهو يخرج المعاني المتتابعة للفظة المعجمية ويبرز المعنى المحدد والمراد فيظهر منقادا واضحا من خلاله.

ويذكر الدكتور تمام حسان تأكيدا لهذه المعاني اللغوية الواردة لمعنى السياق في المعاجم، يقول: " المقصود بالسياق، التوالي ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين، أولاهما: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمى (سياق النص). والثانية: توالي

(١) جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية النص القرآني أنموذجا، سيروان الجنابي وحيدر عيدان: ص٣٣
(٢) لسان العرب: مادة / سوق
(٣) أساس البلاغة: مادة سوق

الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى السياق (سياق الموقف)" [١].

والسياق في الاصطلاح اللغوي هو تتابع الكلام وانسجام التعبير في الدلالة على المعنى من خلال النص، وهو" بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه [وهو] بناء نصي كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة. ودائما ما يكون السياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي ضوءا لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها" [٢] فالسياق هو كل العناصر المقالية والمقامية التي تحيط بالنص أو الخطاب، وهو يقوم على ترجيح المعاني واختيار الدلالة المحتملة للكلام فهو" كل ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى " [٣].

ويتحكم السياق في مجريات النص والخطاب، ويتحكم في معطياته، وبواعثه، ومنطلقاته، وأهدافه ويحدد معناه ومقصده، ويُقصي الاحتمالات المعنوية والدلالية التي لا تتناسب والتركيب الواردة فيه الكلمة، والسياق نوعان:

. سياق داخلي: أو ما يسمى بسياق التلفظ، ويتمثل في عناصر اللغة، وكيفية تتابعها في الصياغة والتراكيب، وهو بذلك يمثل معطيات لغوية يمكن تحليلها من داخل النص، أو الخطاب.

. والسياق الخارجي: أو ما يسمى سياق المقام، وهو السياق الذي يمثل مجموع الملابسات الخارجية التي تحكم عناصر الموقف اللغوي، من سياقات تمثل دوافع المرسل، أو تحكم استجابة المتلقي، أو سياقات ثقافية تتعلق بالمحيط الثقافي الذي يحكم المرسل والمتلقي للرسالة [٤].

---

(١) قرينة السياق ـ بحث مقدم في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم: ص ٣٧٥

(٢) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي: ص١١٥

(٣) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، أبو الفرج: ص١١٦

(٤) ينظر: المعنى خارج النص ـ أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، فاطمة الشيدي: ص٦ ـ ٧

وبذلك فالسياق يعني في دلالته الأولى البنية اللغوية في اتصالها بما قبلها وبما بعدها، وهو ما يسمى بالسياق اللغوي أو المقالي، ويعني في دلالته الثانية الظروف والملابسات التي تحيط بالحدث اللغوي وهو ما يسمى بالسياق غير اللغوي أو المقامي [1].

(١) ينظر: النقد والسياق ـ مقال، سالم عباس خدادة: ص١١٣

المبحث الثالث: السياق في الأحاديث القدسية

ينقسم السياق في الأحاديث القدسية إلى نوعين، سياق داخلي لغوي وسياق خارجي مقامي، وفي ما يلي بيان ذلك:

١. السياق الداخلي ـ اللغوي:

إن المعنى الأساسي المعجمي للكلمة متعدد ومحتمل، والسياق يختار لها معنى واحدا من إمكانياتها المتعددة بالقرائن المقالية وهو ما يسمى بالسياق اللغوي الذي لا يكون " إلا بوضعها أو تسييقها في تراكيب لغوية، فكأن حيثية الاستعمال الخطابي للفظة هو الذي يمنحها المعنى"(١) فينظر للكلمة من خلال علاقتها بما يتقدمها وما يعقبها داخل النص، وما تحيل عليه ومراجع الإحالات عليها ليتضح معناها.

فيكون للسياق دور مهم في تحديد دلالة الألفاظ فهو الذي يفرض معنى واحد للكلمة رغم تعدد المعاني المعجمية التي بوسع الكلمة أن تدل عليها وهي في خارج السياق، وله دور أهم وهو تحديد دلالة التراكيب أو ما يسمى (المعنى النحوي الدلالي) الذي يقول عنه الدكتور محمد حماسة: " ولا تكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضوعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم"(٢).

والسياق من عناصر الربط والتماسك النصي، لأنه يعتمد على العلاقات الدلالية التي تقوم بين الألفاظ على مستوى الجملة وبين الجمل على مستوى النص، فهو قاعدة لشبكة من العلاقات التي تربط المركبات النحوية داخل الجملة والتتابعات الجملية داخل النص.

---

(١) جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية النص القرآني أنموذجا، سيروان الجنابي وحيدر عيدان: ص٣٦
(٢) النحو والدلالة: ص٩٨

وللسياق النحوي دوره في بيان الدلالة النحوية للبنية التركيبية التي تنتظم الخطاب وفق علاقات داخلية مترابطة في كل متسق " فالسياق ينتج المعنى الذي تؤديه المنظومة القواعدية التي يتكون منها النص من وجهة نظر نحوية، فالقواعد التي يبنى عليها النص اللغوي يجب أن يتحقق فيها الانسجام مع دلالة (السياق)، فالسياق النحوي يعمل على أداء معنى الجملة ... والسياق النحوي يمثل شبكة من العلاقات النحوية تقوم كل علاقة فيها عند وضوحها على إضاءة المعنى، وقد يعول وضوح المعنى أو إنتاج الدلالة على التآخي والتضافر بين قرائن متعددة تلك هي قرائن السياق النحوي" (١).

ولعل المراد (بالمعنى النحوي الدلالي) هو ما سبق الجرجاني المحدثين إليه حين تكلم عن الأصل النحوي لكشف المعنى ، فلا يكون الكلام نظما ذا معنى " إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله " (٢) من ذلك التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والوصل والفصل، وقصر المعنى وعدمه، فليس القصد معرفة قواعد النحو وحدها، ولكن القصد هو معرفة ما تحدثه هذه القواعد في المعنى وما سيتولد عن نظمها من دلالات .

ومن أمثلة المعنى النحوي الدلالي في (التقديم والتأخير) قوله ﷺ: ((تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقال الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم. قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء. وقال للنار إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء. ولكل واحدة منهما ملؤها"(٣) فكلمة (ملؤها) مبتدأ مؤخر اشتمل على ضمير يعود على بعض الخبر لذلك تقدم الخبر وجوبا وهو قوله (لكل واحدة منهما)، ودلالة هذا التقديم هو الاختصاص، وفي الحديث نفسه تأخر المفعول به في قوله (من أشاء) والغرض هو التخصيص. وفي قوله ﷺ: ((إذا قال العبد: لا إله إلا الله ولا حول ولا

(١) جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية النص القرآني أنموذجا، سيروان الجنابي وحيدر عيدان: ص٤٢
(٢) دلائل الإعجاز: ص٥٥
(٣) صحيح البخاري: جـ٢، ص٥٩٥

قوة إلا بالله، قال الله: صدق عبدي لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد ...)) فقوله (لي الملك . ولي الحمد) جملتان اسميتان وقع الخبر فيهما جار ومجرورا مقدما، وتأخر المبتدأ (الملك ، الحمد).

وفي قوله ﷺ في آخر أهل النار دخولا الجنة: ((فيقول رضيت ربي فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثلُه، فقال في الخامسة: رضيت ربي...)) فقوله (لك ذلك) جملة اسمية تتكون من خبر مقدم (جار ومجرور) و(لك) مبتدأ مؤخر وهو اسم إشارة مبني على الفتح [١].

وبذلك يدرس المستوى الدلالي انسجام المعاني في النص عن طريق إيجاد الروابط السياقية بين التراكيب والجمل التي قد تبدو في البنية السطحية اللفظية للنص غير منتظمة بروابط ظاهرة تجمعها. ويظهر التماسك بدلالاته السياقية في البنية العميقة للنص كامنا مستقرا في قاعها، وهو يحتاج قارئا واسع الفهم والاطلاع للوصول إلى كنهها، ولذلك تتعدد معاني النصوص وتتنوع مقاصده اتساعا وقياسا وتأويلا.

وقد جاءت بعض الأحاديث القدسية مفككة في ظاهر بنيتها السطحية إلا أنه مع إنعام النظر فيها يجد القارئ بنية عميقة فيها، محكمة النسج الدلالي، راسية بمعانيها، مثاله قوله ﷺ: ((انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما: أنا فلانُ بن فلانٍ حتى عدّ تسعةً، فمن أنت لا أمّ لك، قال: أنا فلانُ بن فلانٍ ابن الإسلام، قال: فأوحى الله إلى موسى عليه السلام إن هذين المنتسبين: أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعةٍ في النار فأنت عاشرهم، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة" [٢] .

وهو حديث يحذر من الفخر بالأنساب ويبين أنها من دعوى الجاهلية ومآل صاحبها إلى النار، والناظر لسطح النص الخارجي في قوله (إن هذين المنتسبين) وقوله (أما أنت أيها المنتمي...) يجد أن هناك فراغا بين اتصال حلقات النص لفظا، فلا اتساق بين الجملتين بأي

(١) ينظر الخصائص التركيبية للأحاديث القدسية، أيمن حامد أحمد: ص٧٠ ـ ٧٢
(٢) حديث إسناده صحيح، أخرجه الإمام أحمد : ١٢٨/٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢١٧ ـ ٢١٩، رقم ١٤٧

أداة أو أسلوب من أساليب الاتساق، إلا أنه يفهم من خلال السياق اللغوي المعنى العام للنص، لأنه يطفو على بنية عميقة متماسكة منسجمة الدلالات، محكمة المعنى سهلة الإفهام، ذلك أن المعنى بُنِيَ على تقدير حذف (خبر إن) فيكون المعنى: إن هذين المنتسبين أحدهما في الجنة والآخر في النار. ثم تأتي باقي متتاليات النص التركيبية موضحة إجمال ما حذف من لفظ ومفصلة لمعناه.

كما تشير علاقات الوصل والفصل في نصوص الأحاديث القدسية إلى علاقات الترابط الدلالي بين المعطوف والمعطوف عليه، فيكون المعطوف ذو علاقة اتصالية بما سبقه في تركيب الجملة أو في انتظام متتاليات الجمل مع بعضها داخل النص في نسق متصل متماسك الدلالة. وقد ذكرت د. عزة شبل بعض أدوات العطف التي تحمل بعدا دلاليا تركيبيا، مثل (الواو/ العاطف الإضافي، ولكن/ العاطف المقابل، و أو/ العاطف الفصل) [1].

ومثال ذلك في الأحاديث القدسية قوله ﷺ: ((أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملإٍ خيرٍ منه، وإن تقرب إليّ شبرا تقربتُ إليه ذراعا، وإن تقرب إليّ ذراعا تقربتُ إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)) [2]. فجمعت حروف العطف بين تراكيب النص ومتتاليات جمله في قوله (وأنا معه . فإن ذكرني . وإن ذكرني . وإن تقرب . وإن أتاني) وحروف العطف (الواو . والفاء) ربطت مفاصل التركيب ببعضها وجعلت النص وحدة واحدة يشد بعضه بعضا لفظا، ويشد بعضه بعضا بالمعاني النحوية الدلالية.

(١) ينظر: علم اللغة النصي النظرية والتطبيق: ص١٨٨
(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٤٠٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٧، رقم ٣٠

وحروف العطف في كل موضع ترد فيه تضيف معنى إضافيا إلى ما سبقها وما تلاها من تراكيب، وقد تم في الفصل الثاني تناول هذه النماذج بالتوضيح والبيان. فحرف العطف (الواو) بين الجمل الشرطية يفيد تحقق مضمونها، ويُستخرج منه معنى دلاليا هو سرعة قبول توبة الله للعبد، وتيسر سُبل طاعته ورجوعه إليه. ومنه قوله تعالى: ((من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد))[1] فحرف (الواو) في قوله (وأزيد) عطف الجملة اللاحقة على الجملة الشرطية السابقة وربطها بمعنى التحقق وحتمية الإنجاز للوعد بالغفران وزيادة الثواب.

وتعمل أدوات العطف على ربط تراكيب المستوى السطحي بالمستوى الدلالي العميق " إذ يقوم على عطف الجمل والتراكيب بعضها على بعض ضمن السياق الخطي، فتكون العلاقات القائمة بين التركيبين هي علاقة التتابع الدلالي، لأن الجملة المعطوفة أو التركيب المعطوف يأخذ حكم التركيب المعطوف عليه ودلالته" [2].

ويدخل في السياق اللغوي العلاقات الأسلوبية النحوية داخل السياق النصي، فالمعنى يتحدد عن طريق تعاقب الجمل، واستمرارها في النص دون انقطاع إلا بتمام المعنى. ومن ذلك تكرر أسلوبي النداء والاستفهام في نسيج النص، واندماجهما وتداخلهما في بنية النص التركيبية الخارجية مما يعزز لحمة النسيج الدلالي في البنية الدلالية العميقة للنص، ويعزز التماسك في أسلوب الحوار القائم على السؤال والجواب والذي يُعد من أكثر الأساليب التي ارتكزت عليها الأحاديث القدسية للربط بين الجمل ودلالاتها التركيبية، وتعاقبها واستمرارها ومثاله قوله ﷺ: ((إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده. أما علمتَ أنك لو عدتَه لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٦٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص: ٣٠، رقم١٥

(٢) العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفة في الأحاديث القدسية ـ بحث منشور في مجلة الجامعة الأردنية، د.عبدالهادي هاشم الجراح: ٨٩

العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمتَ أنك لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب؟ كيف أَسقيكَ وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلانٌ فلم تسْقِه. أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي))[1].

ففي امتداد السياق الأسلوبي لهذا الحديث يُلحظ أسلوب النداء (يا ابن آدم)، (يا رب) وكذلك أسلوب الاستفهام (أما علمتَ ... ؟) وأسلوب الحوار المتمثل بالفعل (قال) الذي يشكل جسرا واصلا بين أسلوبي النداء والاستفهام في قوله (قال يا رب ..) (قال أما علمتَ...) وبتكرار عبارات الاستفهام والنداء وتداخلهما تبرز معاني الحديث ومضامينه وتترابط في سياق النص القدسي.

ويمر نص الحديث بثلاث مراحل تتابعية إسنادية، الأولى هي عيادة المريض، والثانية هي إطعام الطعام، والثالثة هي سُقيا الماء، تؤدي مجتمعة إلى تعالقات ضمنية دلالية " ويُعد التتابع الدلالي الإسنادي من أبرز العلاقات السياقية التي تكوّن عالم النص، وتتحكم بأهدافه، فتعمل على سلْسَلتِها بأسلوب مترابط متماسك، وتتراءى هذه العلاقات عبر البنية النصية عن طريق ربط جزأي التركيب بعضهما ببعض من جهة، وربط سلسلة التراكيب النصية بعضها ببعض، كونها تدور حول فكرة محورية أو دلالة كلية واحدة ثابتة من جهة أخرى، وذلك لأن اشتراك التراكيب الإسنادية في المحور الدلالي الثابت هو من أسمى علاقات الربط، إذ يعكس الإمكانات الذهنية التنظيمية داخل النص "[2].

ومن أمثلة ذلك في الأحاديث القدسية حديث فضل مجالس الذكر الذي سبقت الإشارة إليه في الفصول السابقة في مبحثي الربط التركيبي والمعجمي، يقول ﷺ: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم،

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٥٦٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٠، رقم ٤٤

(٢) العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفة في الأحاديث القدسية، عبدالهادي هاشم الجراح: ص ٨٩

قال: فيحفونهم بأجنحتم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم عز وجل ـ وهو أعلم منهم ـ ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يُسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا، قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة قال فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال يقول ملَك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى جليسهم))[1].

فنجد السياق مهيمن بنوعيه على نص هذا الحديث القدسي، كما يمثل مدخله مقدمة سياقية تهيئ المستمع لفحواه، ويرتكز نصه على أساس موضوع (المغفرة) وتدور جمله المتتابعة دلاليا حول مضمون العبادة رجاء رضوان الله والفوز بالجنة والنجاة من النار. وتتداخل الأساليب المتماثلة في بناء نص الحديث وخلق دلالاته، وهي كالتالي أسلوب الاستفهام في قوله (هل رأوني؟ ... وهل رأوها ؟ ...) وأسلوب النداء في قوله (لا والله يا ربّ ...) والواسطة الرابط بين التراكيب والدلالات (فعل القول) المتمثل في قوله (قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها...) وقوله (قال: فيقول: هل رأوني ـ قال: فما يسألوني؟ ـ وقوله: قال: فمم يتعوذون) وقد سبقت الإشارة إلى هذه التراكيب ومعانيها في الفصل الثاني من البحث.

(١) صحيح البخاري: رقم٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩، رقم٣٤

وللسياق اللغوي الداخلي دور في تقييد المطلق وتخصيص العام، ففي قوله ﷺ: ((... وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها))[1] فالقيد اللغوي هو (ما لم يعملها) فالسيئة إذا تحدث أو همّ العبد بها تُغفر بقيد (ما لم يعملها) فإن عملها العبد حسبت سيئة وكذلك بالنسبة للحسنات، وقد سبق التطرق لهذا الحديث في الفصل الثاني من هذا البحث.

ومنه قوله ﷺ في حديث دخول النار لمن فسدت نيته: ((إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأُتيَ به فعرَّفَه نِعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلتَ لأن يُقال جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار))[2] فكلمة (يوم القيامة) قيد زمني ورد في السياق اللغوي للبيان والإفهام، وإجراء المحاسبة بهذه الكيفية وهذه الأحداث يُعدُّ من الأمور الغيبية المستقبلية التي يكشف عنها النبي ﷺ الحجب بنقله للمعارف الإلهية، وبهذا يكون للقيد الزمني دور في الربط بين متواليات الجمل، وتحويل دلالات أزمنة الأفعال لإحداث الانسجام بين الحدث والزمن في نص الحديث.

وورد التخصيص كغرض من الأغراض الأساسية للسياق اللغوي في الأحاديث القدسية، وكان الهدف منه تحديد دلالات السياق وإبراز المعنى المراد بالخطاب، وقد ظهرت بعض المخصصات اللغوية في الأحاديث القدسية كالاستثناء، والصفة، والشرط، والغاية (بحتى وإلى).

ومثال التخصيص بالاستثناء قوله ﷺ: ((يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أَهْدِكُم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أُطعْمِكُم. يا عبادي

(١) صحيح مسلم: رقم ١٢٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣، رقم ٢

(٢) صحيح مسلم: رقم ١٩٠٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨، رقم ٧

كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أَكْسُكُم ...)) [1] فكلمة (كلكم) تفيد تأكيد العموم بفظ (كل)، والضمير المتصل (كم) الدال على الجمع، أما أداة الاستثناء (إلا) فقد أخرجت من حكم عموم الضلال كل من طلب الهداية من الله، وبهذا الإخراج تخصيص لدلالة العموم.

وذكر علي القاري (١٠١٤هـ) تفصيلا لمعنى الاستثناء والتخصيص في قوله (يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته) و (يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته)، يقول في شرحه لهذا الحديث: " قال الطيبي (٧٤٣هـ) فإن قلت ما معنى الاستثناء في قوله: إلا من أطعمته وكسوته، إذ ليس أحد من الناس محروما منهما، قلت: الإطعام والكسوة لما كانا معبرين عن النفع التام والبسط في الرزق وعدمهما عن التقتير والتضييق، كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾[2] سهل التقصي عن الجواب فظهر من هذا أن ليس المراد من إثبات الجوع والعري في المستثنى منه نفي الشبع والكسوة بالكلية وليس في المستثنى إثبات الشبع والكسوة مطلقا، بل المراد بسطهما وتكثيرها " [3]، فطلب الخير والفضل من الله مدعاة البركة واتساق الزرق، وهذا التخصيص يتضح معناه بالعودة إلى المعنى السياقي العام للنص، والذي يظهر في بداية مدخل الولوج إلى النص في قوله (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي فلا تظالموا) فكلمة (الظلم) الواردة في قوله (حرمت الظلم) وقوله (فلا تظالموا) هي الخيط الرابط لمتواليات الجمل في نص الحديث، وهي أداة لانسجام الدلالات والمعاني والمفاهيم الواردة فيه، فعدم ظلم العباد وطلب الرزق من الله هو مدعاة البركة واتساع الأرزاق في الحياة وبعد الممات.

ويدل هذا الحديث على سعة الخير عند والله وحصول العبد على الرزق مقرونا بالتوكل على ربه ومن ثم بالعمل والسعي بعيدا عن الظلم والتظالم، ويمثل ذلك قوله في نهاية الحديث (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤١، رقم ١٦٠
(٢) سورة الرعد: ٢٦
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: كتاب الدعوات جـ٥، ص٢٣٥

إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَطُ إذا أُدخل البحر). وبهذا يحدث الترابط والانسجام بين دلالات الجمل مما ينتج نصا متكاملا مترابطا متسلسلا في عرض المفاهيم والأغراض، وهذا النص في اتساقه التركيبي اللفظي وانسجامه الدلالي يدور في فلك البؤرة الأساسية للأحاديث القدسية (المغفرة)، وقد ورد ذكرها صراحة في نص الحديث في قوله (وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم) وبهذا فكل ذنب وكل تقصير من العباد يقابله سبيل إرشاد ومقام غفران في نصوص الأحاديث القدسية.

كما ظهر التخصيص بالشرط في نصوص الأحاديث القدسية، وفي سياق الأحاديث القدسية كثيرا ما تقترب دلالة الشرط من دلالة الاستثناء في تخصيص النص وتقييد عمومه، مثال ذلك قوله تعالى: ((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب...))[1] ويدخل في أولياء الله تعالى أصناف عديدة منهم المجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله والمتصدقون والقانتون ... الخ فجاء الوعيد الشديد لمن آذى المؤمنين[2]. وقال الحافظ " والمراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته ... ومن آذى أولياء الله فقد أعلمه الله بأنه محارب له إذ الإيذان الإعلام ومنه أخذ الأذان أي أعلمته أني محارب له وفي هذا تهديد شديد لأن من حاربه الله أهلكه وهو من المجاز البليغ... ولما كان ولي الله من تولى الله بالطاعة والتقوى تولاه الله بالحفظ والنصرة " [3]، وعليه فالتخصيص وارد في اختصاص محاربة الله لمن عادى أولياءه، وكذلك في قوله تعالى: ((من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها و أزيد))[4] فأمر مضاعفة الأجور وزيادتها مختصة بالمتقين الصالحين.

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٥٠٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٩، رقم ٥١

(٢) ينظر: حاشية الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٨٠

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: جـ ١١، ص: ٣٤٢ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٨٠

(٤) صحيح مسلم: رقم ٢٦٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٠، رقم ١٥

أما التخصيص بالصفة فقد ورد في نصوص الأحاديث القدسية بكثرة وقد سبق التطرق إليه في الفصل الثاني من البحث، ومثاله قوله ﷺ: ((قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر))[1] فصفة (الصالحين) قصرت وخصصت الكرم في الجنة على العباد الصالحين.

ومما ورد في التخصيص بالغاية قوله تعالى: ((إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها))[2]، فالتخصيص دلت عليه أداة الغاية (حتى)، فنية العبد بعمل المعصية أو تحدثه بالقيام بها لا توجب عليه حساب السيئات، حتى غاية قيامه بفعل المعصية. فجاء التخصص بـ (حتى) التي انتهى معها وقت عدم احتساب المعاصي.

ومنه قوله ﷺ في حديث الاحتضار وخروج الروح: ((... ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قِبَل الأرض صلى الله عليكِ وعلى جسدٍ كنتِ تعمرينه. فينطلقُ به إلى ربه عز وجل ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل...))[3]، فقوله (إلى ربه) و (إلى آخر الأجل) يفيد تخصيص نهاية زمن استقرار روح الميت وهي في (آخر الأجل) وانتهاء جسده (في الأرض) وقد جاء تفصيل ذلك في رواية أخرى للحديث في قوله ﷺ: ((حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى))[4].

وكما كان للتراكيب والأساليب في السياق اللغوي دلالات ومعانٍ، كان لبعض الألفاظ الخاصة بالحديث القدسي دلالات أيضا، من الممكن التطرق إليها بشيء من التفصيل، وهي:

---

(١) رواه البخاري: فتح القدير٨/٥١٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٨٩، رقم ٥٦

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧، رقم ١

(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٨٧٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٧، رقم ٧٤

(٤) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٤/ ٢٨٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٥، رقم ٧٣

الدلالات الخاصة بكلمة (رب) و(عبد) و(ابن آدم) ومعانيها المختلفة في السياقات اللغوية للأحاديث القدسية.

فوردت كلمة (رب) بصيغ نحوية مختلفة في الأحاديث القدسية مثل (ربي/ المضاف إلى ياء المتكلم) و (ربنا/ المضاف إلى نا الفاعلين) و (ربك/ المضاف إلى كاف الخطاب) و(ربه/ المضاف إلى ضمير الغائب) و (الرب/ المعرف باللام العهدية)، (رب العالمين) وورد مرادفها اسم العلم (الله). يقول ابن منظور: " والرَّبُّ يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيّم، والمنْعِم ... والرَّبُّ ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون الرَّبُّ المالك، ويكون والرَّبُّ السيد المطاع ... ويكون والرَّبُّ المصلح. رَبَّ الشيء إذا أصلحه " (١). ويقول الألوسي: " الرَّبُّ في الأصل مصدر بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله، بحسب استعداده الأزلي، شيئا فشيئا، كأنها من ربا الصغير كعلا إذا نشأ " (٢).

ومما وردت فيه كلمة (رب) بمعنى (المالك الخالق)، قوله ﷺ: ((إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستّره فيقول: أتعرفُ ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي ربِّ ...))(٣)

ومنه قوله ﷺ في حال العبد المريض: ((ليس من عمل يوم إلا وهو يختم عليه فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة، يا ربنا عبدك فلان قد حبسته، فيقول الرب عز وجل: اختموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت))(٤).

وقد وردت كلمة (رب) بصيغتين (ربنا ـ والرب) ولكل منهما دلالة خاصة تنسجم والسياق الواردة فيه، (فربنا) تدل على أنه تعالى المالك الخالق المتصرف في أحوال العباد جميعا وفي أحوال كل المخلوقات حتى الملائكة، فالكل عبيد يعبدون الله عبادة مطلقة، والثاني (الرب) فهو الرب

---

(١) لسان العرب: جـ٦، مادة ربب
(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: جـ ١، ص: ٧٧
(٣) صحيح البخاري، رقم٢٤٤١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٤، رقم ٤٦
(٤) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ١٤٦/٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٥٨، رقم ١٦٥

المعهود بإصلاح الحال فهو من يرحم ويشفي، والحُكم بيده ومحاسبة العباد من اختصاصه لا ينازعه فيها أحد، فكان التفضل بالمغفرة والثواب منه للمريض وهو نائم تجري صحائف حسناته بالثواب الجزيل. ووردت كلمة (عبد) بمعنى (السيد المطاع)، في قوله تعالى: ((يا محمد، قلت: لبيك ربِّ، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت في الكفارات)) (١).

وقوله ﷺ: ((إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا))(٢).

ووردت كلمة (رب) بمعنى (المصلح والمربي)، في قوله ﷺ: ((... يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمتك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمتَ أنك لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب؟ كيف أَسقيكَ وأنت رب العالمين؟....))(٣) فعلاقة الربوبية بالتربية، وإصلاح سلوك العباد وتنشئتهم على الأخلاق واضحة لا تخفى في الأحاديث القدسية.

---

(١) حديث صحيح أخرجه الترمذي، رقم ٣٢٣٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٠، رقم ١٥٥

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٢، رقم ٥٧

(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٥٦٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٠، رقم ٤٤

ودلالة كلمة (رب) في الأحاديث القدسية ترد وفق ما يحدده لها السياق، لانسجام المعنى وتآلفه مع باقي الكلمات والجمل السابقة واللاحقة في النص. وكلمة (عبد) كذلك من الكلمات التي يكاد لا يخلو منها خطاب في نصوص الأحاديث القدسية، كون العبد هو الطرف الثاني من أطراف الخطاب، وكلمة (عبد) وردت بصيغ مختلفة في الأحاديث القدسية مثل (عبدي . وعبادي المضاف إلى الله سبحانه وتعالى، وعبدي المؤمن ، والعبد/ المعرف بال للدلالة على عموم العباد، وعبد/ النكرة غير المخصصة بالإضافة).

وقد جاءت كلمة (عبد) في المعاجم اللغوية بمعنى: " العبد: الإنسان، حرا كان أو رقيقا، يُذهب بذلك إلى أنه مربوب لباريه جل وعز .. وجعل بعضهم (العِباد) لله، وغيره من الجمع لله والمخلوقين ... " [١] وصيغة الجمع الوحيدة الواردة في الأحاديث القدسية لكلمة (عبد) هي صيغة عِباد، ولم ترد كلمة (عبد) مؤنثة أو بصيغة (أمة) وذلك لأن كلمة (عبد) تطلق على الذكر والأنثى، فيعم الخطاب جميع العباد.

وكلمة (العبد والعباد) تختلف في معناها وتتضاد مع كلمة (العبيد) يقول الأزهري: " اجتمع العامة على تفرقة ما بين عباد الله والمماليك، فقالوا: هذا عبد من عباد الله، وهؤلاء عبيد مماليك ... ولا يُقال عَبَدَ يَعْبُدُ عِبادة إلا لمن يعبد الله "[٢] ويفرق الزبيدي بين (العُبُودية والعِبادَة) فيقول: " والعبُودِية والعُبُودة . بضمهما . الطاعة. وقال بعض أئمة الاشتقاق: أصل العبودية الذلّ والخضوع، والعُبودة: الرضا بما يفعل الربُّ، والعِبادة فعل ما يرضي الربُّ. فلذا قيل تسقط العِبادة في الآخرة لا العُبودة، لأن العُبودة أن لا يُرى متصرفا في الدارين في الحقيقة إلا الله" [٣].

---

(١) لسان العرب: مادة ـ عبد
(٢) تهذيب اللغة: مادة عبد
(٣) تاج العروس من جواهر القاموس: مادة ـ عبد

وفي الأحاديث القدسية وردت كلمة (عبد) بمعنى العابد لله، بحكم الوجود بهدف العبادة، وهذا ما ذكرته المعاجم بمعنى (العُبودة)، ولا فرق في دلالة كلمة (عبد) بين عبد مؤمن صالح وعبد مؤمن عاص، أو بين إنس وجن، فهي عبادة مطلقة لله، ويبقى للسياق دور تحديد دلالتها، ويدل على ذلك قوله تعالى: ((يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أَهدكم ... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا...))[١] فتظهر كلمة (عباد) شاملة للمسلمين وغيرهم وللإنس والجن معا، ومنه قوله تعالى: ((أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر: فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب ...))[٢] فالإضافة في (عبادي) هي " إضافة عموم بدليل التقسيم إلى مؤمن وكافر بخلاف مثل قوله تعالى: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) فإنها إضافة تشريف" [٣].

وتظهر في كلمة (عبادي) دلالة الاختصاص بالمؤمنين الصالحين المتقين في قوله تعالى في حديث فضل مجالس الذكر: ((ما يقول عبادي، قال: تقول: يُسبحونك ويكبرونك ويمجدونك ..))[٤]. ويظهر السياق بقرائنه اللفظية تخصيص كلمة (العبد) بالضمير المتصل، مثال ذلك قوله ﷺ: ((لا ينبغي لعبد لي أن يقول أنا خير من يونس بن متى عليه السلام))[٥] والتخصيص جاء بالضمير (لي) في قوله (عبد لي) لنسبة العبد لله. وتدل كلمة (عبد) على العباد المسلمين في قوله: ((لا يزال عبدي يسأل عن هذا الله خلقني فمن خلق الله؟))[٦]

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٠، رقم ٤٤

(٢) صحيح البخاري: رقم ٨٤٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي،: ص٢٦، رقم ١٣

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: جـ٢، ص: ٥٢٣

(٤) صحيح البخاري: رقم ٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩، رقم ٣٤

(٥) صحيح مسلم: رقم ٢٣٧٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٠٣، رقم ١٤٢

(٦) حديث صحيح، أخرجه ابن عاصم/ السّنة ٦٤٦ ـ والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٢١، رقم ١٤٩

ويظهر التخصيص هنا بضمير المتكلم (الياء ـ في عبدي). وما يغالبه هذا العبد من وسوسة الشيطان في أمور التوحيد والعبادات والغيبيات.

وترد كلمة (عبد) الدالة على التخصيص للعباد المؤمنين بمعنى العبادة والطاعة، في قوله ﷺ في حديث فضل المؤذن: ((يعجَبُ ربكم من راعي غنمٍ في رأس شظية بجبل يؤذن للصلاة ويصلي، فيقول الله عز وجل: انظروا لعبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة))(١)، فقد وردت كلمة (عبدي) المخصصة بياء المتكلم للدلالة على أن (العبد) المعنِي هو المؤمن التقي الذي يخاف الله وقد تكررت كلمة (عبدي) مرتين الأولى في مقام المباهاة بصنيع العبد الصالح في قوله تعالى (انظروا لعبدي) والثانية في مقام الوعد بالمغفرة والرضوان في قوله تعالى (قد غفرتُ لعبدي وأدخلته الجنة).

ومنه قوله تعالى في حديث فضل المداومة على الاستغفار: ((إن عبدا أصاب ذنبا ـ وربما قال أذنب ذنبا ـ فقال ربّ أذنبتُ ذنبا ـ وربما قال أصبتُ ـ فاغفر. فقال ربه: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ... غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء))(٢) فتظهر كلمة (عبد) في هذا الحديث بصيغتين، الأولى (عبدا) الدالة على العموم فجميع العباد يخطئون وقد يقعون في المعاصي والزلات فهم غير معصومين منها، والثانية (عبدي) الدالة على تخصيص كلمة (عبدي) بعد أن وردت في سياق المستغفرين التائبين، وكان التخصيص بياء المتكلم المنسوبة إلى الله تعالى، لأنه من المتقين التائبين. وفي قوله تعالى (قد غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء) تأكيد للمغفرة والرضوان، وهذا الحديث سبق التطرق لدلالات التكرار فيه في الفصل الثالث من هذا البحث في مبحث التكرار ودوره في الربط اللفظي والمعنوي داخل النص.

---

(١) حديث صحيح أخرجه أبو داود: رقم ١٢٠٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٠، رقم ١٢٩

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٣، رقم ٣٨

وبين لفظي (الرب) و(العبد) في نصوص الأحاديث القدسية اتساق وانسجام، فلفظ (الرب) ورد في سياقات عديدة بمعنى المربي والمصلح لحال العباد والمرشد لهم، ولفظ (العبد) ورد في سياقات كثيرة بمعنى الطاعة والعبادة، والطاعة والعبادة متلازمة ومتكاملة مع معاني الربوبية من تربية وإرشاد وتنشئة، وصلاح حال العباد. وإعمار الأرض بطاعة هدي الله، وامتثال أنواره الإلهية الموجِّهة نحو المغفرة والرضوان. وبهذه يتحقق الاتساق المعجمي والانسجام الدلالي بين التراكيب الواردة في نصوص الأحاديث القدسية والمفاهيم والإرشادات الواردة فيها.

ومن الألفاظ التي كثُر ورودها في نصوص الأحاديث القدسية كلمة (ابن آدم) " ويأتي ابن آدم منادى من الله تعالى، وذلك في النصوص القائمة على الحوار أو المخاطبة العامة. وهو يَرِدُ كذلك في الأحاديث التي تقوم بِنيتُها على السّرد" (١). وقد ورد ذكر ابن آدم في القرآن الكريم في بضعة مواضع منها، قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٢)، وآدم هو أبو البشرية عليه السلام، وابن آدم كل إنسان مسلم كان أو كافر، والنداء في الآيتين السابقتين لمطلق الناس، يقول ابن عطية: " هذا خطاب لجميع الأمم وقت النبي ﷺ ... وهذا خطاب عام لجميع العالم، وأمروا بهذه الأشياء بسبب عصيان حاضري ذلك الوقت من مشركي العرب فيها " (٣) .

(١) الأحاديث القدسية ـ دراسة في البنية اللغوية، على عبدالله النعيم: ص١٥٧
(٢) سورة الأعراف: ٢٦ ـ ٢٧
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: جـ٣، ص: ٤٦

وقد وردت كلمة (ابن آدم) في الأحاديث القدسية مخصصة بمعنى العبد المسلم، ولكنها ظهرت في سياقات الحاجات العامة للإنسان مثل التواصل المجتمعي وإطعام الطعام وسقيا الماء، في قوله ﷺ في الحث على الود والتراحم بين المسلمين: ((إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ... يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ... يا ابن آدم استسقيتك فلم تَسقني ..))[١]، وفي سياق ذكر الخصال أو الأفعال التي يُذم (ابن آدم) إن بدرت منه، كقوله ﷺ: ((كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك....))[٢]. وقوله تعالى: ((يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار))[٣] والسياق يبين أن المراد بـ (ابن آدم) التخصيص، فليس كل ابن آدم جاهلا بأن الله هو الدهر، وهو مقلب الليل والنهار، وهو من بيده تعاقب الظروف والأحوال.

ويغلب ورود كلمة (ابن آدم) في مقام التربية والتوجيه، في قوله تعالى: ((أنفق يا ابن آدم أنفق عليك))[٤]، وقوله تعالى: ((يا ابن آدم لا تعجز عن أربع كلمات من أول النهار أكفيك آخره))[٥] وقوله: ((لا يأت ابنَ آدم النذرُ بشيء لم يكن قد قدّرتُهُ ولكن يُلقيه القدرُ وقد قدّرتُهُ له أستخرج به من البخيلِ))[٦] وقوله تعالى: ((يا ابن آدم قم إليّ أمشِ إليك وامشِ إليَّ أهرول إليك)) [٧].

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٥٦٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٠، رقم ٤٤

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري: ٨/ ٧٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٤، رقم ١٥٧

(٣) صحيح البخاري: رقم ٤٨٢٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٦، رقم ١٥٨

(٤) أخرجه البخاري، فتح الباري: ٩/ ٤٩٧

(٥) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٥/ ٢٨٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٥، رقم ١٣٢

(٦) صحيح البخاري: رقم ٦٦٠٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٧٩، رقم ١٨١

(٧) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد: ٣/ ٤٧٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٨، رقم ٣٢

وهذه الدلالات تنسجم وما ورد من تركيب في الخطابات والسياقات التي ورد فيها لفظ (الرب) و(العبد) و(ابن آدم) فكلهم يدورون في نسق دلالي واحد هو (المغفرة) وكيفية تحققها بطاعة الرب وامتثال هديه التربوي الذي ينشأ فيه العبد لتحقيق صلاحه وصلاح المجتمع كله، وهو هديٌ في سلوك سبيله الفوز بالدارين في الدنيا والآخرة.

٢ . السياق المقامي الخارجي:

والسياق الخارجي يُسمى سياق الحال والمقام والموقف، وله أهمية كبيرة في الدرس الدلالي، فبه يتم الوقوف على المعنى، وتحديد دلالة الكلمات، وإفادة التخصيص، ودفع توهم الحصر، ورد المفهوم الخاطئ [١]. وسياق الحال قد يفصح عن معان يعجز اللفظ عن بيانها.

إن العلاقات السياقية من الأسس البنائية للنص، ذلك أنها مرتبطة بالتركيب النحوي اللفظي في البنية السطحية للنص، ومرتبطة في الوقت نفسه بالدلالات السياقية التي تنشأ بين الألفاظ في الجملة وبين متتاليات الجمل المكونة للنص، والعلاقات السياقية "هي التي تحدث التماسك الذي هو في حقيقته مجموعة من العلاقات اللفظية أو الدلالية بين أجزاء النص، وبدونها يصبح النص مزقاً وأشلاء لا رابط بينها" [٢] فالسياق الخارجي تُحيل عليه المعطيات التي رافقت نشأة النص من معطيات وقرائن.

(١) ينظر: سياق الحال في الدرس الدلالي، فريد عوض حيدر: ص٣٠ ـ ٥٢
(٢) العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية، عبدالهادي هاشم الجراح: ص١٢٠

وعند البلاغيين العرب وردت لفظة (المقام) بدل السياق الخارجي، ونظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني تبرز أهمية السياق والموقف الكلامي الذي كلما تغير احتاج إلى نمط تركيبي خاص ليظهر مراده، فقد نظر الجرجاني إلى الخطاب ككل متكامل يتعاضد فيه السياق اللغوي وسياق الحال من أجل إبراز الدلالة وفهم مراد الكلام.

وفي الأحاديث القدسية يظهر السياق الخارجي على نحوين متكاملين، هما:

الأول: القرائن الحالية المتصلة بالخطاب.

والثاني: القرائن الحالية المنفصلة عن الخطاب. وهي كأسباب ورود الحديث، والبيئة السياقية .

وسياق الحال هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو للحال الكلامية، ومن هذه العناصر:

١. شخصية المتكلم والسامع، وتكوينهما (الثقافي) وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع ـ إن وجدوا ـ علاقتهم بالسلوك اللغوي، أي بالنص المنشأ.

٢. العوامل والظواهر الاجتماعية المناسبة المتصلة بالكلام والسلوك اللغوي في الموقف الكلامي كمكان الكلام وزمانه، وأوضاع الحياة والظروف الخاصة الملابسة.

٣. الأثر الذي يتركه الكلام الفعلي في المشتركين كالإقناع أو الإغراء أو الوعيد. وإبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وسائر المشاركين في الموقف الكلامي. ونظرية اللغة التي تقوم على التصور الخاص لسياق الحال تدرس جميع أنواع الوظائف الكلامية، وليست مقصورة كأكثر النظريات القديمة على إبراز نوع فقط من الوظائف الكلامية[١].

(١) ينظر: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران: ص٣٤١

والسياق حين يُراعي حال المخاطبين يُحيل إلى أضرب الخبر التي تراعي مستويات المخاطب بين منكر ومتردد ومتقبل للخبر، وأضرب الخبر ثلاثة على حسب حال المخاطب، يقول المراغي (١٩٥٢هـ): " والمخاطب لا يَخلو من أن يكون واحدا من ثلاثة:

١. خالي الذهن من الحكم، ومن التردد فيه، فيلقى إليه الكلام ساذجا غفلا من أدوات التوكيد التي سترد عليك، ويسمى هذا الضرب ابتدائيا، نحو: محمد مسافر.

٢. المتردد في ثبوت الحكم وعدمه بألا يترجح عنده هذا على ذلك، وحينئذ يحسن تقوية الحكم بمؤكد ليزيل ذلك التردد، ويسمى هذا الضرب طلبيا. ويرى عبدالقاهر أنه إنما يحسن التوكيد إذا كان للمخاطب ظن على خلاف حكمك، وله تشوف إلى الوقوف على الحقيقة، فيحسن تقوية الحكم له بأنّ ونحوها ليتمكن المعنى المراد في نفسه ويطرح الخلاف وراء ظهره.

٣ ـ المنكر للحكم، وهذا يجب أن يؤكد له الكلام بقدر إنكاره، قوة وضعفا، ذاك أن المتكلم أحوج ما يكون إلى الزيادة في تثبيت خبره إذا كان هناك من ينكره ويدفع صحته، فهو حينئذ يبالغ في تأكيده حتى يزيل إنكاره"[(١)].

ومثال ورود أضرب الخبر المتطابقة مع أحوال المخاطبين في السياق، قوله ﷺ: ((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه))[(٢)] فهذا الخبر ابتدائي والمخاطب به خالي الذهن متقبل لكل مفهوم وخبر، مهيئ لتصديق الخبر وليس له علم مسبق به، ومن الأخبار الابتدائية قوله ﷺ: ((أربعة يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فِترة))[(٣)]، ومنه قوله تعالى: ((كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له

---

(١) علوم البلاغة ـ البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي: ص٤٩ ـ ٥٠

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٤٠٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٧، رقم ٣٠

(٣) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٢٤/٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٣، رقم ٢٨

ذلك))[1] وأغلب الأخبار في الأحاديث القدسية ابتدائية، لكون المتلقي حاضر الذهن لسماع ما يقال من أحاديث إلهية مصاغة بأسلوب عذب مقنع للسامعين.

وترد الأخبار الطلبية في الأحاديث القدسية مؤكدة بأداة التوكيد (إنّ) في أغلبها، مثال ذلك قوله ﷺ: ((إن الله عز وجل يقول يوم القيامة مرضت فلم تعدني))[2] فأداة التوكيد (إن) دخلت السياق لكون المخاطب به يحتاج لتوكيد كون الخبر من الغيبيات المستقبلية بدليل القيد (يوم القيامة) فالمخاطب قد يكون مترددا في قبول المعنى الوارد في السياق. ومنه قوله ﷺ: ((إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا ...))[3] وهو أيضا من الغيبيات يوم القيامة فجاء الخطاب بمؤكد واحد هو (إنّ).

ومنه قوله ﷺ: ((إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ...))[4]. وقوله ﷺ: ((إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس))[5]، وقوله ﷺ: ((إن إبليس قال لربه: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم مادامت الأرواح فيهم فقال الله فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروا))[6] .

---

(١) أخرجه البخاري في فتح الباري: ٨/ ٧٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٤، رقم ١٥٧

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٥٦٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٠، رقم ٤٤

(٣) صحيح البخاري: رقم ٢٤٤١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٤، رقم ٤٦

(٤) صحيح مسلم: رقم ٢٨٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٠، رقم ١٩٢

(٥) صحيح البخاري: رقم ٧٥٣٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٠، رقم ١٠١

(٦) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٣/ ٢٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٥، رقم ٣٩

ويرد الخطاب الإنكاري في الأحاديث القدسية للمنكر للحكم بأداتي توكيد أو أكثر وذلك لإزالة إنكار المخاطب وإقناعه، وهو قليل في الأحاديث القدسية، ومثاله قوله ﷺ في فضل من قال في الصلاة الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه: ((لقد ابتدرها اثنا عشر ملكا فما دروا كيف يكتبونها))[١] فأداة التوكيد هي (اللام وقد)، ومنه قوله ﷺ في فضل الصوم: ((والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك))[٢] فأداتا التوكيد في الخبر الإنكاري هما (القسم بوالله ـ واللام).

ومنه قوله تعالى في العبد المتقرب إلى الله بالنوافل: ((وإن سألني لأعطينّه ولئن استعاذ بي لأعيذنّه))[٣] فأداتا القسم هما (لام القسم ونون التوكيد الثقيلة)، ومنه قوله ﷺ: ((ألا إنّ ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبدا حلال ...))[٤] فأداتا التوكيد هما (ألا الاستفتاحية ـ وإنّ المشددة) .

أما الأساليب الإنشائية فهي أساليب تتعامل مع انفعالات المخاطبين للتأثير في وجدانهم، كالاستفهام والأمر والنهي، وهي أساليب تخرج عن أصل وضعها في كثير من السياقات التي ترد فيها لتدل على غير ظاهر لفظها، فالاستفهام هو" طلب فهم شيء لم يتقدم لك به علم ... قد تخرج ألفاظ الاستفهام عن أصل وضعها فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به، لأغراض تستفاد من سياق الحديث ودلالة الكلام، أهمها الاستبطاء ـ والتنبيه ـ والتعجب ـ والوعيد والتخويف ـ والأمر والنهي ـ والتقرير ـ والإنكار ـ والتشويق "[٥].

وقد وردت صيغ الاستفهام في الأحاديث القدسية في سياقات مختلفة وبمعان تخرج عن طلب الجواب، إلى معنى التقرير في قوله تعالى للرحم: ((أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع

---

(١) صحيح مسلم: رقم ١٨٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٩٢، رقم ١٨٤
(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٨٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٦٨، رقم ١١٥
(٣) صحيح البخاري: رقم ٦٥٠٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٨١، رقم ٥١
(٤) صحيح مسلم: رقم ٢٨٦٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٨، رقم٧٥
(٥) علم البلاغة ـ البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي: ص٦٠ ـ ٦٩

من قطعك))[1]، وقوله لعبده ((أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ... أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه))[2]. وقوله تعالى محاسبا عبده على النعم الدنيوية: ((ألم نُصح لك جسمك ونَرويك من الماء البارد))[3]، وقوله للعبد الذي أراد الزرع في الجنة: ((أليست فيما شئت: قال: بلى ...))[4].

وقد تخرج صيغة الاستفهام إلى معنى النفي كما في قوله تعالى للمرائين يوم القيامة: ((اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء))[5] وترد بمعنى الاستنكار، كما في قوله تعالى: ((من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان))[6]، وترد بمعنى التحقير والتصغير في حديث المنتسبين في قوله ﷺ: ((انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان حتى عدّ تسعة فمن أنت لا أمّ لك ...))[7] .

وترد بمعنى التعظيم كما في قوله تعالى لملائكته في حديث فضل مجالس الذكر والذاكرين: ((كيف لو رأوني . فكيف لو رأوها))[8] وترد بمعنى التعجب كما في قوله ﷺ في حديث أدنى أهل الجنة منزلة: ((هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة،

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٥٩٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٢، رقم ١٥٦

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٥٦٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٠، رقم ٤٤

(٣) حديث صحيح أخرجه الترمذي: رقم ٣٣٥٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٠، رقم ٨٦

(٤) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٤، رقم ٥٩

(٥) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤٢٨/٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣، رقم ١٠

(٦) صحيح مسلم: رقم ٢٦٢١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٦، رقم ٢١

(٧) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد ٥/ ١٢٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢١٧، رقم ١٤٧

(٨) صحيح البخاري: رقم ٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩، رقم ٣٤

فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم))[1]، ومنه قوله ﷺ: ((إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك ... يا رب وكيف أطعمك ... يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين)) [2].

وكذلك الشأن مع أسلوب الأمر، فهو " طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء ... والأصل في صيغة الأمر أن تفيد الإيجاب أي طلب الفعل على وجه اللزوم وهذا هو المفهوم منها عند الإطلاق، نحو: قم وسافر. وما عداه يحتاج إلى قرائن أخرى تستفاد من سياق الحديث، وأهمها ما يأتي: الدعاء ـ والالتماس ـ والإرشاد ـ والتهديد ـ والتمني ـ والإباحة ـ والتأديب ـ والتعجب ـ والتعجيز " [3] .

ومن المعاني السياقية الواردة للأمر في الأحاديث القدسية الالتماس والدعاء، وذلك في قوله ﷺ في حديث نزول القرآن على سبعة أحرف: ((يا أُبَيّ أُرسِل إليَّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددتُ إليه أن هوِّن على أمتي فردّ إليَّ الثانيةَ اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوِّن على أمتي فرد إليَّ الثالثة اقرأ على سبعة أحرف ..))[4] فهو حوار بين العبد (محمد ﷺ) وربه تعالى على وجه الدعاء والرجاء والالتماس، والمعنى السياقي صرف صيغة الأمر من وجوب التحقق إلى التماس ورجاء التخفيف على العباد، ومنه قول آخر أهل النار خروجا منها: ((أي رب اصرف وجهي عن النار ... أي رب قدمني إلى باب الجنة ... أي رب أدخلني الجنة))[5]، فصيغة الأمر جاءت في سياق الدعاء والالتماس المتمثل بقوله (اصرف ـ قدمني ـ أدخلني).

---

(١) صحيح مسلم: رقم ١٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٦، رقم ٦٠
(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٥٦٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٠، رقم ٤٤
(٣) علم البلاغة ـ البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي: ص٧٥ ـ ٧٦
(٤) صحيح مسلم: رقم ٨٢٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٢٨، رقم ١٥٤
(٥) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٠٠ ـ ١٠١، رقم ٦٣

ووردت صيغة الأمر بمعنى التوجيه التربوي والإرشاد بكثرة في الأحاديث القدسية، مثاله قوله تعالى: ((أنفق يا ابن آدم أنفق عليك))[1] والفعل (أنفق) أمر واجب التحقق بتكليف من الله تعالى لعبده وهو في الوقت نفسه أمر وارد في سياق تربية العباد وتنشئتهم على الأخلاق والعبادات الإيمانية. ومنه قوله تعالى: ((... وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى))[2] ففعل الأمر (ابدأ) فيه أمر بوجوب النفقة على من يعولهم الرجل، وهو وارد في سياق التوجيه والتربية .

ومنه قوله تعالى: ((يا ابن آدم قم إليّ أمش إليك وامش إليّ أهرول إليك))[3] فأفعال الأمر (قم . امشِ) لها معنى سياقي غير وجوب تحقق فعل القيام والهرولة، وهو النصح بالتقرب إلى الله والإنابة إليه، ومنه قوله تعالى لآدم بعد خلقه: ((اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يُحيّونك فإنها تحيتك وتحيتة ذريتك...))[4] فصيغة الأمر (اذهب . فسلم . فاستمع) جاءت في سياق التربية على الهدي الإسلامي، يقول ابن حجر: " في قوله (تحيتك وتحية ذريتك) أي من جهة الشرع أو المراد بالذرية بعضهم وهم المسلمون "[5].

(١) أخرجه البخاري في فتح الباري: ٩/ ٤٩٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٣، رقم ١٢٠
(٢) صحيح مسلم: رقم ١٠٣٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٤، رقم ١٢٢
(٣) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٣/ ٤٧٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٨، رقم ٣٢
(٤) صحيح البخاري: رقم ٦٢٢٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٠١، رقم ١٤١
(٥) فتح الباري: ٤/ ١١

ومما ورد في سياق النصح والإرشاد والتربية الربانية، قوله تعالى: ((... يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي كلك عار إلا من كسوته فاستكسوني أَكسُكُم. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم))[1] فأفعال الأمر (فاستهدوني . فاستطعموني . فاستغفروني) وردت في سياق النصح والإرشاد والتربية الربانية.

وجاء الأمر بمعنى التعجيز في قوله تعالى: ((ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرّة أو ليخلقوا حبّة أو شعيرة))[2]. وفي حديث فضل المكث في المساجد بين المغرب والعشاء، جاء فعل الأمر في سياق التشريف والتباهي يقول ﷺ: ((أبشروا هذا ربكم قد فتح بابا من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة يقول: انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى))[3] فصيغة الأمر (انظروا) جاءت بمعنى الفخر والعُجب بفعل العباد الماكثين في المساجد بانتظار الصلاة تلو الأخرى.

ومنه قوله تعالى للنبي محمد ﷺ في حديث الشفاعة: ((.... يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسلْ تُعط واشفع تشفع))[4] فأفعال الأمر (ارفع . وسل . واشفع) وردت في سياق التشريف والتكريم، ومنه قوله تعالى لعبده المداوم على الاستغفار والتوبة: ((... غفرتُ لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء))[5] فصيغة الأمر (فليعمل) صرفت معنى وجوب التحقق بقرينة سياق الحال، فأصبح مقيدا بقرينة السياق بمعنى أن الله يغفر له مادام على هذا الحال من المداومة على

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٤١، رقم ١٦٠

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥٥٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤٥، رقم ١٦٢

(٣) حديث صحيح، أخرجه ابن ماجه: رقم ٨٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٣، رقم ١٣١

(٤) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٤، رقم ٩٥

(٥) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٣، رقم ٣٨

التوبة والاستغفار بعد كل معصية يقع فيها، وقد وردت صيغة الأمر (فليعمل ما شاء) في سياق التشريف للعبد والحفاوة والامتنان.

ووردت صيغة الأمر الصريح في سياق التشريف والتكريم في قوله ﷺ: ((لعل الله اطلع على أهل بدرٍ فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة . أو فقد غفرتُ لكم))[1] فصيغة الأمر (اعملوا ما شئتم) تحمل في ظاهرها معنى مطلقا في فعل ما يشاءون، إلا أن السياق جعلها مقيدة الدلالة، ويكون المعنى أنه مادام العباد على حالة من المداومة على التوبة والإنابة والاستغفار فليفعلوا ما شاءوا، وجملة (اعملوا ما شئتم) درج ورودها في سياق الاستنكار أو الوعيد، كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2] فاعتاد المتلقي سماعها في سياقات التحذير والتهديد، ولكن ورودها في هذا المقام نقلها إلى معاني التشريف والتكريم والحفاوة والتلطف بالمخاطب. وصيغة الحديث (لعل الله اطلع على أهل بدر) وردت بصيغة الترجي لكن المعنى السياقي لها هو التحقق، يقول ابن حجر العسقلاني فيها " وهكذا في أكثر الروايات بصيغة الترجي وهو من الله واقع "[3].

ومما جاءت فيه صيغة الأمر في سياق التشريف والامتنان، قوله ﷺ في فضل يوم الجمعة والمسمى (يوم المزيد) بعد قيام الساعة: ((فإذا كان يوم الجمعة ينزل الله فيه فوضعت فيه منابر من ذهب للأنبياء وكراسي من در للشهداء، وينزل الحور العين من الغرف فحمدوا الله ومجدوه، قال: ثم يقول الله: اكسوا عبادي فيكسون، ويقول أطعموا عبادي فيطعمون ويقول اسقوا عبادي فيُسقون ويقول طيبوا عبادي فيطيبون ...))[4].

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٣٩٨٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٧ ـ ١٥٨، رقم ١٠٨
(٢) سورة فصلت: ٤٠
(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: جـ٨، ص٦٣٥
(٤) حديث صحيح أخرجه الإمام أبو يعلي: رقم ٤٢٢٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٩، رقم ١٠٠

فصيغة الأمر (اكسوا ـ وأطعموا ـ واسقوا ـ وطيبوا) وردت في سياق تكريم المؤمنين في الجنة والامتنان عليهم وتشريفهم بعد كل هذا برضوان الله ورؤيته التي يزدادون بها بهاء ونورا، ومن ذلك قوله تعالى للشهداء في الجنة (سلْ وتمنّه) فهو أمر في سياق التدليل والتشريف والحفاوة والإكرام الرباني.

أما أسلوب النهي فقد ورد في الأحاديث القدسية بمعان سياقية عديدة دلت عليها قرائن السياق، وهو في أصله" طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وليس له إلا صيغة واحدة هي: المضارع، مع لا الناهية، نحو: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[1]، ومدلوله طلب الكف عن الفعل فورا كما يستفاد من تتبع فصيح التراكيب، وقد يستعمل منه معان أخرى تفهم بالقرائن من سياق الحديث تجوزا واتساعا في الاستعمال، وأهمها: الدعاء ـ والإرشاد ـ والتهديد ـ والتيئيس ـ والالتماس ـ والتمني ـ والتوبيخ" [2]. وقد ورد النهي بمعان سياقية عديدة في الأحاديث القدسية، منها الالتماس والدعاء، كما في قوله ﷺ ((وإني سألت ربي لأمتي أن لا يُهلكها بِسَنَةٍ وأن لا يسلط عليها عدوا...))[3] فصيغة النهي (أن لا يهلكها ـ وأن لا يُسلط) جاءت في سياق الالتماس والدعاء.

وورد النهي في سياق الزجر والتحذير في قوله تبارك وتعالى: ((لا ينبغي لعبدٍ لي أن يقول أنا خير من يونس بن متى))[4]. وقوله تعالى: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ... فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا

---

(١) سورة الأعراف: ٨٥
(٢) علم البلاغة ـ البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي: ص٧٩
(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٨٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٠، رقم ١٩٢
(٤) صحيح مسلم: رقم ٢٣٧٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٠٣، رقم ١٤٢

نفسه))[1] فصيغة النهي (لا تظالموا ـ وفلا يلومنّ إلا نفسه) جاءت للتحريم والتحذير وبينت أن عاقبة من يلجأ إلى الظلم الندم والخسران لظلمه وتجاوزه حدود الله .

وجاء النهي بمعنى النصح والإرشاد في سياقات عديدة في الأحاديث القدسية منها قوله ﷺ: ((قال الله عز وجل: يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفيك آخره))[2]. فالفعل (لا تعجز) ورد في سياق إرشاد العبد لصلاة الضحى، وفضلها في كفايته من الآفات والحوادث الضارة، وقد يراد بفضلها حرز المؤمن وحفظه من الذنوب والعفو عما وقع منه في ذلك أو أعم من ذلك[3]، وورد النهي في سياق النصح والإرشاد للابتعاد عن النذور فهي لن تقدم أو تؤخر من القضاء شيئا، يقول ﷺ: ((لا يأتي ابن آدم النذرُ بشيء لم يكن قد قدرته ولكن يُلقيه القدر وقد قدّرته له أستخرج به من البخيل))[4]. ومنه قوله ﷺ: ((إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب ...))[5]، فالنهي في قوله (فلا يرفث ولا يصخب) جاء للكف عن القيام بالفعل في سياق الإرشاد والتوجيه على أساس التربية الإيمانية.

وبعد هذا العرض لأساليب الخطاب ودور السياق اللغوي الخارجي في تحديد معناها، بقي النوع الثاني من أنواع السياق، وهو السياق الخارجي أو ما يسمى بسياق الحال والمقام، وهو كل ما يحيط بالنص من ظروف وملابسات خارجية تحيط به[6]، وسياق الحال في الأحاديث القدسية منه ما يكون متصلا بالخطاب ومنه ما يكون منفصلا عنه [7].

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤١، رقم ١٦٠

(٢) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٥/ ٢٨٦ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٨٥، رقم ١٣٢

(٣) ينظر: حاشية الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٨٥، رقم ١٣٢

(٤) صحيح البخاري: رقم ٦٦٠٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٧٩، رقم ١٨١

(٥) أخرجه البخاري، فتح الباري: ٤/ ١١٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٦٨، رقم ١١٥

(٦) ينظر: أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني، أحمد مصطفى الأسطل:ص ٥٧

(٧) ينظر: الأحاديث القدسية ـ دراسة لغوية نصية، بخيت فوزي جاب الله: ص٣٠٦

أما سياق الحال المتصل بالخطاب فهو يكون بقرينة حالية يذكرها النبي ﷺ أثناء حديثه فينقلها راوي الحديث على أنها جزء من بنية النص/ الخطاب كقوله ﷺ في حديث رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة: ((.. فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه. ويضرب السِّراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يُجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السَّعدان، هل رأيتم السَّعدان؟....))[1] وهذه الجمل الواردة في قوله ﷺ (ويضرب السراط . إلى قوله . هل رأيتم السعدان؟) تدخل كحلقات ربط بين وشائج النص، تقوي لحمته وتوضح معناه وتجليه للمتلقي.

ومن القرائن الحالية المتصلة بالخطاب قوله ﷺ في حديث شفاعة المؤمنين والشفاعة الإلهية: ((... فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواما قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبَّةُ في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض ....))[2] فقوله ﷺ (قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض) فهذه الجمل التي ذكرها النبي ﷺ بين جمل الحديث القدسي شكلتْ مداخلة توضيحية وفيها شد لانتباه المتلقي بعد طول سرد.

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٠٠، رقم ٦٣
(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ١٣٤، رقم ٨٨

وهناك قرائن حالية في السياق المتصل يذكرها (الراوي) ضمن روايته كإشارات موضحة للمعنى، مثاله قول أبي هريرة: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لله ما في السموات والأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾[1] قال فاشتدّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله! كُلفنا ما نطيق الصلاةُ والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نُطيقها قال رسول الله ﷺ ((أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)) قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما اقترأها القومُ ذلَّت بها ألسنتهم فأنزل الله في إثرها (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ....))[2] وفي قول راوي الحديث (ثم بركوا على الركب) وقوله (فلما اقترأها القومُ ذلَّت بها ألسنتهم) وصف لحال المؤمنين عند نزول آية المحاسبة بما يجول في الخواطر والنفوس، ومن ثم جاء نسخ لحكم الآية تسهيلا من الله لهم وتكريما لهم لانقيادهم وطاعتهم وامتثالهم لأحكام الشرع.

وهناك قرائن حالية منفصلة عن الخطاب، كأسباب ورود الحديث التي تُذكر في مقدمة إيراد بعض الأحاديث، أو ورود ذكر بعض مظاهر بيئة المخاطبين وعاداتهم وثقافاتهم، وهذا من القرائن الإحالية التي يُحال إليها كإحالة خارجية، ومثاله قول الراوي: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء [أي عقب مطر] كانت من الليلة فلما انصرف أقبل على الناس فقال: ((هل تدرون ماذا قال ربكم؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب))[3].

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٤
(٢) صحيح مسلم، رقم ١٢٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٦، رقم ٦
(٣) صحيح البخاري، رقم ٨٤٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٦، رقم ١٣

فالحديث ظهرت فيه بيئة المخاطبين وهو المكان المتمثل بمنطقة الحديبية، والزمان وهو وقت صلاة الصبح، وظهرت عادات المخاطبين وثقافتهم، بربط فئة من الناس نزول المطر وبعض الأحداث وظروف الحياة بالكواكب ومنازل النجوم هذا من الشرك.

وجاء في لسان العرب أن (النوء) هو النجم إذا مال للمغيب، وذكر ابن منظور أن العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا لا بد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم فيقولون مُطرنا بنوء الثريا والدّبران والسِّماك(١).

ومن القرائن الحالية المنفصلة عن الخطاب ما جاء في تقديم الراوي لحديث فضل المكث في المساجد بانتظار الصلوات، يقول: ((صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب فرجع من رجع وعقَّب من عقَّبَ فجاء رسول الله ﷺ مُسرعا قد حَفَزه النَّفس وقد حَسَرَ عن ركبتيه فقال: ((أبشروا هذا ربكم قد فتح بابا من أبواب السماء يباهي بك الملائكة ...))(٢) .

ومن قرائن السياق الحالية المنفصلة عن الخطاب، قول راوي في التمهيد لحديث الاحتضار، يقول: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبرِ ولما يُلحد فجلسَ رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عودٌ ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال: ((استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا)) ثم قال: ((إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء ...))(٣).

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة ـ نوء
(٢) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه: رقم ٨٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٣، رقم ١٣١
(٣) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٤/ ٢٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١، رقم ٧٣

والأحاديث القدسية من حيث سبب النزول قسمان، قسم ليس له سبب نزول وهو ما عليه أغلب نصوص الأحاديث القدسية، فيكون النص مرتبطا بالوظيفة التبليغية للرسول ﷺ، فيكون مبتدئا منشئا للحديث قصد تبليغ التعاليم والمفاهيم الإيمانية والسلوك التربوي عن ربه، وترد أغلب هذه الأحاديث في سياق خطاب الرسول ﷺ لأصحابه وهو على المنبر يخطب فيهم، أو يكون في جمع من أصحابه يتحاور معهم، وأغلبها تبدأ بأدوات التوكيد كأداة الاستفتاح (ألا) أو (إنّ) المشددة، للتأكيد ولفت انتباه المتلقين لأهمية ما سيُلقى عليه، ومثاله أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: ((ألا إنّ ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبدا حلا))(١).

ومن أمثلة الأحاديث الابتدائية التي وردت بهدف التبليغ قوله ﷺ: ((إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانا فأحبه..))(٢). وهي أحاديث لم ترد بمقدمات تمهيدية، وجاءت مؤكدة بأدوات التوكيد لتوثيق معناها في نفوس المتلقين وقوله ﷺ: ((إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أُظِلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي))(٣).

ومنه قوله ﷺ: ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله، قال: الرياء يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة ـ إذا جرى الناس بأعمالهم ـ اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء))(٤) وقد ورد الحديث ابتداء من الرسول ﷺ وهو في جمع مع أصحابه في سياق الإبلاغ والتحذير من شر الرياء، فهو محبطة ومفسدة للعمل الصالح. وفي نص هذا الحديث لم يذكر لفظ العبد أو الرجل المرائي وإنما أحيل

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٨٦٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٨، رقم٧٥

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٦٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٩، رقم ٤٣

(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٥٦٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٨٢، رقم ٥٢

(٤) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٥/ ٤٢٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣، رقم ١٠

إليه بضمائر الغائب (لهم ـ واو الجماعة في/ اذهبوا وتراءون وتجدون) وهو أسلوب فيه من الصّدّ عنه والتحقير له لسوء فعله، وفي قوله (هل تجدون عندهم جزاء) استفهام ورد بمعنى سياقي هو استنكار فعل الرياء وخسران صاحبه .

والقسم الآخر هو الذي له سبب نزول، وهو محدود الأنواع والسياقات كأن يكون لسبب نزول آية أو تفسير آية، أو يكون سبب النزول سؤال وُجِّه فيأتي الحديث إجابة عليه كسؤال أصحاب النبي ﷺ عن الآية في قوله ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا ... ﴾ والذي سبقت الإشارة إليه في الفقرات السابقة. ومثاله ما جاء في حديث الكوثر، يقول الراوي: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظْهُرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله! قال: ((أُنزلتْ عليَّ سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا أعطيناك الكوثر* فصل لربك وانحر* إن شانئك هو الأبتر﴾[1] ثم قال: ((أتدرون ما الكوثر ؟ ....))[2].

ومن السياقات المنفصلة عن نص الخطاب كسبب الورود بطرح السؤال، ومثاله السؤال الذي طرحه الناس على الرسول ﷺ حين قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ: ((هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك...))[3].

---

(١) سورة الكوثر: ٣.١

(٢) صحيح مسلم: رقم ٤٠٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٣، رقم ٩٤

(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٩، رقم ٦٣

المبحث الرابع: العلاقات السياقية في الأحاديث القدسية:

العلاقة هي عنصر من عناصر السبك والتماسك النصي، وهي العنصر الذي يربط المستوى الشكلي بالمستوى الدلالي، وبدونها يكون النص مفككا لا رابط بين مستواه الخارجي والداخلي، وعليه فالعلاقات السياقية تنتج نصا متماسكا تتحقق فيه سمات النصية والتواصل التأثيري عند المتلقين، من أجل إحداث التفاعل مع النص والإقناع.

ومن أبرز العلاقات السياقية الواردة في الأحاديث القدسية:

١. العلاقات السببية

٢. العلاقات المعجمية.

٣ . علاقات التماثل الأسلوبي.

٤ . علاقات التتابع الدلالي الخطي.

٥ . علاقات التناص.[١]

وأهم العلاقات السياقية التي تربط جمل وتراكيب النصوص القدسية هي العلاقات السببية " التي تمثل محور هذه العلاقات وقلبها النابض بالحركة والحيوية التي تعطي النص البعد الاتساقي التماسكي ... وتعد العلاقات السببية من العلاقات الدلالية المهمة التي تتضمن القيم الحقيقية لعملية البناء، بل إن خطّة قاعدة الوصل السببي داخل النصوص تقوم على إدراك العلاقات السببية التي تقوم بين الجمل (التراكيب) على مستوى الامتداد النصي. وهي وفقا لمنظورات نصية أوسع علاقات تقوم بين الوحدات النصية فتربط القضايا النصية بعضها ببعض"[٢].

(١) ينظر: العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية، عبد المهدي هاشم الجراح ـ مقال، ص: ١٢٢

(٢) العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية، عبد المهدي هاشم الجراح ـ مقال، ص: ١٢٢

وأدوات الربط السببي نوعان:

الأولى: هي الأدوات السببية الملفوظة (كالفاء، ولأنّ، وحيث) وقد سبق التطرق لها في الفصل الثاني من هذا البحث.

الثانية: هي العلاقات السببية المقدّرة، وتتمثل برصد العلاقات السببية المنطقية الناتجة عن التعالق الحاصل بين الوحدات النحوية على مستوى أبعد من الجملة الواحدة، فإذا كانت العلاقات السببية اللفظية قائمة على استخدام أدوات التعليل الملفوظة، فإن العلاقات المقدرة، تقوم على تحليل الدلالات الخاصة بالتراكيب، وملاحظة الالتحام التام القائم بين التراكيب والسياقات(١).

وتظهر العلاقات السببية في الأحاديث القدسية في تنظيم النص وتسلسل أفكاره، في قوله تعالى: ((إن عبدا أصاب ذنبا ـ وربما قال أذنب ذنبا ـ فقال رب أذنبت ذنبا ـ وربما قال أصبتُ ـ فاغفر فقال ربه: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبا أو أذنب ذنبا ـ فقال ربّ أذنبت ـ أو أصبت ـ آخر فاغفره فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا ـ وربما قال أصاب ذنبا فقال ربّ أصبتُ ـ أو أذنبتُ ـ آخر فاغفره لي فقال أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء))(٢) فسلسلة العلاقات المتتابعة والمتمثلة في التتابع الدلالي مبنية على تتابع التراكيب وترابطها لفظا ومعنى.

وكان للروابط السببية في البنية السطحية الملفوظة لنص الحديث دور في تقوية الربط الإحالي، إضافة إلى أسلوب الشرط الذي يعزز البنية السببية، وكان لخاتمة الحديث دور في تبليغ وتركيز المعنى، وبهذا يتحقق الربط المحكم المتكامل للنص على مستوى البنية الدلالية العميقة والبنية اللفظية السطحية. ومثال ذلك قوله تعالى: ((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما

(١) ينظر: العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية، عبد المهدي هاشم الجراح ـ مقال، ص: ١٢٣

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٦٣، رقم ٣٨

تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه ولئن استعاذ بي لأعيذنّه))[1]، ففي قوله (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب) وقوله (فإذا أحببته كنت سمعه ...) تتعاضد أداة الربط السببي (الفاء) مع أسلوب الشرط لتقوية الربط الدلالي السببي بين تراكيب النص.

ويُعد التدرج الإسنادي في عرض الجمل والتراكيب والمفاهيم من العناصر التي تعزز الربط السببي في النص، لما فيه من تسلسل منظم يقوم على التدرج المنطقي في عرض الأفكار، فتترابط به المعاني الدلالية للتراكيب الإسنادية بطريقة مقنعة مؤثرة في المتلقين[2].

مثال ذلك قوله تعالى: ((أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقربَ إليّ شبرا تقربتُ إليه ذراعا، وإن تقرب إليّ ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة))[3] وفي الحديث تترابط التراكيب رغم تعدد دلالاتها الجزئية حول المعنى العام للنص، وهو حسن الظن بالله تعالى، وذلك بفعل العلاقات السببية التي تربط الدوائر الإسنادية المكونة لنص هذا الحديث، فالله عز وجل يكون عند ظن عبده به " فتنبثق من هذه الفكرة الدلالات الجزئية التي تحمل الأفكار المتتابعة، وهذه الأفكار هي:

١ ـ إن الله مع العبد حين يذكره.

٢. إذا ذكر العبد الله عز وجل في نفسه ذكره الله في نفسه.

٣ ـ إذا ذكر العبد الله عز وجل في ملأ ذكره الله في ملأ خير منهم.

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٥٠٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٩ ـ ٨١، رقم ٥١

(٢) ينظر: العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية، عبد المهدي هاشم الجراح ـ مقال، ص: ١٢٤

(٣) صحيح البخاري، رقم ٧٤٠٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٥٧، رقم ٣٠

٤ ـ إذا اقترب العبد من الله شبرا اقترب الله منه ذراعا.

٥ ـ إذا أتى العبد إلى الله ماشيا، أتاه الله هرولة.

فكل فكرة تُضفي إلى الأخرى وهكذا حتى نهاية الحديث، وهذه العلاقات تعزز الوحدة الموضوعية لبنية الحديث الشريف "[١].

إن العلاقات السببية تتم بعملية إسناد الأفكار لبعضها فيحدث الربط بين التراكيب المتتالية في النص، كقوله ﷺ: ((إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مِثل ذلك، ثم يكون مُضغة مِثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار. ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة))[٢].

فالفكرة المحورية هي مراحل خلق ابن آدم في بطن أمه، ممهدة لعرض فكرة سعي ابن آدم وعمله الموصل به إلى الجنة أو إلى النار مع ربط كل ذلك بقدرة الله ومشيئته ومغفرته المتمثلة بانقلاب عمل العبد العاصي في آخر وهلة إلى عمل صالح فيدخل به الجنة. وهنا تتطور الأحداث ويقوي التعالق السببي بين الأحداث، لتكون علاقة السبب والنتيجة هي الرابط المفصلي بين عرض مراحل خلق الإنسان في بطن أمه ومصيره النهائي المقرون بمشيئة الله وقدرته المتمثلة بدخوله الجنة أو النار، والمرتبطة بكتابة الملك لمصير حياته بشقي أو سعيد قبل نفخ الروح فيه، وبذلك يظهر الانسجام الدلالي كخيط ناظم رابط لتراكيب النص.

(١) العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية، عبد المهدي هاشم الجراح: ص ١٢٥

(٢) صحيح البخاري: رقم ٣٠٣٦ ـ كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.

ومن العلاقات السببية الرابطة للنص، قوله ﷺ: ((إن الله عز وجل يقول أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت شفتاه))[1] فسبب معية الله للعبد وتوفيقه وحفظه ونصرته له هو مداومة العبد على ذكره وعبادته، ومنه قوله ﷺ في حديث نهر الكوثر: ((هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيُتْلَجُ العبد منهم فأقول: ربّ إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بَعدك))[2] فالعلاقة السببية هي التي ربطت بين الجمل المتتالية في قوله (ربّ إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بَعدك).

ويظهر الربط السببي بين الجمل المكونة لنصوص الأحاديث القدسية، مثال ذلك حديث فضل الصوم يقول ﷺ: ((... والصيام جُنَّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يَرْفُث ولا يَصخَب فإن سابّه أحدٌ أو قاتَلهُ فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه))[3] فسبب عدم رفثه وصخبه مقرون بالصيام الذي يتكرر بين متتاليات جمل النص.

وتظهر النتيجة في نهاية الحديث في قوله (فرحتان) وقوله (إذا أفطر) (وإذا لقي ربه فرح بصومه) لبيان ما للصائم من مغفرة وإكرام في الجنان التي يدخلها من باب الريان. وقد عملت العلاقة السببية على ترابط الجمل ببعضها وعدم انقطاع معناها في قوله (والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما) فقد تعالقت الجملتان جملة القسم (والذي نفس محمد بيده) والجملة الاسمية (للصائم فرحتان) بالخبر المقدم

---

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٢/ ٥٤٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٦١، رقم، ٣٦

(٢) صحيح مسلم: رقم ٤٠٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٤٢، رقم، ٩٤

(٣) أخرجه البخاري في فتح الباري: ١١٨/٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٦٩، رقم، ١١٥

لتشريف الصائم واختصاصه بهذا الفضل والإكرام، وترابطت الجملتان بدلالة السياق المعنوي دون أي رابط لفظي، وبهذا عملت الروابط الدلالية على ترابط النصوص التي يوحي ظاهر نصها على عدم الترابط اللفظي وعدم التماسك.

ومن هذه الروابط السببية قوله ﷺ: ((يقول الله عز وجل: يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفيك آخره))[1] فصلاة الضحى في أول النهار تكفي الإنسان شرور الحوادث والذنوب، وتظهر النتيجة في الفعل (أكفيك) الدال على الاستمرار والاستقبال.

وجاءت العلاقة السببية واضحة في حديث تحريم الظلم، حيث ربطت بين الجمل التي ظاهرها يعبر عن أفكار إرشادية وتوجيهية متعددة لا ترابط بينها، يقول الله عز وجل: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكُم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها. فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه))[2].

فالعلاقات السببية ربطت بين جمل النص وأحالت كلها على لفظ (الظلم) الذي ذُكر في مطلع هذا الحديث، وبينت أسباب ذلك وعرضت الموضوع بشكل منطقي متسلسل، فالعباد كلهم ضعفاء عاجزون عن توفير رزقهم والله هو من بيده بسط الأرزاق، ومن ظلم نفسه أو ظلم غيره في رزقه فطريق خلاصه الاستغفار والتوبة، وجاء قوله (وأنا أغفر الذنوب جميعا)

---

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٥/ ٢٨٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٨٥، رقم ١٣٢

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤١، رقم ١٦٠

للتأكيد وتوثيق المعنى. ومن ثم ترتبط الجمل بالعلاقات السببية المنطقية في قوله (ما نقص ذلك مما عندي) فلا داعي للظلم ورزق الله كثير وعطاؤه واسع لا ينفد.

ولتأكيد فكرة عدم نفاد خزائن الله جاء الاستدراك والتشبيه لتقريب المعنى في قوله (إلا كما ينقص المِخيط إذا أُدخل البحر) ثم يُقفل النص بجملة مركزة مكثفة تلخص مغزى الحديث (إنما هي أعمالكم أحصيها لكم) وتبقى مغفرة الله هي مقصد النص ومبتغى العباد ومغزى الحوار والخطاب. وهذه العلاقات السببية تُدخل جميع نصوص الأحاديث القدسية في منظومة العلاقة الكلية التي ترتكز عليها نصوص الأحاديث القدسية والتي تدور كلها حول مركز واحد هو (المغفرة) التي تشكل مركز الثقل الدلالي، ومفتاح التأويل وأداة ترجيح المعاني في نصوص الأحاديث القدسية.

ومن العلاقات السياقية الواردة في الأحاديث القدسية العلاقات المعجمية التي تبرز بالتكرار والتضام وقد سبق التطرق إليها في الفصل الثالث من البحث، ويمكن التمثيل للعلاقة السياقية المعجمية ودورها في ترابط النص، وتحقيق استمراريته وتقوية تأثيره في نفس المتلقين، بقوله ﷺ: ((إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض))[1].

فالتركيز على الجذر (حب) وإعادة ذكره بصيغ مختلفة، يُحدث نوعا من السياقات المتداخلة التي تربط متتاليات الجمل بكلمة مركزية تجذب أواصل النص بخيط ناظم له محكم السبك، وأدوات الربط السببي واضحة في هذا النص بنوعيها اللفظي (كأداة الربط الفاء) والمعنوي وهي (العلاقات السببية) فسبب القبول في الأرض وفي قلوب الناس، هو حب الله تعالى للعبد، وسبب حب الله بينته نصوص عديدة في الأحاديث القدسية وربطته بالتقرب بالنوافل والمداومة

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٠٤٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٨، رقم ٤٢

على التوبة والاستغفار. وبهذه التتابعات الدلالية تنتظم العلاقات السياقية نصوص الأحاديث القدسية بخيط جامع لها جميعا.

ومن العلاقات السياقية المتكررة في نصوص الأحاديث القدسية (علاقة التماثل الأسلوبي)، التي لها دور في تعزيز الاستمرار السياقي ووصل متتاليات الجمل، وتعميق هذا النسيج النصي للتأثير في نفس المتلقي من أجل تفاعله مع النص باعتماد صيغ متشابهة اللفظ والوقع الصوتي ومختلفة في مفاهيمها وأفكارها، ومترابطة بخيط دلالي منطقي جامع لها.

وتقوم علاقات التماثل الأسلوبي في الحديث القدسي على تكرار أسلوب بعينه وهو يمثل استراتيجية تفصيل دلالية، تأتي لتقرير مجموعة من الحقائق الدينية الثابتة التي تتمحور حول تأكيد فكرة كلية أو محورية كما في قوله تعالى في حديث تحريم الظلم: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكُم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها. فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)) (١).

وحديث تحريم الظلم سبقت الإشارة إليه في أكثر من موضع من هذا الفصل، وفيه يلحظ تكرار أسلوب النداء والتعالق الشرطي بين الجمل لتعزيز مضامين الحديث وتقريرها والتفصيل في القول والبيان، وهو أسلوب تقوم عليه أغلب نصوص الأحاديث القدسية فتكرير النداء متبوعا

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤١، رقم ١٦٠

بالتراكيب المترابطة بفعل العلاقات السببية أمر لافت للنظر، ويأتي هذا التكرار (يا عبادي) لأن العباد هم محور هذا الحديث، فهم الذين يصطنعون الظلم، ويمشون به في الأرض.

ويعمل هذا التكرار أيضا على تعزيز مجموعة من التساؤلات التي تقبع خلف الألفاظ والتراكيب، وهذه التساؤلات تفترض بالإنسان أن ينسى الظلم ويلغيه من حياته، وهذه التساؤلات هي: بما أن الهداية من الله عز وجل فلم يلجأ الإنسان إلى الظلم؟ بما أن الإطعام والكسوة من عند الله فلم يلجأ الإنسان إلى الظلم؟ بما أن المغفرة والمنفعة والضرر والقوة من الله فلم يلجأ الإنسان إلى الظلم؟ بما أن الرزق من عند الله عز وجل القادر على إحصاء كل ما يقدمه الإنسان، فلم يلجأ الإنسان إلى الظلم؟ نعم، إن هذا التكرار يستدعي تساؤلات مختلفة تلفت نظر الإنسان إلى ضرورة الالتزام، وأخذ العظة والعبرة، والانتباه إلى أن أمور الإنسان كلها لا تجري إلا بمقتضى قدرة نظامية إلهية، تنظم حياة الإنسان، ورحلته في هذا الكون، وبناء على هذا تكون علاقة الأسلوب والتميز الأسلوبي بالنص هي علاقة إبداع وبناء، متداخلة بين النص والنفس البشرية (١).

أما علاقة التتابع الخطي فتظهر في العلاقات السياقية التي تنتظم النصوص التي تخضع لمبدأ التتابع والتعاقب، ويمكن حصرها بالروابط الزمنية، والعطف، والتتابع الدلالي الإسنادي. فتترابط التراكيب بها وتترابط سلاسل الأفعال عن طريقها، ومثال ذلك حديث فضل مجالس الذكر، يقول ﷺ: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم عز وجل ـ وهو أعلم منهم ـ ما يقول عبادي، قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك، قال فيقول: هل رأوني، قال: فيقولون لا والله ما رأوك، قال: فيقول: كيف لو رأوني، قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا، قال يقول: فما يسألوني، قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها، قال: يقولون: لا والله يا

(١) ينظر العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية، عبد الهادي هاشم الجراح: ٢١٤

رب ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوها ...))[1] وفي هذا الحديث تترابط التراكيب وتدور كلها حول فكرة محورية ودلالة واحدة ثابتة هي طلب المغفرة وتحققها في قوله (فأشهدكم أني قد غفرت لهم).

وتظهر في الحديث سلسلة من الأفعال التي تترابط مع بعضها زمنيا رغم اختلاف صيغها ودلالاتها وهي في ترابطها الزمني تعمل على ترابط الخطاب وانسجام أحداثه وأزمنته (يطوفون، وجدوا، يذكرون، تنادوا، هلموا، فيحفونهم، فيسألهم، أعلم، يقول، يسبحونك، يكبرونك، يمجدونك، رأوني، ما رأوك، يسألونك، يتعوذون، أشهدكم).

وارتبطت سلسلة التراكيب بالعطف فكانت العلاقة القائمة بينها هي علاقة التتابع الدلالي، لأن التركيب المعطوف يأخذ حكم التركيب المعطوف عليه ودلالته، مثاله (فيحفونهم، فيسألهم، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك، فيقولون، وأشد لك، وأكثر).

والحديث يعرض مجالس الذكر كسبيل من سُبل إدراك المغفرة ويتم فيه توضيح الفكرة بتتابع التراكيب الإسنادية، فالحديث يضم دائرتين إسناديتين كبيرتين، تتضمن كل واحدة منهما مجموعة من الدوائر التي تنقل الدلالات، وتفعّلها، وتربطها ببعضها البعض، ففضل مجالس الذكر تتفرع منه أسئلة الله تعالى لملائكته ـ وهو أعلم منهم ـ عن ماهية فعل العباد في المجالس، وما يسألونه فيها، وما مطالبهم وحاجاتهم، حتى يصل النص إلى خاتمته بالمكافأة والفوز بالغفران. وهذا التتابع الدلالي للتراكيب يساعد على فهم النصوص بشكل منطقي متسلسل، وفي هذا الحديث عزز التتابع الدلالي الإسنادي العامل الإحالي بربطه السابق باللاحق شكلا ودلالة، كما أن العلاقات السياقية السببية المتمثلة بالجواب الذي يأتي مباشرة بعد السؤال عززت هذا التتابع الدلالي[2].

(١) صحيح البخاري، رقم ٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩، رقم ٣٤

(٢) ينظر: العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية، عبد الهادي هاشم الجراح: ٢١٧

وتبقى من العلاقات السياقية (علاقة التناص) وهي من العلاقات الأسلوبية التي سيتم توضيحها في الفصل السادس بشكل مفصل، وهي تعتمد على فكرة ربط النص بالنصوص الأخرى، وتبرز هذه العلاقة الأسلوبية بوضوح في نصوص الأحاديث القدسية إذ تدخل أحيانا بعض الآيات القرآنية في تكوين نص الحديث القدسي " فتعمل على بناء النص، وتوضيح مفرداته، وإثباتها، فتكون لها أهمية كبرى في بناء التماسك البنيوي الشامل للنص، ويمكن القول: إن بنية الحديث القدسي تضم مجموعة من المتواليات الجملية التي تضم بنية كلية يمكن للقارئ أن يتوصل إليها بوضوح عن طريق إدراك مجموعة من العلاقات اللغوية وغير اللغوية ويأتي التناص على رأس هذه العلاقات " (١).

ومن أمثلة العدول في الأحاديث القدسية قوله ﷺ في حديث الاحتضار، ووصف حال روح الكافر: ((... فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث، فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يُفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾(٢) فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا، ثم قرأ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾(٣) فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه...)) (٤).

ومن التناص الشامل والمتداخل مع بنية نص الحديث بأكمله قوله ﷺ: ((قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: الحمد لله رب

---

(١) العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية، عبد الهادي هاشم الجراح: ص ٢١٩
(٢) سورة الأعراف: ٤٠
(٣) سورة الحج: ٣١
(٤) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٤/ ٢٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٦ رقم ٧٣

العالمين قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي. وإذا قال: مالك يوم الدين، قال مجدني عبدي (وقال مرة: فوّض إليّ عبدي) فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل)) (١).

ومما سبق يتضح أن السياق أداة مهمة تعمل على تعيين مقصدية الخطاب من خلال إجراء الوصل بين النصوص المتباعدة فينتج عنه انسجام الخطاب، ولهذا فالسياق في الأحاديث القدسية يطلب قارئا مسلحا بالدين والعلم، يستنبط للواقع الجديد أسسه المعرفية ومتطلباته الروحية والنفسية وحتى المادية، ذلك أن التركيب الخطابي المشدود إلى حيثيات التخاطب أو سياق المقام، يبلور وحدته اللفظية المشكلة للنسق التركيبي بناء على مقام المتلقي أو المتلقين الذهني والنفسي والاجتماعي، ويفتح أفقه الدلالي على التأويل بتوفير آليات انسجام التركيب واتساقه (٢).

(١) صحيح مسلم: رقم ٣٩٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٢٦، رقم١٥٣

(٢) ينظر: الخطاب والدلالة ـ قراءة في تأويل النص القرآني، د. منقور عبد الجليل: ص١٨٥ ـ ١٨٦

المبحث الخامس: السياق والخطاب في الأحاديث القدسية

إنَّ سياق الخطاب يتمركز في كل نصوص الأحاديث القدسية، والتي تختلف دلالاتها باختلاف سياقها وقراءة المتلقي لها، ودرجة استيعابه ونوع قراءته، وأصناف الخطاب تبعا للدلالة في الحديث القدسي يمكن حصرها في: الخطاب الموجز، والخطاب المسهب، والخطاب المعطى والممكن، والخطاب الموازي(١).

أولا: الخطاب الموجز، وهو خطاب يحقق فاعليته الدلالية بإيجاز عباراته، فيتقلص التركيب اللغوي للنص لتوفير آليات التأويل والفهم لدى المتلقي، وتتم عملية الفهم وفق ثلاثة طرق في النص الموجز، هي: الإلحاق، ويكون بإلحاق غير المعبر عنه بالمعبر عنه لوقوعهما معا في نفس الحقل الدلالي أو المفهومي، أو يكون عن طريق الاستبدال، وهو فتح المفردة النواة أو الجملة النواة على قائمة من المفردات والجمل، يمكن أن تستبدل بها في سياق معين يقتضي هذه القائمة أو تلك. أو يكون عن طريق الوصل والذي يكون بوصل الجمل ببعضها لاتحادها في المعنى، وإن كان الشكل النحوي مختلفا وذلك لتحقيق انسجام الخطاب واتساقه(٢)، ومثاله قوله ﷺ: ((قال الله عز وجل: سبقت رحمتي غضبي))(٣).

ثانيا: الخطاب المسهب، وهو خطاب مطول يتم فيه ذكر التفاصيل، وهو سلسلة من الأجزاء الكلامية المتصلة، المرتكزة على بعضها ارتكاز السبب على المسبب والنتيجة على العلة، وعماد الخطاب المسهب هو الموضوع الواحد المتجزئ إلى عناصر دلالية صغيرة اقتضى التعبير عنها استعمال وسائل الوصل والربط، لتغدو مرتبة منسجمة، ويغدو معها الترتيب جزءا من الدلالة العامة (٤).

---

(١) ينظر: الخطاب والدلالة ـ قراءة في تأويل النص القرآني، د. منقور عبد الجليل: ص ١٨٧
(٢) المرجع السابق: ص ١٨٨
(٣) صحيح مسلم: رقم ٢١٨٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٤، رقم ١٩
(٤) ينظر: الخطاب والدلالة ـ قراءة في تأويل النص القرآني، د. منقور عبد الجليل:ص ١٨٩

ومثاله في الأحاديث القدسية حديث تحريم الظلم يقول ﷺ: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكُم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفّيكم إياها. فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه))[1].

إن قراءة نص الحديث قراءة أولية مستعجلة قد تُشعر القارئ أن ثمة فصلا بين العبارات والتراكيب، وبإعادة قراءة النص وإنعام النظر فيه يتبين مدى التحام الدلالة بالتركيب فيه، وأن هناك روابطا معنوية رابطة بين متتاليات جمله كالعلاقات السببية، ولهذا فالنصوص المقدسة الموجزة اللفظ المقتصدة التركيب تزهر معانيها وتقطف خيرات دلالاتها بوجود القارئ المثقف، أما النصوص المسهبة في السرد والوصف فهي تبسط المعاني مرسلة مطواعة للقارئ البسيط في علمه ومعرفته، وهي مناسبة للبدوي وللأمي وقت نزول الأحاديث " فلا يعقل أن يتساوى إدراك أقرب الصحابة إلى الرسول ﷺ مع الأعراب الوافدين عليه من مناطق نائية، فالمقربون يفهمون مضمون الرسالة ومغزاها بالإيحاء والتلميح دون التفاصيل وضرب الأمثلة، إذ أطرهم المعرفية مشتركة، ومن ثمة كانت الإشارة عن العبارة، وأما من كانوا بعيدين ثقافيا وحضاريا، فإنهم كانوا محتاجين إلى الإطناب، فاختلاف حيثيات التلقي أفضت إلى اختلاف نسق الخطاب وشكله"[2].

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤١، رقم ١٦٠

(٢) دينامية النص تنظير وإنجاز، محمد مفتاح: ص٢٠٣

ثالثا: الخطاب المعطى والممكن، وفيه تقوم القرائن اللغوية بفتح التراكيب اللغوية على المعنى المتعدد والممكن من الاحتمالات، وفق الدلائل المعطاة ولذلك سمي هذا الخطاب بالمعطى والممكن، والدلالة في خطاب الأحاديث القدسية نوعان، نوع مغلق الدلالة لكونه محكم الإحالة النصية وهو مختص بالأطر الثابتة من المفاهيم، ونوع منفتح الدلالة لكونه متعدد الإحالات والمراجع والأنساق التعبيرية [١].

ومثاله في الأحاديث القدسية قوله تعالى: ((أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب))[٢] وقد ذكر النووي تعدد احتمالات المعنى في قوله (مطرنا بنوء كذا) على قولين" أحدهما: هو كُفر بالله سبحانه وتعالى سالب لأصل الإيمان مخرج عن ملة الإسلام، قالوا: وهذا فيمن قال ذلك معتقدا أن الكوكب فاعل مدير منشئ للمطر كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم، ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره، وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير العلماء والشافعي منهم وهو ظاهر الحديث. قالوا: وعلى هذا لو قال: مطرنا بنوء كذا معتقدا أنه من الله تعالى وبرحمته وأن النوء ميقات معلوم له وعلامة اعتبارا بالعادة فكأنه قال: مطرنا في قول كذا فهذا لا يكفر واختلفوا في كراهته والأظهر كراهته لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فساء الظن بصاحبها ولأنها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم. والقول الثاني في أصل تأويل الحديث: أن المراد كفر نعمة الله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكوكب، وهذا فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب، ويؤيد هذا التأويل الرواية الأخيرة في الباب (أصبح من الناس شاكر وكافر) وفي الرواية الأخرى (ما أنعمت على عبادي إلا أصبح فريق منهم بها كافر) وفي الرواية الأخرى (ما أنزل الله من السماء

(١) ينظر: الخطاب والدلالة قراءة في تأويل النص القرآني، د.منقور عبد الجليل:ص ١٩٢
(٢) صحيح البخاري: رقم ٨٤٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٦، رقم ١٣

من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين) فقوله (بها) يدل على أنه كفر بالنعمة والله أعلم"(١).

رابعا: الخطاب الموازي، وهو خطاب تستخرج منه معان فرعية عديدة ومفاهيم أخرى مستنبطة من سياق ظاهر التركيب الحامل للمعنى الأساسي، وذلك من خلال تأويل صيغته اللغوية " فالخطاب الموازي يشتمل على بلاغة اللغة وقدرتها في التعبير على دلالتين معا: دلالة ظاهرة يحملها سطح النص، ودلالة خفية يحملها خطاب موازٍ اقتضت ضرورات تشريعية وعرفية لغوية أن يعبر باللفظ ويقصد بدلالته لفظ آخر" (٢).

ومثاله حديث فضل مجالس الذكر، يقول ﷺ: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم عز وجل ـ وهو أعلم منهم ـ ما يقول عبادي، قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك... قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى جليسهم)) (٣).

فدلالة الحديث الظاهرة هي الدعوة لحضور مجالس الذكر وبيان فضلها، ودلالته الخفية تظهر في عدة فوائد تستخلص من النص، وأهمها بيان فضل الجليس التقي، والصحبة الصالحة وبركتهم على أنفسهم وعلى جلسائهم. وفي قوله تعالى: (هم الجلساء لا يشقى جليسهم) وفي رواية: (هم القوم) الألف واللام إشعار بالكمال، أي هم القوم كل القوم، وذروة سنام الجلساء، والعبارة تنفي الشقاء عن جليسهم ولو كان الشقاء صادرا من نفسه العاصية، فصحبة الأخيار

(١) شرح صحيح مسلم: ١/ ٢٥٨، وحاشية الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٨
(٢) ينظر: الخطاب والدلالة ـ قراءة في تأويل النص القرآني ـ مقال، د.منقور عبد الجليل: ص ١٩٤
(٣) صحيح البخاري: رقم ٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩، رقم ٣٤

الصالحين ومجالستهم من أسباب الغفران والعفو عن المسيء، فيشمل جليسهم كل ما يتفضل به الله عليهم من إكرام ونفحات إلهية ومغفرة، حتى لو لم يشاركهم في الذكر لا لفظا ولا نيّة.

وبهذا فدور السياق في الحديث القدسي ليس محصورا على الإفهام وبيان المعاني وإيضاحها، وإنما وظيفته الحقَّة هي أن يصنع وعيا، يربط المعرفة والمعاني والفكر بالسلوك المرتبط بوعي الإنسان واقتناعه، وهذا الوعي يحقق بدوره الوظيفة الدلالية العميقة في الأحاديث القدسية وهي (المغفرة) وسُبل الوصول إليها. وهكذا حين تتحول المعاني بفعل الدلالة إلى سلوك يستطيع القارئ أن يهتدي إلى الغايات البعيدة للظواهر اللفظية والأسلوبية التي ينبني النص عليها.

والسياق مع البنى التركيبة والمعجمية يعطي للنص الاستمرار والبقاء، فهو يطفو على دلالات عامة ثابتة مطلقة في الزمان والمكان، وعلى دوال متنوعة ومتغيرة، وعلى متلقٍ مختلف من حيث تلقيه ورؤيته ورصيده الفكري والثقافي وبيئته وتجاربه، وبهذا يتشكل المعنى عن طريق فعل القراءة بكل أنواعها كالقراءة المبدعة والتأويلية والقراءة الفاحصة، ولا يُقدم جاهزا للقارئ، وبهذا تتعدد المعاني التأويلات لتنوع القراء وتجاربهم الإنسانية المتجددة، فلا حدود توقف تدفق المعاني والتأويلات القائمة على الدلائل اللفظية والأفكار المنطقية للنص، وبهذا يكون المنشئ المبدع للنص هو الفاعل في تجدد المعاني، والقارئ المثقف والمتزود برصيد ثقافي ضخم هو القادر على استخراج هذه المعاني من النص، وقد سبقت الإشارة إلى أنواع القرّاء وأنواع القراءة في الفصل الأول من البحث.

وبهذا يكيف الخطاب في الأحاديث القدسية أدواته بحسب متطلبات القراءة في كل زمان ومكان وفي كل بيئة ومجتمع " على أن الإطار العام للفهم والتأويل لن يغير من كون الألفاظ هي مفاتيح استنباط الدلالة والحكم ولن يغير من صيغها المعجمية، إلا أن السياق اللغوي

المحمولة ضمنه هو الذي يدفع بها إلى تغيير حقولها الدلالية مع كل قراءة واعية تأخذ بمعطيات النص ونظامه الخطابي الدقيق وحيثيات الإسقاط وظروف القارئ المعرفية والعلمية" (١).

(١) الخطاب والدلالة ـ قراءة في تأويل النص القرآني ـ مقال، د.منقور عبد الجليل: ص ١٩٤

الفصل الخامس

(المستوى التداولي للخطاب في الأحاديث القدسية)

المبحث الأول: تعريف التداولية

تعتبر التداولية فرعا من الدراسات اللغوية واللسانية، ظهرت كعلم على يدل فيلسوف اللغة البريطاني أوستن (ت ١٩٦٠م) واضع نظرية أفعال الكلام، وكان هدفه منها هو تأسيس اختصاص فلسفي جديد في فلسفة اللغة، فرأى أن وظيفة اللغة لا تنحصر في نقل خبر أو وصف واقعة أو توصيل معلومة إلى المتلقي، وإنما في اللغة قدرة فائقة على الإنجاز الفعلي، فاللغة تحقق وتنجز ما تحمله من المعاني بمجرد النطق بها، والكلام في اللغة يهدف إلى التأثير في المتلقي وتحقيق غايات محددة " فالكلام فعل وقوة تأثيرية، والتداولية تهتم بالعملية التواصلية والعلاقة التي تربط النشاط اللغوي بمستعمليه وبكيفية استعمال العلامات اللغوية بنجاح وعلاقتها بالمحيط والسياقات المختلفة" (١). وانطلاقات من هذه المقدمة تأتي الأسئلة التالية:

ما هي التداولية؟ وما آلياتها وعناصرها؟ وما علاقتها بالخطاب والنص، وهل يمكن فهم الحديث القدسي، وتمييز مستويات الخطاب فيه بالاعتماد على المبادئ التداولية ؟

إن التداولية من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت في ساحة الدرس اللساني الحديث، فقد شهدت مرحلة ما بعد البنيوية تغييرا جذريا في مسار البحث اللساني، حين تحولت اللسانيات من منظور بنيوي يتعامل مع النص بشكل نظري يهتم بوصف وتفسير البنى اللغوية، ويُعنى بدراستها في صورتها اللفظية وفق قوانين اللغة، إلى توجه منهجي جديد يدرس اللغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في نفس الوقت. وبهذا تُعدُّ التداولية مكملة للبنيوية وامتدادا لها، لأنها تهتم بدراسة الاستعمالات الفعلية لحظة الكلام وما يتولد عنها من دلالات في المقامات الخطابية، في إطار التواصل ومقاصد الخطاب اللغوي (٢).

وترجع نشأة مصطلح (التداولية) في أصله العربي إلى الأستاذ الدكتور طه عبدالرحمن، الأستاذ المعاصر للمنطق وفلسفة اللغة، الذي قام بتعريب المصطلح الأجنبي (Pragmatique) ووقع

(١) الأمثال في صحيح البخاري، دراسة تداولية لأفعال الكلام، وهيبة غضابي: المقدمة ص٣
(٢) ينظر:التداولية في البحث اللغوي والنقدي، د. بشرى البستاني: ص٣٤

اختياره على لفظ (التداولية) كأقرب مصطلح يعبر عن هذا العلم الذي ركز الغرب عليه في دراسة اللغة في العصر الحديث، يقول في ذلك:" وقع اختيارنا منذ سنة ١٩٧٠م على مصطلح (التداوليات) مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا) لأنه يوّفي المطلوب حقه باعتبار دلالته على معنى (الاستعمال) و (التفاعل) معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم" (١).

والجذر اللغوي (دَ وَ لَ) له معان مختلفة تدور كلها في محور التحول والانتقال والتبدل، فقد جاء في لسان العرب: " ... تداولنا الأمر، أخذناه بالدّول، وقالوا دَوَالَيك أي متداولة على الأمر ... ودَالَت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة" (٢).

فالمعنى اللغوي يدور في معنى التحول والتبدل، ووردت مادة (د و ل) في (مقاييس اللغة) على هذين الأصلين " الدال والواو واللام أصلان: أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل على ضُعف واسترخاء، فأما الأول فقال أهل اللغة: انْدَالَ القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب، تَدَاوَلَ القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدَّولة والدُّولة لغتان، ويقال بل الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا " (٣).

(١) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ص٢٨
(٢) ابن منظور: مادة- د و ل .
(٣) ابن فارس: جـ٢، ص: ٣١٤

وعلى نفس النهج يسير الزمخشري في بيان معنى الجذر (د و ل) يقول: " دول دالت له الدولة، ودالت الأيام، بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم، جعل الكثرة لهم عليه، وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر وأُديل المشركون على المسلمين يوم أحد، والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم، والدّهر دُول وعُقب ونُوب، وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه، يراوح بينهما "(١).

فالمعنى في المعاجم اللغوية لا يكاد يخرج عن نطاق التناقل والتحول، وتلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين الناس يتداولونها بينهم، ولعل هذه المعاني اللغوية هي ما دفعت الدكتور طه عبد الرحمن ليختار مصطلح (التداولية) وعليه حدد مفهوم المجال التداولي بقوله: " من المعروف أن الفعل (تداول) في قولنا: تداول الناس كذا بينهم، يفيد معنى تناقله الناس وأرادوه فيما بينهم، ومن المعروف أيضا أن مفهوم (النقل) ومفهوم (الدوران) مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة، فيقال: نقل الكلام على قائله، بمعنى رواه عنه، كما يقال: نقل الشيء عن موضعه، أي حركه منه. ويقال: دار على الألسن، بمعنى جرى عليها، كما يقال دار على الشيء، بمعنى طاف حوله، فالنقل والدوران يدلان بذلك في استخدامهما اللغوي على معنى النقلة بين الناطقين... ويدلان في استخدامهما على معنى الحركة بين الفاعلين، أو قل على معنى (التفاعل) فيكون التداول جامعا بين جانبين اثنين هما: التواصل والتفاعل، فمقتضى التداول إذن أن يكون القول موصولا بالفعل... "(٢) وبذلك فالمعنى اللغوي لا يخرج عن إطار التحول والتبدل، والنقل والدوارن والذي هو قوام التواصل والتفاعل.

(١) أساس البلاغة: جـ١، ص٣٠٣
(٢) تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن: ص٢٤٤

ووردت التداولية بمعناها اللغوي في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(١) يقول القرطبي في تفسير (دولة) في الآية السابقة: " الدُّولة اسم الشيء الذي يُتداول. والدَّولة الفعل. ومعنى الآية: فعلنا ذلك في هذا الفيء كي لا تقسمه الرؤساء والأغنياء والأقوياء بينهم دون الفقراء والضعفاء" (٢).

ووردت كذلك في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(٣) وقد جاء في تفسيرها " الأصل في المداولة نقل الشيء من واحد إلى آخر، يقال: تداولته الأيدي إذا تناقلته ومنه قوله تعالى: (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أي تتداولونه ولا تجعلون للفقراء منه نصيبا، ويقال: الدنيا دول، أي تنتقل من قوم إلى آخرين، ثم عنهم إلى غيرهم، ويقال: دال له الدهر بكذا إذا انتقل إليه، والمعنى أن أيام الدنيا هي دُول بين الناس لا يدوم مسارها ولا مضارها، فيوم يحصل فيه السرور له والغم لعدوه، ويوم آخر بالعكس من ذلك، ولا يبقى شيء من أحوالها ولا يستقر أثر من آثارها " (٤).

فتدور معاني لفظ (التداولية) بمشتقاته الواردة في الآيات السابقة حول معنى تغير الحال، وانتقال الملك، والتعاقب والتناوب، وهذه المعاني نلمس فيها " عدم الثبوت والاستقرار والتحول كما هو الأمر بالنسبة للغة، حيث تنتقل من المتكلم إلى السامع في سياق ما، يمكن أن يُفهم

---

(١) سورة الحشر: ٧
(٢) الجامع لأحكام القرآن: جـ٥،ص: ١١٢
(٣) سورة آل عمران: ١٤٠
(٤) التفسير الكبير، محمد فخر الدين الرازي: جـ٢، ١١٩

أو يؤول إلى عدة معاني وبذلك يكون المعنى غير ثابت ومتحول وغير مستقر بين باثه ومتلقيه"[١].

أما المعنى الاصلاحي (للتداولية) فهو موصول بالمعنى اللغوي، يقول الدكتور طه عبدالرحمن: " أما عن المعنى الاصطلاحي الذي نستعملها فيه، فقد أردنا أن يكون موصولا بهذا المدلول اللغوي وصلا، لأن هذا الوصل هو الذي يجعل أوصافه الإجرائية مألوفة ومقبولة، وينقل إليها الإنتاجية الموروثة والمبثوثة في هذا المعنى الأصلي. وعلى هذا فالتداول عندنا، متى تعلق بالممارسة التراثية، هو وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم، كما أن المجال في سياق هذه الممارسة هو وصف لكل ما كان نطاقا مكانيا وزمانيا لحصول التواصل والتفاعل، فالمقصود بـ (مجال التداول) في التجربة التراثية هو إذن محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث "[٢].

وعرفها الدكتور مسعود صحراوي بأنها: " مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي يُنجز ضمنها (الخطاب) والبحث عن العوامل التي تجعل من (الخطاب) رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية"[٣].

وتتنوع تعريفات (التداولية) والجامع بينها هو " معالجة العلاقات بين المتكلمين والمقام الذي يجري فيه المقال، وكونها أقوالا تتحول إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية بمجرد التلفظ بها، وهي عند لفيف آخر من الدارسين، دراسة للآثار اللغوية التي تظهر من خلال الخطاب، ومنهم من

(١) الأفعال الكلامية في سورة الكهف ـ دراسة تداولية، آمنة لعور: ص١٩

(٢) تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن: ص٢٤٦

(٣) التداولية عند العلماء العرب: ص٥

ركز على الجانب الضمني أو الخفي للكلام" [1] فتهتم التداولية تهتم بمقاصد المتكلم، كما تهتم بقوة الأفعال الكلامية وتأثيرها على المخاطبين.

إن الجانب التداولي يحتوي جوانب النص كلها دفعة واحدة فيشمل قواعد اللغة ومعاني العبارات والجمل والتركيب والمعاني المعجمية، وأشكال السياقات ودلالاتها ويشمل المقام وما فيه من متكلم ومخاطب ومستمعين والمكان والزمان والموضوع المطروح، وذلك لتحقيق المعنى التواصلي المقصود ببنية الخطاب، وفائدة الخطاب وأثره على المتلقي والنتائج العلمية التي يحدثها في المخاطب والمستمعين.

وتتلخص مهام التداولية في دراسة (استعمال اللغة) فهي لا تدرس (البنية اللغوية) نفسها، وإنما تقوم بدراسة اللغة في الطبقات المقامية المختلفة " أي بوصفها (كلاما محددا) صادرا عن (متكلم محدد) وموجها إلى (مخاطب محدد) بـ (لفظ محدد) في (مقام تواصلي محدد) لتحقيق (غرض تواصلي محدد). والتداولية تهتم بشرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات، وبيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر"[2] .

وفي الدرس التداولي تتآزر مستويات الخطاب (المعجمية والتركيبية والدلالية) لإنتاج المستوى التداولي، الذي يتسم بالشمولية والتكامل بين مختلف المستويات " فالنحو يقوم بتحليل العلاقات بين العلامات في المستوى الأفقي، وتحلل الدلالة صلة العلامات بالمدلولات والواقع، وتعني التداولية بتوصيل دلالات العلامات. فهي تعتمد المنجز المقدم من المستويات السابقة، لتنظر إلى علاقة الكل المنجز بالمتكلم وما يحيط به من أحوال " [3].

(١) المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، ليلى كادة: ٣٩ ـ ٤٠

(٢) ينظر:التداولية في البحث اللغوي والنقدي، د. بشرى البستاني: ص٣٧ـ ٣٨

(٣) ينظر: المرجع السابق: ص٣٩

وتهتم التداولية بمقصد المتكلم وما يرمي إليه من المعاني التي تتجاوز المعنى الدلالي للكلمات والجمل إلى المعنى غير المباشر الذي يضيفه المتكلم حينما يقول جملة ضمن سياق معين، فتدرس الهالة التي تحيط بالمعنى الثابت والتي تتغير من سياق لآخر، وبذلك تتداخل التداولية مع جميع المستويات للوصول للفهم الحقيقي للنص، فهي مستوى ممتد على مساحات معرفية واسعة ومتداخلة" يكون مستوى إضافيا في الدرس اللساني يملأ الفجوات التي تركتها المستويات الأخرى"(١) فالتداولية تبدأ من حيث تنتهي الدلالة في تناول النصوص وبذلك تشكل امتدادا للدرس الدلالي، تهتم بمقاصد المتكلمين، وتربطها بالمقام المناسب لها، وتدرس العلاقة بين الخطاب والسياقات المختلفة وتهتم بالترابط بين بنية النص وعناصر الموقف الاتصالي وبالمعاني الضمنية المتولدة عن الأساليب التعبيرية، إلى جانب اهتمامها بالقوى الإنجازية الضمنية في الأفعال الكلامية وشروط تحقق الأفعال بالقول الملفوظ.

إن التداولية تُعنى بدراسة اللغة عند استعمالها، وبالتالي فهي تهتم بدراسة مقاصد المرسل، وكيفية تبليغه لمقاصده بطريقة تتجاوز الدلالة المباشرة لظاهر اللفظ " كما يُعنى المنهج التداولي بكيفية توظيف المرسل للمستويات اللغوية المختلفة في سياق معين، حتى يجعل إنجازه موائما لذلك السياق، وذلك بربط إنجازه اللغوي بعناصر السياق الذي حدث فيه، ومنها ما هو مكوّن ذاتي مثل: مقاصد المتكلم، ومعتقداه، وكذلك اهتماماته ورغباته، ومنها أيضا المكونات الموضوعية، أي الوقائع الخارجية، مثل زمن القول ومكانه، وكذلك العلاقة بين طرفي الخطاب"(٢)، وبذلك يكون المنهج التداولي أداة لفهم مقاصد الخطاب في سياق معين، ومعرفة أثر السياق في لغة الخطاب.

فتشكل التداولية الكل الذي يتعاون ويتعاضد لإبراز المعنى الكامن في السياقات المتعددة، وهي مرتكزة على (القصد والإبلاغ والاتصال) وتنبثق من النص المفتوح الذي يحمل دلالات

(١) ينظر: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، د. بشرى البستاني: ص٤٢
(٢) الوظائف التداولية في المسرح، ياسة ظريفة: المقدمة ص١٠

لامتناهية، وتدرس استعمال اللغة أي استعمال الأدلة والرموز وكل روابط الاتصال اللغوية وغير اللغوية، فهي تعتمد على الدلالة والتركيب ومهمتها الكشف عن مقاصد المتكلم وكيفية تأثير اللغة على المخاطب .

وقد كان الفكر التداولي موجودا عند علماء العربية القدماء ومارسوه كمنهج في دراستهم للغة، من أمثال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، وابن جني في الخصائص، وعبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، والسكاكي (٦٢٦هـ) في مفتاح العلوم، والفخر الرازي في التفسير الكبير، حيث اهتم هؤلاء العلماء بدراسة النص باعتباره خطابا متكاملا، واهتموا بعملية التواصل وبالمرسل والمتلقي وبعملية التأثير، ودرسوا القصد ونوايا المتكلم، يقول محمد سويرتي في هذا: "النحاة والفلاسفة المسلمون، والبلاغيون والمفكرون مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلما، ورؤية واتجاها أمريكيا وأوربيا، فقد وُظف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة " (١).

ورغم تأصل التفكير التداولي عند علماء العربية إلا أنهم لم يفردوه بالبحث والتأليف، ولم يصطلحوا له تسمية بذاته وإنما كان أسلوب تفكير وتوجها علميا في البحث، متفرقا ومنتشرا في مظان الكتب النحوية والبلاغية وفي كتب الأصوليين والفلاسفة وعلماء اللغة.

وتتعالق البلاغة العربية مع اللسانيات التداولية "وتعتبر البلاغة دعامة أساسية للدراسات الحديثة أيا كانت أشكالها وتعبيراتها وفنونها، كما أنها تتيح السبل أمام المتكلمين للتعبير والإبداع والتواصل بمختلف المستويات اللغوية (الصوتية، الصرفية، النحوية، الدلالية) وهي مستويات مشاركة في تعيين عناصر العملية التخاطبية وتوجيهها وفقا للأبعاد التداولية والتي تتلخص في ضرورة ربط اللغة بالاستعمال"(٢). فهناك إذا تداخل كبير بين البلاغة والتداولية كالأفعال

(١) اللغة ودلالاتها ـ تقريب تداولي للمصطلح البلاغي (مقال): ص٣٠
(٢) قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، حامدة ثقبيات: ص١٤

الكلامية والمعاني المباشرة وغير المباشرة وأنواع الأساليب الخبرية والإنشائية، والأساليب الصريحة والضمنية والتي تتداخل مع المجاز والكناية وغيرها من علوم البلاغة العربية.

ويظهر البُعد التداولي عند الجاحظ من خلال اهتمامه بعملية التواصل والتأثير في المتلقي والإقناع، فالجاحظ يهتم بإفهام المخاطب عن طريق إيصال المعنى له واضحا ميسرا، مع مراعاة مقامات السامعين والمتكلمين المتفاوتة، ويربط الإفهام بالبيان، يقول في ذلك: " والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يُفضيَ السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيِّ جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفَهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهامَ وأوضحتَ المعنى، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع" (١).

والبيان من أهم الآليات التي تستعملها البلاغة لتحقيق غايتها الإفهامية والتواصلية، وله ثلاث وظائف أساسية هي: الوظيفة الإخبارية (حالة الحياد) والوظيفة التأثيرية (حالة الاختلاف) والوظيفة الحجاجية (حالة الخصام)(٢). وهذه الوظائف مجتمعة تشكل أساس النظرية التداولية في الدراسات المعاصرة، لأنها تقوم على القيمة التواصلية وتحقيق الفهم والتأثير في المرسل إليه.

كما بدت ملامح الاتجاه التداولي عند السكاكي في كتابه (مفتاح العلوم) من خلال "اهتمامه بعناصر العملية التواصلية وربطها بمقتضى الحال، وبالمتكلم ودوره في عملية التبليغ، وبوضعية السامع وطريقة تلقيه الخطاب. ويرى (السكاكي) أنه لكل من هذين الطرفين (المتكلم/ المتلقي) دور فعال في تحديد المقصد وتبليغه وفهمه، فقد يكون المتلقي خالي الذهن تماما أو مترددا في الحكم، أو منكرا له، وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، فيجعل غير السائل ـ وهو خالي الذهن ـ كالسائل، وقد يجعل غير المنكر كالمنكر، وقد يجعل المنكر كغير

(١) البيان والتبيين، الجاحظ: جـ١، ص: ٧٦
(٢) البلاغة العربية ـ أصولها وامتداداتها، محمد العمري: ص٢١٢

المنكر، منبها في الوقت ذاته على ضرورة مراعاة المقام وعلاقته بالمتلقي ووجوب الالتفات إلى أغراض الخطاب" (١).

وقد اهتم البلاغيون والنحاة بالبعد التداولي فالجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، والاستراباذي في كتابه (شرح الكافية) اهتما بالعلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب، فالمتكلم له غرض وقصد من كلامه، والمخاطب هو من يجني فائدة الخطاب "وقد كان اهتمام النحاة بالبعد التداولي للظواهر اللغوية كتطبيق معاني الخبر والإنشاء على بعض الظواهر النحوية، كما ناقشوا كثيرا من المعاني المتعلقة بإنجازية الأساليب العربية بخلفية تداولية، فتطرقوا إلى فعل الإغراء، وفعل التحذير، وفعل النداء وغيرها من الأفعال الكلامية، مع العلم أن النحو العربي لم يكن تناولا للبينة اللغوية دون النظر إلى أحوال الاستعمال المختلفة فقد اهتم بمسائل مرتبطة بالمتكلم وعده منتج الخطاب، وكذلك السامع ونص الخطاب" (٢).

ومن مظاهر التداولية عند عبد القاهر الجرجاني عنايته بالمعنى والفائدة وبعناصر الاتصال اللغوي كالمتكلم والمتلقي والسياق، ومراعاة تعالق المعنى والمبنى وكيفية تعبير المتكلم عن المعاني الدائرة في نفسه وذهنه، ومراعاة ملابسات الخطاب وأغراضه، ومراعاة حال السامع والفائدة من الخطاب، وهو في كتابه (دلائل الإعجاز) بين ذلك وأطره في نظرية النظم التي استوعبت علوم اللغة وتحليل الخطاب وعلم الدلالة والنحو الوظيفي وعلوم اللسانيات.

والبلاغة العربية هي في أصلها بُعد تداولي يهتم بالإفهام وأساليب التعبير والبيان، والاتصال بين المتكلم والسامع وكيفية التأثير في المتلقي، ويدرس القصد والمعنى واستلزامات الخطاب، وهي مجالات وثيقة الصلة بالتداولية، وفيها يقول العسكري: "إذا كان موضوع الكلام على الإفهام، فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوقة،

(١) نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، نعمان بوقرة: ص: ١٨٠
(٢) في اللسانيات التداولية ـ محاولة للتأصيل للدرس العربي القديم، خليفة بوجادي: ص٢١٦

والبدوي بكلام البدو، ولا يتجاوز به عمّا يعرفه إلى ما لا يعرفه فتذهب فائدة الكلام وتنعدم منفعة الخطاب"[١].

وقد تطور الدرس التداولي على يد (فان ديك) في كتابه (السياق والنص) بنقل (الفعل الكلامي) من حدود الجملة كما كان عند (أوستين) إلى مجال النص، فبدلا من أن يركز الدرس التداولي على قوة كل فعل كلامي مذكور في جمل النص، واستقلاليته وقوة إنجازيته منفردا، أصبح للنص كله فعل كلامي رئيسي تتفرع منه الأفعال الكلامية الفرعية المتممة لمعناه ولقصده الإجمالي.

فالفعل الكلامي ليس منطوقا لغويا مفردا فقط وإنما هو إنجاز لحدث منطوق من مقاصد بهدف التغيير والتأثير، يقول في هذا الدكتور محمد مدور: " عُني فان ديك في كتابه المعروف (النص والسياق ١٩٨٠) بتطوير تداولية أفعال الكلام عن طريق توجيهها من مجال الجملة عند مؤسسها أوستين إلى طريق النص، وقد قام بتحليل ما سماه أفعال الكلام الكبرى، ويريد به: فعل الكلام الإجمالي الذي يؤديه منطوق الخطاب الكلي، والذي تنجزه سلسلة من أفعال الكلام المختلفة. انتهى فان ديك هنا إلى أن سلسلة الأفعال الكلامية تفسر بأنها فعل كلامي واحد، إذا كانت تشير إلى مقصد إجمالي واحد. ويمكن لهذا الفعل الكلامي ـ على مستوى أعلى ـ أن يكون بدوره نتيجة لأفعال كلامية أخرى. وأطلق فان ديك على سلسلة أفعال الكلام المفردة اسم التداولية الصغرى وأطلق على دراسة التنظيم الكلي لمتواليات الأفعال الكلامية والسياقات وعلاقتها ببنية الخطاب اسم التداولية الكبرى" [٢].

---

(١) الصناعتين: ص١٣٢
(٢) الأفعال الكلامية في القرآن الكريم: ص٤٣

المبحث الثاني: العناصر التداولية في الخطاب

تركز التداولية على الجانب التواصلي، وتهتم بدراسة البعد الاستعمالي للغة، ومقاصد المتكلمين ومقام الخطاب، فهي "شبكة تحليل معاصرة تعتمد مفاهيم من قبيل الأفعال الكلامية ومتضمنات القول، ونظرية الملاءمة التي تعد بمثابة ركائز لها" (١) وبتتبع هذه المحاور تتضح أبعاد الدرس التداولي ويسهل تطبيقه على النصوص الخطابية كالأحاديث القدسية، وهذه المحاور بشيء من التفصيل كالآتي:

أ. الأفعال الكلامية:

تعتبر نظرية (الأفعال الكلامية) جوهر الدرس التداولي وأساسه " والفعل الكلامي يُراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر والنهي والوعد والسؤال والتعيين ... وهي كلها أفعال كلامية"(٢) وفي اللغة العربية دُرست (الأفعال الكلامية) ضمن نظرية (الخبر والإنشاء) تحت موضوع (علم المعاني)، يقول الدكتور أحمد المتوكل في أصالة فكرة الأفعال الكلامية في الدرس اللغوي العربي القديم: "من المعلوم أن الفكر اللغوي العربي القديم يتضمن ثنائية (الخبر والإنشاء) التي تشبه إلى حد بعيد الثنائية الأوستينية (الوصف والإنجاز) كما يدل على ذلك تعريف القدماء للخبر والإنشاء" (٣).

ونظرية الأفعال الكلامية وضعها الفيلسوف (أوستين) وأكد فيها على أن كل العبارات اللغوية (خبرية كانت أم إنشائية) تحتوي على أفعال إنجازية، وأن لكل جملة مستويين، مستوى مقالي يتمثل في فعل القول، ومستوى مقامي يشغله الفعل الإنجازي والفعل التأثيري. وقد قام بمحاولة لتصنيف الأفعال في زمر، يراها هو وظيفية " وهي:

---

(١) المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، ليلى كادة: ٤٩
(٢) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي: ص١٠
(٣) الوظائف التداولية في اللغة العربية: ص٣٧

. الأفعال الدالة على الحكم: التبرئة، الحكم، التقدير، التحليل....

. أفعال الممارسة: الانتخاب، التعيين، الاستشارة، الترشيح...

. أفعال الوعد: الرهان، التعهد، الضمان...

. الأفعال السلوكية: الاعتذار، التهنئة، التعزية، الشكر...

. أفعال العرض: الإثبات، التأكيد، النفي، الوصف، التعريف، التأويل...

ومع ذلك يعترف أوستن نفسه أن هذا التقسيم غير مستفيض ويحتاج إلى إعادة نظر بسبب تداخل هذه الأفعال فيما بينها تداخلا يجعل الحكم يمكن تصنيفها في زمرة أفعال الممارسة والعكس صحيح " [1]، وقد طور أفكار (أوستن) تلميذه المعاصر، فيلسوف اللغة الأمريكي (جون سيرل . ١٩٦٩م)

في جملة من المبادئ والتصورات منها:

. الجمل اللغوية هي قول وفعل في الوقت ذاته، وكل قول هو إنجاز لفعل ما بمجرد التلفظ به.

. اللغة ليست مجرد وسيلة تبليغ وتواصل بل هي أداة يستعملها المتكلمون للتأثير في متلقي الخطاب.

. الفعل الكلامي هو إنجاز ذو طابع اجتماعي يتحقق في الواقع بمجرد التلفظ به بغرض تحقيق التواصل وذلك من أجل صناعة مواقف اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية بالكلمات، تهدف إلى التأثير في المتلقي وحمله على فعل ما أو تركه أو تقرير حكم من الأحكام أو تقديم وعد أو سؤال.

. توصل (سيرل) إلى نوع آخر من الأفعال الكلامية هي الأفعال الكلامية (غير المباشرة) وميزتها أن دلالتها الفعلية لاتظهر صريحة في عبارة المتكلم، وإنما تأويل هذه الدلالة وفهمها يحتاج إلى

(١) نحو قراءة جديدة للتراث العربي والإسلامي بالوقوف على تداولية الأفعال، عمر بالخير: ص٣

عوامل السياق المحيطة بالمتخاطبين" وقد قنّنَ سيرل هذه الظاهرة (الأفعال الكلامية غير المباشرة) في نسق من القواعد الاستدلالية المرتبطة بقدرة المخاطب على تأويل ما لم يصرح به المتكلم من أفعال كلامية، وقد تكون ملزمة أو غير ملزمة، ولا يمكن للسياق سوى أن يتدخل بجدارة لفهم وتأويل هذا النسق الاستدلالي، عن طريق

المعرفة المسبقة للمتخاطبين وعن طريق قوانين الخطاب أيضا، وبخاصة مبدأ التعاون "(١).

. وينقسم (الفعل الكلامي) إلى ثلاثة أفعال إنجازية فرعية متداخلة هي:

١. فعل القول: ويتمثل في التلفظ بأصوات ما، ويندرج تحت هذا القسم ثلاثة أفعال لغوية فرعية بحسب تقسيم أوستين، وهي: الفعل الصوتي، الفعل التركيبي، الفعل الدلالي.

٢ ـ الفعل الإنجازي: وهو عبارة عن فعل ينجز بواسطة القول، وهو قوة خطابية يعطيها المتكلم لملفوظه، وقوة الخطاب هي كل ما يتعلق بإنجازه ويكسبه نوعية خاصة كالأمر والنهي والاستفهام. وعملية إنجاز الفعل الكلامي وتحققه متعلقة بقصد المتكلم وفهم السامع لقصده.

٣ ـ الفعل التأثيري: ويتمثل في الأثر والفائدة التي يتركها الفعل القولي في نفسية المتلقي، فالمتكلم يسعى من وراء ملفوظه إلى التأثير على أفكار ومشاعر المستمع ويحاول استمالته إليه، وحين يستجيب له، تسمى هذه الاستجابة (فعل الاستجابة) أو فعل التأثير في الخطاب ولا يحدث ذلك إلا إذا تمركز في ذهن المستمع فعل الاقتناع (٢).

وقد طور (سيرل) جهود أستاذه (أوستين) في (نظرية الأفعال الكلامية) فميز بين (قوة الفعل الكلامي) والمحتوى القضوي للفعل الكلامي، وجعل الفعل الكلامي يتكون من أربعة أفعال فرعية متداخلة هي: الفعل التلفظي (الصوتي والتركيبي) والفعل القضوي الذي يركز على الحدث والمعنى المباشر وقضيته، ويتفرع إلى الفعل الإحالي والفعل الحملي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري. وربط الفعل الكلامي بالعرف اللغوي والاجتماعي، فأصبح الفعل الكلامي لا

(١) نحو قراءة جديدة للتراث العربي والإسلامي بالوقوف على تداولية الأفعال، عمر بالخير: ص٤
(٢) ينظر: الأفعال الكلامية في سورة الكهف، آمنة لعور: ص٥٣ ـ ٥٦

يقتصر فقط على مراد المتكلم، بل يتعداه إلى الارتباط بالعرف اللغوي والاجتماعي. وفتح باب الفهم والاتصال ليصل إلى المعنى غير المباشر [1]. وقسم (سيرل) الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف هي:

أ. التصريحيات: وتكون حين التلفظ بها وغايتها الكلامية تكمن في إحداث تغيير في العالم الخارجي عن طريق الإعلان، ويكون اتجاه المطابقة فيها مزدوجا: من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات .

ب . الوعديات: وتسمى الإلزاميات وتهدف إلى جعل المتكلم ملتزما بإنجاز عمل ما، واتجاه المطابقة في الغرض الإلتزامي يكون من الكلمات إلى العالم والمسئول عن ذلك هو المتكلم، وأفعاله تتمثل في أفعال التكليف، والوعد والقسم. وشرط الإخلاص فيها يكمن في القصد أي في قيام المتكلم بفعل في المستقبل للمتلقي وقدرته على أداء ما يلزم نفسه به.

جـ . الإخباريات: وتسمى التقريريات، وغرضها الإنجازي هو نقل المتكلم لواقعة ما من خلال قضية معينة. وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب، وتتضمن أفعال الإيضاح، وتتطابق الكلمات فيه مع العالم واتجاه المطابقة فيه من العالم إلى الكلمات.

د . الطلبيات: وتسمى الأمريات أو التوجيهيات، وغايتها تكمن في حمل المخاطَب على القيام بفعل معين، واتجاه المطابقة فيها يكون من الكلمات إلى العالم والمسؤول عن ذلك هو المخاطب وشرط الإخلاص يتمثل في الإرادة والرغبة الصادقة، ويدخل ضمن أفعالها الاستفهام والأمر والرجاء والنصح.

هـ . الإفصاحات: وتسمى التعبيريات أو البوحيات والغرض منها، التعبير عما نشعر به من حالات نفسية (انفعالية)، ويشترط فيها أن تكون ثمة نية صادقة، واتجاه المطابقة في الغرض التعبيري هو" الاتجاه الفارغ لأن المتكلم في هذا الصنف لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق

(١) في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي: ص٩٩

العالم الخارجي، ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات، وكل ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر والاعتذار والترحيب [١].

وهذه الأصناف الخمسة للأفعال الكلامية مندرجة كلها في علم النحو والبلاغة عند علماء العربية وتظهر بشكل جلي في علم المعاني ودراسته للأسلوب الخبري والإنشائي، وقد درس علماء العربية القدماء الأسلوب الخبري والإنشائي معا بغرض دراسة المعني الوظيفي وتحديد المقامات المختلفة التي يرد فيها هذا المعني بقصد فهم النص القرآني واستخراج مكنون معانية، وظهر عندهم (درس الخبر والإنشاء) في بادئ الأمر عند الفلاسفة والمناطقة كالفارابي (٣٣٩هـ) في (كتاب الحروف)، أما عند البلاغيين والنحاة فكان يُعبر عن مصطلح (الإنشاء) بمصطلح (الطلب) " فلا نجد له ذكرا عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ولا عند خلفه أبي يعقوب السكاكي"[٢]، فالسكاكي في تقسيمه للأسلوب يقسمه إلى خبري وطلبي، ويقسم الأسلوب الطلبي إلى نوعين، نوع يستدعي مطلوبا، ونوع لا يستدعي مطلوبا، يقول في هذا: " والطلب إذا تأملنا نوعان، نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول، وقولنا لا يستدعي أن يمكن أعم من قولنا يستدعي أن لا يمكن، ونوع يستدعي فيه، فالنوع الأول هو التمني، أما النوع الثاني فهو الاستفهام والنهي والنداء" [٣].

ثم بدأ يظهر مصطلح (الإنشاء) عند النحاة والبلاغيين المتأخرين كالاستراباذي في شرح الكافية، حين صرح بأن الجملة غير الخبرية " إما إنشائية، نحو: بعتُ وطلّقتُ، أو طلبية كالأمر والنهي والاستفهام والتمني"[٤]، والخطيب جلال الدين القزويني (٧٣٩هـ) في كتابه الإيضاح، يميز بين الخبر والإنشاء بقوله: " الكلام إما أن يكون لنسبته خارج تُطابقه أو لا تُطابقه، أو لا

(١) ينظر:المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، ليلى كادة: ص ٥٨ ـ ٦١، وينظر: الأمثال في صحيح البخاري دراسة تداولية لأفعال الكلام، وهبية غضابي: ص٧٦ ـ ٦٧
(٢) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي: ص٤٥
(٣) مفتاح العلوم: ص١٣١
(٤) شرح الكافية في النحو: ص٢٤

يكون لها خارج، فالأول الخبر والثاني الإنشاء" [1]، ويُقسم الإنشاء إلى ضربين طلبي كالأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني، وغير طلبي كالقسم والتعجب والمدح والذم وأفعال الرجاء.

والأسلوب الخبري هو "الخطاب التواصلي المكتمل إفاديا والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تطابق نسبته الخارجية، وأن الإنشاء هو الخطاب التواصلي المكتمل إفاديا والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تُوجد نسبته الخارجية" [2]. وعليه فالخبر والإنشاء كلام تام وخطاب تواصلي مفيد للسامع، ومعيار التمييز بينهما هو قصد المتكلم وغرضه من الخطاب، وهو معيار تداولي طبّقه علماء العربية كمؤشر للتمييز بين الأسلوبين، فإن كان غرض المتكلم الإخبار مع موافقة اللفظ إياه فهو خبر، وإن كان غرضه غير الإخبار فالكلام إنشاء.

وقد ذكر الشيرازي (٤٧٦هـ) في باب الخبر وإثبات صيغته بأن الخبر "له صيغة موضوعة في اللغة تدل عليه، وهي قوله: (زيد في الدار). وقالت الأشعرية: ليس للخبر صيغة تدل عليه. وقالت المعتزلة: الخبر يصير خبرا إذا انضم إلى اللفظ قصد المتكلم إلى الإخبار به ... وأهل اللسان قسموا الكلام أقساما، فقالوا: أمر ونهي وخبر واستخبار، فالأمر قولك: افعل، والنهي قولك: لا تفعل، والخبر: زيد في الدار، والاستخبار: أزيد في الدار؟. وهذا يدل على أن اللفظ موضوع للخبر يدل عليه بنفسه" [3]. فقصد المتكلم وغرضه من الخطاب هو توجه ذو منحى تداولي، وقد ظهر عند علماء العربية القدماء كآلية من آليات دراسة العربية وفهم أساليبها.

والأسلوب الخبري سُميَ بالخبر لأنه يصف نسبته الخارجية، بالإخبار عن صدقها أو كذبها، أما الأسلوب الإنشائي فسُميَ بذلك لأنه يُوجِد ويُنشئ نسبته الخارجية بواسطة النسبة اللغوية، وبهذا توصل علماء العربية القدماء إلى التمييز بين الخبر والإنشاء بمعيارين أحدهما تداولي وهو القصد، والآخر وظيفي وهو إيجاد النسبة الخارجية.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ص١٥
(٢) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي: ص٨٢
(٣) شرح اللمع، إبراهيم الشيرازي: جـ٢، ص٥٦٧ ـ ٥٦٨ .

ولعلماء العربية إسهامات كثيرة في مجال التأصيل لنظرية (أفعال الكلام) كإسهامات الفارابي في (كتاب الحروف) حين قسم أنواع المخاطبات، فصنّف العبارات الكلامية الصادرة عن الإنسان إلى صنفين كبيرين هما: عبارات القول، وعبارات الفعل. وتكلم عن قوة الفعل في حديثه عن النداء، وهو من مقولات التداولية المعاصرة، فيقول:" والقول الذي يُقتضى به شيء ما فهو يُقتضى به إما قول ما، وإما فعل شيء ما. والذي يُقتضى به فعل شيء ما فمنه النداء، ومنه تضرّع، وطِلْبَة، وإذن، ومَنْع، ومنه حثّ، وكفّ، وأمر، ونهي " (١) .

فاعتنى علماء العربية وعلماء الأصول بدراسة كل ما تهتم به التداولية المعاصرة من مظاهر لغوية مرتبطة بسياق الاستعمال اللغوي، حيث قرنوا ثنائية (الخبر والإنشاء) بمبدأ قصد المتكلم وإفادة السامع، واعتبروا الرواية والإقرار والدعوى وغيرها أفعالا كلامية منبثقة عن الخبر، أما الوجوب والإباحة والنهي والأمر وغيرها فاعتبروها أفعالا كلامية ناتجة عن الأساليب الإنشائية.

ب . متضمنات القول:

وهو مفهوم تداولي يركز على الجوانب الضمنية والمعلوماتية التي تشكل قاعدة ومنطلقا لفهم النصوص، وتحكمها ظروف الخطاب العامة كالسياق اللغوي والمقامي، ويشتمل هذا المفهوم على عنصرين تداوليين رئيسيين هما، الافتراض المسبق، والأقوال المضمرة.

والافتراض المسبق هو من المفاهيم المهمة التي ترتكز عليها التداولية في فهم الخطاب، ويقوم على المعلومات المتفق عليها مسبقا والخلفية المعرفية المشتركة بين طرفي العملية التواصلية، وهو من شروط نجاح العملية التواصلية التي تُنجز بوجود خلفية مشتركة من الافتراضات المسبقة بين المتخاطبين، التي إن ضعفت أو انعدمت فإن العملية التواصلية تتأثر سلبا لتصل إلى سوء التفاهم وانقطاع التواصل وفشل الاتصال في العملية التواصلية. وهناك نوعان من الافتراضات

(١) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي: ص٨٧ ، وينظر: كتاب الحروف، الفارابي: ص١٦٢

المسبقة، افتراضات مسبقة دلالية وافتراضات مسبقة تداولية، ومعيار التمييز بينهما هو معيار الصدق والكذب [١].

أما (الأقوال المضمرة) وهي النوع الثاني من متضمنات القول، فهي كل احتمالات المعاني التي يمكن للخطاب أن يوحي بها، ويحكمها سياق النص ومقامه، على عكس (الافتراض المسبق) الذي يُحدد على أساس معطيات لغوية في النص، وقد قدم الدكتور مسعود صحراوي مثالا لكل منهما وذكر الفرق بينهما، فمثال (الافتراض المسبق) في قول أحدهم (أغلق النافذة) وقول الآخر (لا تغلق النافذة) فبين القولين خلفية معرفية مشتركة بين طرفي العملية التواصلية هي معلومة أنّ النافذة مفتوحة[٢].

ومن أمثلة (الأقوال المضمرة) كذلك، قول أحدهم (إن السماء ممطرة) فالسامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أن القائل أراد أن يدعوه إلى (المكوث في البيت، أو الانتظار والتريث حتى يتوقف المطر، أو عدم نسيان مظلته عند الخروج أو...) وقائمة التأويلات هذه مفتوحة مع تعدد السياقات والطبقات المقامية التي يُنجز ضمنها الخطاب، والفرق بين (الافتراض المسبق) و(الأقوال المضمرة) أن الأول وليد السياق الكلامي، والثاني وليد ملابسات الخطاب [٣].

جـ. الاستلزام الحواري:

الاستلزام الحواري هو آلية من آليات إنتاج الخطاب، وهو من المفاهيم التي يقوم عليها الدرس التداولي، والمقصود به المعنى التابع والمشتق من الدلالة الأصلية، أو بتعريف أدق "هو ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر، جاعلا مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر" [٤].

(١) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي: ص٣٢
(٢) ينظر المرجع السابق الصفحة نفسها
(٣) ينظر: المرجع السابق: الصفحة نفسها
(٤) الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدوارد: ص١٨

فيركز على المعاني الضمنية التي تدل عليها بعض الجمل داخل النصوص، وكثير من الجمل في اللغة المتداولة تدل على معان تواصلية محددة غير تلك التي يوحي بها معناها الحرفي، فيتم الانتقال من المعنى المباشر الصريح، إلى المعنى غير الصريح أو ما يسمى بالمستلزم الحواري، إن " الحمولة الدلالية للعبارة اللغوية يمكن أن تصنف إلى صنفين: الصنف الأول يشمل (المعاني الصريحة)، وهي تلك التي تدل عليها صيغة الجملة ذاتها. أما الصنف الثاني فيضم المعاني (الضمنية)، أي تلك التي لا تدل عليها صيغة الجملة، وإنما تتولد طبقا للسياقات أو المقامات التي تنجز فيها" (١).

ويقسم الدكتور مسعود صحراوي الحمولة الدلالية للعبارة إلى معان صريحة ومعان ضمنية، والمعاني الصريحة هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وتشتمل على عنصرين هما: المحتوى القضوي، وهو معناها الحرفي الأصلي للقضية، وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموما بعضها إلى بعض في علاقة إسناد. والقوة الإنجازية الحرفية، وهي القوة الدلالية المؤشّر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية ما: كالاستفهام، والأمر، والنهي، والتوكيد، والنداء، والإثبات والنفي.

أما النوع الثاني فهو المعاني الضمنية: وهي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة المباشرة، وللسياق دور في تحديدها وتوجيهها، وتشتمل على: المعاني العُرفية والمعاني الحوارية. والمعاني العُرفية هي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا وتلازم الجمل ملازمة في مقام معين، مثل معنى الاقتضاء. أما المعاني الحوارية، فهي التي تتولد طبقا للمقامات التي تُنجز فيها الجملة، مثل الدلالة الاستلزامية(٢).

(١) المرجع السابق: ص١٥
(٢) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي: ص٣٤ ـ ٣٥

ويمثل الدكتور مسعود صحراوي للمعاني الصريحة والضمنية بمثال هو قوله تعالى: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾[1] وهذه الآية تذكر قول الظالمين حين رأوا العذاب يوم القيامة " فالمعنى الصريح للجملة مشكَّل من محتواها القضوي وقوتها الإنجازية، أما المحتوى القضوي فهو ناتج من ضم معاني مكوناتها، وهو الرجوع إلى الحياة مرة أخرى بعد الموت. وأما قوتها الإنجازية الحرفية، والمؤشر لها بالأداة (هل) فهي الاستفهام، وينتج معناها الصريح من ضم محتواها القضوي إلى قوتها الإنجازية الحرفية. والمعنى الضمني للجملة يتألف من معنيين جزئيين هما كالآتي: معنى عرفي هو الاقتضاء، أي اقتضاء حالهم الرجوع إلى الحياة الدنيا. ومعنى حواري استلزامي، وهو تمني المتكلمين من المخاطب (الله تعالى) أن يردهم إلى الدنيا "[2].

ومفهوم (الاستلزام الحواري) موجود في الفكر اللغوي العربي القديم، وإن لم يُذكر كمصطلح صراحة، وإنما وجد مضمنا في طريقة تفكير علماء البلاغة والأصول والنحو " لقد تم الانتباه في الفكر اللغوي العربي القديم إلى ظاهرة الاستلزام الحواري، ليس من حيث كونها مفهوما، وإنما باعتبارها إشكالا دلاليا، يبرز من حين لآخر أثناء الخطاب. لذا طُرحت جملة اقتراحات لوصفه واستقصائه وخاصة في علمي البلاغة والأصول. بيد أن هذه الاقتراحات بقيت في نطاق ملاحظة (الظاهرة) والتمثيل لها، ثم وضع مصطلحات تتباين بتباين العلوم المعينة كـ (الأغراض التي تؤديها الأساليب) و(دلالة المفهوم) و (المعنى المقامي) و (المعنى الفرعي).

(١) سورة الشورى: ٤٤
(٢) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي: ص٣٥

والسكاكي في كتابه (مفتاح العلوم) يعد أصلا من أصول تداوليات الخطاب الحديثة إذ فرق بين مستويات دراسة العبارات اللغوية، وبين الأغراض الكلامية المطابقة لمقتضى الحال، وحصر مهام علم المعاني في " تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره" (١) والعبارة الأخيرة في كلام السكاكي (تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره) تبين اهتمام السكاكي بدراسة المعنى في علاقته بالمتكلم منشئ الخطاب، وعلاقته بالسياق المقامي المنجز فيه، وذلك للتمييز بين المعنى الصريح والمعنى المستلزم.

وعليه، فأفعال اللغة المباشرة وغير المباشرة لم تُذكر بتسميتها هذه في الفكر اللغوي العربي القديم، وإنما ذُكرت بتسميات مختلفة كالأغراض الأصلية والأغراض البلاغية، وفي الدراسات اللسانية الحديثة تمكنت ظاهرة الاستلزام الحواري من الوقوف على نمط خاص من التواصل، هو التواصل غير المعلن " الذي يقوم على شبه تعاقد ضمني، وتفاهم خفي بين المتكلم والمخاطب في إبلاغ وتأويل (إدراك) الخطابات " (٢).

والتواصل الخفي للمضامين يتم بعد قيام المخاطب بعمليات استدلالية يمر بها الخطاب للانتقال من الدلالة المباشرة الصريحة للعبارة إلى الدلالة المستلزمة، لتصبح بعدها البنية اللغوية طريقا للوصول لمقصد المتكلم الحقيقي غير المباشر، وذلك بتوفر شرط قصدية المتكلم وقدرة المخاطب على الإدراك " وأول خطوة في عملية الاستدلال تكمن في عدم التناسب بين العبارة اللغوية ومقتضى الحال ... والحقل الخلفي المشكل من معارف لسانية وغير لسانية مشتركة بين المتكلمين، والقدرات العقلية، والاستدلالات المفترض وجودها لدى المخاطب، ومعرفة كل من المتكلم والمخاطب بمجموع الاصطلاحات الاستعمالية المتداولة في تلك اللغة" (٣).

---

(١) مفتاح العلوم، السكاكي:ص١٦١
(٢) الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي: ص١٣٣
(٣) المرجع السابق: ص١٣٤

ويتعلق مفهوم (الاستلزام الحواري) بمبدأ التعاون من جهة التركيز على منطق المتحاورين، ويقوم على مجموعة من القواعد الحوارية هي:

. قاعدة الكم: وتعتبر حدا دلاليا بحيث لا يزيد أو ينقص المتحاورون من مقدار الفائدة المطلوبة، فيكون كلامهم قدر الحاجة.

. قاعدة الكيف: القصد منها أن يورد المتكلم عباراته وفق دليل يثبت صدقها، وتجنب الكذب وإثبات الباطل.

. قاعدة العلاقة: وهي بمثابة حد مقصدي، الهدف منه هو تركيز المتكلم على المقاصد التي استهدفها الخطاب فقط.

. قاعدة الكيفية: وهي تركز على طريقة القول، من حيث الإجمال وترتيب الكلام للتحرز من الالتباس.

وبهذه المقاصد ينقل السامع كلام مخاطبه من معناه الظاهر إلى المعنى الخفي الذي يتفق وقصد المتكلم ويقتضيه السياق والمقام (١).

د . الملاءمة:

وهي من المحاور الرئيسية في الدرس التداولي، وهي تجمع بين نظرية تفسير الملفوظات وظواهرها البنيوية في الطبقات المقامية المختلفة، وبين النظريات المعرفية الإدراكية. ونظرية الملاءمة تعتمد على مبدأ (المناسب الاستدلالي) " فهو مناسب لأن المتكلم يستعمل (المثير) الأكثر ملاءمة لإبلاغ افتراضاته، وهو استدلالي، لأن المتلقي يستدل على القصد الإخباري، انطلاقا من المؤشرات المسوقة من قبل المتكلم. ويكون التواصل الاستدلالي المناسب بأن ينتج المتكلم مثيرا واضحا للمخاطب، فيصبو الأول إلى جعل مجموعة من الافتراضات واضحة أو أكثر

(١) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي: ص٩٩ ـ ١٠١

وضوحا لدى المخاطب. ولعل أهم ميزة تتميز بها (نظرية الملاءمة) تصورها للسياق، إذ لم يعد شيئا مُعطى بشكل نهائي أو محددا قبل عملية الفهم، وإنما يُبنى تبعا لتوالي الأقوال" [١].

هـ. مبدأ القصدية:

إن كل فعل كلامي يقوم على القصدية، ويتمثل مفهوم القصدية في سعي المتكلم إلى إبلاغ المخاطب أمرا يجعله يتعرف على قصده، ويهتم مبدأ القصدية بـ " الربط بين التراكيب اللغوية ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام من الخطاب في إطار مفاهيمي مستوف للأبعاد التداولية للظاهرة اللغوية" [٢]. والفارق بين الأسلوب الخبري والإنشائي هو ما يجده السامع في طبيعة المعنى وقصد المتكلم، والقصدية معيار تداولي دقيق للتمييز بين طبيعة الأسلوبين الخبري والإنشائي، تنبه له علماء العربية القدماء كعبد القاهر الجرجاني حين اعتبر العلم بالمقاصد من العلوم الضرورية لفهم المحاورات، يقول في ذلك:" أجمع العقلاء على أنّ العلم بمقاصد الناس في محاوراتهم علم ضرورة" [٣] فالسامع إن لم يعلم ضرورة قصد المتكلم انتفى التفاهم بينهما.

والقصد هو الباعث والمحرك الأول للخطاب اللساني، وله دور كبير في تفسير معاني الوحدات اللغوية، ومن علماء العربية الذين عدوا القصد فاصلا مميزا بين الخبر والإنشاء، سعد الدين التفتازاني (٧٩١هـ) في كتابه (المطول ـ شرح تلخيص المفتاح)، وابن يعقوب المغربي (١١٢٨ هـ) في كتابه (مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح) ومحمد بن عرفة الدسوقي (١٢٣٠ هـ) في كتابه (حاشية على شرح سعد الدين التفتازاني على التلخيص) [٤].

(١) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي: ص ٣٨
(٢) المرجع السابق: ص١٠
(٣) دلائل الإعجاز:ص ٢٣٩
(٤) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي: ص٧٨

وقد سبقهم لمعيار القصدية إبراهيم الشيرازي (٤٧٦هـ)، وهو من علماء الأصول وقد عرف الكلام في كتابه شرح اللمع بأنه "يصير خبرا إذا انضم إلى اللفظ قصد المتكلم الإخبار به" [(١)]، وقد ذكر مسعود صحراوي أن الشيرازي قد ذكر كلاما ينبئ عن تصور يؤسس لفكرة تداولية صريحة تعتمد معيار قصد المتكلم وغرضه من الخطاب، وذلك للتمييز بين الخبر والإنشاء، فإن كان غرض المتكلم الإخبار مع موافقة اللفظ له فهو خبر، وإن كان غرض المتكلم غير الإخبار فالكلام إنشاء. ولمبدأ القصدية علاقة بالمتلقي من خلال مبدأ الأثر والنفعية والفائدة المتحققة من وراء الخطاب، وبهذا ترتبط القصدية بالتأثير في المتلقي وتحفيزه وتفعيل دوره في العملية التواصلية.

ويتجاوز السامع المعنى الظاهر إلى المعنى غير المباشر عبر مراحل الاستدلال ويكون قصد المتكلم أهمها، وعليه فالمقاصد تتداخل وتتعدد وهي مراتب منها العام والخاص، ومنها ما هو صريح وما هو ضمني، وذلك وفقا للدلالة التي تنقسم بدورها إلى ثلاثة مستويات، دلالة مباشرة، ودلالة سياقية، ودلالة تداولية فتتجمع المقاصد في ثلاثة مستويات تتحدد في (القصد وقصد القصد، وقصد قصد القصد)، وهي مراحل استدلالية يمر بها المخاطب للانتقال من الدلالة المباشرة الصريحة للعبارة، إلى الدلالة المستلزمة مقاميا، وبهذا يظهر ترابط مفهوم القصدية بالاستلزام الحواري ومبدأ التعاون.

---

(١) شر اللمع: جـ٢، ص: ٥٦٨

المبحث الثالث: أصناف الأفعال الكلامية في الأحاديث القدسية

لم تعد اللغة من منظور اللسانيات التداولية والأفعال الكلامية مقتصرة على وصف الواقع، بل أصبحت أداة لإنجاز الأفعال وطريقة من طرق تغيير العالم، وتدرس التداولية القوة المتضمنة في القول، وقوة الأفعال الإنجازية المباشرة وأثر الأفعال الإنجازية غير المباشرة في انفتاح الخطاب واستمرارية نجاحه التواصلي.

إن الحديث القدسي يحتوي على كثير من المظاهر التداولية، ذلك أن التداولية تدرس الجانب الحي لاستعمال اللغة، وهو الجانب التواصلي، وهي تجمع بين القول وقوة الفعل، وتهتم بتحديد المبادئ التي يكون بها الخطاب ناجحا والتي تضمن استمرار هذا النجاح، وتهدف إلى تغيير العالم الخارجي بالتأثير في سلوك المخاطَب والمستمعين عن طريق إلغاء الحدود القائمة بين القول والفعل.

وفي نصوص الأحاديث القدسية تظهر العديد من الأفعال الكلامية ذات المعاني المستلزمة في المقامات الخطابية المختلفة، وهي أفعال تركز على التأثير الفاعل والإيجابي في المخاطب والمستمعين، وتحقق نجاحا تواصليا مستمرا عبر الزمان والمكان أبد الآبدين، وتهدف إلى الارتقاء بالفرد والمجتمع في المدارج القدسية وفق التربية الربانية.

وقد تطرق الفصل الرابع من هذا البحث إلى دلالة الأساليب الخبرية والإنشائية ومعانيها وأغراضها، وفي هذا الفصل التداولي يكون معنى المعنى أو ما يُعبر عنه بالقصد الثاني أو قصد القصد هو المطلب الذي يسعى البحث للكشف عنه من خلال سياق الأحاديث القدسية. وهو أعمق معنى ويعتبر امتدادا للمعنى الدلالي ومكملا له، ولكن من زاوية غير مباشرة تركز على المعنى المستلزم ومتضمنات القول والافتراضات المسبقة التي ينطلق منها الخطاب في العملية التواصلية .

وقد قدمت الباحثة (حورية رزقي) رسالة ماجستير بعنوان (الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية ـ باب الذكر والدعاء أنموذجا)، عرضت فيها مجموعة من الأحاديث القدسية وتناولتها بالتحليل التداولي من ناحية تطبيق تصنيف (سيرل) للأفعال الكلامية على نماذج من الأحاديث القدسية، تقول في هذا: " قمت بدراسة تحليلية لعينة من الأحاديث القدسية وفق التصنيفات الخمسة التي قدمها (سيرل) للفعل اللغوي حسب قوته المتضمنة في الفعل وهي: التقريريات والوعديات والأمريات والإيقاعيات والبوحيات باعتبار هذه التصنيفات قائمة على منهج علمي واضح " (١).

وهي في جمعها للأحاديث القدسية جمعت ستة وعشرين حديثا، تتراوح بين الصحيح والحسن والصحيح لغيره، وقد ورد في بحثها سبعة أحاديث من ضمن الأحاديث الصحيحة التي وردت في هذا البحث كحديث فضل مجالس الذكر، وحديث حسن الظن بالله، وحديث فضل صلاة الضحى، وحديث تحريم الظلم، وحديث فضل الاستغفار والإنابة إلى الله.

وقد قسمت الباحثة الأحاديث القدسية ـ المتضمنة لموضوع الذكر والدعاء ـ حسب تصنيف (سيرل) للأفعال الكلامية إلى أربعة أقسام فقط، هي التقريريات والوعديات والأمريات والبوحيات، ولم تُدرج صنف الإيقاعيات في التقسيم لتعليل أوردته، وهو أن مدونة البحث المستهدفة بالدراسة لم تشتمل أحاديثها على صنف الإيقاعيات، وهذا رأي فيه من محدودية النظر، ذلك أن الإيقاعيات هي أقوال تحدث تغييرات في العالم بلفظها وهي مرادفة للإعلانات والقرارات الرسمية المؤسساتية، وهي في الأحاديث القدسية متواجدة بكثرة تتداخل مع الأمريات والتقريريات والوعديات لتظهر في سياقات كثيرة وعبارات عديدة. ومع ذلك فالباحثة (حورية رزقي) قدمت اجتهادات تطبيقية كثيرة في بحثها، الذي يُعدُّ مدخلا ومنطلقا لعلم أرحب وأوسع مع تطور الدرس التداولي.

---

(١) المقدمة: ص٦

وعرضت الباحثة بعض الأحاديث بالتطبيق والتحليل التداولي كقوله ﷺ: ((قال الله عز وجل: يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفيك آخره))[1] وهو حديث يندرج ضمن الأمريات لما فيه من أمر بعدم التكاسل عن أداء صلاة النافلة (الضحى) وذلك لما فيها من حرز وحفظ للإنسان، وقد أوردته الباحثة برواية الترمذي وهي أضعف سندا من الحديث الذي تم اعتماده في هذا البحث برواية الإمام أحمد وباختلاف بسيط في الصيغة، يقول ﷺ: ((قال الله تعالى: ابن آدم صلِّ لي أربع ركعات من أول النهار أكفيك آخره)) وفي تحليله تقول: "نجد في هذا الحديث القدسي أن التلفظ بالكلمات هو إنجاز فعل التلفظ، (الجمل الواردة في الحديث)، وفعل قوة التلفظ هو الأمر: صل أربع ركعات من أول النهار، وإنجاز فعل القضية هو الالتزام بالصلاة المذكورة، وفعل أثر التلفظ هو: أكفيك آخره، الذي يجسد النتائج والتأثيرات التي تحدثها الأفعال السابقة على أفكار وأفعال ومعتقدات المستمع. فيمكننا القول: إن بالحجاج نقنع شخصا ما، وبالإنذار نخيفه أو ننبهه، وبالطلب نجعله يعمل شيئا ما، وبإعلامنا له نقنعه ونثقفه"[2].

وقد بدأ الحديث بأسلوب النداء (ابن آدم) المحذوف الأداة، والمنادى فهو: ابن آدم، ومضمون النداء (اركع لي من أول النهار أربع ركعات أكفيك آخره) وحذفت أداة النداء كناية عن القرب، لأن العبد يكون أشد قربا إلى الله عز وجل أثناء سجوده، فأراد الله أن يتحقق هذا القرب، ولا يكون إلا في الصلاة.

وقوة الخطاب متضمنة في الفعل (اركع لي أول النهار) أي تقرب لي بصلاة هي ليست مفروضة عليك، ولكن هي زيادة في الطاعة والقرب، حيث تجعلك دائما في صلة بخالقك.

---

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٢٨٦/٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٥، رقم ١٣٢

(٢) الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية: ص٣٦

وغرض التقرب بالركوع يؤدي إلى تحقيق فعل الكفاية (أكفيك آخره) أي حصن لك وحرز يحميك من كل شر.

وجملة الطلب (اركع لي في أول النهار أربع ركعات) وجوابها (أكفيك آخره)، جاءت بشكل مترابط متداخل يوحي بسرعة تتابع الأحداث وسرعة تحقق ما سيترتب عليها من وعد، فإذا أنجز العبد الأمر الذي كُلف به، كانت الاستجابة سريعة وحاضرة، وهنا تكمن قوة الفعل الدال على الوعد (أكفيك آخره). كما يظهر في النص مبدأ الافتراض المسبق، فالمعلومات المرسلة موجودة كخلفية معرفية سابقة في ذهن المتلقين، ذلك أن الصلاة دعامة من دعائم الإسلام ويعلمها كل عبد مسلم(١).

وبالعودة إلى الأفعال الكلامية الواردة في الأحاديث القدسية الصحيحة يمكن تقسيم هذه الأفعال حسب تصنيف (سيرل) إلى خمسة أصناف:

١ ـ الإخباريات: وتسمى التقريريات، وهي أفعال كلامية وظيفتها التداولية هي التقرير، الذي يخبر عن مواقف وأحداث حصلت، والغرض الإنجازي منها هو نقل المتكلم لواقعة ما من خلال التعبير اللفظي القائم على الأفعال الكلامية، كقوله صلى الله علية وسلم: ((إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ...))(٢). وقوله ﷺ: ((إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُويَ لي منها ...))(٣). وقوله ﷺ: ((خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذَّرُّ

(١) ينظر: الأحاديث القدسية دراسة تداولية، حورية رزقي: ص١٤٦ ـ ١٤٧
(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥٣٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٠، رقم ١٠١
(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٨٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٠، رقم ١٠٢

وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم فقال للذي في يمينه إلى الجنة ولا أبالي وقال للذي في كفه اليسرى إلى النار ولا أبالي)) (١).

ويُعبر عن الإخباريات بالأسلوب الخبري وبالمؤكدات اللفظية كأداة التوكيد (إنَّ) وغيرها، ويكثر استعمال الفعل الماضي في أغلب النصوص التي ترد فيها الإخباريات، وقد يُعبَّر عن الإخباريات بأساليب إنشائية طلبية أو غير طلبية وهذا في النوع العالي من الأساليب التخاطبية "والنصوص العالية الجيدة توظف كلا العنصرين في التعبير، بل إن كلا منهما قد يتبادل موقعه مع الآخر، فتحل البنية الإنشائية محل الخبرية وتحل الخبرية محل الإنشائية وفي ذلك دلالات مختلفة يكشف عنها السياق" (٢).

وقد وردت في نصوص الأحاديث القدسية أمثلة لهذا التبادل الأسلوبي، يقول ﷺ: ((إن أول ما يُسأل عنه يوم القيامة ـ يعني العبد ـ من النعيم أن يُقال له: ألم نُصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد))(٣) وفي هذا الحديث ورد الإخبار صريحا في شقه الأول من قوله (إن أول ما يُسأل عنه يوم القيامة ـ يعني العبد ـ من النعيم) ثم جاءت باقي جمل الخبر بصيغة الإنشاء الطلبي، فالاستفهام في قوله (ألم نُصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد) هو خبر جاء بصيغة الاستفهام وغرضه التقرير، والمعنى التداولي له هو أنه يحمل قوة الخبر، فهو من التقريريات.

ويكون نص الحديث على هذا التقدير التداولي بمعنى (إن أول ما يُسأل عنه يوم القيامة ـ يعني العبد ـ من النعيم، صحة جسمه والماء البارد الذي ارتوى به وكلها نعم وهبات من الله تعالى لعباده لأجل توحيده وعبادته في الأرض). وقد اعتمدت الجملة الاسمية كمدخل ثابت

---

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤٤١/٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٧٨، رقم ١٨٠
(٢) الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، محمد مدور: ص ٦٧
(٣) حديث صحيح أخرجه الترمذي: رقم ٣٣٥٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٧٨، رقم ١٨٠

للحديث، تتفرع منه باقي الجمل والأفعال الكلامية، وذلك لما في الجملة الاسمية من دلالة على الثبات والدوام وتأكيد حقيقة وقوع الحساب وتحقق الوعيد الغيبي يوم القيامة، ولذلك قُدم الظرف (يوم القيامة) على نائب الفاعل (العبد) لأهمية إبراز العامل الزمني الغيبي وتأكيد تحقق المحاسبة فيه.

وقد تنوعت الجمل بين اسمية وفعلية، وبين أساليب إنشائية وخبرية رغم إيجاز النص ومحدودية لفظه، بهدف تنويع الأفعال الكلامية الواردة وتنويع القوى الإنجازية فيه، ليتحقق فعل المحاسبة بنقله من الزمن الغيبي وجعله ماثلا مُشاهدا في ذهن المتلقي المحدود بالزمن الكوني، وتتنوع القوى التأثيرية في نفس المتلقي وصولا للإقناع، وبهذا يبرز البيان الشريف في الأحاديث القدسية كبصمة ثابتة مميزة لكل نصوصه.

ومما ورد فيه الفعل الكلامي خبرا تقريريا في صيغة إنشاء غير طلبي باستخدام أداة الترجي (لعل) الدالة على الإخبار والتقرير، قوله ﷺ في أهل بدر: ((... لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبتْ لكم الجنّةُ . أو فقد غفرتُ لكم .)) والحديث من الإخباريات التي تحمل معاني الوعد والبشارة النافذة التحقق لأهل بدر، وتظهر مكانتهم وحظوتهم عند الله تعالى. وأصل التعبير (إن الله اطلع على أهل بدر فقال ...). وفي هذه التنويعات الأسلوبية مزية عالية في التأثير على المتلقين وتنبيههم واستمالتهم وترغيبهم في الجهاد والحث على بذل النفس والمال في سبيل الله، وهذا من المعاني المستلزمة للأفعال الكلامية المتوالية في هذا الجزء من نص الحديث.

٢ . الوعديات: وتسمى (الالتزاميات) أو الملزمات، وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل تجاه المخاطب، وهي تُعبر عما ينويه المتكلم من وعود وتهديدات وتعهدات[١]. وترد معاني الوعديات في الأحاديث القدسية في صورة (الوعد والوعيد الرباني)،

(١) ينظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، محمد مدور: ٢٨٨

وأفعال الوعد والوعيد مترتبة على مجموعة من الأوامر الداعية إلى طريق الصلاح والفلاح، ومترتبة كذلك على مجموعة من النواهي المتعلقة بالتحذير من الإشراك بالله ومخالفة الشرع الإلهي. والوعد والوعيد في الحديث القدسي، يتميز بأنه من الوعديات المطلقة التحقق، فهي صادقة نافذة، أما الوعديات البشرية فما ألزم البشري نفسه به يحتمل التحقق أو عدمه إن حالت بينه وبين وعدياته الظروف الخارجة عن إرادته الضعيفة والمحكومة بمشيئة الله تعالى.

ومثال الوعديات في الأحاديث القدسية قوله ﷺ: ((يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة)) (١). وقوله ﷺ: ((يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد... ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة))(٢). وقوله ﷺ: ((يقول الله عز وجل: من أذهبتُ حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة)) (٣).

والوعد والوعيد من الأفعال الكلامية غير المباشرة الواردة في الأحاديث القدسية، وهي تعتمد على الإغراء وترغيب النفوس في الخير الإلهي، وتعتمد على التحذير والتهديد من الإشراك بالله واتباع طريق الضلال، والوعد والوعيد في الأحاديث القدسية ليس محصورا على المخاطبين الذين نزل الحديث فيهم، بل يشمل كل من أراد أن يسير على دربهم، فهو وعد ووعيد مطلق التحقق والنفاذ، مستمر باستمرار الكون والبشرية حتى وقت الحساب.

وقد عبر الخطاب عن الوعد والوعيد بصيغ مستقبلية وصيغ ماضية وكلا الفعلين مؤكدين لبعضهما، فالفعل المستقبلي يؤكد التحقق يوم القيامة، والفعل الماضي يؤكد أن أحداث العقاب

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٤٢٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٠، رقم ١١٦

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٦٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٠، رقم ١٥

(٣) حديث صحيح، أخرجه الترمذي: رقم٢٤٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٠، رقم ٨٦

متحققة الوقوع فصارت لقوة إنجازيتها كأنها وقعت وانتهت، وذلك كقوله تعالي لأهل بدر: ((اعملوا ما شئتم فقد وجبتْ لكم الجنّةُ. أو فقد غفرتُ لكم.)) (١).

٣. التوجيهيات: وتسمى أيضا (الأمريات) وهي نوع من أفعال الكلام التي يستعملها المتكلم بغرض إنجازي هو توجيه المخاطب إلى الفعل، ومحاولة التأثير فيه. وتتميز التوجيهيات بالوضوح في التعبير عن قصد المتكلم، وذلك لضمان تحقق الاستجابة عند المتلقي وتأثره بها، مما لا يدع مجالا للتأويل أو منفذا لعدم إنجاز الفعل التوجيهي" وقد يكون التوجيه مركبا باستعمال أكثر من أسلوب كالأمر، والنهي المتضادين في خطاب واحد، ويعد الأمر من أكثر الأساليب استعمالا في التوجيه" (٢).

والتوجيهيات في الأحاديث القدسية تأتي بصيغ الأمر بغرض النصح والإرشاد وحث المخاطب على فعل شيء في المستقبل، كقوله ﷺ: ((أنفق يا ابن آدم انفق عليك))(٣)، وقوله ﷺ في حديث جواز إقران العمرة بالحج: ((أتاني الليلة آت من ربي فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجّة))(٤). ومن التوجيهيات الأمرية في الحديث القدسي والتي ظهرت بشكل حوار تفاعلي موجه للتأثير في المتلقين بشكل غير مباشر قوله تعالى: ((... يا محمد قلت: لبيك ربِّ، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات، قال: ما هن. قلت: مشي الأقدام إلى الحسنات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء حين الكريهات، قال: فيمَ؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام....))(٥) والأفعال الكلامية في هذا الحديث ممتلئة بقوة المصدر الفاعلة في خارج حدود الزمان (مشي

(١) صحيح البخاري: رقم٣٩٨٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٧، رقم ١٠٨
(٢) الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، محمد مدور: ص١٧٨
(٣) أخرجه البخاري في فتح الباري:٤٩٧/٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٣، رقم ١٢٠
(٤) صحيح البخاري: رقم ١٥٣٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٦٧، رقم ١١٤
(٥) حديث صحيح أخرجه الترمذي: رقم ٣٢٣٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٠، رقم ١٥٥

الأقدام، الجلوس في المساجد، إسباغ الوضوء، إطعام الطعام، لين الكلام، الصلاة بالليل) وكلها مصادر مضافة إلى ما هو مقصود من الخطاب ومعني بالإيصال للمتلقين من العباد.

وقد جاء الفعل التوجيهي الأمري بشكل غير مباشر في أسلوب المحاورة التداولية بين الخالق تعالى ونبيه محمد ﷺ، ولم يكن الحوار القائم على الاستفهام والجواب موظفا لهدف الإجابة على السؤال، وإنما كان أسلوبا تداوليا يصحب معاني مستلزمة غير مباشرة مقصودة من الخطاب، وهي معاني التوجيه والتأثير في المتلقين وحثهم على الخيرات وفعل الصالحات.

وقد اختتم رسول الله ﷺ هذا الحديث بتعقيب عليه يقول فيه: ((إنها حق فادرسوها ثم تعلموها)) والجملة رغم إيجازها واقتضابها، إلا أنها تعتمد على أفعال كلامية توجيهية بأساليب متنوعة إخبارية كـ (إنها حق) وطلبية كـ (فادرسوها) ووعدية متمثلة في قوة اللفظة المعجمية (حق)، وتوجيهية وذلك بالأمر بالتطبيق الفعلي لها (تعلموها) فالتعلم لا يكون إلا بالمران والتطبيق لما تمت دراسته.

ومن أنواع التوجيهيات أيضا النهي، وهو يأتي كمعنى مستلزم من أفعال كلامية كثيرة كالاستفهام والنفي والشرط، وفعل الأمر. ومن الأدوات التوجيه التي تقوي إنجازية الفعل الكلامي الدال على مقاصد النهي ذكر العواقب، وكذلك التوجيه بألفاظ المعجم، وربط إنجاز الفعل بالوعيد كقوله ﷺ: ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء)) [1].

وفي الحديث يظهر الفعل الكلامي الرئيسي وهو فعل القول (أخوف ما أخاف) وهو مرتبط بسلسلة من الأفعال الإنجازية في النص هي (الشرك الأصغر، الرياء، جزى، اذهبوا، تراءون،

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٥/ ٤٢٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣، رقم ١٠

تجدون، الجزاء) وهي أفعال كلامية هدفها الأساسي تأكيد الفعل الكلامي الرئيس، وهو خوف الرسول ﷺ على أمته من الرياء، ونص الحديث بأكمله يندرج في التوجيهيات، وفيه معنى مستلزم واحد هو النهي عن الرياء، وفيه توجيه بإخلاص العمل لله وصفاء النية في كل عمل ابتغاء مرضاته.

وقد تآزرت في هذا الحديث أصناف الأفعال الكلامية كلها للدلالة على إثم الرياء والتحذير منه، وإقناع المتلقي وتوجيهه بالابتعاد عنه وتجنبه، وظهرت في نص الحديث أصناف الأفعال الكلامية كلها، فالإخباريات في قوله (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) وهذا الخبر مؤكّدٌ ومفصّلٌ بالشرط (من عمل عملا ...) لتمكين المعنى وتأكيده في نفس المخاطب بإفادته معنى التلازم بين فعلي الشرط (من عمل ...) وجوابه الحاصل من فعل الشرط والمترتب عليه (تركته وشركه).

أما البوحيات فملتحمة مع الإخباريات في الفعل الكلامي (أخاف عليكم) وهو تعبير يبين مشاعر النبي ﷺ تجاه أمته ورغبته في اجتنابها لهذا الفعل. وتتداخل الوعديات والأمريات مع بعضها في نسيج جملي واحد في قوله (اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء)، فالأمر (اذهبوا ، فانظروا) فيه صرف للمرائين عن رحمة الله تعالى يوم القيامة، وحاجتهم لمن كانوا يراءونهم في الدنيا والذين لن يغنوا عنهم يومئذ من الله شيئا، ذلك أنهم عبيد ضعفاء يحتاجون لمن يرحمهم في ذلك الموقف.

ويظهر الوعيد في جملة الاستفهام في قوله (هل تجدون عندهم الجزاء) وهو استفهام لا يُنتظر منه جواب وإنما أتى بمعنى دلالي سياقي هو إظهار الضعف وإظهار عجز من كانوا يراءونهم، والنفي جاء كمعنى مستلزم بمنطقية الحوار، وبقوة الفعل الكلامي في الصيغة الاستفهامية والأمرية (فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء). والفعل (فانظروا) حول المشهد

الكلامي إلى أفعال ومواقف ناطقة نابضة بالخسران وبطلان الأعمال. وخُتم النص بسؤال مفتوح وبدلالة تجر كل حسرة وندامة.

أما الإيقاعيات فتظهر في قوله (قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء) ففيه إعلان إيقاعي يحصر الرياء في دائرة الشرك، وفي هذا إقناع توجيهي بضرورة تجنبه، لسوء ما يجره على صاحبه من ويلات مرتبطة بعواقب وخيمة كعاقبة من أشرك بالله، فتنفر منه النفس وتنتهي عن فعله.

ويقترب معنى هذا الحديث من قوله تعالى: ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه))[1]، وقد شرح النووي الحديث بقوله:" والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه، ويأثم به" [2]، وفي هذا الحديث جاءت الأمريات بأسلوب تقريري من صنف الإخباريات تدور حول فعل كلامي رئيسي هو (أشرك فيه معي غيري) يهدف إلى النهي عن الرياء، وهو نهي اكتسب قوة إنجازية لها وقع تأثيري قوي على السامع لارتباطه بالوعيد والتحذير الذي يظهر في الفعل الكلامي (تركته وشركه).

وما كل هذا الترهيب من الرياء إلا لأن الدوافع الداعية إلى فعل الرياء هو أمر عظيم، تدل على ضعف الدين وعدم إخلاص النية واختلاطها بشوائب تكدر صفاءها. فالمرائي جَعَل العبادة الربانية التي خلق الله العباد في الدنيا لأجل إقامتها وسيلة لما لم تشرع له، ومطية لتحصيل أغراض دنيوية ومطامع مادية مما في أيدي الناس، وطمعا في حصول الحمد والثناء منهم.

ويُعدّ هذا الأمر استهانة بالشرع ومقام الألوهية وإشراك في العبودية، من أجل الفوز برضا المخلوقين، وهو مطلب يجب أن يكون موصولا بالله فقط ومرجوا منه وحده، وفي إشراك الغير فيه إشراك في خصوصيات الخالق سبحانه وهذا بهتان عظيم، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم ٢٩٨٥
(٢) شرح النووي على مسلم: الحاشية رقم ١، ص٤١٠

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[1] وعليه فهذا الحديث يعود بأفعاله الكلامية إلى معنى مستلزم هو وجوب الإخلاص وطلب المغفرة من الله تعالى وحده، وهو البؤرة التي تدور محاور نصوص الأحاديث القدسية في مدارها على اختلاف موضوعاتها.

ومن التوجيهيات الواردة في الأحاديث القدسية، النهي عن الفخر بالأنساب في قوله ﷺ: ((انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام، فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان حتى عدّ تسعة، فمن أنت لا أم لك. قال: أنا فلان بن فلان ابن الإسلام. قال: فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أنّ هذين المنتسبين أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة، فأنت ثالثهما في الجنة)) [2]، وجاء النهي عن الفخر بالأنساب لأنه من دعوى الجاهلية وقد نهى الإسلام عنه وذمه، وأتى النهي بشكل فعل كلامي غير مباشر مرتبط بالوعيد في قوله (أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم).

وقد أُنجز فعل التوجيه من خلال المنطوقات الإنجازية غير المباشرة، كخروج الاستفهام والنفي عن دلالتهما الأصلية إلى دلالة التحقير والسخرية في قول المنتسب إلى تسعة (فمن أنت؟ لا أم لك). كما استعمل الخطاب الأسلوب الخبري لإنجاز فعل التوجيه في قوله (فأوحى الله إلى موسى عليه السلام إن هذين المنتسبين أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة).

وفي الحديث تمتزج التوجيهيات بين الأمر والنهي، وقد تعززت قوتهما الإنجازية بارتباطهما بأدوات التوجيه غير المباشرة التي تقوي إنجازية الفعل الكلامي وهما الوعد والوعيد، بحسن الجزاء

---

(١) سورة الكهف: ١١٠
(٢) حديث إسناده صحيح، أخرجه الإمام أحمد: رقم ٢١١٧٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٧، رقم١٤٧

لفعل الانتماء للإسلام ونبذ الفخر بالأنساب، وسوء المصير كعاقبة ناجمة عن فعل الفخر بالأنساب.

كما ورد النهي عن سب الدهر كتوجيه رباني في الحديث القدسي الذي يقول فيه ﷺ: ((قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار))[1] ويظهر النهي في هذا الحديث بشكل غير مباشر مختزل في الفعل الكلامي (يؤذيني) الذي تتفرع منه أفعال كلامية تعلله وتوضحه (يسب ، أنا الدهر ، أقلب).

وقد استعمل الخطاب الخبري لإنجاز فعل التوجيه بالنهي عن سبّ الدهر وذمه. في قوله تعالى: ((كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يُعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفوا أحد))[2].

وقد وقف ابن حجر العسقلاني على شرح هذا الحديث ومحصل ما قيل في تأويله ثلاثة أوجه: أحدهما أن المراد بقوله (إن الله هو الدهر) أي المدبر للأمور، وثانيهما: أنه على حذف مضاف أي صاحب الدهر. وثالثهما: التقدير مقلب الدهر ولذلك عقبه بقوله: (بيدي الليل والنهار)[3].

ومن التوجيهيات القدسية الواردة بصيغة النهي ما جاء في النهي عن تقنيط العباد من رحمة الله، يقول ﷺ: ((أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرتُ لفلانٍ وأحبطتُ عملكَ)) [4]. ويظهر الفعل الكلامي المباشر في الفعل المنفي (لا يغفر) ويؤكده القسم (والله) فإيقاع فعل المحاسبة وتداوله

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٤٨٢٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٦، رقم ١٥٨

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري: ٧٣٩/٨ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٤، رقم ١٥٧

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: جـ٨، ص:٥٧٥

(٤) صحيح مسلم: رقم ٢٦٢١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٦، رقم ٢١

بين العباد فيما بينهم كان مدعاة للغضب الإلهي الذي أبرزه الفعل الكلامي حين أتى بصيغة الاستفهام التوبيخي والتقريعي والتهويلي في قوله (من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان) وسانده الفعل الكلامي التقريري (قد غفرت لفلان وأحبطت عملك) وهي أفعال كلامية فيها من القوة الإنجازية الكثير، اجتمعت لهدف التوجيه بالنهي عن إطلاق الأحكام ومحاسبة العباد فهي من حقوق الله وليس للعباد أي حق في المشاركة أو التّدخل فيها.

ومن التوجيهيات في الأحاديث القدسية، النهي عن قتل النمل لأنهم مخلوقات تسبح الله وتعبده يقول ﷺ: ((قرصت نملة نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأُحرقت فأوحى الله إليه أن قرصتك نملةٌ أحرقت أمة من الأمم تُسبح)) (١) والفعل الكلامي (قرصت) أظهر الفعل الإنجازي في القصة الموجزة فجعلها موحية موجّهة الأحداث وجاء نصها مقتضبا أيما اقتضاب، لكونها محمّلة بقوة الأفعال الكلامية، وقوة الفعل المختزن فيها وقوة إنجازيته، إضافة إلى اشتمال الحديث على الروابط اللفظية التي سرعت الأحداث بتناغم شامل لتفاصيل المعاني (فأمر بقرية النمل، فأحرقت، فأوحي الله) وفي سرعة التوارد بالرابط اللفظي (الفاء) ترتيب أوجز المعاني وأوجز المباني، إلى أن انصهر النص في جملة واحدة هي (قرصتك نملة أحرقت أمة) غاب فيها الرابط اللفظي (الفاء) لسرعة توالي الأحداث الإنجازية المتتالية للفعل (قرص وأحرق) وقوة إنجازيتهما للفعل.

وفي قوله (فأوحى الله إليه) أي إلى ذلك النبي (أن) بحذف حرف الجر وبفتح الهمزة (بأن) وهمزة الاستفهام مقدرة، والمعنى يحمل العتاب والتأنيب على فعل حرق قرية النمل، وفي قوله (أمة من الأمم تسبح) يظهر الفعل الكلامي (تسبح) بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار، والأصل (أمة من الأمم مسبحة) وفي هذا تفعيل للذكر ودعوة إليه بتوجيه غير مباشر مضمن في الحديث.

(١) صحيح البخاري: رقم٣٠١٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٧٣، رقم١٧٥

وبالإضافة للروابط اللفظية الواردة في هذا الحديث ودورها في تدعيم القوة الإنجازية للأفعال الكلامية هناك أيضا الإحالة وهي كثيرة الورود في نص الحديث رغم إيجازه، كالإحالة بالضمير المستتر (هو) في قوله (فأمر بقرية النمل فأحرقت) والإحالة بضمير المتكلم (أحرقتَ) وبضمير الغائب (إليه) وكلها إحالات قبلية تحيل إلى سابق مذكور هو (نبيا من الأنبياء) وهو نبي غير معين، للتركيز على أهمية الحدث والفعل الصادر منه، وهو حرق النمل، وللدلالة على شمولية الحكم والخطاب لكل متلق ومستمع، فيثبت الحكم والزجر على هذا الفعل أيا من كان فاعله.

ويظهر البعد التداولي في صنف الإخباريات الواردة في قصة هذا النبي وإحراقه لقرية النمل، ويبقى المعنى المستلزم للأفعال الكلامية (قرصت، أمر، فأحرقت، فأوحى الله، قرصتك نملة، أحرقت أمة) هو مقصد الخطاب وهو توجيه المتلقي ونهيه عن قتل النمل، أو تعذيب الحيوانات بالنار، ويظهر ذلك في قوله (قرصتك نملة أحرقت أمة تسبح لله) وما فيه من توبيخ ونهي عن هذا الفعل.

وقد استدل العلماء على أحكام ومعانٍ متفرعة من الخلفية المعرفية للمخاطبين بهذا الحديث، اعتمادا على مفهوم (متضمنات القول) من الافتراض المسبق والأقوال المضمرة، كتحريم التعذيب بالنار وتحريم حرق الحيوانات، وتحريم قتل النمل، وتحريم حرق الأحياء، وقد علل الرسول محمد ﷺ سبب التحريم بأنه لا يعذب بالنار إلا رب النار. وكان في هذه القصة مقتضى العدل أن لا تزر وازرة وزرَ أخرى، فلو أنه قتل النملة التي آذته فقط لما نزل هذا العتاب الإلهي، وبذلك استدلوا على جواز قتل النملة لو آذت أو سببت ضررا.

وقد كان للعلماء نظرة أخرى لمعنى الحديث من خلال ربطه بالسياق المقامي الذي ورد فيه، فاستدلوا به على جواز أن تُهلك قرية بإثم من فيها ولو كان بينهم المظلوم والبريء، يقول ابن حجر:" ويقال إن لهذه القصة سببا، وهو أن النبي مر على قرية أهلكها الله تعالى بذنوب

أهلها فوقف متعجبا، قال: يا رب قد كان فيها صبيان ودواب ومن لم يقترف ذنبا، ثم نزل تحت الشجرة فجرت له هذه القصة، فنبهه الله جل وعلا على أن الجنس المؤذي يقتل وإن لم يؤذ، وتقتل أولاده وإن لم تبلغ الأذى انتهي. وهذا هو الظاهر وإن ثبتت هذه القصة تعين المصير إليه. والحاصل أنه لم يعاتب إنكارا لما فعل بل جوابا له وإيضاحا لحمكة شمول الهلاك لجميع أهل تلك القرية، فضرب له المثل بذلك أي إذا اختلط من يستحق الهلاك بغيره وتعين إهلاك الجميع طريقا إلى إهلاك المستحق جاز إهلاك الجميع، ولهذا نظائر... "(١).

كما خرجوا من الحديث بمعان مستلزمة من الحوار، تفهم من مضمونه بشكل غير مباشر كقولهم إن النمل أمة من الأمم، وهو مصدّق لما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(٢) فكل مخلوقات الله من طيور وحيوانات وبهائم هم أمم كالبشر، تسبح الله ومجبولة على طاعته وعبادته، وخُص التسبيح بالذكر لما فيه من تنزيه وتقديس للذات الإلهية، ولاشتماله على مجامع الذكر والتعبد. وإذا كانت الحيوانات وأصغرها النمل تسبح، وتدين لله بالعبودية والطاعة أفلا يكون ابن آدم أولى بالعبودية والتسبيح والتقديس لخالقه الذي ميزه الله بالعقل والإدراك ليستدل به على وجوده ووحدانيته، وفي هذا من قوة الأفعال وقوة إنجازيتها وقوة تأثيرها الكثير، مما يجعل الأحاديث القدسية مشتملة على التداولية بكل معاييرها وأصنافها.

هذا ويطفو نص الحديث على فعل كلامي أساسي غير مباشر هو الدعوة إلى طلب المغفرة من الله في حال وقوع الظلم والخطأ من ابن آدم ساعة الغضب، من فعل أو قول أو حكم يطلقه، فجاء العتاب الإلهي لهذا النبي، والأنبياء من أعلى منازل البشر أخلاقا ليعم الفعل والنفع البشر أجمعين، وتكون قضية (الإصلاح) الأخلاقي والمجتمعي ملتقى التوجيه والإرشاد،

(١) فتح الباري، كتاب بدء الخلق، مسألة ٣١٤١، الحاشية رقم:١
(٢) سورة الأنعام: ٣٨

والدعوة إلى التشييد والإعمار بدل التخريب، والعفو والصبر والحكمة بدلا من الانتقام، والمناداة برعاية صور الحياة بكل أشكالها والمحافظة عليها بهدف إعمار الكون وتوجيه الطاقة البشرية نحو الخير وهو نهج تربوي رباني، فالذي يُربى على أن يتأثم من قتل النمل، لن يأتي منه بعد ذلك سفك دم إنسان، وحرمته أعظم عند الله، فيصبح إنسانا راقيا يرتقي بنفسه وسلوكه في مدارج المضامين التي اشتملت عليها أحاديث القداسة التي تحفظ الأنفس والمجتمعات.

٤ . الإيقاعيات: هي الإعلانيات، وهي قرارات إبلاغية الغرض منها إحداث تغيير في العالم أو في السلوك الفردي أو المجتمعي حتى يطابق المضمون المستفاد من القول، كقوله ﷺ: ((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني)) (١) وقوله ﷺ: ((قال الله عز وجل: سبقت رحمتي غضبي))(٢) وقوله ﷺ: ((قال الله تعالى: قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل...)) (٣). وقوله تعالى: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما...))(٤).

ومن الإيقاعيات/ الإعلانيات بالغة الأهمية الواردة في الأحاديث القدسية قوله ﷺ في بداية حديث فضل فاتحة الكتاب: ((من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خِداجٌ، ثلاثا غير تامة...))(٥). فالفعل الإنجازي لهذا الحديث يتضمن معنى الأمر، وهو المعنى الرئيسي للفعل

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٤٠٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٧، رقم ٣٠
(٢) صحيح مسلم: رقم ٢١٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٤، رقم ١٩
(٣) صحيح مسلم: رقم٣٩٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٢٦، رقم ١٥٣
(٤) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤١، رقم ١٦٠
(٥) صحيح مسلم: رقم ٣٩٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٢٦، رقم ١٥٣

الكلامي (لم يقرأ) الذي يوجه القارئ إلى ضرورة افتتاح الصلاة بقراءة الفاتحة (أم القرآن)، ومن لم يقرأها فصلاته باطلة، ويؤكد الفعل الكلامي (خداج) الذي يظهر العلة المترتبة على النفي، وتكمن قوته الإنجازية في تكراره بلفظ (ثلاثا) وبذكر مرادفه (غير تامة) وصياغته في جملة اسمية (فهي خداج).

وقد جاءت جملة الفعل الكلامي بصيغة الشرط مصدرة بأداة الشرط (من) الدالة على العموم، ليشمل الحكم كل المتلقين والمستمعين، ويشمل كل المقامات والسياقات الوارد فيها إلى يوم القيامة. وقد أكد الحكم السابق فعل الشرط (صلى صلاة) وهو فعل ماض يدل على تحقق أمر الصلاة ودوامه، وجملة جواب الشرط الاسمية (فهي خداج) دالة على ثبات الحكم واستمراره، ومبنية على حكم منطقي استنتاجي ونتيجة هي، اقرأ بأم القرآن في الصلاة يتقبل الله صلاتك، وهذه النتيجة هي فائدة الإيقاع الإعلاني في هذا الحديث، فنص الحديث مبني على منحًى تداولي حجاجي، ترتكز بنيته على الحجة، والنتيجة والرابط الحجاجي أداة الشرط (من). وللحجاج أهمية كبيرة في الإقناع لأنه مبني على المنطقية، وهو من أساليب التأثير العقلي، وسيأتي تفصيله في الفصل السادس من هذا البحث.

٥. البوحيات: وتسمى التعبيريات، والغرض منها التعبير عن المشاعر حيال أمر ما كالخوف والحزن، والفرح، والرضى، والحسرة والندم، والتعجب، والحيرة والقلق...الخ، وتشمل البوحيات/ التعبيريات أيضا أفعال الشكر والاعتذار والترحيب. وهي كثيرة في الأحاديث القدسية، وتنقسم إلى صنفين مختلفين:

الصنف الأول هو، الانفعالات التي توحي ألفاظ النص أنها مشاعر صادرة عن الذات الإلهية، كقوله ﷺ: ((قال الله: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه))[1]، فتظهر مشاعر الحب الإلهي للعباد، ومنه قوله تعالى: ((... وما زال عبدي يتقرب

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٦، رقم ٤١

إليّ بالنوافل حتى أحبه ...))[1]. وقوله ﷺ: ((يعجب ربكم من راعي غنم في رأس شظية بجبل يُؤذن بالصلاة ويصلي...))[2] فيظهر الفعل الكلامي (يعجب) الذي يوحي بمشاعر التعجب، والتعجب انفعال يصدر من النفس البشرية تجاه أمر تستعظمه وتجهل سببه " ولا يجوز أن ينسب التعجب إلى الله تعالى على وجه الحقيقة، إذ لا يخفى عليه شيء سبحانه وهو علام الغيوب، وعالم بأسرار النفوس، ونسبة أساليب التعبير عن معنى التعجب إلى الله تعالى لا تعني أنه يتعجب، أو يتأثر سبحانه وتعالى ولا يعني أن يحدث فيه مثلما يحدث في النفس البشرية لاختلاف الحالين، ولكون الله عز وجل يعرف أسباب هذه الأحداث" [3].

أما الصنف الثاني فهو الانفعالات التي تصدر عن الإنسان كقوله ﷺ: ((إن عبدا أصاب ذنبا ـ وربما قال أذنب ذنبا ـ فقال ربِّ أذنبتُ ذنبا ـ وربما قال أصبتُ ـ فاغفر ...))[4] وفي هذا الحديث تظهر مشاعر الندم على المعصية التي اقترفها العبد، ومشاعر الرغبة في التوبة والإنابة إلى الله تعالى في الفعل الكلامية (أذنبت) والفعل الكلامي (فاغفر)، ومنه قوله ﷺ: ((أنّ رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال: أوليست فيما شئت؟ قال: بلى ولكني أحبُّ أن أزرع...))[5] وتظهر في هذا الحديث مشاعر الحب للزراعة والرغبة فيها متمثلة في الفعل الكلامي (أحب أن أزرع).

ومنه قوله ﷺ: ((كان رجل ممن كان قبلكم يسئ الظن بعمله فقال لأهله إذا أنا مت فخذوني فذرُّوني في البحر في يوم صائف ففعلوا فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذي

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٥٦٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٨٢، رقم ٥٢

(٢) حديث صحيح أخرجه أبو داود: ١٢٠٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨٠، رقم ١٢٩

(٣) الخطاب النفسي في القرآن الكريم، كريم حسين ناصح: ص٩٣

(٤) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٣، رقم ٣٨

(٥) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٤، رقم ٥٩

صَنعت؟ قال ما حملني عليه إلا مخافتك فغَفَرَ له))[1]، وتظهر في الحديث مشاعر الخوف والخشية من الله تعالى من خلال الفعل الكلامي (مخافتك).

وهذا التمييز والفصل بين نوعي المشاعر والانفعالات الواردة في الأحاديث القدسية أمر ضروري " لأن الله عز وجل ليس كمثله شيء، ينبغي تنزيهه عن كل فعل يصدر عن البشر، كالأفعال النفسية مثل: الغضب، والرضى، والفرح ، والحزن وغيرها من أفعال تسند إلى الله صراحة، وبنصوص قرآنية. وقد فسر بعض الدارسين ذلك، بأن الله خاطب الناس بما يفهمونه ويعلمونه، وقد قرب إليهم كثيرا من القضايا، بما اعتادوا على فعله أو التلبس به، أو ما يشعرون به، فينسب إلى نفسه ما يتصفون به من غضب ورضى وفرح، لا لكون هذه الصفات مما يتصف بها، بل على وجه التقريب والإفهام، وعلى ضوء هذا نفهم المعاني النفسية" [2].

ومن صنف التعبيريات تتفرع أفعال كلامية مباشرة تدل على الفرح والحزن، أو الترحيب وهي نوع من أنواع البوحيات، ومثال ذلك قوله ﷺ في حديث عروجه إلى السماء: ((... فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل. قال هل معك أحد؟ قال: نعم معي محمد ﷺ. قال: أرسل إليه؟ قال: نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح. قلت لجبريل من هذا؟ قال: هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى ...))[3]، وقد اشتمل هذا الحديث على أفعال كلامية مباشرة من صنف التعبيريات كقوله (إذا نظر قبل يمينه

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٤٨٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٤٢، رقم ٢٥
(٢) الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، محمد مدور: ص ٢٦٨
(٣) صحيح البخاري: رقم ٣٤٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٦١، رقم ١١٠

ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى) وقول آدم عليه السلام في الترحيب بالنبي محمد ﷺ (مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح).

ومن صنف البوحيات (التعبيريات) تتفرع أفعال كلامية غير مباشره كالتهويل، في قوله ﷺ في وصف الجسر وقت عبور الصراط: ((... ثم يُؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم. قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحَضَةٌ مَزِلّةٌ عليه خطاطيف وكلاليبُ وحسكةٌ مُفَلطَحَةٌ لها شوكة عقيفاء[1] تكون بنجدٍ يُقال لها السعدانُ..))[2]. وهذه التعبيريات تمتزج بصنف الإخباريات وتحمل معاني التهويل من موقف عبور الصراط .

ومن الأفعال الكلامية غير المباشرة التي تندرج ضمن صنف (التعبيريات) التعبير عن الخوف والأمن والذم والاستياء، وقد ظهرت هذه البوحيات في حديث قدسي واحد اجتمعت فيه الأضداد وتعانقت فيه المتقابلات، وذلك في قوله ﷺ: ((إن الله يُدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستُره فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي ربِّ حتى إذا قرَّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتُها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته، وأما الكافرُ والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين))[3].

---

(١) مدحضة: من دحضت رجله دحضا زلقت. مُزِلّة: من زلت الأقدام سقطت. والكلاليب: جمع كلوب بفتح الكاف وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق عليها اللحم. وخطاطيف: جمع خطاف بالضم وهو الحديدة المعوجة كالكلوب يختطف بها الشيء. وحسكة: بفتحات وهي شوكة صلبة معروفة والحسك نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم، وربما اتخذ مثله من حديد وهو من آلات الحرب. مفلطحة: أي عريضة. عقيفاء: معوجة. (ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود أحمد العيني: جـ٢٠/ ص٣٢٠) والسعدان: جمع سعدانة وهو نبات ذو شوك شوكته من جميع الجوانب يضرب به المثل في طيب مرعاه، قالوا: مرعى ولا كالسعدان . (ينظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: كتاب الرقاق:جـ١١،ص٤٥٣)

(٢) صحيح البخاري:رقم ٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٢ ـ ١٣٥، رقم ٨٨

(٣) صحيح البخاري: رقم٢٤٤١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٧٤، رقم٤٦

فالمؤمن يغفر الله ذنبه ويستر عليه وقت الحساب " والمراد بالذنوب التي تُغفر هنا ـ والله أعلم ـ هي ما يكون بين العبد وربه دون مظالم العباد"[1]. كما يشمله بكنفه وستره، ويظهر الفعل الكلامي الدال على صنف البوحيات/ التعبيريات في قوله (حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك) والبوح عن المشاعر هنا متمثل في الاعتراف والخوف من سوء العاقبة والمصير جزاءً لما اغترفه من ذنوب ومعاص، فيظهر العفو الإلهي والأمن الرباني في قوله (سترتُها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم) وقوة الفعل الكلامي الماضي الدال على التحقق (سترتها) متصلة بالقوة الإنجازية للفعل الكلامية (أغفرها) الذي يدل على استمرار الرحمة الإلهية والغفران الرباني في الحياة الدنيا وبعد الممات في الآخرة، وهذا فيه من مشاعر الأمن والراحة والطمأنينة الكثير.

وأمام هذه الأريحية والستر والعفو الإلهي والاستقرار والهدوء النفسي اللامتناهي، يتفجر نص الحديث بموقف مناقض صاخب بالحضور الأشهاد، وبمشاعر السخط والاستياء، في قوله ((وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين)) والأشهاد هم الملائكة الحفظة الذين كانوا يحفظون أعمالهم بتسجيلها في الدنيا، والرسول ﷺ من الأشهاد أيضا لقوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2] وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[3]، فتكون الشهادة على فعل الكفار والمنافقين يوم القيامة ومظالمهم التي اقترفوها معلنة علانية ومعروضة جهرةً أمام الجميع " والأشهاد: هم الملائكة والمرسلون والعلماء الذين بلغوا ما أمرهم الله بإبلاغه، وقيل جميع الخلائق. والمعنى: أن يقول هؤلاء الأشهاد عند العرض: هؤلاء المعروضون أو المعروضة أعمالهم الذين كذبوا على ربهم بما نسبوه إليه ولم يصرحوا بما كذبوا به كأنه كان أمرا معلوما عند

(١) الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: حاشية ص ٧٤
(٢) سورة البقرة: ١٤٣
(٣) سورة النساء:٤١

أهل ذلك الموقف ... والفائدة في قول الأشهاد بهذه المقالة المبالغة في فضيحة الكفار، والتقريع لهم على رءوس الأشهاد"[1].

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، محمد بن علي الشوكاني: تفسير سورة هود ص٢١٢

المبحث الرابع: التراكيب النحوية المتداولة في الأحاديث القدسية

بعد هذا العرض لأصناف الأفعال الكلامية الواردة في نصوص الأحاديث القدسية، يتناول الدرس التداولي منحى آخر، يُقسم الأفعال الكلامية إلى أفعال مباشرة وغير مباشرة، وعليه يمكن تقسيم الأفعال الكلامية الواردة في الأحاديث القدسية إلى قسمين:

أ ـ الأفعال الكلامية المباشرة:

إن الأفعال الإنشائية المتعلقة بالصيغ المباشرة متنوعة في سياقات الخطاب في الأحاديث القدسية،

كالأمر، والنهي، والنداء، والاستفهام، والتمني " ويستعمل المخاطب الفعل الكلامي المباشر عندما يولي عنايته لتبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطابي، ورغبته في أن يكلف المتلقي بعمل ما، أو يوجهه لمصلحته من جهة وإبعاده عن الضرر من جهة أخرى، أو لفعل مستقبلي معين" (١) فالأفعال الكلامية المباشرة لها أغراض محددة وفاعلة كالتكليف بالقيام بفعل ما، وتغيير سلوك المخاطبين بالتوجيه والإرشاد.

وأول الأفعال الكلامية المباشرة في الأحاديث القدسية هو (النداء)، ويعدّ النداء من الأفعال الكلامية التوجيهية، لأنه يحفز المتلقي ويلفت انتباهه للفعل الكلامي الصادر من المتكلم، وأبرز أدواته (يا) وهو يحتل حيزا كبيرا من البنية التركيبية للأحاديث القدسية نظرا لارتباطه بالأمر والنهي والمضامين الأساسية التي تهدف الأحاديث القدسية إلى إيصالها.

والنداء أول فعل كلامي يقوم به المخاطِب ويشكل بوابة للولوج لمضامين النص القدسي، وقد ظهر بأشكال مختلفة ومتفاوتة كما سبقت الإشارة إليه في الفصل الثاني من البحث، ومثاله قوله تعالى: ((يا ابن آدم قم إليّ أمشِ إليك))(٢) وقوله تعالى: ((يا عبادي إني حرمت الظلم

(١) دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ـ مقاربة تداولية، د. حكيمة بو قرومة: ص١١
(٢) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٣/ ٤٧٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٨، رقم ٣٢

على نفسي وجعلته بينكم محرما))[1] وقوله ﷺ: ((يقول ربكم تبارك وتعالى: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأملأ يديك رزقا، يا ابن آدم لا تباعد مني فأملأ قلبك فقرا وأملأ يديك شغلا))[2].

وتتنوع في الأحاديث القدسية الأساليب والمخاطبات بهدف بلوغ الفائدة لجميع المخاطبين، فهي مرتبطة بمقام التلقي فتستعمل أداة النداء المناسبة، ثم يخاطب كل منادى فيها حسب طبيعة إيمانه وإمكاناته الفكرية. وأسلوب النداء في الأحاديث القدسية يحقق أغراضا بلاغية مختلفة سبق التطرق إليها في الفصل الثالث مبحث المعاني الدلالية والأغراض البلاغية للأساليب الإنشائية، كالتحذير والاستنكار والتعجب والاختصاص وغيرها.

وما الدراسة التداولية للنداء كفعل كلامي مباشر إلا امتداد للمعاني التركيبية والدلالية المتداخلة مع بعضها في بناء الجمل وصولا لإحكام بنية النصوص، والنداء المباشر في الأحاديث القدسية وارد في أغلبه بصيغة (يا ابن آدم) وهذا دليل عالميته وشموليته لجميع العباد في مختلف الأزمان، ثم يبدأ تخصيص النداء حسب نوع الخطاب الذي تسعى الأحاديث القدسية إلى تبليغه بصيغة (يا عبادي) .

والنداء في الأحاديث القدسية بمثابة المدخل للأفعال الكلامية الأخرى التي تأتي بعدها الأهداف المقصودة مباشرة، فيشتمل ما بعده على الدعوة إلى التوحيد وآداب التعامل مع الخالق والعباد، ومبادئ سلوك الإنسان التربوية والأخلاقية الإسلامية، لجعله إنسانا صالحا رادعا لنفسه عن المعاصي والهانات، مرتق بها إلى المكانة التي أرادها الله له. فالنداء طلب واستحضار يراد منه

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، ص٢٤١، رقم ١٦٠

(٢) حديث صحيح لغيره، أخرجه الحاكم: ٤/ ٣٢٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٨، رقم:٣٣

إقبال المدعوّ على الداعي بعقله وسمعه وبصيرته، وذلك لتوجيهه بخير يُؤمر به، أو شرّ يُنهى عنه(١).

وفي حديث تحريم الظلم يقول ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. ياعبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَطُ إذا أُدخِل البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه))(٢).

وأفعال الكلام في هذا الحديث القدسي بمثابة إنجاز تلفظي أعطى المأمور بُعدا تداوليا لهذه الأفعال، فصار القول في (حرمت الظلم) متحققا بقوة الفعل (فلا تظالموا). وصارت كل الأقوال (فاتسهدوني فاستطعموني فاستكسوني) أفعالا منجزة بالوعد الإلهي (أهدكم، أطعمكم، أكسكم). كما ظهر النداء في نهاية النص القدسي (يا عبادي إنما هي أعمالهم أحصيها لكم) لتتحول كل الأقوال السابقة في النص إلى أعمال يحاسب عليها العباد يوم القيامة ليُقضى الأمر،

(١) ينظر: دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، بوفرومة حكيمة: ص ١٣
(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص٢٤١، رقم ١٦٠

وهذا يُظهر قوة الفعل الكلامي وإنجازيته، فقد أدت الأفعال الكلامية تغييرا واضحا في السلوك الفردي، والتعامل المجتمعي بين العباد في الحساب الرباني للإنسان.

ولم ينفصل الأمر والنهي عن النداء في هذا الحديث القدسي، وإنما وردا بتشابك وتداخل متناغم منسجم، ففي قوله تعالى (حرمت الظلم) أسلوب خبري يحمل قوة فعل الأمر في تحريم الظلم بين العباد ويظهر الامتثال بالفعل القولي (فلا تظالموا). والفاء المقترنة فيه بأداة النهي (لا) تلزم المخاطبين سرعة الاستجابة والامتثال للأمر الإلهي، وأسلوب النهي يتناسب وطبيعة السلوك الإنساني الذي يحتاج للنهي والزجر، ليمتثل لهذا الأمر بإبعاد التظالم، أما الأفعال الكلامية الأمرية (فاستهدوني فاستطعموني فاستكسوني، فاستغفروني) فهي مرتبطة بالإنجاز السريع للفعل المرتبط بالوعد الإلهي حال إيقاع الكلام، والمتمثل في قوله (أهدكم، أطعمكم، أكسكم، أغفر لكم).

وعليه يمكن تقسيم الأفعال الكلامية السابقة في حديث تحريم الظلم إلى أمريات ووعديات وبوحيات وإيقاعيات وتقريريات، لتشمل أصناف الأفعال الكلامية كلها التي حددها المنهج التداولي للأفعال الكلامية، فالأمريات تتمثل في قوله (فلا تظالموا). والوعديات في قوله (استهدوني أهدكم) (استطعموني أطعمكم) (استكسوني أكسكم) (فاستغفروني أغفر لكم). والإيقاعيات/ الإعلانيات في قوله: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما) والتقريريات (يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا) والبوحيات في قوله (فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه). وهذا يُظهر الخصوصية التكوينية للخطاب في الأحاديث القدسية، والبصمة الأسلوبية المميزة لها.

إن النداء والأمر والنهي هي من الأساليب الإنشائية الطلبية، وهذه الصيغ الطلبية (لا تظالموا، فاستهدوني، فاستطعموني، فاستكسوني، فاستغفروني) نُقلت من مجال الطلب إلى مجال التنفيذ الفعلي، وبهذا تظهر القوة الإنجازية للأفعال الكلامية مدار الدرس التداولي " إن التداول

مكفول حتى في صيغة الوحي والإلهام، باعتبارها درجات في التواصل " [1] فأدت الأفعال الكلامية السابقة تغييرا واضحا في السلوك والتعامل وصار القول فعلا منجزا.

وحديث تحريم الظلم يندرج ضمن الأمريات من الأفعال الكلامية، ففيه نهي عن الظلم بين العباد، وأمر بطلب الخير من الله في كل الأمور. ويظهر الفعل الإنجازي في هذا الحديث في أفعال النداء وأفعال الأمر وأفعال التقرير. وغرضها المتمثل بالإبلاغ والإفهام والإفادة، فهي تعالج قضايا إنسانية بأسلوب تداولي، وقد كثرت الأفعال الكلامية في هذا الحديث فالنداء تكرر أكثر من عشر مرات مثاله (يا عبادي إني حرمت الظلم) وقوله (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته) و(يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته) وتأتي الجمل الإنشائية الطلبية كالنهي في قوله (لا تظالوا) والأمر في (فاستهدوني) و(فاستطعموني) و(فاستكسوني) و(فاستغفروني) .

كما ظهر فيه التكرار الذي يعد من الأفعال الخطابية التي تهدف إلى التأكيد كتكرار كلمة (كلكم) في قوله (كلكم جائع ... كلكم عار) وتكرار جملة (لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ...) وكذلك التأكيد بالحصر في قوله: (إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ...)، وقد تنوعت الأساليب في هذا الحديث القدسي، وهذا التنوع الأسلوبي يتسم بالتداولية ويهدف إلى تفعيل التواصل بين المخاطب والمتلقي، وتوجيه سلوك المخاطبين الوجهة الصحيحة المطابقة لمقاصد الشريعة، كما أن وفرة المؤشرات التداولية من نداء وتوكيد وطلب وحصر وشرط أعطت قوة للفعل الإنجازي، بهدف تنبيه المخاطبين إلى إنجاز أمور بسلوكيات معينة فيها صلاح الدين والدنيا[2].

وثاني الأفعال الكلامية المباشرة الواردة في الأحاديث القدسية هو (الاستفهام)، وهو من الأساليب الإنشائية الطلبية التي تستدعي من المرسل إليه ضرورة الإجابة، ويستعملها المرسل للسيطرة على مجريات الأحداث، والتأثير على ذهن المتلقي وتسيير الخطاب في الوجهة التي

(١) دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، بوفرومة حكيمة: ص١٤
(٢) ينظر: الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية، حورية رزقي: ص١٥٤

يريد. وتعدّ الأسئلة المغلقة من أهم أدوات السيطرة على الحوار ومنطقيته في ذهن المتلقي وصولا للإقناع والتوجيه في الوجهة المقصودة من فحوى الخطاب.

وقد ورد الاستفهام في قوله ﷺ في حديث فضل مجالس الذكر: ((إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم منهم، ما يقول عبادي؟ قال: فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا، وأكثر لك تسبيحا، قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يارب ما رأوها، قال فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون من النار، قال يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم))[1].

فالاستفهام في قوله (ما يقول عبادي؟) وقوله (هل رأوني؟ فكيف لو أنهم رأوني؟) وقوله (وهل رأوها؟) وقوله (فما يسألوني؟) وقوله (فكيف لو أنهم رأوها؟) وقوله (فكيف لو رأوها ؟) والسائل هنا رب العالمين تبارك وتعالى وهو أعلم ممن يسألهم وإنما صيغ الحوار والطلب بالاستفهام لتنويع الأساليب والتدرج في الإقناع والتأثير في النفوس والتدرج كذلك في الترغيب والترهيب والتحذير.

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩، رقم٣٤

وقد كان للاستفهام دلالات ومعان سياقية سبق التطرق إليها في البعد الدلالي في الفصل الثالث من البحث، وما يُعنى به هذا الفصل التداولي هو الوقوف على قوة هذا الفعل الكلامي الذي يحمل بداخله قوة إنجازية قادرة على تغيير العالم الخارجي، وهي في هذا الحديث واضحة وبيّنة، فالاستفهام لم يأت طلبا للمعرفة والعلم والله أعلم العالمين، وإنما قُصد به تبلور الإجابة في عمل فعلي، فجاء التوجيه السلوكي عن طريق أسلوب الاستفهام، فكان له قوة تأثيرية في المتلقين وطبعهم بسلوك التعبّد والذكر. والسؤال في قوله تعالى (ما يقول عبادي؟) يتحول إلى فعل عملي توجيهي وقوة إنجاز في الأفعال الكلامية المتوالية التي جاءت إجابة على السؤال (يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك).

والاستفهام الوارد في قوله تعالى (هل رأوني؟) (وهل رأوها [الجنة والنار] ؟) يدخل في باب المجاز إذ ليس للعباد في الدنيا أن يروا الله تعالى ولا أن يروا الجنة والنار، فكانت الأفعال الكلامية الاستفهامية السابقة عبارة عن انزياحات في مستوى التداول، وعلى الرغم من وفرة صيغ الاستفهام في هذا الحديث إلا أنه قد كثرت فيه أيضا الجمل الخبرية في مقابل الجمل الإنشائية الطلبية، ذلك لأنه يركز على التقريريات، كقوله ﷺ: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا)) والجمل الخبرية تقوم بفعل الخبر والتبليغ وهي من الأساليب المعينة على تبليغ مضمون الرسالة العقائدية للمتلقين، فتكون أنفع في التلقي والإفهام. وقوة الأفعال الواردة في الجمل الخبرية تنبع من قوة المعاني المخزونة فيها، وقوة المعاني النابعة من هذه الأفعال هي القوة الفاعلة ذات التأثير الإيجابي المغيرة لسلوك المخاطبين نحو الإيجابية وتحقيق مقاصد الخطاب .

ويظهر بين الأفعال الكلامية الواردة في قوله ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا)) فعل كلامي طلبي مباشر هو فعل الأمر (هلموا إلى حاجتكم) وهو فعل

طلبي بث حركة الفعل في وسط سكون الإخبار الذي بدأ به الحديث القدسي، مما جعل وقع تسارع الإقبال يرفع من نبرة الفعل الكلامي وقوة إنجازيته، والفعل الكلامي (هلموا) أتى بمعنى سياقي دلالي هو إرشاد الملائكة بعضهم بعضا إلى مجالس الذكر، وورد بمعنى تداولي هو حث العباد المخاطبين بشكل غير مباشر على لزوم مجالس الذكر لما لها من شرف المنزلة وعظيم الأجر، وهذا الفعل الكلامي فيه تأكيد وتحقيق للمعاني الواردة في الأفعال الكلامية الإخبارية (يطوفون . وجدوا . تنادوا . فيحفونهم).

والأفعال الكلامية الواردة في هذا الحديث تنقسم إلى أفعال ماضية، ومضارعة. والفعل الماضي أغلبه تكرار للفعل (قال) والفعل (رأى) وأفاد التقرير وتحقق الوقوع، أما الأفعال المضارعة (يطوفون، يلتمسون، يذكرون، يحفونهم...) فهي تفيد الحال والاستقبال للدلالة على استمرارية الوقائع وتجددها في كل مقام وفي كل زمان.

وكل الأفعال المضارعة السابقة تحمل قوى إنجازية تدل على الحركة وإنجاز أعمال الذكر والعبادة، فيتحقق الهدف التواصلي والمطلب التداولي ومنتهاه التأثيري، بتحقيق الفائدة التي هي المحافظة على تداولية ذكر الله على لسان العباد في الحياة مداولة مستمرة عملية بين عبادة فردية وعبادة جماعية توصل إلى مقاصد ومنافع وآثار حميدة عبر عنها نص الحديث بأسلوب تداولي موجز بلفظ (المغفرة) في قوله تعالى: (فأشهدكم أني قد غفرت لهم)، وهو أسلوب خبري تقريري تأكيدي لحصول المنفعة في الدارين إلا أنه في الوقت نفسه يحمل معنى طلبيا إنشائيا وهو الامتثال لأمر الشهادة والتصديق واليقين بحصول فعل المغفرة للعابدين الذاكرين.

وعليه فالحديث قد اشتمل على التقريريات المتمثلة في قوله ﷺ (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر) واشتمل على البوحيات التي تظهر في (لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا) وعلى الإعلانيات في قوله (فأشهدكم أني قد غفرت لهم) وكذلك اشتمل على الأمريات في حثه المؤمنين على زيادة الذكر وزيادة العمل للفوز

بالنعيم في الجنان في قوله ((يسألونك الجنة، قال: فيقول: وهل رأوها... فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة)) وتظهر الوعديات في قوله (هم الجلساء لا يشقى جليسهم) فهو وعد وتكريم دائم لهم ما دام الذكر في مجالسهم عامرا وفي قلوبهم نابضا، فيعم الخير العباد المتداولين للذكر وكل من جلس في مقام تداوله معهم.

ب . الأفعال الكلامية غير المباشرة:

من الأفعال الكلامية غير المباشرة أفعال الوعد والوعيد وهي كثيرة في الأحاديث القدسية ويرد الوعد والوعيد فيها بشكل مباشر وغير مباشر، والفرق بينها وبين الأفعال الطلبية كونها متجه نحو المتكلم فالمتكلم هو من يعد بإنجازها بينما تتجه الأفعال الطلبية بالتزام المخاطب بفعل شيء ما.

والجزاء والعاقبة في الأحاديث القدسية مرتبطان بالوعد والوعيد وفق مجموعة من الأوامر والنواهي الواردة بصيغ مباشرة وغير مباشرة كقوله ﷺ في الوعد بالجنة للمتحابين في الله: ((المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله))[1] وقوله تعالى في الوعيد والتحذير من إثم التصوير والتمثيل للأرواح: ((ومن أظلم ممن ذهب يخلقُ كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبَّة أو شعيرة))[2] والاستفهام هنا معناه التحذير والوعيد والتهويل، وفيه معنى النهي والتحريم عن صنع التماثيل أو التصاوير المجسدة بالطين أو الرسوم لذوات الرواح.

والوعد المباشر بالجزاء وحسن المآل أنواع تختلف بحسب المقام وأنواع المخاطبين به، فإن كان لخاصتهم من العباد المتقين والشهداء جاء الوعد الرباني بالرضى والرضوان الإلهي، كقوله ﷺ: ((إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٥/ ٢٣٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٨٤، رقم ٥٣
(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥٥٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤٥، رقم ١٦٢

فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا)) (١).

وإن كان الخطاب الوعدي لعامة الناس أظهر الله فيه محاسن الجنان والخيرات المادية التي فيها ترغيبا للنفوس للفور بها، كقوله ﷺ في وصف يوم الجمعة ويسمى يوم [المزيد] بعد قيام الساعة: ((أتاني جبريل بمثل هذه المرآة البيضاء فيها نكتة سوداء، قلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الجمعة جعلها الله عيدا لك ولأمتك، فأنتم قبل اليهود والنصارى، فيها ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه. قال: قلت: ما هذه النكتة السوداء؟ قال: هذا يوم القيامة تقوم في يوم الجمعة ونحن ندعوه عندنا (المزيد) قال: قلت: ما يوم المزيد؟ قال: إن الله جعل في الجنة واديا أفيح وجعل فيه كُثبانا من المسك الأبيض فإذا كان يوم الجمعة ينزلُ الله فيه فوضعت فيه منابر من ذهب للأنبياء وكراسي من درٍّ للشهداء، وينزلن الحور العين من الغرف فحمدوا الله ومجدوه. قال: ثم يقول الله: اكسوا عبادي فيكسون ويقول أطعموا عبادي فيطعمون ويقول اسقوا عبادي فيسقون ويقول طيبوا عبادي فيطيبون، ثم يقول: ماذا تُريدون؟ فيقولون: ربنا رضوانك قال يقول: رضيت عنكم ثم يأمرهم فينطلقون وتصعدُ الحور العين الغرف وهي من زمردةٍ خضراء ومن ياقوتةٍ حمراء)) (٢).

ويظهر في هذا الحديث الأفعال الكلامية غير المباشرة الدالة على الوعد الرباني والمتمثل في وصف يوم المزيد وما فيه من منابر وكراسٍ من الدر، وما فيه من كثبان المسك وجمال الحور وبريق غرف الزمرد والياقوت، وهو وصف مادي يسلب الأبصار بزهوة رونقه. وهو يتناسب وعامة العباد ففيه بساطة في الطرح وتحقق لمظاهر النعيم بالأفعال الكلامية التي تتجسد بمجرد

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٩٢، رقم٥٧

(٢) حديث صحيح أخرجه أبو يعلى: رقم ٤٢٢٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٤٩، رقم ١٠٠

التلفظ بها في قوله تعالى: (اكسوا عبادي فيكسون ويقول أطعموا عبادي فيطعمون ويقول اسقوا عبادي فيسقون ويقول طيبوا عبادي فيطيبون).

ويتدرج الفعل الكلامي المرتبط بالجزاء ليصل للوعد في أعلى مراتبه والمتمثل في طلب المؤمنين للرضوان الإلهي وهو أكبر فوز وأعظم غنيمة للعباد، ويتحقق هذا الفعل الكلامي بقوة إنجازية تظهر في الفعل الكلامي (رضيت عنكم) وهو أسلوب خبري يحمل قوة الفعل الكلامي وقوة تأثيره وإنجازيته، وهو بشارة عظيمة تتحقق برغبة العباد الصالحين الذين ذكروا الله قياما وقعودا في الدنيا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فهنيئا لهم الرضوان الذي تمنوه في قولهم (ربنا رضوانك) بعد أن رأوا كل أنواع النعيم في الجنة، فلم يجدوا شيء كنعيم رضاه، فهو أسمى المطالب.

وتظهر أصناف الأفعال الكلامية كلها مجتمعة في نص هذا الحديث، مما يكسبه اتساقا وانسجاما وتكاملا تاما في البناء، فالإخباريات متمثلة في قوله (إن الله جعل في الجنة واديا أفيح وجعل فيه كثبانا من المسك الأبيض)، وتظهر الوعديات في قوله (وضعت فيه منابر من ذهب للأنبياء، وكراسي من درّ للشهداء، وينزل الحور العين من الغرف)، والأمريات في قوله (اكسوا عبادي فيكسون ويقول أطعموا عبادي فيطعمون ويقول اسقوا عبادي فيسقون ويقول طيبوا عبادي فيطيبون) والإيقاعيات [الإعلاميات]في قوله (رضيت عنكم) والبوحيات في قوله (فحمدوا الله ومجّدوه)، وبهذا تظهر البصمة الأسلوبية المميزة لنصوص الأحاديث القدسية، التي تتكامل فيها جميع فروع الدرس التداولي وتظهر جلية واضحة بأتم معاييرها.

ومن الوعد بالجزاء المطلق في الجنة قوله ﷺ: ((قال الله تبارك وتعالى: أعددتُ لعبدي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر)) [1]. فهو عطاء مطلق غير محدود، تطيب النفوس به فترضى وتسعد، وتقرّ الأعين به حين تعلم أنها لم تطلع على خيراته

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري: ٨/ ٥١٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٨٩، رقم ٥٦

بعد " فالأجر عظيم ولكنه غير محدد النوع، وعدم تحديده يشعر به وبقيمته الخاصّة من المؤمنين وليس العامّة" [1]، فكل ما يخص المؤمنين المتقين متعلق بالنعيم المطلق وصولا للرضى الرباني وهذه أعلى منازل العطاء والرضى للعباد.

ومن الوعد في الأحاديث القدسية الوعد بالمعية الإلهية في قوله ﷺ: ((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُهُ في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن تقرب إليّ شبرا تقربتُ إليه ذراعا، وإن تقرّب إليّ ذراعا تقربتُ إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة))[2]. وفي هذا الحديث الفعل الكلامي الرئيسي هو الفعل (ذكرني) في قوله (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني) وهو فعل كلامي تتفرع منه أفعال كلامية متفرعة منه لاستيعاب المعنى وشموليته، كالفعل الكلامي (تقرّب، وأتاني). وفعل (الذكر) يشمل القول والفعل معا، فالعبادة أقوال كالذكر والاستغفار وقراءة القرآن، وأفعال تطبيقية كالصلاة والزكاة والصدقة.

وجملة الجواب في قوله (وأنا معه إذا ذكرني) محذوفة لوجود ما يدل عليها وهي الجملة التي بعدها، والأصل إذا ذكرني ... ذكرته، ففيه إيجاز بالحذف، ويعطي هذا الحذف الكلام قوة وتأكيدا، ويهدف إلى التأثير في نفوس المتلقين وهو من سمات التداولية. وجواب الشرط يفيد تحقق الفعل من الله تبارك وتعالى تفضلا وتكرما وإحسانا لأنه تعالى كل أفعاله ماضية، وجاءت المتواليات الشرطية كما يلي:

جملة الشرط (إن ذكرني في نفسه) وجملة الجواب (ذكرته في نفسي)

جملة الشرط (إن ذكرني في ملأ) وجملة الجواب (ذكرته في ملأ خير منهم)

جملة الشرط (إن تقرب مني شبرا) وجملة الجواب (تقربت إليه ذراعا)

---

(١) دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، بوفرومة حكيمة: ص١٨
(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٤٠٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٧، رقم ٣٠

جملة الشرط (إن تقرب إليّ ذراعا) وجملة الجواب (تقربت إليه باعا)

جملة الشرط (إن أتاني يمشي) وجملة الجواب (أتيته هرولة)

وقد صُدرتْ هذه الجمل بحرف الشرط (إن) الذي يفيد الشك والتردد، لأن فعل العبد واقع على معناها وقد لا يكون أمره حاسما، لذلك جاء الجزاء قاطعا ومحفزا للعبد أن يكون جادا في ذكره موقنا في رحمة ربه. فكان التدرج في تربية الإنسان متخذا مسار الجزء نحو الكل، وهو منهج تداولي هدفه توصيل الفائدة للمتلقين، فينطلق الذكر من النفس البشرية إلى الذات الإلهية، ومن الملأ البشري إلى الملأ الرباني، ثم يكون التقرب من الشبر إلى الباع، ثم من الإتيان مشيا إلى الهرولة ورزق الله المتوالي للبشر بغير حساب(١).

والحديث يندرج ضمن صنف الوعديات من الأفعال الكلامية، والقصد من هذا الفعل هو الوعد بمعية الله لعباده الذاكرين، وإشاراته هي: الضمائر: أنا، ياء المتكلم، هاء الغائب، ضمير الغائب (هو)، والمخاطِب هو الله عز وجل، والمخاطَب هو العبد، والغرض هو الوعد بحسن الجزاء فاستلزم تكثيف حضور ضمائر المتكلم التي تكررت إحدى عشرة مرة، مما زاد من قوة للفعل الكلامي(٢).

والفعل الإنجازي الذي يُظهر مقصد الحديث هو قوله (وأنا معه) وجاء في بداية نص الحديث، وذلك للأهمية هذا الوعد والجزاء وفضله، وتنبيها وقرعا للآذان واستمالة سابقة للنفوس، لتقبل على باقي النص بشغف وشوق طلبا للفضل والمعية الإلهية، وقد جاءت جملة (وأنا معه) اسمية دالة على الثبات، فالله يعد عبده بمعيته مادام يذكره ويعبده، وحكم الله ـ عز وجل ـ قاطع لا تغيير فيه، ويعد هذا الخبر من الإيقاعيات/الإعلانيات التي تُقرُّ أمرا بالقول فيحدث فعل التغيير في العالم الخارجي. والآمر هو الله تعالى والمأمور جميع العباد، وفي هذا التقرير تخصيص الخطاب لفئة المؤمنين الطائعين والذين تكون نفوسهم مهيأة للاستجابة والتوجيه

(١) ينظر: الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية، حورية رزقي: ص١٢٠ ـ ١٢١
(٢) المرجع السابق: ص١١٩

السريع، فهم المخاطبون بالمقام الأول ويظهر ذلك في قوله (أنا عند ظن عبدي بي) ولم يكن النداء عاما كصيغة (يا ابن آدم)، وهذا التخصيص لا يلغي حضور المخاطب والمستمع الكوني وهم الجمهور الثابت في جميع مقامات الأحاديث القدسية، التي في أغلبها لا تتطرق لتشريع ولا لعبادات ولا لأحكام، وإنما تتعامل مع النفوس والطباع والقناعات والسلوكيات.

وبهذا تظهر أصناف الأفعال الكلامية مجتمعة كلها في نص هذا الخطاب القدسي كبصمة أسلوبية مميزة لبنائه، بعد الوعد بالمعية وإعلان إيقاعها للعباد الذاكرين، ويظهر صنف التقريريات في قوله (أنا عند ظن عبد بي) وتظهر البوحيات في قوله (إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي)، والأمريات في قوله (إن تقرب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرّب إليّ ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) وهذه الجمل الشرطية تحمل معنى الطلب والأمر بالتقرب إلى الله تعالى بالعبادة والذكر، والرجوع والإنابة الدائمة إليه، وهي من أحب الأعمال وأفرحها لله، وتحمل مع الطلب معنًى مستلزما هو الوعد بقبول الله تعالى لإنابة عبده وتوبته، وإقباله عليه وتحننه وتلطفه به.

ومن أنواع الوعد في الأحاديث القدسية (الوعد بالغفران الإلهي) في قوله ﷺ في حديث الحث على دوام التوبة والاستغفار: ((إن عبدا أصاب ذنبا، وربما قال أذنب ذنبا ـ فقال ربّ أذنبت ذنبا ـ وربما قال أصبت ـ فاغفر فقال ربه: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبا أو أذنب ذنبا ـ فقال رب أذنبت ـ أو أصبتُ ـ آخر فاغفره فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا ـ وربما قال أصاب ذنبا ـ فقال رب أصبتُ ـ أو أذنبت ـ آخر فاغفره لي فقال أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء))[1] .

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٣، رقم ٣٨

ويندرج هذا الحديث ضمن صنف الوعديات والبوحيات في التقسيم التداولي للأفعال الكلامية، ففيه يتوسل العبد لربه ويعترف له بذنبه، والله غفور كريم بعباده، يعده بالمغفرة في كل مرة من المرات. والخطاب القدسي في هذا الحديث يراعي المقدرة الاتصالية، ويعتمد على المعرفة الاتصالية، التي هي" معرفة الأدوات اللسانية، والاتصالية التي يملكها المتكلمون والمستمعون من أجل أن يخلقوا حالة معينة تمكنهم من الانخراط في الحديث لجعله مستمرا"(١)، فهو مستند على نسق من الاستنتاج المنطقي النابع من التراكيب اللغوية التي بُني الخطاب في الحديث القدسي عليها.

وتتنوع في خطاب الحديث الأساليب بين الخبرية والإنشائية من خلال أسلوب الحوار، مثال الجمل الخبرية (إن عبدا أصاب ذنبا) و(ثم مكث ما شاء الله) وهي جمل تفيد التقرير، ومنها جملة (غفرت لعبدي) التي تمثل الفعل الإنجازي في النص وأثره الإيجابي، وتفيد مقصد الخطاب وتحقق مبدأ الفائدة وهو حصول المغفرة.

أما الجمل الإنشائية فهي تتضمن طلب العبد من ربه أن يغفر له في قوله (رب أذنبت ذنبا وربما قال: أصبت ذنبا فاغفر) وهي جملة متضمنة للنداء (رب) والطلب في قول العبد (فاغفر، فاغفره، فاغفره لي) هو طلب من الأدنى إلى الأعلى فهو دعاء، وهذا دعاء تدرج فيه الفعل الكلامي في مراقي القوة وشدة الفعل، وذلك بزيادة مبناه في كل مرة يتكرر فيها، فالفعل الأول (فاغفر) كان الغفران فيه مطلبا مرتكزا على قوة إنجازية الفعل الكلامي وتحققه وهو (الغفران) وأسند الفعل إلى فاعل مستتر عائد على الله تعالى، لتسليط الضوء وتركيز بؤرة الكلام على الفعل وما فيه من قوة الدعاء.

وفي الفعل الثاني (فاغفره) ازدادت قوة الفعل الكلامي الطلبي بفعل الرابط الإحالي الذي أحال إلى الذنب، وفي الفعل الكلامي الثالث (فاغفره لي) أوصل العبد بصدق توبته ودوام إنابته الفعل الكلامي لذروة قوته، باجتماع جميع عناصره من فعل وفاعل ومفعول به، وشبه الجملة

(١) نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة، مازن الوعر: ص٦٣

المخصصة أمر الغفران للعبد المنيب المستغفر، فكان الإقرار بالذنب جليا بينا والعبد نادم وراج العفو والصفح من خالقه، فتلاحقت الجمل متوالية تبشر بحلول الغفران والرضوان المطلق على من هم في مستوى هذا العبد الصالح من التّقى والخشية من الله بالغيب.

وفي تحليل جملة (رب أذنبت ذنبا فاغفر) تقول حورية رزقي: " والجملة كما نلاحظ تتضمن نداء ثم إقرارا ثم طلبا، وقد تكررت لتكرار الذنب، والتكرار من منظور التداولية يفيد التأكيد، فالعبد مصر على التوبة، حيث يلجأ كل مرة يذنب فيها إلى خالقه فيدعوه أن يغفر له. وهو متيقن أن العفو بيده سبحانه"(١) وبهذا تحول الفعل الكلامي (أذنبتُ ذنبا) إلى مناجاة بين العبد وربه، والمناجاة شكل من أشكال الخطاب من نوع الدُّعاء، والدعاء لما فيه من قوة الذكر يُعدُّ مخُّ العبادة فيتحول إلى استجابة وقبول من رب العلمين في قوله (غفرت لعبدي).

والإنشاء الطلبي في جملة (أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به) خرج فيه الاستفهام إلى غرض الإخبار والتقرير، بمعنى "أن العبد فعلا قد علم أن هناك إلها يجب أن يؤوب إليه المذنب ليغفر له، وقد تكررت الجملة، فكما تكرر الطلب تكرر الجواب، ويحمل دائما نتيجة متوقعة"(٢). وكذلك في جملة الإنشاء الطلبي (فليعمل ما شاء) تظهر قوة الفعل في الأمر (فليعمل) الذي دل على الشمول والعموم بقرينة اللفظ (ما شاء) والمقيد بقرينة السياق ومعنى المعنى للنص، وهو بأن يعمل ما شاء ما دام من المنيبين التائبين إلى الله والمستغفرين من ذنوبهم، وهم لإنابتهم ودوام استغفارهم صاروا من زمرة العباد الصالحين الذين لا يتعدون حدود الله ويتقونه في كل أحوالهم، فليعملوا ما شاءوا، فلا خوف من عملهم ما دام في دائرة التُقى ومحدودا بحدود الاستغفار والخشية من الله في الجهر والغيب.

وأما الوعيد فيرد في الأحاديث القدسية موجزا مقتضبا وضمنيا بشكل غير مباشر إلا في بضعة أحاديث ورد فيها بشكل صريح، كقوله ﷺ: ((وفي جهنم كلاليب مثل شوك

---

(١) الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية، حورية رزقي: ص١٥٧
(٢) المرجع السابق: ص١٥٧

السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله...))[1]. وقوله ﷺ: ((كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزِعَ فأخذ سكينا فحزَّ بها يده فما رَقَأ الدمُ حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرّمتُ عليه الجنة))[2]. وقوله ﷺ: ((إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استُشهِد فأُتيَ به فعرفه نِعَمه فَعَرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهدتُ قال: كذبتَ ولكنك قاتلتَ لأن يقال جريء فقد قيل ثم أُمِر به فسُحبَ على وجهه حتى أُلقي في النار ...))[3].

وارتبط الوعيد في الأحاديث القدسية بالشقاء الدنيوي، مثال ذلك قوله ﷺ: ((يقول ربكم تبارك وتعالى: يا ابن آدم لا تباعد مني فأملأ قلبك فقرا وأملأ يديك شغلا))[4]. وارتبط كذلك بالعذاب في الآخرة بدخول جهنم وبئس المصير كما في قوله ﷺ: ((ينادي منادٍ: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من برٍ أو فاجر وغُبَّراتٌ[5] من أهل الكتاب ثم يُؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله، فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم. ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٩، رقم ٦٣
(٢) صحيح البخاري:رقم ٣٤٦٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٦٨، رقم ١٧٢
(٣) صحيح مسلم: رقم ١٩٠٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨، رقم ٧
(٤) حديث صحيح لغيره، أخرجه الحاكم: ٤/ ٣٢٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٨، رقم ٣٣
(٥) (غبرات) بضم الغين وتشديد الباء المفتوحة، معناها بقاياهم، جمع غبر و" المعروف في كلام العرب أن الغابر الباقي... والغبرات البقايا، واحدها غابر، ثم يجمع غبرا، ثم غبرات جمع الجمع" لسان العرب، مادة (غبر).

نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر...)) [1].

والوعيد في الأحاديث القدسية "يهدف إلى الإصلاح وإيقاظ العقول، وله مقاصد تتمثل في التأثير على أفكار المتلقي وأفعاله، وجعله يخضع لأوامر الله ونواهيه " [2].

وهذا التضمين في إيراد الوعيد يراد به زيادة التهويل ويوحي بعظيم الوعيد أكثر مما يدل عليه الصريح من الأساليب، وقد ارتبط بمواقع اللاتحديد والتي يكون فيها الحذف أو الإيجاز بترك فراغات في النص " ليقوم المتلقي بمجموعة من الإجراءات التي تستظهر تلك المحذوفات، حتى يتمكن من تصوّر كل العناصر غير المذكورة ليكون النص في وضع تواصلي، ومن ثم بناء المعنى الذي يكون خلاصة لتلك الإجراءات" [3].

والوعيد في الأحاديث القدسية يُذكر عاما مطلقا بلفظ (العذاب) أو (النار)، كقوله ﷺ: ((يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول نعم...))[4] والحديث القدسي لا يحدد أنواع العقاب وإنما يتركها مفتوحة في النص، ليقوم المتلقي بملء هذه الفراغات أثناء القراءة وبذلك تتحقق مستويات التواصل والخطاب وتتنوع بتنوع المخاطبين.

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٣٣٤، رقم ٨٨

(٢) دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، بوفرومة حكيمة: ص١٧

(٣) المرجع السابق: ص١٨

(٤) صحيح البخاري: رقم ٦٥٥٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢، رقم ١٢

ويظهر ضمير المتكلم مسيطرا على الأفعال الكلامية التي تحمل قوة الوعيد كما في قوله تعالى فيمن حزَّ يده بالسكين فقتل نفسه (حرّمتُ عليه الجنة)[1]. وقوله تعالى للنار: (إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادي) [2].

وترسم الفراغات في مشاهد الجنة والنار والوعد والوعيد مفارقات عديد تقرب المخاطبين من المعاني والمقاصد المتضمنة في الأفعال الكلامية كقوله ﷺ: ((يُؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة فيقول: اصبغوه صبغة في الجنة فيصبغونه فيها صبغة، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط أو شيئا تكرهه؟ فيقول: لا وعزتك ما رأيتُ شيئا أكرهه قط ثم يؤتى بأنعم الناس كان في الدنيا من أهل النار فيقول: اصبغوه فيها صبغة فيقول: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط قرة عين قط، فيقول: لا وعزتك ما رأيتُ خيرا قط ولا قرة عين قط))[3]. فالفعل الكلامي الرئيسي (اصبغوه) وترتبط به أفعال إنجازية يقوم بها الملائكة كطرف من الخطاب منفذ للفعل دون تردد أو تأخر، وتكتمل حلقة التواصل بالفعل الكلامي (اصبغوه) والمتحقق بالفعل (فيصبغونه) في الجنة أو في النار، وفي كلا الحالين لن يرى كلا الفريقين حالا كالذي رأوه سابقا في الدنيا لعظمة المنظر المشاهد وغيبيته.

(١) صحيح البخاري: رقم ٣٤٦٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٦٨، رقم ١٧٢

(٢) صحيح البخاري: رقم ٤٨٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٩، رقم ٧٦

(٣) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد:٣/ ٢٥٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٢، رقم ٧٧

والحديث عبارة عن مقابلة بين طرفين متناقضين (أهل الجنة وأهل النار) وفيه وعيد وتحذير من نعيم الدنيا وعدم الاغترار به لبوسه في الآخرة، والحديث يعمق مبدأ الحوار، والفعل الكلامي ينتقل فيه من الفرح بالنعيم إلى البؤس بالجحيم، وينتهي بمشهد الأسى والندم والوعيد، حيث العذاب في النار لكل منكر متكبر بيوم الحساب، و بتداولية سريعة مقتضبة يتحقق الجزاء لكلا الطرفين بالأفعال الخطابية الواردة في جمل مقتضبة تحمل معاني مستلزمة تُفهم المتلقي تفاصيل أحداث لم يسمعها بالألفاظ، وذلك في قول أشد الناس بلاء في الدنيا من أهل الجنة بعد أن غمس في الجنة غمسة (لا وعزتك ما رأيت شيئا أكرهه قط) وقول أشد الناس نعيما في الدنيا بعد أن غمس في النار غمسة (لا وعزت ما رأيت خيرا قط ولا قرة عين قط).

والفعل (ما رأيت) جعل فعل الرؤية متحققا في النص أمام المتلقي الذي بقوة الفعل الإنجازية بدأ فعل التأثير فيه وبدأت عيناه ترى وتتخيل خيرا غيبيا مطلقا للخيال وعذابا غيبيا مطلقا للعنان، فيختار أي الطريقين يسلك، وهنا تتجلى قمة التداولية التي يبحث عنها الدرس التداولي في مقاصد المتكلم وقدرته على التأثير وإقناع المتلقي.

ومن الوعديات الجامعة بين متناقضات الوعد والوعيد في الأحاديث القدسية قوله ﷺ: ((إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت: بلى يا رب. قال: فهو لك))[1] وهذا الحديث فيه من معاني التداول الكثير، فهو حوار بين الخالق والمخلوق غير عاقل وهي (الرحم) ولكنها مخلوق مسخر لطاعة الله وخشيته، وقد هابها مقام القطيعة المتصل بها فاستعاذت منه واكتفت بالإشارة إليه لهوله بقوله (هذا مقام العائذ بك من القطيعة) وحذف باقي متممات الجملة ليكون للتهويل مساحة حرة تترك المتلقي يتصور ما قد يكون فيها، ثم يظهر الفعل الكلامي المتمثل بالاستفهام في قوله (أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟) وهو استفهام معناه الدلالي السياقي التقرير والتأكيد لأهمية صلة الرحم وعظم منزلتها

(١) صحيح البخاري: رقم ٥٩٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية: ص٢٣٢، رقم ١٥٦

عند الله تعالى، ومعناه التداولي الوعد والوعيد، والوعد والوعيد هنا مرتبط بمعان مستلزمة غير مباشر وردت بين مضامين الحديث القدسي، وهي الأمر بوصل الأرحام، والنهي عن قطيعتها.

وبهذا تتداخل أصناف الأفعال الكلامية في الأحاديث القدسية فتتداخل الوعديات بالتوجيهات، وتصاغ البوحيات بالإخباريات، وتأتي الإيقاعيات بصيغة التقرير والإخبار، وفيها هذا من تمازج التداوليات وإحكام لنسجها المصاغ بأسلوب الحوار والاستفهام والنداء والنفي وغيره من الأساليب كالسرد والوصف والخبر والإنشاء والطلب، وهو ما يؤسس لعلم تداولي متكامل في الأحاديث القدسية.

****

الفصل السادس

(استراتيجيات الخطاب في الأحاديث القدسية)

المبحث الأول: استراتيجيات الخطاب في الأحاديث القدسية

بعد تطبيق الدراسة التداولية على الأحاديث القدسية في الفصل السابق، تبين أنها تقوم على استراتيجيات متنوعة تيسر عملية التخاطب، وتحقق نجاح التواصل والتفاعل بين النص والمتلقي، فالسياق التداولي الذي ترد فيه الأحاديث القدسية من أهم الطرق الموصلة إلى فهم مقاصده والتي هي الوعظ والإرشاد، وهداية البشرية وتقوية صلتهم بالله عز وجل.

والحديث القدسي مزود بالمقومات الخطابية التواصلية، وما يميز أسلوب تواصله هو أن المتلقي يتفاعل فيه مع النص، لا مع مرسل الخطاب بشكل مباشر وذلك لخصوصية وقداسة مرسله فـ " مرسل الخطاب هو الله سبحانه وتعالى، وقد بث خطابه عن طريق الرسول ﷺ ... مما يعني أن هذه النصوص لا تسمح بقيام دائرة للتواصل يكون الله تعالى طرفا فيها، ومن هنا نكتفي بدائرة التواصل القائمة بين النص ومقاصده، والذي يعني في الأخير تحقيق عملية التفاعل بين النص القرآني والمتلقي بأنماطه وأشكاله المختلفة" (١).

ويشكل المتلقي بؤرة الخطاب في الأحاديث القدسية ومن أجله تعددت الاستراتيجيات الخطابية والوسائل والأدوات التواصلية، وتنوعت مستويات التلقي بما يتناسب وطبيعة المتلقين المتباينة في مستويات الفكر والطباع، وتنوع مقاماتهم وحالاتهم، فهو خطاب موجه للبشرية جمعاء، تُراعى فيه كيفيات التعبير عن المقاصد باختيار الاستراتيجيات الخطابية المناسبة لكل صنف بما يلائم طبيعته ومداخل نفسه وعقله.

إن الخطاب في الأحاديث القدسية يستجيب لمتطلبات النفس البشرية في قضايا العقيدة والسلوك، فيشبع حاجاتها النفسية ويوفر لها الأمن والاستقرار، وهدفه هو تقويم النفوس والارتقاء بها في مدارج القداسة، ولذلك جاء خطابه مشتملا على عناصر الإقناع والإمتاع، يخاطب العقل والوجدان، والروح والجسد، ويقوم على الحوار الهادف والجدل الهادئ لتبليغ

(١) المتلقي في الخطاب القرآني، حكيمة بوفرومة: ص٣٦٠ ـ ٣٦١ .

مبادئه ومقاصده المراعية للواقع البشري من حيث محدودية الإدراك المعرفي، فيوظف التقنيات والوسائل اللغوية وغير اللغوية لإيصال مقاصده وأهدافه ويستعمل الصيغ البشرية المشتركة والمفهومة من قبل كافة المخاطبين.

والخطاب في الأحاديث القدسية يراعي مستويات الخطاب وذلك من خلال أدوات الاتساق والانسجام في مستوياته التركيبية والمعجمية والدلالية، ومن خلال انتقاء الاستراتيجيات الخطابية المتنوعة الموظفة في نصوصه، فأحيانا يرد الأسلوب بصيغة صريحة محددة الأغراض والمقاصد، وأحيانا يرد بصورة تلميحية في المواقف التي تزدوج فيها المقاصد وتتعدد فيها الأغراض، ويُفضل فيها عدم التصريح المباشر بالقصد، وقد ترد بصورة إقناعية حجاجية فتوظف الوسائل اللغوية وغير اللغوية لتحقيق الإقناع النفسي والعقلي. وكل هذه الاستراتيجيات هدفها الأول هو تبليغ مقاصد الحديث القدسي للمتلقين، وتحقيق هدف الخطاب الدعوي.

ومصطلح (استراتيجية) يعود في أصل استعماله إلى المجال العسكري حين تعدّ سلسلة من الإجراءات والطرق والأساليب للوصول إلى أهداف عسكرية بعيدة المدى " وفي لسانيات الخطاب وتحليل الخطاب يفيد مصطلح (استراتيجية) مجموع عمليات المعالجة الموجهة إلى هدف والجارية عن وعي عند إنتاج الخطاب. وكل محاولة للوصول إلى أهداف من خلال الخطاب تعتمد استراتيجية تخاطبية، بما هي نتيجة سلسلة من عمليات اختيار واتخاذ القرار تجري بوعي في العادة "[1].

ويشكل السياق دورا مهما في اختيار الاستراتيجية الخطابية " فالسياق هو دليل المرسل في اختيار استراتيجيته الخطابية"[2] فتتعدد الاستراتيجيات بتعدد الظروف السياقية، وتتنوع بتنوع عناصر السياق المحيطة بالفعل، ومن هنا يمكن تحديد مفهوم استراتيجيات الخطاب بكونها " طرقا محددة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى

(١) الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، د. إدريس مقبول: ص٥٤١.
(٢) استراتيجيات الخطاب ـ مقاربة تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري: ص٤٤ .

بلوغ غايات معينة، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة والتحكم بها"[١] وبهذا تكون الاستراتيجية خطة للوصول للغرض والمقصد المنشود إبلاغه للمتلقين على اختلاف طبقاتهم وطباعهم.

ويمكن تحديد خصائص عامة للاستراتيجية التخاطبية، وهي أنها " عمل عقلي، مبني على افتراضات مسبقة، وتتجسد من خلال أدوات ووسائل تناسب سياق استعمالها"[٢]، وهنا يبرز دور الدرس التداولي في تحديد استراتيجيات الخطاب إذ إنه يهتم بدراسة الاتصال اللغوي في السياق.

ويعد السياق هو معيار تصنيف استراتيجيات الخطاب وعلى أساسه تصنف أنواع الاستراتيجيات ويشمل معايير متعددة، المعيار الأول هو المعيار الاجتماعي ويتعلق بالعلاقة بين طرفي التخاطب، ويتفرع عن هذا المعيار استراتيجيتان هما: الاستراتيجية التضامنية، والاستراتيجية التوجيهية. والمعيار الثاني هو معيار لغوي ويتعلق بشكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المرسل، وعن هذا المعيار تفرعت الاستراتيجية التلميحية. والمعيار الثالث هو معيار هدف الخطاب وعنه تفرعت الاستراتيجية الحجاجية[٣]. وقد تتعدد الاستراتيجيات في النص الواحد، لتحقيق هدف الخطاب ذلك أن أهداف الخطاب قد لا تتحقق عبر نص واحد يشير للهدف بشكل كلي مباشر، ولكن تتحقق عبر تحقيق أهداف فرعية متتالية ومتوالية.

وقد تعددت استراتيجيات الخطاب في نصوص الأحاديث القدسية، كالاستراتيجية التصريحية والتضامنية والتلميحية والإقناعية الحجاجية، ولكل منها مسوغات استعمالها ووسائلها اللغوية التي تتحقق بها مقاصد الخطاب وأهدافه، وهي كالتالي:

---

(١) استراتيجيات الخطاب ـ مقاربة تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري: ص١٢٣ .
(٢) المرجع السابق: ص٥٥.
(٣) ينظر: المرجع السابق: ص٨٧

أولا: الاستراتيجية التضامنية.

يتوقف اختيار الاستراتيجية في الخطاب على قصد المرسل وهدف الخطاب، واختيار مرسل النص للاستراتيجية التضامنية في خطابه يقوم على رغبته في التقرب من المرسل إليه وتقريبه، لعلاقة حسنة تربطه بالمخاطب أو لتأسيس علاقة تربطه به، بغية تفاعله مع الخطاب المرجو له وتأثره به.

وهي استراتيجية تهتم بالعامل الأخلاقي والتلطف في الحوار دون إغفال الاهتمام بالقصد وتبليغه للمتلقي، ومن مسوغات الاستراتيجية التضامنية " استعمالها في الحقول التعليمية، حيث يكون التأدب والتخلق في الخطاب مع الطالب وسيلة تيسر الفهم، وتزرع الحب، فتصبح طريقا للعلم، وسبيلا إلى المعرفة"(١) فهي استراتيجية تناسب تعديل السلوك وتعد نموذجا للتربية السليمة.

ومن الوسائل اللغوية لهذه الاستراتيجية استخدام اسم العلم، وذلك بنداء المخاطَب باسمه أو كنيته للدلالة على القرب منه والتضامن معه، بدلا من استعمال الإشاريات في الإحالة إليه كالضمير (هو) أو الموصول الاسمي (الذي). ومثاله قوله تعالى مخاطبا نبيه محمد ﷺ في حديث اختصام الملأ الأعلى: ((... يا محمد، قلت: لبيك ربِّ، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت في الكفارات ...)) (٢).

ويظهر الحب الإلهي في تكرار النداء بـ (يا محمد) في الأحاديث القدسية تشريفا وتكريما بذكر اسمه ﷺ، وتضامنا مع ما كلفه الله به من أمر التبليغ والهداية، كما أن المنادِي تحول إلى منادَى في جملة جواب النداء، فيه الكثير من التضامن والاحترام والتوقير والتعظيم في الرد والإجابة، كقوله ﷺ في حواره مع رب العالمين (لبيك ربِّ).

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب ـ مقاربة تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري: ص٢٦١
(٢) حديث صحيح أخرجه الترمذي: ٣٢٣٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٠، رقم ١٥٥

إن للغة أهمية كبيرة في تحقيق الخطاب التضامني، ولها آليات ووسائل عديدة لتحقق هذا الأسلوب، ومن هذه الأساليب (النداء) الذي يتداخل مع السؤال والجواب، إذ يُعدُّ من عوامل التضامن والتقرب بلغة الخطاب، وذلك كقوله ﷺ: ((إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده. أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين. قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي)) (١).

وتظهر وسائل التضامن في الحديث من خلال حوار العبد مع ربه بصيغة (يا رب) مع كل فعل تواصلي يساهم به في الحوار، وذلك بقصد التقرب إلى الله والتأدب والتلطف في الردّ، كما تظهر آلية أخرى في نص الحوار وهي الكناية في قوله (وأنت رب العالمين) بإظهار التعظيم لله تعالى وبيان ضعف العبد أمامه، وقد تكررت صيغة الحوار في سياقات الحديث بالصيغة نفسها وباختلاف في الفعل الكلامي فقط، في قوله (أعودك ـ أطعمك ـ أسقيك).

وتقنية التداول بالأسئلة المبطنة بمعنى الجواب من آليات التضامن، إذ تدل على لطف الله تعالى في تعليم عباده ومراعاته لجوانبهم النفسية والعقلية في صياغة أسئلة متكررة توجه إليهم لا بهدف الإجابة عليها وإنما بهدف بلورتها في إنجاز فعلي. وهو أسلوب في التوجيه بعيدٌ عن قوة السلطة العليا الملزمة بالفعل، يهدف إلى تقريب المخلوقين من خالقهم، والسيطرة على ذهنهم بغرض تعديل السلوك الفردي وتغيير الواقع المجتمعي من خلال الخطاب.

(١) صحيح مسلم: ٢٥٦٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٠، رقم ٤٤

إن السلطة في الخطاب من أهم العناصر التي تمنح القوة والإنجاز، ورغم أن السلطة في الأحاديث القدسية تكمن في مرسل النص، وقوته النافذة المطلقة الواجب الامتثال لها والطاعة، إلا أن الخطاب في الحديث القدسي لم يوظف سلطة القصر والإجبار على العباد مع أنه رب العالمين وواجبة طاعته، وإنما اختار سلطة الخطاب نفسه في تحديد استراتيجياته والتنويع بينها، ليترك المجال مفتوحا أمام المتلقي لاختيار طريقه في الحياة إما للهداية وإما للضلال.

إن التقارب الخطابي في الحديث السابق بين طرفي الخطاب فتح النص أمام تداولية مطلقة بصيغة السؤال، والأسئلة هنا تمتزج بالإجابة فيأتي السؤال إجابة كقوله (أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟) ولم يحدد الجواب نوع الوجود الذي يجده العائد للمريض إلا أنه جواب يترك فضاء واسعا أمام المتلقي ليتخيل قداسة اللقاء في ذلك المكان وعظيم المنال، فتذهب نفسه كل مذهب لتتصور ما تشاء من الأجر وحظوة العطاء، فيكون النص بذلك في وضع تواصلي يسمح بالتأويل وتوليد المعاني للديمومة في كل الأزمنة وللتجانس مع كل النفوس والطباع.

ومن التضامن في خطاب الأحاديث القدسية ما جاء في قوله ﷺ في حديث ستر الله على المؤمن في الدنيا والآخرة: ((إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول نعم أي ربِّ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هالك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين))[1].

وتظهر آليات الاستراتيجية التضامنية في هذا الحديث بداية بالألفاظ المعجمية في قوله (يدني .كنفه . يستره) التي تبين لطف الله بعباده المؤمنين حيث سترهم في الدنيا وغفر لهم في الآخرة، كما تظهر في الجواب المقرون بالنداء تأدبا وتوددا وتذللا في قوله (نعم أي ربِّ)، وكلمة (ربِّ) منادى مضاف إلى ضمير(ياء المتكلم) المحذوف.

(١) صحيح البخاري: ٢٤٤١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٤، رقم ٤٦

كما تظهر الاستراتيجية التضامنية في استخدام السؤال (أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا) وهو سؤال للتقرير لا للمحاسبة، وفائدة التقرير في هذا الموقف هو بيان فضل الله ولطفه بعباده وتوددِه ورحمته بهم "(وكذا) كلمة واحدة مركبة من كاف التشبيه وذا الإشارة، كني بها عن معين غير عدد، وهي مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، وتكرير الجملة للتعديد لا للتأكيد"(١).

وقد يكون المقصود بالذنوب المغفورة في هذا الحديث هي الذنوب التي لم يطلع عليها أحد في الدنيا بدليل قوله (سترتها عليك في الدنيا) ويمكن أن يكون المعنى عاما لكل الذنوب على أن يكون الستر كناية عن الغفران للمؤمنين، ويؤكد ذلك تقديم الفاعل/ المسند إليه (أنا) على فعله في قوله (وأنا أغفرها لك اليوم) والذي يفيد تقوية معنى التضامن الإلهي للعبد واختصاصه تعالى بالغفران والستر.

والاستراتيجية التضامنية تظهر في ملامح عديدة من الأحاديث القدسية، من أمثلتها إفساح المجال للظالم والمخطئ بالحوار وعرض وجهة رأيه تامة كاملة، وهو من فقه الحوار وآدابه التربوية التي تُجنى من دراسة أساليب الأحاديث القدسية، كقوله ﷺ في حوار الله تعالى مع إبليس: ((قال إبليس: يا ربِّ ليس أحد من خلقك إلا جعلت له رزقا ومعيشة فما رزقي؟ قال: ما لم يُذكر اسم الله عليه))(٢) ومثاله إفساح المجال للعباد العصاة للدفاع عن أنفسهم يوم القيامة، وتحقيق مطالبهم بأخذ شهادة جوارحهم، في قوله ﷺ: ((هل تدرون مم أضحك؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه يقول: يا ربِّ ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا. قال: فيُختم على فيهِ فيقال لأركانه انطقي. قال: فتنطق

(١) المنهل الحديث في شرح الحديث، موسى شاهين لاشين: جـ ٢، ص: ٢٩١
(٢) حديث إسناده صحيح أخرجه أبو نعيم، الحلية: ٨/ ١٢٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٩٠، رقم: ١٣٥

بأعماله. قال: ثم يُخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بُعدا لكنَّ وسحقا فعنكن كنتُ أناضل)) [1].

إنها التربية بالرحمة التي تتجلى في الأحاديث القدسية باستخدام الاستراتيجية التضامنية، ويشكل هذا النوع من التربية مفتاحا لتوجيه النفوس والتأثير فيها، لتعديل السلوك وتوجيه المعتقدات وتغيير المفاهيم، إن حوار إبليس لربه فيه طلب رحمة ممن هو مصدر الرحمة والعطاء، ولعل نداء إبليس لربه بصيغة (يا ربِّ) وسؤاله بتخصيص رزق له، يُظهر اعتراف إبليس بحاجته لرحمة الله تعالى ربه وخالقه. كما يُظهر الخطاب أدب الحوار مع الطرف المخالف أو المعادي، فيرسم الحديث نموذجا للتعامل التضامني من الله تعالى الذي يملك سلطة الوجود كله. وهذه صورة من صور القداسة الأخلاقية التي يجب أن تكون درسا عمليا ومنهجا سلوكيا في آداب الحديث والحوار.

والاستفهام التقريري في قول العبد (العاصي) لربه يوم القيامة ساعة الحساب (يا رب ألم تجرني من الظلم؟) وقوله بصيغة الإخبار بالخبر المؤكد بإنَّ والاستثناء (فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني) فيه دلالة على إفساح المجال أمام المتكلم للتحاور والتخاطب بشكل يعرض ويبين رأي الطرف الآخر. وتظهر في نص الحديث بنية الحوار المزدوج، بتدخُّل الراوي السارد للأحداث بواسطة الفعل (قال)، مما جعل الخطاب تفاعلا بين النص والمتلقي، فكانت الذات الإلهية في قداسة متعالية عن أن تكون طرفا مباشرا في الحوار.

وتأتي أداة الترجي (لعل) كأداة من أدوات التضامن الحواري للدلالة على التضامن والترجي والإشفاق باعتبار حال المخاطبين في الأحاديث القدسية، فترد في الأحاديث القدسية للدلالة على الاستفهام وهي عند الكوفيين حرف استفهام بمعنى (هل) [2]، من ذلك قوله تعالى لعبده آخر أهل النار خروجا منها، وهو لا يفتأ يطلب أن يدنيه ربه من مكان إلى ما أقرب منه في

(١) صحيح مسلم: ٢٩٦٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٥، رقم: ٨٠

(٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي: ص٥٨٠

الجنة: ((لعلي إن أعطيتكها تسألني غيرها؟ فيقول: لا يارب ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر عليه فيُدنيه منها ... فيدنيه منها فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يَصْرِيني[1] منكَ؟ أيرضيك أن أُعطيك الدنيا ومثلها ...))[2].

وتعدد الأصوات في هذا الخطاب التضامني بين العبد ورب العالمين، وصوت الراوي المتداخل مع باقي أصوات الحوار في قوله ﷺ: (وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر عليه ...) ويظهر التضام هنا بأساليبه اللفظية والمعنوية متجليا في أعلى مستوياته الإلهية .

والخطاب في الحديث القدسي يحمل درجات تضامنية متفاوتة، كمجيء الخطاب بصيغة (عبادي) في المواقف التربوية التي تحتاج إلى تعديل السلوك، وذلك للدلالة على التضامن والتقرب من المرسل إليه، كقوله ﷺ بعد صلاة الصبح في الحديبية: ((هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب))[3] .

فلفظ (عبادي) في الحديث يشمل المؤمن والكافر، وقد يكون معنى الكافر هنا غير المشرك، فيكون هو من كفر نعم الله وسترها بإسناد الخير إلى المسببات وليس إلى فاعلها، ومخاطبة المخطئ بلفظ (عبادي) المسند إلى ضمير المتكلم العائد على الله تعالى يدل على رحمة الله الواسعة بعباده ولطفه في تربيتهم وتقويم سلوكهم. فلم يخص الخطاب فئة محددة بالاسم أو العدد

---

(١) قوله عز وجل: (يا ابن آدم ما يصريني منك) بفتح الياء وإسكان الصاد المهملة ومعناه يقطع مسألتك مني . قال أهل اللغة: (الصري) بفتح الصاد وإسكان الراء هو القطع . ينظر: شرح النووي على مسلم، يحيى بن شرف النووي: جـ١، كتاب الإيمان، ص:٤١٢

(٢) صحيح مسلم: رقم ١٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٢

(٣) صحيح البخاري: ٨٤٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٦، رقم: ١٣

وإنما جعل الفعل (أصبح) مزدوج الدلالة، ليدل على دخول القوم في زمن الصباح الذي أعقب الليلة المطيرة بالحديبية، وليدل في الوقت نفسه على تحول حال من أسند نزول المطر لكواكب السماء من حال الإيمان إلى حال الكفر.

ثم فصّل الحديث الخطاب الموجز في قوله (مؤمن بي وكافر) بجمل توضيحية هي قوله (فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب) بهدف الإفهام، والإفهام بُعد تداولي ضروري لتفاعل القراء مع النصوص والتأثُّر بها.

فكان لفظ (عبادي) من وسائل الاستراتيجية التضامنية، جاء كمفتاح لفتح أبواب النص القدسي على مصراعيه من الرحمة واللطف في تربية العباد، ذلك أن في الاستراتيجية التضامنية لا يخاطب المرسل المرسل إليه بمنطق التوجيه المباشر أو التواصل العمودي، بل يحرص على الاقتراب منه بقصد التأثير فيه أكثر، ولهذا اختار الرسول ﷺ مدرجا مهيئا لنص الحديث هو تقنية السؤال، التي لها جاذبية في تحفيز النفوس وتشويقها لمعرفة الجواب في قوله (أتعرفون ماذا قال ربكم؟) فجاء الخطاب بصيغة الجمع للدلالة على عموم المخاطبين والمتلقين، ولإبراز الكفاءة التداولية لنصوص الأحاديث القدسية التي تسلب انتباه كل مستمع لنصها، وكأنها أنزلت له ولمسمعه ولتتجانس مع حاله ومقامه.

وتدخل التحية بالسلام والترحيب ضمن آليات الاستراتيجية التضامنية، ومثالها قوله ﷺ: ((خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعدُ حتى الآن)) [1].

(١) صحيح البخاري: ٦٢٢٧، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٠١، رقم ١٤١

ومن الترحيب في الأحاديث القدسية ما جاء من ترحيب الملائكة الخازنة لأبواب السماء، وترحيب سيدنا آدم بالنبي ﷺ يوم المعراج، في قوله ﷺ: ((... وأُتيتُ بدابةٍ أبيضَ[1] دون البغلِ وفوقَ الحمارِ: البراقُ، فانطلقتُ مع جبريلَ حتى أتينا السماء الدنيا قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيلَ: من معك؟ قال: محمد قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولَنِعمَ المجيءُ جاء، فأتيتُ على آدم فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من ابنٍ ونبيٍّ ...)) [2].

فتحية الملائكة خزنة السماء تدل على التضامن واحترام الرسول ﷺ، فقولهم عند الإيذان بالمرور من أبواب السماء (مرحبا به ولنعم المجيء جاء) مؤشر لغوي على التضامن في الخطاب من خلال توظيف الأفعال اللغوية (مرحبا ـ ونِعم) فهذه الألفاظ المعجمية تعبر عن التضامن بين المرسل والمرسل إليه، وتعد من آليات الاستراتيجية التضامنية. كما أن أداة المدح (نِعم) فعل إنشائي و" أسلوب المدح من المقدمات الخطابية التي تقرب المرسل من المرسل إليه"[3].

والمدح هنا لذات النبي ﷺ وفيه تخصيص وإبراز لأمر الإعراج وشرف اختصاصه به، وقد جاء فعل المدح مؤكدا باللام لتأكيد وتقوية معناه، وزيادة أواصر التضامن الخطابي في نصه.

هذا وحادثة الإسراء والمعراج جاءت بعد عام الحزن، واشتداد أذى الكفار برسول الله ﷺ الذي بلغ منه مبلغا لم يسبق له مثيل، وفي هذه الظروف العصيبة أكرمه الله بهذه الحادثة كتضامن ومواساة له، فإن فاتته حماية العم ومؤانسة الزوجة، فإنه مشمول بحماية الله تعالى ورعايته له وتضامن الملأ الأعلى معه ومؤانستهم له، و لإن أحاط به تكذيب أهل الأرض فإنه

(١) دابة، مؤنث داب، ويقع على المذكر والمؤنث، والتاء فيه للوحدة ـ الإفراد ـ لا للتأنيث.
(٢) صحيح البخاري: ٣٢٠٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٢، رقم ١٠٤
(٣) استراتيجيات الخطاب، عبدالهادي بن ظافر الشهري: ص٣٠٧

مصدّق من أهل السماء، مكرم فيهم غاية التكريم، وتُعتبر هذه الحادثة من أرقى مستويات التضامن.

كما أن ترحيب سيدنا آدم بالنبي محمد ﷺ بقوله (مرحبا بك من ابن ونبي) يجمع بين الألفاظ المعجمية الدالة على التضامن، بالترحيب في قوله (مرحبا بك) وبألفاظ القرابة الدالة على العلاقات الاجتماعية التي تربطهم في قوله (ابن ونبي) والتي تدخل ضمن نطاق الألقاب وتدل على القرب والتضامن بين المتخاطبين "وتعد ألفاظ القرابة من العلامات على العلاقات الحقيقية بين الناس، وبالتالي فهي فرع من الألقاب. وهذه الألقاب هي: ابن، أخ، أخت، أب، عم، جد، جدة. ويستعملها المرسل عندما يكون لديه خيار باستعمال غيرها، ولكنه يفضلها للدلالة على التضامن ... وقد أصبح استعمالها دليلا على التضامن تداوليا "(١).

وجاء التضامن بلفظ (ابن الخالة) احتراما وتوددا، في رواية مسلم لحديث المعراج، في قوله ﷺ: ((... ثم عَرَج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما فرحبا ودعوا لي بخير ...))(٢).

ومن التضامن ترحيب الأنبياء بالرسول ﷺ حين عُرج به إلى السموات، فكانت تحيتهم: ((مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، فقلت من هذا قال: إدريس ثم مررت بموسى فقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا قال هذا موسى ثم مررت بعيسى

(١) استراتيجيات الخطاب، عبدالهادي بن ظافر الشهري: ص٢٧٨
(٢) صحيح مسلم: ١٦٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٩، رقم ١٠٩

فقال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، قلت: من هذا قال: هذا عيسى ثم مررت بإبراهيم فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت: من هذا قال هذا إبراهيم)) [1].

ولفظ (مرحبا) فيه إيجاز بالحذف، وعند تقدير المحذوف يكون على وجهين يحتملان التردد بين الخبر والإنشاء، فمرحبا يكون اسم مكان على تقدير أنه مفعول به لفعل ماض محذوف، وهو ما أشار إليه ابن منظور بقوله: " وقولهم في تحية الوارد: أهلا ومرحبا أي: صادفت أهلا ومرحبا ... وقولهم: مرحبا وأهلا أي: أتيت سعة وأتيت أهلا"[2] فيكون (مرحبا) مفعولا به لفعل ماض محذوف تقديره (أتيتَ ـ أو وجدتَ مكانا رحبا) وعلى هذا التقدير يكون أسلوبا خبريا لإخبار الضيف بأن نزوله على أهل المكان مبعث للبهجة والمسرة. ونقل ابن منظور عن ابن الأعرابي قوله: " أنه من المصادر التي تقع في الدعاء للرجل"[3] وعليه يكون (مرحبا) مصدرا ميميا وأسلوبا إنشائيا للدعاء، وقد يكون أسلوبا طلبيا على تقدير فعل الأمر، وهذا ما نقله ابن منظور عن الليث في قوله " قول العرب: مرحبا، انزل في الرحب والسعة وأقم فلك عندنا ذلك"[4] على تقدير الإباحة المفهمة للمسرة بنزوله [5].

ولعل أبلغ التخريجات هو الأول على تقدير الفعل الماضي لأنه عندئذ خبر مراد به الأمر إذ يوحي بمبالغة الإكرام وكأن نزول الرسول ﷺ ومروره بهم تحقق وتمكن في نفوسهم مبالغة في الإكرام والتهلل بزيارته، أما التقدير بالدعاء فبعيد، لاقتران كلمة (الترحيب) بالدعاء في قوله ﷺ: (فرحبا ودَعَوَا لي بخير).

وفي قوله تعالى لآدم ((اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة

---

(١) صحيح البخاري: ٣٤٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٦١، رقم١١٠
(٢) لسان العرب: جـ٢، ص١١٩ ـ مادة رحب
(٣) المرجع السابق
(٤) لسان العرب: جـ٢، ص١١٩ ـ مادة رحب
(٥) ينظر: الحوار في الحديث النبوي الشريف، علوة عابد الحساني: ص٢٩٨

الله))[1] تظهر التحية المشرع الالتزام بها في الإسلام لآدم وذريته من بعده وهي (السلام عليكم) كفعل إنشائي قصد به الدعاء، مصاغ في قالب خبري وتظهر درجات التضامن والتواد في معناه المعجمي بمعنى الأمن لكم، وله أثر الأمان والاستقرار النفسي وتوطيد العلاقة بين منتج الخطاب (المرسل) ومن يرغب في التواصل معهم.

ويَظهر في الحديث التناسب الطردي بين كم التحية اللغوي والعلاقة بين طرفي الخطاب وحميميتها، فرد التحية واجب، والزيادة فيها له الأفضلية والأجر، وقد زاد الملائكة في رد التحية على آدم بقولهم (السلام عليك ورحمة الله) فزادوه جملة (ورحمة الله) كزيادة خير ودعاء، وهذا من آليات التضامن والتواد وتوطيد العلاقة. ويمكن أن يزيد المسلم فيها بإضافة البركة للسلام وهو من المشروع والمحمود في رد التحية، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [2].

وبهذا يظهر أثر التضامن والتواد في نصوص الأحاديث القدسية التي كان التلطف والتربية بالرحمة من أهم ركائزها ومقاصدها، فكشفت عن بُعد تربوي إلهي أساسه التودد واللين في الحوار والتوجيه والتربية، يهدف إلى بناء الفرد وإصلاح المجتمع وإعمار الأرض بالهدي الإلهي والخلق القدسي العظيم.

ثانيا: الاستراتيجية التوجيهية

والاستراتيجية التوجيهية هي الطريقة التي ينتهجها المرسل في سياق تقديم التوجيهات والنصائح والأوامر والنواهي، وتهدف إلى التأثير في توجهات وسلوك المخاطب بما فيه صلاحه وخيره "ولا يُعد التوجيه هنا فعلا لغويا فحسب، لكنه يُعد وظيفة من وظائف اللغة التي تُعنى

(١) صحيح البخاري، رقم٦٢٢٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، ص٢٠١، رقم ١٤١
(٢) سورة النساء:٨٦

بالعلاقة الشخصية، إذ إن اللغة تعمل على أنها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجهات المرسل إليه وسلوكه"[١].

ويستخدم المرسل في الاستراتيجية التوجيهية قوة السلطة، ولو بشكل بسيط يختلف ويتراوح في درجات قوته بهدف تبليغ المقاصد وتحقيق أهداف الخطاب " إن الخطاب ذا الاستراتيجية التوجيهية يعد ضغطا وتدخلا، ولو بدرجات متفاوتة على المرسل إليه، وتوجيهه لفعل مستقبلي معين"[٢] فيحمل سياق الخطاب سلطة التوجيه المباشر باستعمال الأمر والنهي، وذلك لإسباغ صبغة السلطة الدينية على الخطاب وإضفاء المشروعية على نصوصه، ولتفعيل مضامينه.

وتتفاوت درجات قوة أفعال التوجيه حسب المقاصد والسياقات التي ترد الخطابات فيها، والمعرفة المسبقة بالمرسل إليه تجعل مرسل الخطاب يوظف الآليات والوسائل اللغوية المناسبة والمتعددة للتوجيه والتأثير في أنواع المخاطبين " وهذا ما يُعطي الخطاب صبغته العامة، ويمنحه صفة الديمومة، ومناسبته لكل وقت، بما يمنح المرسل إنتاج الخطاب والإبقاء عليه في مكان بارز ليتجدد بمجرد ما يتلفظ به المرسل إليه عند إعادة قراءته، ولهذا فإن السمة الغالبة فيه هي أن يكون خطابا مكتوبا، أو خطابا مسجلا في شريط صوتي مثل الخطابات التي تبث في طائرات الركاب، أو القطارات، أو عند زيارة الأماكن العامة مثلا" [٣].

وهذا ما أكسب الأحاديث القدسية بقاء وتداولا ومناسبة لكل زمان ومكان، وانسجاما مع كل المخاطبين والمواقف، فمرسل الخطاب هو خالقهم وله علم ومعرفة مسبقة بخصائصهم ومداخلهم، وهو أعلم بهم من أنفسهم، فكان خطابه ملما بكل خصائص الذات الإنسانية وبكل معايير ووسائل التواصل والتفاعل مع الخطابات المتنوعة بتنوع السياقات والنفوس المرسل الخطاب إليها.

---

(١) الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، إدريس مقبول: ص٥٤٩
(٢) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ص٢٧٨
(٣) المرجع السابق: ص٣٢٣ ـ ٣٢٤

إن الوظيفة الإيعازية لنصوص الأحاديث القدسية تندرج ضمن الاستراتيجية التوجيهية للخطاب، وصاحب المنفعة في الخطاب التوجيهي هو المرسل إليه/المتلقي وحده، بهدف إصلاح الفرد والمجتمع وإعمار الأرض " فتوفر السلطة لدى المرسل شرط أساس عند استعمال معظم آليات استراتيجية التوجيه ... وتتسم هذه الاستراتيجية بالوضوح في التعبير عن قصد المرسل، فوضوح القصد سبب في عدم حيرة المرسل إليه، مما يضمن تحقيق هدف المرسل بنوعيه الكلي والنفعي في العالم الخارجي "(١).

فجاء التوجيه بشكل صريح لا يلتبس فيه أكثر من قصد، ولا يستلزم التأويل للفهم والوقوف على قصده، والتوجيه فيه يتحقق بإنجاز أفعال لغوية صريحة، تندرج ضمن نظرية الأفعال الكلامية التي تستدعي قوة الفعل، فيستخدم المرسل أسلوب الأمر والنهي والاستفهام الملزم بالإجابة المغلقة والتحذير والإغراء، وكلها أفعال توجيهية مختصة بالإنجاز العملي في المستقبل، وردت في الأحاديث القدسية بشكل مباشر وغير مباشر، وقد سبق التطرق إليها بالتفصيل في الفصل الخامس من البحث.

والاستراتيجية التوجيهية تستخدم طرقا متعددة ومختلفة للتوجيه" كالندب والتأديب والإرشاد وغيرها، وهي معان متقاربة وتمتاز بأن الندب توجيه إلى ما يُرجى منه ثواب الآخرة، والتأديب توجيه إلى ما يهذب الأخلاق ويصلح العادات، والإرشاد توجيه إلى ما فيه مصلحة دنيوية"(٢).

ومن أمثلة الأحاديث القدسية التي وردت فيها استراتيجية التوجيه بفعل الأمر المباشر قوله ﷺ: ((قال الله: أنفق يا ابن آدم أُنفق عليك))(٣) وقد ينجز المرسل الأمر من خلال استعمال الصيغ الصرفية مثل استعمال الفعل المبني للمجهول، كقوله ﷺ: ((إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استُشهد فأُتي به فعرّفه نِعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال:

---

(١) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ص٣٢٥ ـ ٣٢٧
(٢) المرجع السابق: ص٣٤٣
(٣) صحيح البخاري: ١٢٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٧٣، رقم ١٢٠

قاتلتُ فيك حتى استُشهدتُ. قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يُقال جريءٌ فقد قيل ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقِيَ في النار...))[1] فقوله (يُقضى ـ فأُتِيّ به ـ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقِيَ في النار) كلها أفعال إنجازية صادرة عن الله تعالى، لتوجيه الملائكة في الكيفية التي يعاقب بها المرائي يوم الحساب، وقد جاءت بصيغة البناء للمجهول للتركيز على فعل الحساب العسير وفعل العقاب والتحذير من ويل المرائين.

ومثال التوجيه الصريح بالنهي ـ وهو قليل ـ في الأحاديث القدسية قوله ﷺ في كيفية حساب الملائكة للحسنات والسيئات ورحمة الله عز وجل بالعباد في ذلك: ((يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة)) [2].

وفي قوله تعالى: ((لا ينبغي لعبد لي أن يقول أنا خير من يونس بن متّى عليه السلام))[3] يُظهر النهي الحرص الشديد على تقييد المرسل إليه بالتوجيه، فلا يحتمل تأويلا غير معناه الحرفي، والنهي يُستعمل لتوجيه الشاهد والغائب ويستخدم في الخطابات العامة ليشمل التوجيه كل مستمع للخطاب.

ومن التوجيه المباشر استعمال الاستفهام، وخصوصا الاستفهام بصيغة الأسئلة المغلقة الملزمة بالإجابة المحددة، فهي" توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثم، فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل" [4].

(١) صحيح مسلم: ١٩٠٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٨، رقم ٧
(٢) صحيح البخاري: ٧٥٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٧، رقم ١
(٣) صحيح مسلم: ٢٣٧٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٢٠٣، رقم ١٤٢
(٤) استراتيجيات الخطاب، عبدالهادي بن ظافر الشهري: ص٣٥٢

ومثال الأسئلة المغلقة في الأحاديث القدسية قوله ﷺ: ((يُؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة فيقول: اصبغوه صبغة في الجنة فيصبغونه فيها صبغة، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم هل رأيتَ بؤسا قط أو شيئا تكرهه؟ فيقول: لا وعزتك ما رأيت شيئا أكرهه قط، ثم يُؤتى بأنعم الناس كان في الدنيا من أهل النار فيقول: اصبغوه فيها صبغة فيقول: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط قرة عين قط فيقول: لا وعزتك ما رأيت خيرا قط ولا قرة عين قط)) (١).

ومنه قوله ﷺ في حساب المنافقين: ((... يلقى العبد فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني ...)) (٢) فقوله تعالى (أفظننت أنك ملاقيّ؟) سؤال مغلق يضع المتلقي في زاوية جواب واحد مغلق لا ثاني له، وهو بهذا يسوق خطاب التلقي وفق الوجهة التي يريدها المرسل، لإحداث التأثير والتفاعل والإقناع.

ومن آليات التوجيه المباشر ذكر العواقب، ويرد في الأحاديث القدسية بربط إنجاز الفعل بالوعد أو الوعيد، كقوله ﷺ في الوعيد للمقنطين من رحمة الله: ((إن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرتُ لفلان وأحبطت عملك)) (٣).

ومن أساليب التوجيه التي تتضح فيها العواقب أسلوب الشرط بفعليه، فعل الشرط وجواب الشرط، كقوله ﷺ: ((إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبُّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا

---

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٣/ ٢٥٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٢٢، رقم ٧٧

(٢) صحيح مسلم: ٢٩٦٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٢٤، رقم ٧٩

(٣) صحيح مسلم: رقم ٢٦٢١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٦، رقم ٢١

أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه))[1] فأسلوب الشرط في جملة (من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب) يجمع في بنيته العميقة بين أسلوبي الأمر والنهي معا، فينتج عنه خطابان يكمل الواحد منهما الآخر، وعليه يمكن تأويل الخطاب على أنه خطاب نهي، أي (لا تعادي أولياء الله) أو تأويله على أنه خطاب أمر أي (أحسن التعامل مع أولياء الله).

وهذا الحديث يتكون من توجيه مركب، فيجتمع فيه الأمر والنهي، والترغيب والتحذير بقصد تكامل المقاصد وشمولية التوجيه، وهو من أساليب التوجيه في الأحاديث القدسية، يجمع بين التحذير والوعيد من معاداة أولياء الله، وبين الإغراء والوعد بالخير الكثير والمحبة والمعية الإلهية للعبد المتقرب إلى ربه بالنوافل وبما افترضه عليه. يقول عبد الهادي الشهري في هذا النوع المزدوج التوجيه: "وقد يجمع المرسل بين أكثر من أسلوب في سياق واحد للتوجيه، فقد يكونان أسلوبين متضادين في الخطاب الواحد، مثل استعمال أسلوب النهي وأسلوب الأمر المضاد له شكلا، ولكنهما ليسا كذلك، إذ يعضد أحدهما الآخر ويفسره ويحدده" [2].

ثالثا: الاستراتيجية التلميحية.

إن الاستراتيجية التلميحية هي طريقة في الخطاب يختارها المرسل، لينقل قصده عبر طرق دلالية غير مباشرة، ويحتاج فيها المتلقي إلى إعمال آليات الاستدلال للوصول إلى مقصد المرسل من خلال المعنى المضمر الذي يدل عليه السياق العام للنص.

فاستراتيجيات المرسل في إنتاج خطابه تتحدد بنوعين اثنين من حيث الشكل الدلالي" فهي إما استراتيجية مباشرة يتضح فيها القصد مباشرة دون عمليات ذهنية للاستدلال عليه. وإما

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٥٠٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٩، رقم ٥١
(٢) استراتيجيات الخطاب: ص٣٦٣

استراتيجية غير مباشرة، تحتاج من المرسل إلى عمل ذهني يتجاوز فيه الشكل اللغوي للوصول إلى القصد" (١).

والاستراتيجية غير المباشرة تسمى الاستراتيجية التلميحية ويكون فيها التعبير عن القصد متجاوزا القوة الإنجازية الحرفية للوصول إلى القوة الإنجازية المستلزمة والكامنة في باطن النص للتعبير عن مقاصده وفق ما يستلزمه السياق ومقامات الخطاب.

وفيها تصبح بنية الخطاب الظاهرة معبرا للوصول إلى الفعل الإنجازي غير المباشر الذي يقصده المتكلم، والذي لا يتم التوصل إليه إلا بقيام المتلقي بعمليات الاستدلال والتأويل. ومن دواعي استخدام هذه الاستراتيجية في الخطاب " الاستغناء عن إنتاج عدد من الخطابات والاكتفاء بإنتاج خطاب واحد ليؤدي معنيين هما المعنى الحرفي والمعنى المستلزم في الآن نفسه"(٢).

وقد درس علماء العربية القدماء الاستراتيجية التلميحية تحت مسميات متعددة تختلف باختلاف الدارسين واهتمامات بحثهم، فعلماء النحو درسوها تحت باب الحذف والتوكيد، وعلماء البلاغة درسوها في باب المجاز والتشبيه والكناية ومخالفة الأصل في التركيب بالتقديم والتأخير.

ويُعدُّ الجرجاني من أبرز علماء العربية الذين أشاروا إلى هذه الاستراتيجية بلمحات يعرج عليها ويلفت نظر القارئ إليها بين الحين والآخر تحت معنى الحقيقة والمجاز، فعقد فصلا (في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره) وقصد به الكناية والمجاز، وقرر في نظريته (النظم) أن ما خالف الأصل يستلزم غير ظاهره ويكون لغرض وقصد .

(١) استراتيجيات الخطاب، عبدالهادي بن ظافر الشهري: ص٣٦٩
(٢) المرجع السابق: ص٣٧٣

ومن دواعي استعمال هذه الاستراتيجية في الخطاب القدسي، رغبة المرسل في تنويع أساليب الخطاب، لبث الحركة والتفاعل والديمومة في النص، بالاكتفاء بالتلميح وإشعال الوميض بين حين وآخر كأسلوب من أساليب التشويق، بدلا من الإفصاح المباشر عن المعنى.

وقد أدرك الباحثون فضل التلميح قديما في فهم مقاصد الخطاب وتعدد مستوياته، فالفخر الرازي ألمح إلى هذه الاستراتيجية بشكل غير مباشر في حديثه عن دواعي استعمال المجاز، فقال:" فإن القدر المعلوم يشوقها [النفس] إلى تحصيل العلم بما ليس معلوم، فيحصل لها بسبب علمها بالقدر الذي علمته لذة، وبسبب حرمانها من الباقي ألم، فتحصل هناك لذات، وآلام متعاقبة، واللذة إذا حصلت عقيب الألم. كانت أقوى، وشعور النفس بها أتم " (١).

فالتأدب في الخطاب والتلطف في الكلام من دواعي استخدام هذه الاستراتيجية التلميحية، ومثاله في الأحاديث القدسية قوله ﷺ: ((إن الله يُدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي ربِّ حتى إذا قرّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيُعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين))(٢). وتظهر في الحديث كلمة (كذا) كأحد الآليات اللغوية في الاستراتيجية التلميحية " إذ يستعملها المرسل للكناية عن المقادير والأعمال، سواء أكان المعدود قليلا أم كثيرا " (٣) و(كذا) أداة مبهمة تلمح إلى قصد المرسل ورغبته في عدم ذكر الشيء المقصود، وعدم الإفصاح هنا يتناسب وسياق مقام الحديث وهو ستر الله على عبده المؤمن وصفحه عنه في يوم الحشر ساعة الحساب أمام الخلائق.

---

(١) المحصول في علم أصول الفقه، الفخر الرازي: جـ١ ، ص١٥٢
(٢) صحيح البخاري: ٢٤٤١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٧٤، رقم ٤٦
(٣) استراتيجيات الخطاب، عبدالهادي بن ظافر الشهري: ص٣٨٥

ومن الأدوات اللغوية التي تدل على التلميح أداة الحصر (إنما) واستعمال" إنما في مقام التعريض وسيلة مؤدبة ومؤثرة معا، فضلا عن إيجازها. أما أنها مؤدبة فلأنها تصل إلى الغرض من غير أن تذكر الطرف المقابل، ومؤثرة من ناحية أنك توحي بأن ترك التصريح بما يخالف ما أثبته هو من الوضوح بمكان" (١).

ومن أمثلتها في الأحاديث القدسية قوله ﷺ في حديث تحريم الظلم: ((... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَطُ إذا أُدخلَ البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه)) (٢).

ومن أدوات التلميح في الحديث كذلك، استعمال (لو) الشرطية الامتناعية التي تفيد التلميح في قوله: ((يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا)) وهي تدل على امتناع الجواب امتناعا حتميا، ذلك أن التعليق أو الربط بين الشرط والجواب يعبر عن القصد بالكفاءة اللغوية والتداولية، وقد يلمح المرسل إلى قصده باستعمال التشبيه وذلك للتلميح إلى مقصده بشكل غير مباشر كقوله (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَطُ إذا أُدخلَ البحر).

(١) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ص٣٨٧
(٢) صحيح مسلم: ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤١، رقم١٦٠

والتعريض من آليات الاستراتيجية التلميحية " وهي آلية لا يرتبط فيها اللفظ والقصد برابط لغوي، وإنما يعتمد [المرسل] في بيان قصده على إسهام عناصر السياق، التي وظفها المرسل إليه لفهم قصد المرسل "[1] والتعريض من أساليب العرب في التلميح عن مقاصدها وهو من سمات الكفاءة التداولية.

ومثاله قوله ﷺ في حديث فضل مجالس الذكر: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ... قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة. قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة فيهم فلانٌ ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يَشقى جليسهم))[2].

فالتعريض يدل عليه معنى الاستفهام في قوله تعالى للملائكة (وهل رأوها؟) يعنى النار، وتجيبه الملائكة بـ (لا). وهنا يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معنى آخر هو التعريض، وذلك لعدم علم الملائكة بالغيب " وفائدة السؤال مع العلم بالمسئول التعريض بالملائكة، وبقولهم في آدم ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] وفي قوله (هل رأوني، وهل رأوا جنتي، وهل رأوا ناري) تقريع للملائكة وتنبيه على أن تسبيح بني آدم وتقديسهم أعلى وأشرف من تقديسهم، لحصول هذا في عالم الغيب مع وجود الموانع والصوارف "[4].

---

(١) استراتيجيات الخطاب، عبدالهادي ظافر الشهري: ص٣٨٧
(٢) صحيح البخاري: رقم ٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩، رقم ٣٤
(٣) سورة البقرة: ٣٠
(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الحسين بن محمد الطيبي: ٥/ ١٧٢٩

كما ظهر التعريض في قول أحد الملائكة في فلان (إنما جاء لحاجة) بأداة التلميح (إنما) التي جاء الكلام بعدها للتعريض بصيغة (فلانٍ) الذي جاء نكرة للتقليل من شأنه وذم تصرفه وركونه إلى الدنيا، فهو لم يأتِ مجلس الذكر بنية خالصة لله تعالى، وإنما اقتضت عليه حاجات الدنيا ومطالبها المجيء، ليلتمس من أحدهم حاجة يُتِمُّ بها مطالبه المتعلقة بمتاع الحياة.

ومن أساليب التلميح (دلالة الإشارة) وهو أن " يعبر المرسل عن قصده مباشرة، ومع هذا، إلا أن خطابه يشير إلى معنى آخر، أو يستلزمه"(١) وهو أسلوب وارد في الأحاديث القدسية كما في حديث قصة النبي الذي أحرق قرية النمل، وقد سبق التطرق إليه في الفصل الخامس باستخراج المعاني التلميحية والمقاصد المستلزمة من الخطاب كالنهي عن التعذيب بالنار، والنهي عن قتل النمل وظلم الجماعة بذنب الفرد... الخ.

ومثال التوجيه بالتلميح قوله ﷺ: ((يقول الله عز وجل: يُؤذيني ابن آدم يَسبُّ الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلِّبُ الليل والنهار))(٢) وقد أورد البخاري هذا الحديث في باب الأدب، وأورده الترمذي في باب التوحيد مما يدل على أن سب الدهر ينافي كمال التوحيد، فالله هو المتصرف والفاعل الأول لكل ما في الكون، ويكون السَّب بتنقص الشيء أو بنسبة الشرِّ إليه ونحو ذلك من أنواع الإيذاء القولي، وقد جرت عادة العرب على سبِّ الدهر إذا حدث بهم ما يسوؤهم، وحقيقة الأمر أن الدهر أمر معنوي كاليوم والأسبوع والشهر والسنين، لا يملك شيئا وليس أمرا مستقلا وإنما هو وعاء وظرف يُحدث الله فيه فعل الأشياء وتدبير الأمور.

وفي هذا تلميح بوحدانية الله تعالى وتفرده بتصريف الأمور والحديث يلمح إلى عدة قضايا كالتحذير من الشرك، فالاعتقاد بأن الدهر فاعل هو من باب الإشراك وضعف الإيمان بالقضاء والقدر. وفيه دعوة إلى التفكير العملي بعدم إسناد نواقص العمل الإنساني إلى الظروف

---

(١) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي ظافر الشهري: ص٤٤٢
(٢) صحيح البخاري: رقم ٤٨٢٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٢٣٦، رقم ١٥٨

الخارجية، بل على الإنسان العمل والسعي لمجاهدة صروف الحياة. وبهذا كان للفعل الإنجازي وتأثيره غير المباشر في خطاب الأحاديث القدسية أثر كبير في تعديل أنظمة المعرفة وعادات السلوك والطباع " فيتخلص قلب الإنسان من كل الشوائب، ليتعلق بالذات الواحدة المتفردة بحقيقة الوجود وحقيقة الفاعلية، ومن ثم يتحرر من كل القيود والأوهام"(١).

وقارئ الحديث القدسي يحتاج إلى إنعام النظر في ألفاظه والتأمل في معانيه ومراميه الدلالية، لأنه يجد نفسه محتاجة لفهم النص ومن ثم فهم ذاتها أمام هذا النص المشتمل على مستويات متراتبة ومتفاوتة من مستويات الخطاب بحسب اختلاف المقاصد. كما أنه يستخدم أساليب فيها خرق لقوانين النظام اللغوي مما يجعل المقاصد تتفاوت بشكل غير متناهٍ لتعلقها بالسياق والمقام.

وعليه فالاستراتيجية التلميحية تعتمد على القارئ القادر على استبصار مدلولاتها، وهو ما يطلق عليه بالقارئ النموذجي أو ما يُسمى بالقارئ المؤول ـ وقد سبقت الإشارة إلى أنواع القراء وطبقاتهم في الفصل الأول من هذا البحث ـ وهذا النوع من القراء يعتمد على علمه بموارد العلم الشرعي واللغوي، ويعتمد على قوة إيمانه وعمق تأمله وتدبره في معاني الذكر مع ما حباه الله إياه من صفاء الفطرة وسلامة النظر، واستعداد للفهم والإدراك.

والحديث القدسي نسجت ألفاظه وفق بنية دلالية متداخلة، تحمل مستويات متعالية على بعضها، وتتسم بالحركة والانتقال وفق قوانين السياق والبنية اللغوية الواردة فيه، لتصل بالفهم واليقين إلى درجات متفاوتة وتتطابق مع السياقات المتعددة وفق الاستراتيجية المناسبة لمخاطبة كل صنف من المخاطبين " إن المتكلم يحتاج أن يأتي من المقصود ما يكفي لتبليغ مراده للمتلقي، فهو يستعمل القول بحيث يجعل له قصدا مخصوصا، ثم يقصد أن يفهم المستمع هذا القصد المخصوص، وأن يفهم منه القصد الثاني، وقد يمضي إلى قصد فوقه، إلى ما فوق، وهكذا حتى يحصل عنده اليقين بنهوض المستمع بالفهم المطلوب، فيكون معنى القول ثمرة لقصود لغوية

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب: جـ٦، ص: ٤٠٠٢ ـ ٤٠٠٣

متداعية يدعو كل واحد منها إلى مثله حتى تأنس نفس المتكلم ببلوغ مراده، إذ يكون القصد الأعلى أدل على الصيغة القصدية للمعنى من القصد الذي تحته" [1].

وقد ينجر المرسل أفعالا لغوية غير مباشرة باستعمال أفعال لغوية أخرى مباشرة كفعل الأمر في قوله تعالى للمرائين يوم القيامة ((اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء))[2] فتنتقل دلالة التركيب في الجملة الطلبية (اذهبوا ـ فانظروا) من مستوى إلى آخر، لأن صيغة الأمر تحولت من معناها الوضعي إلى معنًى دلالي يستلزمه السياق والدلالة التلميحية، فيكون معنى الأمر هو الإخبار بعجز من كانوا يراءونهم في الدنيا والتيئيس منهم، ويتأكد هذا المعنى بالاستفهام في قوله (هل تجدون عندهم جزاء) وهو استفهام إنكاري مصحوب بمعنى التعجب بمقتضى سياق الكلام" فأصل الاستفهام الخبر، والتعجب ضرب من الخبر، فكأن التعجب لما طرأ على الاستفهام إنما أعاده إلى أصله من الخبرية"[3] وفي هذا إخبار عن مذهب المرائين الفاسد وتحذير للمخاطبين من الوقوع في إثمه.

ومما سبق تبينت قدرة الخطاب في الأحاديث القدسية على استيعاب المعاني المتعددة وتنويع طرق إيصالها للمخاطبين. فانتهاء نص الحديث بهذا الاستفهام المفتوح، يفسح مجالا لمشاركة المتلقين بالتفاعل النصي والتواصل الخطابي، لتحقيق الفهم و" ليصبح الفهم هو عملية بناء المعنى وإنتاجه، وليس الكشف عنه أو الانتهاء إليه "[4]، وبفعل الفهم تشارك الذات المتلقية في بناء النص وإعادة تلقيه بوجوه لانهائية للمعنى الدلالي.

(١) المتلقي في الخطاب القرآني، حكيمة بوفرومة: ص٢٠٨ ـ ٢٠٩
(٢) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد: ٤٢٨/٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣، رقم١٠
(٣) المتلقي في الخطاب القرآني، حكيمة بوفرومة: ص١٧٥
(٤) المرجع السابق: ص٢٢٤

رابعا: الاستراتيجية الإقناعية

الاستراتيجية الإقناعية، هي طريقة يتبعها مرسل النص لإحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمرسل إليه، والإقناع لغة هو الرضى، وأصل مادته (قنع) فتقول: قنع بنفسه قنعا وقناعة: أي الرضى، وتقول: أقنعني: أي أرضاني(١). واصطلاحا هو عملية يؤثر بها الخطاب في مواقف الإنسان وسلوكه دون إكراه ببعث الرضى في النفوس(٢).

وفي هذه الاستراتيجية يكون الإقناع هدفا للخطاب واستراتيجية له في الوقت نفسه، ليكون تأثيرها في المتلقي أقوى ونتاجها في نفسه أثبت، وديمومتها في التأثير أبقى، فقيادة الإنسان تكون من خلال فتح باب حرية الاختيار أمام قناعاته، وإثارة عواطفه ووجدانه، ولذلك تعتمد الأحاديث القدسية تقنيتي الترغيب والترهيب كآلية من آليات الإقناع تؤديان إلى النتيجة المرغوبة وتحقيق المقاصد.

وتمثل المناظرة في التراث العربي القديم أهم أنواع الخطاب الذي يُقصد منه الإقناع، وتبرز فيه الكفاءة اللغوية والقدرة على توظيفها تبعا لمتطلبات السياق من أجل بلوغ هدف الإقناع، والحجاج أهم آليات الإقناع، لأن هدف الحجاج الأول هو تحقيق الإقناع من خلال سلطة الكلام وقوة الكلمات (٣).

ومثال الاستراتيجية الإقناعية في الأحاديث القدسية، قوله ﷺ: ((كان رجل ممن كان قبلكم يسئ الظن بعمله فقال لأهله إذا أنا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم عاصف ففعلوا فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال ما حملني عليه إلا مخافتك فغَفر له)) (٤).

---

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ص٦٨١
(٢) ينظر: أساليب الإقناع في القرآن الكريم، بن عيسى باطاهر: ص٢١
(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري:ص٤٥١ ـ ٤٥٣
(٤) صحيح البخاري: رقم ٦٤٨٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص: ٤٢، رقم:٢٥

فالحديث القدسي يستعمل تقنيتي الترغيب والترهيب معا في الخطاب (بالخوف والرجاء)، والخوف من الله هو خوف فريد من نوعه، لأن الخوف منه فرار إليه واحتماء به، والخوف منه من ثمار التوحيد والعبودية الحقة، كما أن الحديث يثير غريزة الرجاء والأمل بالوعد بالمغفرة، لدفع اليأس والتقنيط من المصير الآخروي، والاستدلال بقصص السابقين ومآل حالهم مما يقوي الإقناع والحجاج.

ومن أمثلتها في الأحاديث القدسية كذلك، ما جاء في مجادلة أحد أحبار اليهود للرسول ﷺ حول صدق نبوته: ((... وقال: جئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: ينفعك إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني. قال: جئت أسألك عن الولد قال: ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيُّ الرجل منيّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن الله. قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي ثم انصرف فذهب فقال رسول الله ﷺ: لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به)) (١) فكان موضوع الحوار يدور حول أمور لا يعلمها أحد إلا من اطلع على كتب اليهود، ولكن الرسول ﷺ أفحمه بالجواب وحاجه بحقيقته، فصار الإقناع والحوار طريقا للإيمان لا بالإكراه والإجبار.

إن الإقناع في الرسالة المحمدية خاتمة الرسالات يمتد عبر الزمان، إذ يعتمد على التجريد اللغوي في الإقناع وإقامة الحجة بعيدا على الظواهر المادية المعجزة، فيعتمد على توظيف أعلى مستويات الإقناع بالتدبر العقلي، والإقناع بالإمتاع البياني في الخطاب. فهو خطاب إقناع وإمتاع في الوقت نفسه، يراعي توازن النفس البشرية التي تقوم على موازين العقل والعاطفة، ليكون تأثيره في المخاطبين أقوى، بتوظيف قوة الأفعال العملية لتغيير المفاهيم والمعتقدات، وتوجيه السلوكيات.

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٣١٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص: ١٩٧ ـ ١٩٨، رقم:١٣٩

ومن أمثلة الإقناع في الأحاديث القدسية قصة موسى مع الخضر، والتي ذُكرت في الحديث القدسي بصيغة مقاربة لما وردت عليه في القرآن الكريم من سورة الكهف، فجاءت بشكل موجز متسارع الأحداث، يزدوج فيه الإقناع والإمتاع، وجاء فيها ذكر لبعض التفاصيل التي تجاوز القرآن الكريم عن ذكرها، يقول ﷺ: ((أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسُئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يَرُدَّ العلمَ إليهِ فقال له: بلى لي عبدٌ بمجمع البحرين هوَ أعلم منك، قال: أي رب ومن لي به؟ قال: تأخذُ حوتا فتجعله في مِكتَلٍ حيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ. وأخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فرقد موسى واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا ...))[1].

والمرسل في الأحاديث القدسية يفضل استعمال الاستراتيجية الإقناعية رغم كونه ذا سلطة تمكنه من استعمال بعض الاستراتيجيات الأخرى، ذلك أن تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى، ونتاجها أثبت وديمومتها أبقى، فهي تنبع من الاقتناع دون فرض أو قوة غير قوة العقل ورضى النفس، فتناسب كل وقت وتناسب كل المخاطبين في جميع الأصعدة البشرية [2].

ومن آليات الإقناع التي كثُر استعمالها في الأحاديث القدسية، عرض أحداث الآخرة وكأنها تحدث أمام القارئ ماثلة متجسدة أمام عينه، ناطقة أمام سمعه، متحركة المشاهد بالأحداث والأشخاص، لتكون حجة داحضة فيها من الإقناع والإمتاع، وفيها من التَّكرم الإلهي والرحمة بالعباد الكثير.

فالله يعرض أمام عباده مشاهد غيبية ما كان لهم أن يروها إلا يوم القيامة وفي وقت الحساب، لتكون عليهم حجة ودليلا قاطعا على وحدانيته وتفرده بعلم الغيب والشهادة، وفي

(١) صحيح البخاري: رقم ٣٤٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص: ٢٠٦، رقم:١٤٣
(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري: ص٤٤٥ ـ ٤٤٦

هذا لطف بالعباد إذ لن يفاجئوا بشيء سيرونه بعد الموت وفي البرزخ ويوم القيامة، فكل الأمور أصبحت مكشوفة لهم، معروضة أمام أعينهم كحجة ماثلة ما دامت الحياة إلى وقت الحساب، ذلك ليعدوا لهذا اليوم ما استطاعوا من أنواع العبادات والتقربات.

ومن أمثلة الإقناع بذكر الغيبيات، عرض ما يدور في عرصات الحساب من قبول أعمال ودحض أخرى بحسب النوايا وخلوص الأعمال، يقول ﷺ: ((إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استُشهد فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدتُ قال: كذبتَ ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقيَ في النار، ورجل تعلم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلّمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه ثم أُلقي في النار)) (١).

والحديث يكشف نموذج النفس المرائية، وهو موجه للعباد يعرض أمامهم نماذج النفوس المرائية في أرقى حالاتها (المجاهد والعالم وقارئ القرآن والمتصدق) ويكشف بواطنهم لتتضح أبعاد هذه الشخصيات أمام الناس، فلا يغتر بظاهر أعمالهم أحد، ولا يُزكى على الله منهم أحد، لأنه هو العالم بالسر وأخفى. وهنا تقوم الحجة بالتحليل النفسي الدقيق المتدرج للكشف عن النوايا وأصنافها، وكشف حقيقة هذه الشخصيات المرائية، وفضحها أمام الخلائق في الدنيا قبل الآخرة في خطاب قدسي مخترق للأزمنة والأمكنة والنفوس.

(١) صحيح مسلم: رقم ١٩٠٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٨، رقم ٧

وقد استعملت في الحديث آليات لغوية متنوعة للإقناع كأداة الربط (لكن) وهي من أدوات الربط الحجاجية، وهي حرف استدراك تتوسط كلامين متغايرين في المعنى والحكم، فتستدرك أفعال المرائين وظواهرهم الحسنة بالنفي، والنفي هنا مسلط على أعمالهم وقبولها، كما كان للفعل الكلامي الإخباري (كذبت) دور في تقرير معنى النفي وتوكيده في قوله (كذبت ولكنك تعلّمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل).

وكان للرابط الحجاجي (لأنْ) دور في تنظيم الحجاج، وتنسيق الخطاب الحجاجي وتنظيم العلاقات بين الحجج والنتائج، وصولا إلى الإقناع بالربط بين الجهاد والعلم وقراءة القرآن والتصدق، وبين النار وبئس المصير، فجعلت للنتيجة سببا معقولا يبررها في قوله تعالى لمن استشهد (كذبتَ ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء فقد قيل) و (لأن) من أدوات الربط التعليلي أيضا، ومن الألفاظ التي تُستعمل لتبرير حدوث الفعل، كما تستعمل لتبرير عدمه، وجاءت هنا مخففة للدلالة على الاستخفاف بعمل المرائين وذهابه هباء منثورا لإشراكهم فيه غير الله، رغبة في الحصول على استحسان البشر والفوز بثنائهم ورضاهم.

والحديث يشتمل على حجة إشهارية محذرة من حال المرائين يوم القيامة الذين حبط عملهم وهم في الدرك الأسفل من النار، ليعتبر كل مراء ويقتنع بسوء الرياء الموصل إلى مراتب الشرك. وكان للأفعال الكلامية (يُقضى . استُشهد . قاتلت . كذبت . يُقال . جريء . قيل . فسُحب . أُلقي . تعلم . قرأت القرآن . كذبتَ . ليقال عالم . فسحب . ألقي . وسع الله عليه . ينفق . يقال جواد . فسُحب على وجهه . ثم ألقي في النار) دور في تفعيل الموقف ونقل الأحداث كاملة متسلسلة في مشهد غيبي حي يُنقل بكل تفاصيله وملابساته، لتقوم به الحجة ويثبت به الإقناع.

والحديث يطفو على بنية حجاجية متشابكة مع غيرها من عناصر الاتساق والانسجام النصي، تبدأ بمقدمة تمهيدية تهيئ للحجاج ثم تُطرح فيها الحجة وصولا للنتيجة، والمقدمة الحجاجية هي (رجل استُشهد فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها) وبعد إقرار العبد بنعم الله عليه واطمئنانه لفضله واعترافه بعظيم كرمه عليه، يبدأ الحجاج الهادئ المتسلسل المتداخل بالحوار في

قوله (فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدتُ قال: كذبتَ ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء فقد قيل).

وكان للروابط الحجاجية أيضا دور في تشابك الأفكار وتراتبها وصولا إلى الإقناع، فجاءت (حتى) للغاية، و(الواو) للربط بين الأفعال الكلامية، و(الفاء) للتعقيب وتسريع عجلة توالي الأحداث بغرض تكثيف المشهد وإيجازه. وكان لفعل القول (قال) دور في الربط بين جمل الحديث ووصل حواره، وكما كان له دور دلالي في إبراز المفارقة في نفس المرائي وابتغائه مرضاة العباد بدلا من مرضاة الله، وهو الخالق والرب المعطي والمستحق لخلوص العبادات وخاصة في أمر (الجهاد والعلم، وقراءة القرآن، وإخراج الصدقات).

ويصل الحجاج إلى نهايته بالوقوف على النتيجة المتمثلة في قوله (ثم أُمر به فسُحب على وجهه ثم أُلقي في النار) وهي نتيجة حتمية لحال المرائين على اختلاف أنواعهم، إذ تكررت العبارة نفسها في ختام حجاج كل صنف من الأصناف السابقة كنتيجة حتمية مخزية لا خيار لهم في غيرها.

ومن أمثلة الاستراتيجية الإقناعية ما جاء في حديث الاحتضار وخروج روح المؤمن والكافر وما يحدث في البرزخ من غيبيات عرضها الحديث القدسي بشكل حوار مسرحي مشاهد أمام المتلقين، يقول ﷺ: ((استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا، ثم قال: إن العبد إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان... وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مدّ البصر ثم يجيء

ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول ...)) [1].

وقد ورد في الفصل الرابع تفصيل هذا الحديث القدسي وبيان معانيه ودلالاته، وفيه يبدأ الحجاج بالتمهيد وتهيئة النفوس وشحذ العقول استعدادا لما سيُتلى عليهم من خطاب في قوله ﷺ في بداية الحديث (استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا) والحديث يقيم الحجة على القارئ بعرض موقف الاحتضار بكل تفاصيله وحيثياته ومؤثراته اللغوية والحسية، ليكون شاهدا في الأرض وحجة عليه في السماء.

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٤/ ٢٨٧ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١١، رقم ٧٣

المبحث الثاني: الحجاج في الأحاديث القدسية

الحجاج من أهم آليات الاستراتيجية الإقناعية، والحجاج لغة من " الحجة: البرهان، وقيل: الحجة ما دفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل محاجج أي جدل. والتحاج: التخاصم، وجمع الحجة: حجج وحجاج. وحاجّه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة...قال الأزهري: إنما سُميت حجة لأنها تحج أي تقصد لأن القصد لها وإليها...والحجة: الدليل والبرهان" (١).

واصطلاحا الحجاج هو نشاط قولي إقناعي واستدلالي، وهو مجال غني من مجالات التداولية " ومن الناحية التداولية، يكون الحجاج جهدا إقناعيا، وهو بعد جوهري في اللغة، لأن كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه بانطوائه على استراتيجية يتم اعتمادها لتحقيق غرضه. فمن الناحية التداولية، يخضع الخطاب الحجاجي لشروط القول والتلقي، إذ يُراعي القصدية والتأثير، مما يؤدي إلى تبادل الأفعال بين ذوات الخطاب" (٢).

ومجال الحجاج هو الحوار الذي يظهر الانسجام الخطابي، وفي الحجاج تتعدد الأساليب الموظفة للإقناع، كالعناصر النحوية والمعجمية والبلاغية، وكحروف الشرط والتوكيد وأدوات الربط وعلاقات التفسير والاستدراك والاستنتاج والسبب والنتيجة، والتدرج في المناقشة والاستدلال والأساليب الإنشائية والخبرية والتشبيه والمجاز.

ويُدرج الحجاج كعلم ونظرية في المباحث اللغوية لدراسة النصوص، وهو من نتائج التحول التي اكتنفت الدرس البلاغي الحديث ويركز على جانبين أساسيين هما: البيان والحجاج. وهو يرى أن الحجاج موجود في ذاتية اللغة فيكون للغة دور أساسي في الحجاج، وتكون الحجج والنتائج هي عناصر دلالية لغوية، تهدف إلى إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل النص. وترى نظرية الحجاج أن كل النصوص والخطابات التي تنجز بواسطة اللغة الطبيعية حجاجية، لكن

(١) لسان العرب، ابن منظور: جـ٤، مادة: حجج
(٢) المتلقي في الخطاب القرآني، حكيمة بوفرومة: ص ٣٠٤

مظاهر الحجاج وطبيعته ودرجاته تختلف فيما بينها، فحين يكون التواصل يكون الحجاج وحين ينقطع ينعدم الحجاج [1].

إن الحجاج ظاهرة لغوية موجودة في كل خطاب " والخطاب عبارة عن متوالية من الأقوال والجمل، أو بتعبير حجاجي مجموعة من الحجج والنتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلائق، فالحجة تستدعي الحجة المؤيدة أو المضادة، والدليل يُفضي إلى النتيجة، والنتيجة تفضي إلى دليل آخر، وكل قول يرتبط بالقول الذي يسبقه ويوجه القول الذي يتلوه، وبعبارة أخرى، فإن الأقوال والجمل تقوم بينها علاقات منطقية ودلالية مثل علاقات الشرط والسببية والاستلزام والتعارض (وبتعبيرنا نحن علائق حجاجية استدلالية) ومجموع هذه العلائق هو ما يكون البنية المنطقية للنص أو الخطاب المقصود، وهو ما نسميه عامة بمنطق الخطاب" [2]، ولتحقيق الإقناع يجب التقاط المناسبة بين الحجة وسياق الخطاب الإقناعي الواردة فيه، واختيار القوالب اللغوية المناسبة لمخاطبة العقل، وإغلاق منافذ الحجاج عليه في هدوء ورصانة.

ويمكن تقسيم تقنيات الحجاج إلى ثلاثة أنواع، النوع الأول: الأدوات اللغوية مثل، ألفاظ التعليل بما فيها الوصل السببي والتركيب الشرطي، وكذلك الأفعال اللغوية. والنوع الثاني: هو الآليات البلاغية مثل تقسيم الكل إلى أجزائه، والتمثيل والاستعارة، والنوع الثالث: هو الآليات شبه المنطقية كالروابط الحجاجية مثل (حتى، لكن، أدوات التوكيد، أدوات الربط والوصل) ويندرج ضمن هذا النوع (السُّلم الحجاجي)، والذي سيأتي التمثيل له بالتطبيق على الأحاديث القدسية.

والخطاب القدسي يوظف آليات لغوية متنوعة في صياغة حجاجية، لأنه خطاب مرسل لأزمنة مفتوحة ولمخاطبين درجات حضورهم مختلفة، وقدراتهم العقلية وملكاتهم الوجدانية متفاوتة، ودرجات تصديقهم متباينة، فمنهم من يصدق بالبرهان كالراسخين في العلم، ومنهم

---

(١) ينظر: الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي: ص١١- ١٣
(٢) المرجع السابق: ص١٨ - ١٩

من يصدق بالأقوال الخطابية وهم غالبية الجمهور المسلم المتلقي للحديث القدسي، ومنهم من يصدق الأقاويل الجدلية كأهل الديانات الأخرى.

وقد وردت المحاجات في الأحاديث القدسية في مقامات ومواقف مختلفة منها محاجة إبراهيم عليه السلام لأبيه، يقول ﷺ: ((يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تُخزيني يوم يُبعثون فأيُّ خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ مُلْتَطخ [1] فيؤخذ بقوامه فيلقى في النار)) [2].

ووردت في الأحاديث القدسية مجادلة المؤمنين لربهم يوم القيامة في إخوانهم المسلمين، يقول ﷺ: ((ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أُدخلوا النار، قال: يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار، قال: فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم قال: فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه فيخرجونهم فيقولون: ربنا قد أَخرجنا من أمرتنا، قال: ويقول: أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان ثم قال: من كان في قلبه وزن نصف دينار حتى يقول: من كان في قلبه وزن ذرة)). قال أبو سعيد [الراوي للحديث] فمن لم يُصدق فليقرأ هذه الآية (إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء....) إلى (عظيما) [3].

---

(١) الذِّيخ: بكسر الذال ثم خاء معجمة ذكر الضباع، وقيل لا يقال له ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر، وقوله (متلطخ) قال بعض الشراح أي في طين أو دم. والحكمة في مسخه لتنفر نفس إبراهيم منه ولئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على إبراهيم. وقيل الحكمة من مسخه ضبعا أن الضبع من أحمق الحيوان، وآزر كان من أحمق البشر، لأنه بعد أن ظهر له من ولده من الآيات البينات أصر على الكفر حتى مات. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: جـ٥، كتاب تفسير القرآن، سورة الشعراء، ص٤٤٣

(٢) صحيح البخاري: ٣٣٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤، رقم ١١

(٣) حديث صحيح أخرجه النسائي: ٨/ ١١٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣١، رقم٦١

ومن الحجاج ما رواه النبي ﷺ في محاجة الجنة والنار، يقول ﷺ: ((تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقَطُهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار إنما أنت عذابٌ أعذبُ بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويُزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله عز وجل يُنشئ لها خلقا)) (١).

ومن محاجة الله تعالى للملائكة، قول ﷺ: ((هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تُسدُّ بهم الثغور، ويُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله عز وجل: لمن يشاء من ملائكته ائتوهم فحيوهم فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخِيرتُك من خلقِك أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئا وتُسد بهم الثغور ويُتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)) (٢).

والحجاج في الأحاديث القدسية يراعي التدرج المنطقي في الحوار ومثاله قوله ﷺ: ((قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرّةً أو ليخلقوا حبَّة أو شعيرة))(٣) وهذا التدرج يُعرف في الدرس التداولي (بالسلم الحجاجي)، الذي يتدرج فيه الحجاج وصولا إلى الإقناع ويُعرفه الدكتور طه عبدالرحمن "بأنه عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال،

---

(١) صحيح البخاري: ٤٨٥٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٩-١٢٩، رقم ٧٦

(٢) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد: ٢/ ١٦٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٦٥، رقم ١٧١

(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٥٥٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤٥، رقم ١٦٢

مزودة بعلاقة ترتيبية، يتوفر فيها شرطان أساسيان، الأول أن كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه. والثاني هو أن كل قول كان في السُلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه" (١).

وفي الحديث السابق تحريم للتصوير لعدة محاذير أهمها أنه طريق إلى الشرك، فالشرك يكون بعبادة الأوثان والتماثيل التي تصنع من الطيب أو الطين أو من العجين أو التمر، أو بالتصاوير وتماثيل الصالحين التي صورها الناس ثم مع الأيام عبدوها، ومن ذلك ما حدث مع قوم نوح وقوم إبراهيم، فكان التصوير عندهم منشأ للوثنية ومدخلا لها، ففي صنعها مضاهاة لخلق الله تعالى، وهو وحده المتفرد بأمر الخلق ومن أسمائه تعالى الخالق والبارئ، والمصورون بعملهم قد نازعوه في أسمائه وصفات ربوبيته، فكانوا أشد الناس ظلما لأنفسهم، لتعديهم على حدود الله جل وعلا.

فجاء الحجاج في هذا الحديث المقتضب لفظه والعامر معناه، ليقيم الحجة على كل مصور فينبّهه بالفرق بين الحق والباطل، ومن ثم يدعه يختار أي الفريق أحق بسلوكه، والخطاب في هذا الحديث انتهج سلما حجاجيا للتحدي عند استدلاله على عجز الإنسان عن الخلق وضعفه، وهذا السلم الحجاجي الذي اتبعه الخطاب يدل على كفاءة المرسل التداولية، كما يدل من جهة أخرى على قدرته تعالى على التفرد بالخلق، فجاءت الحجج مترتبة من الأعلى إلى الأدنى، من خلق الإنسان إلى (الذرة) وهي أصغر جزيء فيما فيه روح إلى ما هو أدنى بخلق الجماد (الحبة) المنبتة للثمار، والتي تختزن جزءا من طاقة الحياة فيها حين تنشق الأرض عنها للإنبات، فتنتج محاصيل وسلالات من بذرة النواة، فتخرج مخلوقة بقدرته إلى الحياة، إلى أقلها في ما يكون قد ظهر واستوى (كحبة الشعير) .

وهذا التدرج ينحو منحى الاستدلال على قدرة الله على الخلق وتفرده بالتصوير والإنشاء، وذلك بربط أمر الخلق بفلق الحب والإنبات المشاهد للعيان أمام كل مخلوق، لتكون الحجة من

(١) ينظر: اللسان والميزان، ص:٢٧٧

صلب الواقع الملموس فيحدث الإقناع، وتتداخل العلاقات السياقية والتركيبية مع الغرض العام والبؤرة التي تدور حولها نصوص الأحاديث القدسية كلها، وهي طلب المغفرة عن كل ذنب يغترفه الإنسان والإنابة إلى الله تعالى بالتوبة.

وقد وردت في الحديث بعض الروابط الحجاجية ك (أو) التي ربطت الحجج ببعضها، ورتبتها في السلم الحجاجي، كما كان للاستفهام الإنكاري في قوله (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي) دور في جذب انتباه المتلقين نحو مقاصد الخطاب وتهيئتهم للاقتناع. وهو يتضمن تقريعا وتحذيرا ووعيدا، والغرض منه تنبيه السامع وجعله يعود إلى نفسه، ليعي الجواب عن هذا الاستفهام الإنكاري، يقول عبد القاهر الجرجاني في غرض الاستفهام الدال على الإنكار: " أنه لينتبه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب " (١).

وبنية الحجاج في الحديث تبدأ بالأطروحة المهيِّئة للدخول في الحجاج، والمتمثلة في قوله ﷺ: (قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي) وإسناد فعل القول لله تعالى في مدخل نص الحديث له ثقل معنوي يهيئ الأسماع للأمر المراد التنبيه إليه، كما أن الاستفهام الذي أعقب فعل القول له دور أيضا في جلب انتباه المتلقين ولفت أنظارهم لأهمية الأمر المبلّغ، وهذا الاستفهام تزدوج فيه دلالات المعاني فيدل على الإنكار والتعجب والتوبيخ، ويحيل في الوقت نفسه على الأسلوب الخبري بالإخبار عن تحريم التصوير والتمثيل للأرواح.

ثم تأتي الحجج المتدرجة في السلم المنطقي بتسلسل وتراتب وصولا للتعجيز في قوله تعالى: (فليخلقوا ذرّةً أو ليخلقوا حبَّة أو شعيرة) وفي هذا الحجاج المتدرج تصعيد في التحدي وزيادة في التعجيز. والرابط الحجاجي (أو) له دور في إخفاء النتيجة وإبقاء الحجة قائمة متجددة بانفتاح النص وديمومته ومناسبته لكل مستويات المخاطبين.

---

(١) دلائل الإعجاز، الجرجاني: ص ٩٤

ونتيجة الحجاج لم تُذكر في النص، ليقوم المتلقي الضمني بملء فراغها وترتيبها في ذهنه، فتأخذ النفس كل مأخذ بالتأويل لتصل إلى الإقرار بوحدانية الله تعالى وتفرده بالخلق والإيجاد ونفخ الروح في الأجساد. فيقف العبد خاشعا أمام الخالق المبدئ والمعيد، ويتفكر في خلقه ويزداد إيمانه إيمانا ويبتعد عن كل فعل فيه ريبة وإثم كفعل التصوير والنحت والتمثيل، وهنا تتحقق العبودية الحقة، بصحة التوحيد " فالقصد ليس معطى واضحا وكاملا إنما يشتبك مع غيره من العناصر اشتباكا دلاليا، وإن هذه العناصر بمجموعها واختلافها تشكل بنية القصد"(١).

ومن الحجاج الوارد في أمور الآخرة عرض مشهد محاجة المنافقين والكافرين عند الحساب، يقول ﷺ: ((هل تُضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا لا قال: فو الذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. قال: فيَلقى العبدَ فيقول: أي فلْ (٢) ألم أكرمْك وأسودْك وأُزوجك وأسخرْ لك الخيل والإبل وأذرْك ترأسُ وتربعُ فيقول: بلى قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أي فلْ ألم أكرمْك وأسودْك وأُزوجك وأسخرْ لك الخيل والإبل وأذرْك ترأسُ وتربعُ فيقول: بلى أي رب فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمتُ وتصدقتُ ويُثني بخير ما استطاع فيقول ههنا إذا. قال: ثم يُقال له: الآن نبعثُ شاهدنا عليك ويتفكرُ في نفسه من ذا الذي يَشهدُ عليَّ فيُختم على فيهِ ويُقال لفخِذِه وعظامه: انطقي فتنطق

(١) المتلقي في الخطاب القرآني، حكيمة بوفرومة: ص٢٤٥
(٢) (فل) بضم الفاء وإسكان اللام، بمعنى يا فلان، وهو ترخيم على خلاف القياس. وقيل: هي لغة بمعنى فلان حكاها القاضي. ينظر: شرح النووي على مسلم . الحديث رقم: ٢٩٦٨

فخِذه ولحْمُهُ وعظامه بعمله وذلك ليُعْذِرَ من نفسِه، وذلك المنافقُ وذلك الذي يَسْخَطُ الله عليه)) (١).

وفي شهادة الأعضاء حجة مدعمة لحجة سجلات الملائكة الكتبة، فالمنافق يدافع عن نفسه حينها بكل ما يستطيع، حتى أنه ليكذب ما سجلته الملائكة في سجلاته ويتبرأ منها لما يرى من سوء عمله، وأنه إن أقرّ هلك فلا يزال ينافح عن نفسه حتى تشهد عليه أعضاؤه وحينئذ لا تبقى له حجة عند نفسه، ويتعذر عليه النجاة من العقاب فتقوم عليه الحجة ويقع عليه العقاب.

والحجاج في الأحاديث القدسية يُقحم الخصم في طريق مغلق، فيسد عليه أبواب الحجاج فلا يستطيع أن ينفذ بمراوغة أو تكذيب، وموقف الحساب هنا هو حساب للعبد المقتدر الذي أسبغ الله عليه عظيم النعم بدليل الألفاظ المعجمية (ترأس وتربع) التي جاءت بمعنى الرئاسة وسيادة القوم، والربع هو مقدار ما كان الأسياد يأخذونه في الجاهلية من الغنيمة وهو مبلغ ربعها. وقد يكون الخطاب شاملا لجميع العباد، فكلهم أسبغ الله عليه نعمه، وكل عبد سيد أهل بيته وزوجه وأبنائه، وبهذا التأويل يكون (الربع) بمعنى التنعم بخيرات الأرض وسعة العيش والتربع فيها، وهذه النعم امتن الله بها على عباده فما رعوها حق رعايتها، فجاء أسلوب الامتنان مقيما للحجة الواقعة عليهم.

وبنية الحجاج في النص تبدأ بالمقدمة أو ما يسمى بالأطروحة التي تُقَدِّمُ للحجاج، والمتمثلة في قوله ((هل تُضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا لا قال: فو الذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما)) وهو مطلع متكرر نصه في أكثر من حديث قدسي، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الثالث من البحث، فتكرار مطلع

(١) صحيح مسلم: ٢٩٦٨، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٤ ـ ١٢٥، رقم ٧٩

(رؤية الله تعالى يوم القيامة) في صدارة أكثر من حديث قدسي ليس لأهمية الأمر فحسب، بل لترسيخه في النفوس وتثبيته في العقول، لحملها على الاقتناع واليقين به.

وهذه المقدمة ترتكز على سؤال يشكل في أصل معناه حجاجا أسلوبيا في قوله (هل تضارون) وهو استفهام إنكاري يحمل دلالة النفي، و(تضارّون) وردت بالتشديد، وأصله (تضاررون) بمعنى هل يضر بعضكم بعضا بمزاحمة أو مضايقة أو مخالفة في الرؤية لخفاء القمر أو الشمس، وقد يحمل الاستفهام معنى التقرير فيعود إلى أصل الإخبار بالفعل الكلامي، فيكون معنى السؤال تقريرا بعدم المضارة في الرؤية للشمس وللقمر.

ومقدمة الحديث ترد على شكل رد على سؤال موجه من متلق غير محدد، وهذا السؤال ورد في صيغته المتكاملة في حديث رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وهو الحديث الذي رواه أبو هريرة أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ ((هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله، قال فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال إنكم ترونه كذلك ...))[1] وقد جاء قول أبي هريرة (إن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة) ضمن أساليب الاستراتيجية التضامنية، لموافقة السائلين على قول السائل في مضمون سؤاله" فلم يعين السائل ولعله أبو سعيد، وإسناد القول إلى الجماعة مع أن السائل واحد بتنزيل رضاهم عنه وحرصهم عليه منزلة النطق به "[2].

وكان لهذه المقدمة دور كبير في تثبيت الحقائق في النفوس، للتأثير والإقناع والدعوة بالحجاج.

ولعل الفارق اللغوي بين المقدمتين هو نوع التوكيد الوارد في كلٍ منهما، فقوله ﷺ في الحديث الأول ورد بصيغة القسم (فو الذي نفسي بيده) وفي الحديث الثاني ورد مؤكدا (بإنّ) في

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٠٠٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٤: رقم ٨٨
(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين: جـ١، ص: ٥٩٢

قوله (إنكم ترونه كذلك) لدحض الشبهات ودعم الحجة القولية ومراعاة أحوال المخاطبين ومقاماتهم، والتوكيد من مقويات الحجاج، ومن عناصر التداولية في الخطاب.

وقد ورد الحجاج بأسلوب الحوار المتكرر الصيغ، وذلك لتفعيل الخطاب في قوله (فيَلقى العبدَ فيقول: أي فلْ ألم أكرمْك وأسودْك وأُزوجك وأسخرْ لك الخيل والإبل وأذرْك ترأسُ وتربعُ فيقول: بلى قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أي فلْ ألم أكرمْك وأسودْك وأُزوجك وأسخرْ لك الخيل والإبل وأذرْك ترأسُ وتربعُ فيقول: بلى أي رب فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك ...) والسؤال عن النعيم هو سؤال عن شكر العبد لنعم ربه، فإذا شكر فقد أدى حق النعمة، وإن أبى وكفر فقد نسي حق الله عليه، لاغتراره وانشغاله بالنعم وغفلته عما تبعها من العذاب والخسران، والاستفهام في قوله (ألم أكرمك وأسودك وأزوجك ...) جاء بغرض إقرار العبد بنعم الله عليه واعترافه بذنبه، وكفره بأنعمه، واقتناعه بمصيره ومآل حاله.

والسؤال هنا هو سؤال تقريري غرضه التوبيخ والتقريع وهو نوع من أنواع العذاب النفسي المهين، ذلك أن السياق يدل على أن العبد المخاطب من أسياد القوم وخاصتهم بدليل الأفعال الكلامية في (أسودك) و (ترأس) و (تربع) والسيادة والرئاسة والحصول على الربع من أموال الغنائم لا يكون إلا لعلية القوم وأشرافها، وهذا الصنف من المخاطبين يناسبهم العقاب النفسي، ويُناسبهم الوعيد الروحي أكثر كالإهانة والحرمان من الفضل وإمساك المنن الإلهية وقطعها عنهم، أكثر من العقاب المادي والجسدي بذكر النار، فجاء حسابهم بسؤال التقريع والتوبيخ، ليخزيهم بذنوبهم ويفضحهم على رؤوس الخلائق.

وكان للرابط الحجاجي (إذا) المنونة، معنى الاستنتاج المنطقي، ودلالة على الفصل والقطع في أمر الرجل الثالث، وهي تحمل معنى الجواب لما أثبت على نفسه والجزاء على كذبه على الله، كما أن أدوات الربط (ثم) و(الواو) كان لها دور في ربط الحجج وتنسيق ورودها في سياق

الخطاب، فربطت السبب بنتيجته. وقوله (فإني أنساك كما نسيتني) " هو مسبب عن قوله: أفظننت أنك ملاقي، يعني سودتك وزوجتك وفعلت بك من الإكرام حتى تشكرني وتلقاني لأزيد في الإنعام وأجازيك عليه، فلما نسيتني في الشكر نسيناك وتركنا جزاءك وعليه قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ﴾(١) ونسبة النسيان إلى الله تعالى إما مشاكلة أو مجاز عن الترك" (٢).

أما النتيجة أو خاتمة الحجاج فتتمثل في قوله (وذلك ليُعْذِرَ من نفسِه، وذلك المنافقُ وذلك الذي يَسْخَطُ الله عليه) وفي النتيجة يتكرر الرابط اللغوي اسم الإشارة (ذلك) الدال على بعد الثلاثة المنافقين الذين سبق عرضهم أمام الله تعالى، والفعل الكلامي (يسخط) دال على استمرار عذابهم وخلودهم في النار، كما أن الأفعال الكلامية الواردة في صلب الحجاج (فإني أنساك كما نسيتني) توحي بالخزي والإهانة، وفيها دلالة على استمرار العذاب، فنسيان الله لهم في العذاب كناية عن أنهم مقيمون فيه. وهذا الحديث مرتبط بمعنى الحديث القدسي الذي يُسأل فيه العبد عن النِّعم، في قوله ﷺ: ((إن أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يُقال له: ألم نُصِحَّ لك جسمَكَ، ألم نرويك من الماء البارد)).

والحديث يدور في محور بؤرة نصوص الأحاديث القدسية، المرتكزة على معنى طلب المغفرة وتنبيه العباد لها في الدنيا قبل الآخرة، فتكون بهذا حجة عليهم قبل يوم الحساب. وقد بدأ الخطاب مسار توالي الحجاج بالفعل الكلامي ـ النداء ـ الذي اعتاد الخطاب القدسي أن يورده في المقدمات كمدخل تضامني لكل أمر يحتاج للاهتمام واستدعاء الانتباه.

ومن الحجاج يوم القيامة قوله ﷺ في حديث طلب الكفار الفداء بملء الأرض ذهبا: ((يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت

---

(١) سورة طه: ١٢٦

(٢) مرقاة المفتاح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري: جـ ١٠ .كتاب أحوال القيامة، باب الحساب والقصاص والميزان: ص٢١٤

تفتدي به؟ فيقول نعم: فيقول أردتُ منك أهون من هذا وأنت في صُلب آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تُشرك بي)) [1].

ومن الحجاج في الآخرة، احتجاج الأربعة الذين لم تقم عليهم حجة الإبلاغ بالرسل لإعاقة أوغير ذلك، يقول ﷺ: ((أربعة يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هَرم ورجلُ مات في فِترة فأما الأصمُ فيقول ربِّ لقد جاء الإسلام وما أسمعُ شيئا، وأما الأحمق فيقول ربِّ لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرمُ فيقول ربي لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا. وأما الذي مات في الفِترةِ فيقول ربِّ ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال: فو الذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما))[2]. وقد أشار صاحب كتاب (الصحيح المسند من الأحاديث القدسية) إلى أن للحديث رواية أخرى لابن حبان هي: ((أربعة يحتجون يوم القيامة ...))[3].

والمقصود من ذكر الأصم والأحمق والهرم ومن مات في الفترة ـ أي قبل زمن الرسالة فلم يدرك دعوة الرُّسُل ـ أنهم جميعا بلغوا الحلم والتكليف ولم تبلغهم الدعوة لعاهة، أو ظروف حالت دون قيام الحجة عليهم في الدنيا، فيختصمون بين يدي ربهم وينطق كل منهم بحجته ومعذرته، ويكون المعيار يومئذ هو قيام الحجة، فمن قامت عليه الحجة فلا عذر له كالأصم إن تمت دعوته بلغة الإشارة، والهرم إن سمع وبلغه من دعوة الرسل وغيرها.

ومن لم تقم عليهم الحجة فلهم عذرهم، ويُمتحنون في عرصات القيامة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[4] فيكون امتحانهم يوم القيامة بأن يُخرج لهم عنقا من النار،

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٥٥٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٥، رقم ١٢

(٢) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد:٢٤/٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٣، رقم ٢٨

(٣) حديث صحيح أخرجه ابن حبان: رقم ١٨٢٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٣، في هامش الصفحة.

(٤) سورة الإسراء: ١٥

ويأتيهم رسول يبلغهم أمر ربهم بالدخول فيها، فمن أجاب وامتثل بدخول النار كانت عليه بردا وسلاما بدليل قوله ﷺ (فو الذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما) ومن أبى وامتنع عن دخولها صار إلى النار وبئس المصير" وفي الحديث إشارة إلى ثقل التكليف بالإيمان بالغيب، فإنه لا يعدل ذلك إلا أن يمتحن الإنسان بعد أن ينكشف الغيب بأن يؤمر في دخول النار، وما أشده من امتحان؟ وما أثقل الإيمان بالغيب في الميزان "(١).

وقد جاءت حجج الحديث على قدر حاجات السامعين ومقامات المتلقين، فحذف منها كل ما يمكن أن يدركه المتلقي من معان بدلالة السياق عليه، فكانت حجج واضحة مركزة، بعيدة عن فضول الكلام وزوائده، وفتحت في الوقت نفسه مجالا واسعا، للتشويق وللمعرفة بملء فراغات النص داخل فضاء السياق الدلالي.

وبنية الحجاج تقوم على مقدمة يُطرح فيها الحجاج يوم الحساب أمام رب العالمين من قِبل أربعة أشخاص تجمعهم ظروف واحدة هي عدم قيام حجة الإبلاغ بالرسل إليهم، ويأتي ذكرهم بأسلوب التفصيل بعد الإجمال كتقنية إقناعية تعتمد على ربط عناصر الخطاب، وتسلسل الأحداث، وأهميته تكمن في إحضار ذهن المتلقي وجعله يندمج في النص، لأنها تعتمد على نمط السرد والقص، وذلك في قوله ((أربعة يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هَرم ورجلُ مات في فِترة)). فيعرض كل صنف من هؤلاء الأربعة حجته، ويحكم الله في أمرهم بعد سماع حجج دفاعهم عن أنفسهم بأن عذرهم لعدم إبلاغهم بدعوة الرُّسل، فامتحنهم في ساحة الحساب، في قوله ((فأما الأصمُ فيقول ربِّ لقد جاء الإسلام وما أسمعُ شيئا، وأما الأحمق فيقول ربِّ لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرمُ فيقول ربي لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا. وأما الذي مات في الفِترةِ فيقول ربِّ ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار)).

(١) الأساس في السنة وفقهها، سعيد حوى: المجلد الأول،جـ٢: ص٨٩

وخاتمة الحجاج متمثلة في قوله ﷺ: ((فو الذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما)) وفي النتيجة يظهر الراوي ليضفي توكيدا وتقوية وتأييدا للحكم الإلهي في أمرهم، وليكشف الحجب أمام المتلقين بمصيرهم، ويطمئن كل نفس باللطف الرباني للعباد الممتثلين لأوامر خالقهم. ومع ذلك تبقى النهاية الحجاجية تتسع لفراغات يتعدد تأويلها بتعدد القراء والسياقات الواردة فيها، ليبقى الحجاج والإقناع مطلقا في النصوص المقدسة لا تحصره الأزمنة ولا تحده العقول المؤولة.

وهذا ما تشير إليه دلالة أداة الشرط (لو) التي هي حرف امتناع لامتناع، فهل كل الذين امتنعوا عن دخول النار كان مصيرهم فيها؟ إن الجملة الشرطية تدل على صعوبة الامتحان والاختبار، فمن تحدى الصعب ودخل النار كانت عليه بردا وسلاما، ومن لم يدخلها تُرك مآل حاله مفهوما بدلالة السياق عليه، ودلالة تأكيد الرسول ﷺ على اللطف الإلهي والرحمة الربانية.

إن التوكيد المكثف للخبر، في تعقيب النبي ﷺ الوارد في آخر الحديث بقوله (فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما) بالقسم (فوالذي نفس محمد بيده) واللام في (لكانت) والفعل الماضي الدال على التحقق والنفاذ، وبالجملة الشرطية وجوابها، كان لبيان صعوبة الموقف الذي يحتاج جلاؤه لكل تلك المؤكدات، ولغرض طمأنة المتلقين وتنبيه نفوسهم إلى العفو والمغفرة الإلهية، التي هي بؤرة تجمُّع محاور موضوعات الأحاديث القدسية.

وتظهر في الحديث بعض النواحي البلاغية والبديعية، ففي قوله ﷺ: (فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما) كناية عن قمة الرحمة واللطف المنبعث من قوله (بردا وسلاما). كما تظهر جماليات البديع، في المقابلة بين مقام العذاب ومقام الرحمة والمغفرة، وبين لهيب النار وعذابها، وبشرى الوعد بالمغفرة والسلام والتلذذ بالبرد والراحة، ولا يخفى الطباق بين لفظي (النار وبردا) وما بينهما من بروز لمعنى الرحمة والمغفرة الإلهية.

وقد يكون لهذا الحديث علاقة بالحديث الذي ورد فيه ذكر خروج أربعة من النار، يقول ﷺ :((يَخرج من النار أربعة يُعرضون على الله عز وجل فيأمُر بهم إلى النار فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب قد كنت أرجو إن أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها فيقول: فلا نُعيدك فيها))[1].

والحجاج لا ينحصر في مواضيع الآخرة وقت الحساب ودخول الجنة والنار، وإنما يكثر الأسلوب الحجاجي في الأحاديث القدسية الحاثة على العبادة وفعل الخيرات في الحياة الدنيا، وهو من تنويع الأساليب في الدعوة والإرشاد، والأحاديث القدسية استعملت الأسلوب المنطقي للإقناع وحث المخاطبين، كقوله ﷺ: ((يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات في أول النهار أكفيك آخره)) فالمنطقية الحجاجية تطفو على بنية النص اللغوية، لتربط بين الرغبة بالحفظ والمعية الإلهية وتقرب العبد إلى ربه بالنوافل، وهذا التقرب هو سبب الحفظ والحصن له من كل شر وضرر، فيقطف العبد ثمرة عمل نهاره في ليله قبل آخرته.

ومن الأحاديث القدسية التي تندرج ضمن هذه الاستراتيجية الحجاجية المنطقية، قوله ﷺ: ((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إليّ ذراعا تقربت منه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة))[2] فالتراكيب الشرطية في هذا الحديث تبرز العلاقة المنطقية المتلازمة بين أطراف الخطاب " والأصل في هذا القانون الحجاجي هو قاعدة تخاطبية مقتضاها أن المتكلم يخبر المخاطب بأقصى ما يمكن من

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٣/ ٢٢١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٩، رقم ٨٥

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٤٠٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٧، رقم ٣٠

الفائدة، فيصير هذا الأخير إلى حمل قوله على إفادة أن العلاقة بين المقدّم والتالي علاقة شرط، طردا وعكسا، لا طردا فحسب " (١).

ويقوم الحجاج على علاقة طردية تحث المخاطب على التقرب من الله لحسن ظنه بخالقه بقبول عمله وتوبته، وفي الحديث تظهر الحجة التداولية التي تعتمد على الربط بين المقدمة والنتيجة، بالانتقال من إحداها إلى الأخرى في تسلسل منطقي باستعمال أداتي الشرط (إذا و إنْ) اللتين كان لهما دور في تنسيق الأفعال الكلامية المتراتبة على بعضها، وهذه الحجة التداولية " هي التي تمنح فرصة التقويم لعمل ما أو حدث، وذلك بالنظر إلى تتابعاتها المرغوبة أو غير المرغوبة، ولهذا فإن الحجة التداولية تضطلع بدور مهم في تثمين الأعمال، سواء في وضعها الحاضر أو في وضعها المستقبلي، ولا يقتصر دورها على ذلك، بل يتجاوز المرسل بها إلى توجيه السلوك والفعل المستقبلي" (٢) .

إن حسن الظن بالله من مقتضيات التوحيد، لأنه مبني على قوة الإيمان والعلم برحمة الله ومغفرته. والمغفرة هي مركز المعاني في الأحاديث القدسية كما سبق بيان ذلك في الفصل الثالث من البحث، وحسن الظن يصحب معاني مستلزمة كحسن التوكل على الله، بتغليب جانب الرجاء والمغفرة والعفو والوعد. وحسن الظن لا يكون إلا بإحسان العمل، فلا يركن العبد إلى الرجاء وحده والاغترار بمغفرة الله وعفوه، بل عليه إحسان العمل والتقرب إلى الله بأنواع العبادات، ليفوز بالنتيجة المتمثلة بالمعية، وهي بمعنى حفظ الله للعبد وتثبيته وتسديده ونصرته، ثم أُتبعت النتيجة ببيان فضل الذاكرين وقربهم من ربهم، وسعة كرمه في قبول مغفرتهم وعبادتهم.

وكان للروابط الحجاجية كالضمير (أنا) أثر في إبراز الذات الإلهية وبيان عظيم الخبر المقترن بها، وهو كرم الله تعالى ومغفرته، ولظرف المكان (عند) دلالة على القرب وسبق إقبال الله لعبده الذي يظن به خيرا. كما كان للظرف المجازي (في) الوارد في قوله (ذكرته في ملأ) دور في إبراز

---

(١) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري: ص٤٨١
(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها

حظوة الذاكر وبيان مكانته في الملإ الأعلى" والظاهر أن (في) هنا للظرفية المجازية لتلبس الذكر بالملأ حيث وصل إلى أسماعهم كتلبس المظروف بالظرف فيكون الشخص ذاكرا والملأ مستمعين وعلى هذا لا تكون (في) للمصاحبة "[1] وكذلك كان لأداة الربط (إذا) التي هي ظرف لما يستقبل من الزمان يتضمن معنى الشرط، دور الربط المنطقي بين السبب والنتيجة وتقوية الحجاج ومنطقيته، وكان لها دور الربط بين فعل الشرط وجوابه المحذوف لدلالة السياق عليه ودلالة فعل الشرط عليه.

ويظهر في نص الحديث نوع آخر من الحجاج، هو الحجاج بالتمثيل وتصوير المعقول بالمحسوس لزيادة إيضاحه، وبيان عظيم فضل الله وكرمه على عباده بمضاعفة أجورهم، ومسارعته إليهم بالخير والقبول، وجاء التمثيل بأدوات قياس المسافة لبيان القرب والقبول نصبا على التمييز (شبرا ذراعا باعا). كما جاء التمثيل بالهرولة لبيان الإسراع، وإثبات فعل الهرولة للذات الإلهية إما أن يكون على ظاهره فيكون بإثبات يليق بالله ولا يشابه الله تعالى الخلق في شيء، أو أن يكون على تأويل معناه بأنه من تصوير المعقول بالمحسوس لبيان فضل الله على عباده، وأنه أسرع إليهم بالخير والكرم من مسارعتهم إليه بالتعبد والعمل الصالح.

(١) المنهل الحديث في شرح الحديث، موسى شاهين لاشين: جـ٤، ص: ٢٧١

المبحث الثالث: الخصائص الخطابية للأحاديث القدسية

أ. الحوارية وأنواعها: الحوار التفاوضي، والحوار الجدلي.

إن الحوار مبحث مهم من المباحث التي يقوم عليها الدرس اللغوي في الأحاديث القدسية، إذ يكاد لا يخلو حديث من أحاديثه من أسلوب المحاورة الظاهرة أو الضمنية، وهو ظاهرة أسلوبية لها مكانتها في البيان والإفصاح، ووسيلة من وسائل التشويق للأغراض والمقاصد الخطابية، ومن وسائل الإقناع ومدرج من مدارج الوصول إلى الإفهام" وهو من عناصر المسرحية، وبه نجاحها أو فشلها في البيان عن تطور الحدث وصولا به إلى العقدة ثم إلى التنوير، وبه يمضي القارئ إلى النهاية والخاتمة، أو ينصرف عنها، وهو عنصر ثانوي في القصة، فالقصة ضرب من البيان النبوي له أثره وخطره" (١).

إن الحديث القدسي ينطوي على مضامين تركز على كيفية كون الإنسان كائنا روحانيا متساميا، وكيف يكون المجتمع صورة حية للإنسانية المتسامية بالحب والتكافل وتقوى الله، واستحضار رضاه هدفا لمدارج الدنيا ومراقي الآخرة، فهو حوار ممتد بين الأرض والسماء، وهو حوار مع الملإ الأعلى، وحوار مع البشرية، وحوار في سماء الآخرة وحوار في دنيا الأرض.

والحوار مأخوذ من مادة (حور) وهي تدور حول المراجعة والتردد، فمعناه اللغوي هو" الرجوع عن الشيء وإلى الشيء ... وكلمته فما رجع إليّ حَوَاراً وحِوارا ومُحاورة وحَوِيرا ومَحُورة، بضم الحاء، بوزن مشورة أي جوابا. وأحار عليه جوابه: ردَّه. وأحَرْتُ له جوابا وما أحار بكلمة، والاسم من المحاورة الحَوِيرُ، تقول: سمعت حَويرَهما وحِوارهما. والمحاوَرَة: المجاوبة. والتَّحاوُرُ: التجاوب، وتقول: كلمته فما أَحار إليَّ جوابا وما رجع إليَّ حَوِيرا ولا حَويرَةً ولا مَحُورةً ولا حِوارا أي ما ردَّ جوابا" (٢)، ويعرفه الراغب الأصفهاني بـ " التردد إما بالذات وإما بالفكر " (٣)

(١) الحوار في الحديث النبوي الشريف، علوة الحساني: المقدمة، ص ٥
(٢) لسان العرب، ابن منظور: جـ٤، ص٢٦٤
(٣) المفردات في غريب القرآن: ص١٣٤

أما في الاصطلاح فهو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر. وقد ورد ذكر الحوار في القرآن الكريم في أكثر من موضع، ومثاله قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾(١).

والحوار والجدال يلتقيان في أنهما مراجعة القول والحديث بين طرفين، ويفترقان في أن الجدال يرد في إطار التخاصم في الكلام، والشدة في القول والرد، أما الحوار فهو كلام هادئ بعيد عن الخصومة والتعصب، وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه "(٢) وهما يختلفان في الغاية أيضا، فغاية المجادلة الغلبة والانتصار للرأي حقا كان أم باطلا، أما المحاورة فغايتها إبراز الحقيقة أخذ بها الآخر أو أعرض عنها(٣).

وعرف الحوار عند العرب كضرب من الأدب منذ الجاهلية في خطب المفاخرات والمنافرات " ويشهد تاريخ العرب أنهم توسلوا بهذا الفن الأدبي إلى مآربهم، لكثرة خصوماتهم ومفاخرهم وتنازعهم على الشرف، فكان الرجلان إذا تنازعا في صفات الشرف والصدارة تنافرا إلى واحد أو أكثر من حكماء العرب ليقضي بينهما بمن أحق بالصفات الكريمة، والمآثر المشهودة التي ترجح كفته على كفة غريمه، ولهذا السبب كان يقول لغريمه أنا أعز منك نفرا، ويظل يذكر الدليل إثر الدليل وكذلك يفعل غريمه إلى أن يحكم القاضي الذي اختاراه لواحد منهما، وهي عادات ذميمة عاشت بين القوم ماعاشت الجاهلية، فلما جاء الإسلام حرمها وقضى عليها شيئا فشيئا، ويمكن القول بأنه هذبها بالتدريج وهذب أساليب الحوار"(٤).

إن للحوار دورا كبيرا في إيضاح مقاصد الأحاديث القدسية، فهو من الأدوات المباشرة في تطوير الأحداث وعرض المفاهيم ومحاولة الإقناع بالحكمة من غير تعصب أو تعسف. وهو من

---

(١) سورة الكهف: ٣٧
(٢) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى زمزمي: ص٢٢
(٣) ينظر: الحوار في الحديث النبوي الشريف، علوة الحساني: ص١٥
(٤) فن الحوار المصطلح والتطور، زهير محمد كتبي: جـ١، ص ٧٤

أنسب الطرق المتغلغلة في النفس البشرية باحتواء أفكرها ونوازعها. وينقسم الحوار في الأحاديث القدسية إلى ثلاثة أنواع، الأول هو حوار الرواية عن رب العالمين، والثاني هو حواره مع أصحابه الحاضرين وقت نزول الحديث عليه ﷺ، والثالث هو حوار النص مع المتلقي المباشر والضمني.

واستخدم الحديث القدسي في حواره طرقا عديدة، كأن يورد جملة مشوقة تثير سؤال المتلقين. أو يبدأ الحوار بأسلوب خبري يرويه الرسول ﷺ عن ربه تعالى ويتخلله بعد ذلك الحوار، ومن ذلك قوله ﷺ: ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء))(١).

أو يأتي الحوار جوابا لسؤال، كقول أبي هريرة أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: رسول الله ﷺ: ((هل تضارّون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تُضارّون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك...))(٢).

وقد يأتي الحوار بصيغة أسلوب خبري على شكل قصص يرويها الرسول ﷺ للعظة والعبرة ولا يخلو حديثها من الحوار، كقوله ﷺ في حديث المعراج وفرض الصلوات: ((أُتيتُ بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند مُنتهى طرفِهِ، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يَربِطُ بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليتُ فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٥/ ٤٢٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣، رقم ١٠
(٢) صحيح البخاري: ٧٤٣٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٩، رقم ٦٣

فاخترت اللبن فقال جبريل: اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت ؟ قال: جبريل قيل: من معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عَرَج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه، قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف ﷺ إذ هو قد أُعطي شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحّبَ ودعا لي بخير قال الله عز وجل: (ورفعناه مكانا عليا) ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون ﷺ فرحب ودعا لي بخير ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السادسة فاستفتح ....))[1].

وقد يكون الحديث أسلوبا سرديا قصصيا يمهد له الرسول ﷺ، ثم ما يلبث النص أن يتحول إلى حوار بين شخوص القصة، لينقطع فيتحول إلى حوار بين الملأ الأعلى، ثم ينقطع ويبقى حوار الراوي والمتلقين كقوله ﷺ: ((كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسألُ فأَتى راهبا فسأله فقال له: هل من توبةٍ؟ قال: لا فقتله، فجعل يسأل فقال له رجل: ائتِ قرية كذا وكذا فأدْرَكَهُ الموتُ فنَاءَ بصدرِهِ نحوها فاختصمت فيه ملائكة

(١) صحيح مسلم: رقم١٦٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٩، رقم ١٠٩

الرحمةِ وملائكةُ العذابِ، فأوحى اللهُ إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال قيسوا فوُجِدَ إلى هذه أقرب بشبرٍ فَغُفِرَ له)) (١).

وهذا الحديث خطاب رباني بأسلوب قصصي موجز، متميز بالحوار المشوق، فيه بشرى للعباد بأن سُبل التوبة والرحمة والمغفرة متفرعة غير محدودة ولا مقطوعة، وهذا ما جعل الخطباء والوعاظ يلجئون إلى الأحاديث القدسية كأحد الوسائل الفعالة في الدعوة والهداية إلى سبيل الرشاد، لما فيه من شحنات إيمانية عالية ترتقي بالنفس البشرية وترغبها في العبادات، وتوضح جزاءها وثوابها إن سلكت طريق التوبة والمغفرة.

وحوار الأحاديث القدسية يتضمن مفاهيم للبشرية كلها، وعودة للفطرة السليمة بتوجيه العقل والعاطفة جنبا إلى جنب لهداية العباد أجمعين، وتلون الحوار فيها بالأساليب الخبرية والإنشائية ليكون حوارا حيا نابضا بالتشويق في العرض أمام المتلقين على اختلاف مستوياتهم وأقدارهم ومنازلهم وأزمنتهم، ينحو في توجيه النفوس إلى أعلى درجات السمو والارتقاء " فحوار السّنّة هو الذي علّم الإنسان كيف يستخدم طاقته العقلية في التعرّف على سنن الله في الكون والإنسان، واستغلال ذلك كله في تنظيم الحياة البشرية وتقويمها، والسير على نهجها القويم. وعن طريق حوار السُّنَّة يستطيع الإنسان أن يكوّن نفسه كلها، وأن يعمل بطاقاته جميعا في واقع الحياة، ويستطيع أن يكون الإنسان العابد لله، والمفكِّر المتعرّف على أسرار الكون وقوانينه، والعامل بجهده لترقية الحياة وتنميتها، ليكون أجود إنتاجا، وأوفر حصيلة" (٢).

وتكرار فعل القول هو الملمح الأسلوبي الأكثر بروزا في خطاب الأحاديث القدسية، وبه تلاحمت أطراف الحوار، وبه تشابك نسيجه مع النص والمتلقي، وبه يشد الحوار أطرافه بعضها لبعض بالروابط اللفظية والعلائق الداخلية. والحوار في الأحاديث القدسية أنواع منها الحوار الحجاجي والذي سبق عرضه في الصفحات السابقة من هذا الفصل، والحوار التفاوضي،

(١) صحيح البخاري: رقم٣٤٧٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٧، رقم ٢٢
(٢) الحوار في السّنّة وأثره في تكوين المجتمع، تيسير محجوب الفتياني: ص٤٧

والحوار الجدلي، وقد وردت أنواع لهما في نصوص الأحاديث القدسية، ومثال الحوار التفاوضي قوله ﷺ: ((قالت قريش للنبي ﷺ ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونُؤمن بك، قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم، قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلامَ ويقولُ إن شئتَ أصبح لهم الصفا ذهبا فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: بل بابُ التوب والرحمة))(١).

والنوع الآخر هو الحوار الجدلي، وفيه يتحول الحوار إلى جدال وفق ما يقتضيه المقام، ولا بد للمُحاور أو المجادل من الحجة الدامغة التي تقتضي صحة القول، وقد جمع الله الحوار والمجادلة في موقف واحد في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(٢).

ويأتي الحوار الجدلي على نوعين جدال محمود كقوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٣) وجدال مذموم كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾(٤). والحوار الجدلي من الظواهر الكونية التي وجدت قبل وجود البشرية، كالحوار الجدلي الذي حدث عند خلق آدم بين الملائكة ورب العالمين وكان من الجدال المحمود، ومثاله في الأحاديث القدسية، قوله ﷺ: ((هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تُسدُّ بهم الثغور ويُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله عز وجل: لمن يشاء من ملائكته ائتوهم فحيوهم فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخِيرتك في خلقك أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم! قال: إنهم

---

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ١/ ٢٤٢ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٥، رقم: ١٠٦
(٢) سورة المجادلة: ١
(٣) سورة النحل: ١٢٥
(٤) سورة: الحج:٣

كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئا وتُسدُّ بهم الثغور ويُتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار))[1].

ومثاله مجادلة المؤمنين لربهم يوم القيامة في إخوانهم الذين دخلوا النار طلبا للمغفرة واللعفو عنهم، يقول ﷺ: ((ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أُدخلوا النار، قال: يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار، قال: فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم ...))[2]، وهو من الجدال المحمود.

أما النوع الثاني من الجدال فهو الجدال المذموم، كجدال إبليس لربه، وكان جداله مذموما لأنه لم يُرد معرفة الحكمة والقصد من خلق آدم، وأخذته العزة بنفسه فضل طريق الصواب، يقول ﷺ: ((قال إبليس: يا ربِّ ليس أحد من خلقك إلا جعلتَ له رزقا ومعيشة فما رزقي؟ قال: ما لم يُذكر اسم الله عليه))[3].

ومن الجدال المذموم حديث تفاوض كفار قريش مع الرسول ﷺ حول شرط إيمانهم بتحويل الصفا ذهبا، ونصه: ((قالت قريش للنبي ﷺ ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونُؤمن بك، قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم، قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلامَ ويقولُ إن شئتَ أصبح لهم الصفا ذهبا فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: بل بابُ التوب

---

(١) حديث صحيح لغيره، أخرجه الإمام أحمد: ٢/ ١٦٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٦٥، رقم:١٧١

(٢) حديث صحيح أخرجه النسائي: ٨/ ١١٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣١، رقم:١٦

(٣) حديث إسناده صحيح أخرجه أبو نعيم في الحلية: ٨/ ١٢٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٩٠، رقم:١٣٥

والرحمة)) [1] إلا أن تفاوضهم كان على غير هدى، وفيه تجاوز بطلب معجزة مادية تبرهن على صدق الرسالة رغم ما جمعه الله في كتابه من كمال الإعجاز والبيان، فاختار الرسول ﷺ الرحمة الإلهية في هذا التفاوض على الجور البشري وظلم العباد لأنفسهم.

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ١/ ٢٤٢ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٥، رقم: ١٠٦

ب . العدول

ومن أبرز خصائص التخاطب بالحوار في الأحاديث القدسية، البصمة الأسلوبية المميزة لنصوص الحوار والتي تشمل الوسائل التعبيرية والتحولات الأسلوبية التي يوظفها الحوار لرفع قدرة الكلام على التبليغ والإعلام وجذب انتباه المتلقين بفنون الأساليب اللغوية الإمتاعية والإقناعية.

ومن هذه الوسائل التعبيرية (العدول) وللعدول علاقة قوية بالسياق ودلالته، ذلك أنه إجراء للكلام على غير مقتضى المألوف. وهو ظاهرة لغوية لها دور كبير في إعطاء اللغة طاقة دلالية مغايرة لما هو معروف لها في العُرف اللغوي. وللعدول قيمة وظيفية في بنية النص المتحركة، مما يجعل أنساقها ذات صفة دينامية، وأبعاد دلالية(١).

ويقع العدول في المستوى الاستبدالي، كالعدول عن صيغة فعل إلى صيغة فعل آخر يحلُّ محله، على خلاف القواعد اللغوية المتواضع عليها فـ " الأفعال في السياق اللغوي قد تتبادل أزمنتها، فعلى سبيل المثال الفعل الماضي الذي يدل على الزمن الماضي، قد يُعدل عن زمنه الماضي في السياق اللغوي إلى الزمن المستقبل، إذا دلّ على الدعاء أو رُكّب مع إنْ الشرطية، ويُصبح زمن المضارع المركّب مع لم الجازمة دالا على الماضي، والأمثلة كثيرة في التراث اللغوي، وقد ذكر ابن الأثير أن الأفعال تتبادل أزمنتها كالرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر" (٢).

والسياق بقرائنه الحالية والمقالية هو الفصل والحكم في موضوع العدول، إذ هو الذي يعِين على تحديد زمن الأفعال وتعيين الدلالة الزمنية المقصودة من الفعل " فالزمن في الصيغة المفردة لا قيمة له خارج السياق، أما في حال التركيب مع الفعل في الكلام، فيصبح له زمن، يُسمى بالزمن السياقي التركيبي، تحدده القرائن اللفظية أو الحالية، فيُظنُّ في التركيب الشكلي اللفظي،

---

(١) ينظر: دلالة العدول في صيغ الأفعال ـ دراسة نظرية تطبيقية، د.غياث بابو: ص٣٧
(٢) المرجع السابق: ص١٩

أن الفعل ماضٍ، وتكون حاله كذلك، غير أن معناه يكون مُخالِفاً اللفظ، وهذا هو معنى الفعل السياقي" (١).

وقد يُعدل عن الفعل المضارع بلفظ الماضي الدال على تحقق الوقوع، فتتبادل الأفعال دلالتها الزمنية من خلال التركيب السياقي، ويَكثر في وصف مشاهد يوم القيامة، فترد أحداث الحساب والجزاء والعقاب والغفران في صورة الماضي، وتُسردُ كأحداث وقعت وانتهت، كقصة آخر أهل النار خروجا منها ودخولا الجنة، وحواره مع الله تعالى طلبا في الاستزادة من خيره وكرمه، يقول ﷺ: ((آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسعفه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منكِ لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين. فتُرفع له شجرة فيقول: أي ربِّ أُدْنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتُكها سألتني غيرها فيقول: لا يارب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذِرُه لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيُدنيه منها فيستظل بظلها ويشربُ من مائها ...)) (٢).

ففي قوله (تبارك الذي نجاني منكِ لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين) استخدم العبد في حواره الفعل الماضي (نجاني) والفعل الماضي المؤكد (لقد أعطاني) وكأن أمر المحاسبة والنجاة من النار حدث وانتهى وتحقق في الماضي، والتعبير بالماضي هنا أبلغ وأشد تأثيرا لاستغراق المخاطبين في أحداث المشهد التي لم تقع بعد، ولكنها في حكم الله واقعة لنفاذ أمره وصدق وعده.

وفي هذا الحديث تتعدد الصيغ الزمنية، فالفعل المضارع جاء في بداية المقدمة السردية التي تُهيئ لفهم الأحداث، ولاستحضار حال الرجل صاحب الأحداث، فالفعل المضارع (يدخل

(١) دلالة العدول في صيغ الأفعال ـ دراسة نظرية تطبيقية، د.غياث بابو: ص١٩ ـ ٢٠
(٢) صحيح مسلم: ١٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٨، رقم ٦٢

الجنة ـ يمشي ـ يكبو ـ تسعفه) أفاد استحضار صورة الحدث من المستقبل الغيبي، بهدف تصويره في النفس بكل ما يتعاوره من مشاعر وقلق حركي ونفسي، ومن ثم ذكر الفعل الماضي لتأكيد حصول هذه الأحداث، ولتحقق حدوث النجاة من النار والاستقرار في الجنة.

إن توظيف القيمة الزمنية في صياغة الأفعال له دور في إفساح المجال لتعدد القراءات والدلالات واتساع المعاني المؤولة داخل سياقات النصوص. ومن خصائص لغة الحوار في الخطاب القدسي تحول العنصر الزماني وتلونه عبر الأزمنة المختلفة (من مضارع وماض وأمر) والتحول من الفعل الماضي إلى فعل الأمر، هو تحول من الأسلوب الخبري إلى الأسلوب الإنشائي يهدف إلى تحقيق أغراض بلاغية تتوزع على الوظيفة الانفعالية (لراوي الحديث) والوظيفة الإفهامية (للمتلقي).

إن تحول زمن الحديث من الماضي الذي يُمثل الأسلوب الخبري إلى فعل الأمر الذي يُمثل الأسلوب الإنشائي في قوله (أُدنني) يهدف إلى تلوين الأساليب والتفريق بين الإخباريات والأفعال الكامنة في النص، ولو جاء السياق على نسق واحد لما كانت فيه هذه الحركة اللفظية، والتغير في المواقف والأحداث. فالتغيير في المبنى لا بد أن يتبعه تغيير في المعنى، وهنا نجد التحول من حال العبد وهو يكبو مرة وتسعفه النار وهو خارج منها، وحاله وهو يطلب الدنو من أشجار الجنة ويشرب من مائها، وهنا تبرز المفارقة بين الموقفين.

ويدل المعنى السياقي على أن الطلب قد وُضع موضع الخبر، فجيء بالطلب والمراد به الإخبار تنويعا في الأساليب وتشويقا للمتلقين وتنبيها للأذهان. والتحول الزمني للأفعال في الأحاديث القدسية من أبرز السمات الأسلوبية في الحوار القدسي، وتحرك الأفعال عبر الأزمنة من المضارع إلى الماضي فالأمر، جاء لمقاصد بيانية كتجسيد الجوانب الغيبية في صورة مشاهد حيّة مرئية، والكشف عن الدلالات الفكرية والنفسية لهذه الأفعال.

إن تتبع دلالة الزمن النحوي للأفعال داخل السياق " تفاجئ المتلقي وتثير دهشته، لخروجها عن المتوقع لديه من اطراد السياق على نمط واحد من المطابقة والمشاكلة، مما يدعو ذلك المتلقي إلى البحث عن مثيراتها السياقية وأبعادها الدلالية"(١) فالزمن المعني بالتأويل لهذه التحولات الفعلية ليس الزمن الصرفي، وإنما هو الزمن النحوي أو ما يسمى (بالزمن السياقي التركيبي) والذي هو معنى الفعل داخل السياق والذي تُحدده القرائن اللفظية والحالية.

ودلالة السياق على الزمن النحوي لا تنفصل عن دلالة الصيغة الصرفية للفعل، فالسياق يضفي دلالة إضافية للدلالة الصرفية فيتكامل معنى الدلالتين. ورغم هذا التكامل الدلالي إلا أن البنية السطحية للنص تُظهر مفارقة بين الأزمنة، وهذه الانزياحات في الصيغ الزمنية هي ما يدفع القارئ إلى الالتحام بالنص وعدم ملاحظة اختلاف الصيغ الأسلوبية الواردة في بنيته السطحية، ذلك أن البنية العميقة تكون قد غمرت القارئ والمتلقي بمعانيها، والمتلقي أمام هذا التدافع المفهومي يجد نفسه في توافق تام بين صيغ الأفعال والأزمنة المحيلة إليها " فالبنية العميقة تستوجب المطابقة في أزمنة الفعل في السياق اللغوي، والتحول عنها إلى البنية السطحية التي برزت على سطح النص تستدعي تحولا في المعنى يرافق هذا التحول في المبنى" (٢).

ومن أمثلة العدول عن زمن الفعل المضارع إلى الماضي، الأحاديث التي نقلت مشاهد القيامة الغيبية، ومنها قوله ﷺ في حديث البطاقة: ((فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقةُ في كفة فطاشت السجلات وثقُلتْ البطاقة فلا يثقُل مع اسم الله شيء))(٣).

فالعدول في قوله (فطاشت السجلات وثقُلتْ البطاقة) وكان نسق الكلام أن يقال على ما هو متوقع في زمن المضارع (فتطيش السجلات وتثقل البطاقة) لأن السياق قبلها كان في زمن

(١) تحولات الأفعال في السياق القرآني وأثرها البلاغي، عبد الله الهتاري: ص٢١
(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها
(٣) حديث صحيح أخرجه الترمذي: رقم٢٦٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٣، رقم ١٨ .

المضارع (فتوضع السجلات في كفة والبطاقةُ في كفة)، إلا أن العدول هنا خرق المألوف جريانه على الأسماع، فأعلى نبرة التنبيه والإيقاظ في النص لأهمية مضمونه، وذلك للتنبيه على انعطاف الموقف وتغير الحال فيه، وهذا الخرق لأفق التوقع أعطى النص مصداقية وواقعية فكانت الأحداث كأنها واقع حدث وانتهى. ثم يعود الزمن للمضارع في قول الراوي وهو الرسول ﷺ: (فلا يثقل مع اسم الله شيءٌ) ليُغلق النص، ويعود الهدوء والاستقرار للنفس، وينتهي مشهد حساب صاحب البطاقة بنهاية سعيدة تقفل المشهد أمام المتلقين، ويسدل ستار المغفرة والرحمة الإلهية بامتداد زمني لا نهاية له.

وقد يأتي العدول عن الفعل المضارع بالفعل الماضي في جواب الشرط، ذلك أن جواب الشرط مرتبط بتحقق فعل الشرط، فلا يكون هذا إلا بتحقق ذاك أولا، ويأتي العدول فيه لمقاصد بيانية هي قوة الدلالة على تحقق وقوع الجواب على الشرط، ومثاله قوله ﷺ: ((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب))[1].

ومنه قوله ﷺ: ((إنّ الله قال: إذا تلقاني عبدي بشبر تلقيته بذراع، وإذا تلقاني بذراع تلقيته بباع وإذا تلقاني بباع جئته أتيته[2] بأسرع))[3] وقد جاءت المخالفة الزمنية بين حرف الشرط (إذا) الدال على الاستقبال وجواب الشرط الماضي (جئته أتيته)، فالفعل الماضي وإن كان ظاهره دالا على الماضي إلا أن معناه السياقي يدل على الاستقبال، والعدول فيه جاء لفائدة بيانية هي إنزال غير الواقع منزلة الواقع المتحقق، فالفعل الصادر من الله نافذ في حكمه سابق لكل الأزمان.

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٥٠٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٧٩، رقم ٥١

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٦٧٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٨، رقم ٣١

(٣) قال النووي: هكذا هو في أكثر النسخ جئته أتيته، وفي بعضها جئته بأسرع، وفي بعضها أتيته فقط، وهاتان ظاهرتان، والأول صحيح أيضا والجمع بينهما للتوكيد وهو حسن لاسيما عند اختلاف اللفظ. (ينظر: حاشية كتاب الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٨).

ومن أنواع العدول في حوار الأحاديث القدسية، العدول بفعل الأمر وجوابه الوارد على نمط الشرط، عن صيغة الشرط الأصلية بأداة الشرط وفعل الشرط وجوابه، ومثاله قوله تعالى مخاطبا نبيه محمد ﷺ في حديث الشفاعة: ((يا محمدُ ارفع رأسك، وقُل يُسمع لك، وسلْ تُعطَ، واشفعْ تُشَفّع))[1] وأصل التعبير كان أسلوب شرط مكتمل الأركان تقديره (إن تقل يُسمع لك، وإن تسلْ تُعطَ، وإن تَشفع يُشفع لك)، فعدل عن صيغة المضارع الدالة على الاستقبال بصيغة الأمر، لما فيها من قوة الفعل الكلامي في سرعة النفاذ والتحقق الفوري.

ومثاله قوله ﷺ: ((قال الله تعالى: يا ابن آدم قم إليّ أمشِ إليك، وامشِ إليَّ أهرول إليك))[2] وأصل الصياغة (إن تقم إلى أمش إليك، وإن تمش إليّ أهرول إليك) فعدل عنها بصيغة الأمر المختزن لقوة الشرط، والموحي بتراتب الأحداث ومنطقيتها، وتعانق السبب مع مسبباته وسرعة تلبية الله تعالى لتوبة عبده وفرحه تعالى بقبوله ومضاعفة أجوره.

ومن أمثلة العدول في الأحاديث القدسية، الخروج عن الصياغة القياسية المعهودة لغرض بلاغي يتطلبه الوفاء بالمعنى والقصد، ومن أمثلته في الأحاديث القدسية العدول من المصدر الصريح إلى المصدر المؤول لتوظيف دلالة الزمن الذي يدل عليها الصدر المؤول في خدمة المعنى والحدث، وجذب انتباه المتلقين نحو الحدث اللغوي المركزي المراد تبليغه فـ " العدول من الصريح إلى المؤول إنما الغرض منه هو صياغة المعنى وتخليصه من الاحتمالات التي يحدثها المصدر الصريح، مما يعطي الكلام قوة تبليغية عالية" [3].

ومثاله في الأحاديث القدسية، قوله ﷺ: ((كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك أما تكذيبه إياي أن يقول إني لن أعيده كما بدأته وأما شتمه إياي أن يقول اتخذ الله ولدا وأنا

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية: ص١٤٤، رقم ٩٥
(٢) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٣/ ٤٧٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية: ص٥٨، رقم ٣٢
(٣) الأحاديث القدسية دراسة لغوية نصية، بخيت فوزي جاب الله: ص٤٢٩

الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد))[1] ففي قوله (أما تكذيبه إياي أن يقول) عدل عن المصدر الصريح (قوله) إلى المصدر المؤول (أن يقول) بالحرف المصدري (أنْ) والفعل المضارع الدال على التجدد، واستمرار التنبيه والتحذير من إثم هذا الأمر وخطورته في كل زمن.

والمصدر المؤول يختزن دلالة تختلف عن دلالة المصدر الصريح، فدخول (أنْ) على الفعل المضارع له ثلاث فوائد: أولها أن الحدث قد يكون فيما مضى، وفيما هو آت، وليس في (أنْ) دلالة على الزمان فلا تدل على المضي أو الاستقبال. والثانية أنّ (أنْ) تدل على إمكان الفعل دون الوجوب أو الاستحالة. والثالثة: أنها تدل على مجرد معنى الحدث دون احتمال معنى زائد عليه[2].

وقد ورد الحديث برواية أخرى من غير عدول عن المصدر الصريح في قوله ﷺ: ((قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفوا أحد))[3]، كما أن في قوله (لم ألد ولم أولد) عدول في ترتيب مجيء الأفعال فأصل التعبير (لم أولد ولم ألد) فكان التقديم للتنبيه على إثم نسبة الولد إليه تعالى وظلم النصارى لأنفسهم بهذا البهتان العظيم.

ومن أمثلة العدول عن المصدر الصريح قوله تعالى في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين: ((... فأدركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي ...))[4] فعدل عن المصدر الصريح

---

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن ـ سورة قل هو الله أحد: رقم ٤٦٢٠
(٢) ينظر: بدائع الفوائد، ابن القيم: جـ ١، ص٩٩
(٣) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن ـ سورة قل هو الله أحد: رقم ٤٦١٧
(٤) صحيح البخاري: رقم ٣٤٧٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ٣٧، رقم: ٢٢

(التقرب . والتباعد) بالمصدر المؤول (أن تقربي . أن تباعدي) للدلالة على انحصار الحدث في زمن الحال.

وفي هذا الحديث يظهر لفظ (الخصام) كنوع من أنواع الحوار بين الملائكة " (فاختصمت) أي: تخاصمت (فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب) يعني قالت: نحن نذهب به إلى الرحمة، لأنه تائب لتوجهه إلى هذه القرية للتوبة، وقالت ملائكة العذاب: نحن نذهب به إلى العذاب لأنه قتل مائة نفس ولم يتب بعد. (فأوحى الله) أي: ألهم (إلى هذه) أي القرية التي توجه إليها للتوبة وأمرها (أن تقربي) بفتح التاء، ويحتمل أن تكون مفسرة لما في الوحي من معنى القول أي: تقربي إلى الميت (وإلى هذه) أي القرية التي هاجر منها. قاله الطيبي: أو القرية التي قتل فيها الراهب وهو الظاهر، (أن تباعدي) بفتح التاء أي عن الميت، فهذا فضل في صورة عدل، وفيه إيماء إلى أن نية المؤمن خير من عمله ... وإذا رضي الله عن عبده أرضى عنه خصومه، ورد مظالمه، وفي الحديث ترغيب في التوبة، ومنع الناس عن اليأس"[1].

ومن العدول من الصريح إلى المؤول قوله ﷺ: ((يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقول أردتُ منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم. أن لا تشرك بي شيئا فأبيتَ إلا أن تُشركَ بي))[2] فعدل عن (فأبيت إلا أن تشرك بي) إلى المصدر الصريح في قوله (فأبيت إلا الشرك).

ومن الخصائص الأسلوبية في حوار الأحاديث القدسية، خروج الخبر عن مقتضى الظاهر بتوكيد الخبر الابتدائي لغرض تنبيه الغافلين، ومثاله قوله ﷺ: ((إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل الجنة دخولا الجنة يُؤتى برجل فيقول: سلوا عن صغار ذنوبه واخبئوا كبارها، فيقال له: عَمِلتَ كذا وكذا في يوم كذا، وكذا عملت كذا، وكذا في يوم كذا وكذا، قال

(١) مرقاة المفتاح شرح مشكاة المصابيح، على القاري: كتاب أسماء الله تعالى، باب الاستغفار والتوبة: جـ ٤ ، ص ١٤ مسألة ٢٣٢٧
(٢) صحيح البخاري: ٦٥٥٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٥، رقم١٢

فيُقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة قال: فيقول: يارب لقد عملت أشياء ما أراها ههنا)). قال الراوي: فلقد رأيتُ رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه(١).

فالمخاطب خالي الذهن لا يحتاج لكل هذه المؤكدات كالمتردد أو المنكر، وفي هذا خروج عن مقتضى الظاهر، إذ جاء الكلام على خلاف التوقع، فهو خبر لخالي الذهن ومن ثم لا يحتاج لتوكيد، لكن توكيده جاء لفوائد بلاغية أشار إليها المناوي بقوله: " قد يكون عُلم منهم الغفلة عن مثل هذا في هذا التوقيت، فأراد أن ينبههم أو التنبيه بتنزيلهم منزلة الغافلين عنه، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾(٢) ولم يُنكر أحد الموت، لكن الغفلة عنه، أو بالنظر إلى غيرهما، لأنه أمر مستغرب، فهو في مظنة الإنكار..."(٣).

إن الخبر في قوله ﷺ (إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل الجنة دخولا الجنة) يحمل فائدة الخبر للمتلقين، لأن المخاطبين يجهلون مضمونه ولم يسمعوا به من قبل، فالمخاطب متقبل لكل مضامينه خالي الذهن من أي إنكار أو تردد في قبوله، لكن البلاغة النبوية اقتضت توكيده بأكثر من مؤكد وإنزاله (بإنّ) و (لام الابتداء) والفعل المضارع (أعرف) الدال على تجدد العلم واستمرار المعرفة الموحى بها له ﷺ، والتوكيد بتكرار الجمل المترادفة في قوله (آخر أهل النار خروجا من النار) وجملة (وآخر أهل الجنة دخولا الجنة) وبذلك خرجت الجملة عن مقتضى الحال، فأنزلت منزلة الكلام المتردد أو المشكوك فيه، وذلك لغرابة الخبر الملقى عليهم.

فالخبر يحمل معان جديدة ولغرابتها أكدت بكل المؤكدات، فهي قصة مستقبلية تُنقل بأحداث متحققة إلى عالم الشهادة، وحديث الرسول ﷺ مع صحابته يتحول من حوار

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الترمذي: رقم ٢٥٩٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٠١، رقم ٦٤
(٢) سورة المؤمنون: ١٥
(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: جـ٣،ص١٩

الرواية الممهد للمستمعين له من صحابته إلى حوار الحدث من منصة المشهد ليبدأ الحوار بانسحاب الراوي وهو النبي محمد ﷺ بعد أن هيأ الأذهان وشحذ العقول للانتباه لمضمون ما سيُلقى من حوار حول قصة العبد الظالم لنفسه الذي ارتكب من الآثام الكثير وبقيت نيته الصالحة فأخرجته من النار برحمة الله.

وقد أكد هذا العبد الخبر حين أقرّ بذنوب ومظالم اقترفها ولم تُعرض عليه بقوله (يا ربّ قد عملتُ أشياء لا أراها ههنا) فأكد الخبر بـ (قد) و (الفعل الماضي) الدال على الثبوت، وهو خطاب لا يحتاج لأدوات توكيد، لأنه موجه لعالم السرّ وأخفى، غير أن اللطائف البلاغية اقتضت تأكيده، لبيان شدة دهشة العبد من ستر الله لكبائر ذنوبه واستبدالها بالحسنات.

كما أن تكرار كلمة (كذا) فيه كناية عن كثرة ذنوب هذا العبد، يقول ابن هشام: " تكون كلمة واحدة مركبة من كلمتين مكنيا بها عن غير عدد كقول أئمة اللغة: قيل لبعضهم أما بمكان كذا وكذا وجد؟ فقال: بلى وجد ذا، فنصب بإضمار أعرف، وكما جاء في الحديث: أنه يقال للعبد يوم القيامة: أتذكر يوم كذا وكذا؟ فعلت فيه كذا وكذا"[1]، وكلمة (أشياء) في قوله (يا رب عملتُ أشياء لا أراها ههنا) جاءت نكرة للدلالة على كثرة الكبائر التي اقترفها العبد، كما أن التكرار اللفظي لكلمة (كذا) في قوله (عملت يوم كذا وكذا، وكذا وكذا) فيه دلالة على كثرة ذنوب هذا العبد في كل مكان نزل فيه وحلّ، وكان سياق الحوار في بدايته يثير قلقا من فداحة الحساب إذ إن ما عرض من صغار ذنوبه كثير وأثيم، فكيف بكبارها التي لم تُعرض بعد، فيظن السامع والمتلقي أن الرجل المحاسب هالك لا محالة، حتى ينعطف النص بعنصر المفاجأة وذلك بإعلان المغفرة له، وهنا يبرز اللطف الإلهي والمغفرة الربانية، مما يثير طمع الإنسان وشوقه بمغفرة الله وسعيه لنوالها.

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جـ١، ص٢١١

إن عنصر التشويق في الخطاب يتداخل مع تعدد الأصوات وتنوع الشخوص المساهمة في الحوار، فتبدأ القصة بصوت الراوي ثم يتحدد الإطار المكاني والزماني للمشهد، وهو يوم القيامة وقبل أن تغلق الجنة أبوابها، تظهر الذوات الفاعلة، وهم العبد المذنب، والملائكة المحاسِبون، والحَكم هو الله تبارك وتعالى. ويبدأ الحوار المصوِّر للأحداث المكثّفة " إنه رجل عمل كثيرا من المعاصي، واستحق بها دخول النار، ثم تتداركه رحمة الله تعالى، فيخرج منها، وقبل أن يدخل الجنة دار حوار بين الله وملائكته، وبينه وبين الرجل، وينتهي الحوار بذكر الرجل أعمالا سيئة كانت حجبت عنه ليظهر موقفه: هل سيجعل تلك السيئات حسنات كما حصل على نظائرها أم سيسكت عنها مكتفيا بما أصاب من الخير، فيبتسم ـ ﷺ ـ ابتسامة عريضة تعبر عن أحد أمرين محتملين: سعة رحمة الله، أو طمع الإنسان وحرصه على المزيد من فضل الله"(١).

وأول ما يلفت نظر المتأمل للغة الحديث، هو كلماته ومفرداته السهلة الموجزة، والتي تحمل في طياتها مخزونا من التفاصيل التي تُستخرج من دلالات ألفاظ النص، والتي تكررت ألفاظ قصتها في نصوص عديدة من الأحاديث القدسية، وفي كل مرة تكررت فيها كشفت عن ناحية من القصة ليتم تسليط الضوء عليها، ولتتناسب مع المقاصد السياقية الواردة فيها.

إن التماسك النصي من خلال أدوات الاتساق والإحالة بالضمائر وأدوات الإشارة واضح في نص الحديث، وما زاد تماسك نصه وانسجامه هو الوصل بين الجمل في قوله (إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل الجنة دخولا الجنة يُؤتى برجل ...) فجملة (إني لأعرف ... دخولا الجنة) تُثير سؤالا مفاده: من هو يا رسول الله؟ فأنزلت الجملة منزلة السؤال المثار، وكان قوله (يؤتى برجل ...) جوابا عن هذا السؤال، وذلك ما يسميه البلاغيون شبه كمال الاتصال.

---

(١) الحوار في الحديث النبوي الشريف، علوة عابد الحساني: ص٣١٦

كما يظهر الوصل بين الجمل في قوله (آخر أهل النار خروجا من النار) وجملة (آخر أهل الجنة دخولا الجنة) وقوله (اعرضوا عليه صغار ذنوبه . وارفعوا عنه كبارها) وهذا الوصل بين الجمل زاد المعنى عمقا في النفوس، وأبرز الرحمة الإلهية بين الثنائيات الضدية في قوله (اعرضوا عليه صغار ذنوبه . وارفعوا عنه كبارها) وقوله (فإن لك مكان كل سيئة حسنة) وهذه الثنائيات أوضحت المعاني الخفية وقررتها في النفوس.

كما أن في تقديم الجار والمجرور على اسم إن في قوله (فإن لك مكان) فيه تخصيص للمعنى وإبراز له، فهذا العبد صاحب الذنوب هو من سيحظى بستر الله ومغفرته. وفي لفظ (مكان) دلالة على ثبات الحسنات واستقرارها في حيز المكان الذي به السيئات، وفي هذا التعبير الحسي توضيح لمعاني المغفرة والرحمة والرضوان.

أما نهاية القصة المستقبلة فبقيت مفتوحة، لتأتي نصوص أخرى تُتَمم الفراغ الذي تركته مفتوحا في ذهن القارئ، وجعلته في شوق لمعرفته، وذلك في قوله ﷺ: ((إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا، رجلٌ يخرج من النار حبوا فيقول الله: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها مَلأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتُها ملأى فيقول: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها . أو إن لكل مثل عشرة أمثال الدنيا . فيقول تسخر مني أو تضحك مني وأنت الملك))[1] وتتكرر قصة هذا العبد آخر أهل الجنة في مواضع عديدة كحديث رؤية المؤمنين ربهم، وحديث سؤال موسى ربه عن أدنى أهل الجنة منزلا، لتوكيد الرحمة والمغفرة الإلهية التي جاءت الأحاديث القدسية بهدف توثيقها في النفوس وتبشير العباد التائبين المنيبين المستغفرين العابدين بها، وبسعة الفضل الإلهي.

ومن أمثلة العدول بالخروج عن مقتضى الحال في الأحاديث القدسية، قوله ﷺ في حديث فضل مجالس الذكر: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٥٧١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٧، رقم ٦١

وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم عز وجل ـ وهو أعلم منهم ـ ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يُسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة. قال فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة قال فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى جليسهم))[1] وهو حديث سبق التطرق إليه في فصول البحث السابقة.

وقد جاء العدول فيه عن مقتضى الحال في الحوار الخبري من قوله تعالى للملائكة (فأشهدكم أني قد غفرت لهم) إذ جاء مؤكدا بعدة مؤكدات هي (أنّ، قد، الفعل الماضي) ولفظ الشهادة (أشهدكم) ودلالته على توكيد الخبر والحدث الواقع بالشهود الموثقين، في حين أن الملائكة عندما أُخبروا بحلول مغفرة الله لعباده الذاكرين لم ينكروا هذا الفضل والمغفرة، فأُنزل الخبر الابتدائي منزلة الخبر الإنكاري من باب العدول والخروج عن مقتضى الحال، فجاء خطاب الملائكة غير المنكرين وغير المترددين في قبول ما حكم الله لعباده كخطاب المنكر قصد التأكيد على رحمة الله وثبوتها واستقرارها لهؤلاء العباد.

وللفعل الكلامي (أشهدكم) قوة تأثيرية للدلالة على المباهاة بالعباد الصالحين الذين خلقهم الله لعبادته وعمارة أرضه وطاعته رغم تحديات الشياطين وماديات عالم الحياة وأهواء النفس

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩، رقم ٣٤

البشرية. وجاء الفعل الكلامي (أشهدكم) لغرض تداولي هو تأكيد الخبر (أني قد غفرت لهم) وخبر الغفران هو كرامة وفضل عظيم يستدعي الإخبار به إشهادا وإشهارا وتوثيقا، وليس الله بحاجة لأن يُشهد أحدا على أمر هو فاعله، ولكن جاء الإشهاد ليكسب القول قوة وتأثيرا ويرفع من مقام هذه البشرى عند زفّها للنفوس.

ومن أنواع العدول في حوار الأحاديث القدسية، الانتقال من العام إلى الخاص كقوله ﷺ: ((ينزل ربُّنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثُلثُ الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له))[1] فالدعاء أمر عام يشمل المعنى الخاص الذي أتى بعده ـ السؤال والاستغفار ـ ليؤكده ويقرّر معناه في النفوس والعقول. كما أن في الحديث انتقال من العام إلى الخاص في قول (كل ليلة) ثم خُصص وقت الليل بقوله (ثلث الليل الآخر).

ومثال الإطناب بذكر الخاص بعد العام قوله ﷺ: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم، ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، فيقول: وكيف لو رأوني؟ يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا، وأكثر لك تسبيحا...))[2] فالحوار فيه تفصيل لحال الذاكرين، ونقل تصويري لمشهد حالهم من الورع والتعبد. وفي قوله (أشد لك عبادة) عبارة عامة شاملة كافية للمعنى، فالعبادة مصدر جامع لكل أفعال الطاعة والخشوع لله كتمجيده وتسبيحه، وتفصيل فروعها وتناسل معانيها من أصلها زاد المعنى إيضاحا وتخصيصا في قولهم (وأشد لك تمجيدا، وأكثر لك تسبيحا).

---

(١) أخرجه البخاري، فتح القدير: ٣/ ٢٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٨، رقم ١٢٦

(٢) صحيح البخاري: رقم٦٤٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٥٩، رقم ٣٤

وفي الحديث نفسه ذكر للعام بعد الخاص في قول الملائكة (يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك) فذكر الأنواع المتعددة للعبادة فيه إطناب محبب ذكره للنفوس المتلقية، لتعلم تفاصيل حال الذاكرين الذين فازوا بالمغفرة الإلهية، وهو من ذكر العام بعد الخاص إذ إن التمجيد لفظ يشمل معناه (التسبيح والتمجيد والحمد) وإنما ذكر الخاص لإبراز فضل اختص به وثواب يُجزى العبد عليه.

كما أن في الحديث عدولا بمخالفة الترتيب، فأتى الكلام على خلاف توقع السامع بهدف إيقاظ وعيه وتنشيط ذهنه وذلك في قول الملائكة: (كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة) إذ تقدم ذكر المسبب قبل ذكر السبب، فالرغبة هي السبب وهي الدافع لفعل الحرص والطلب والسعي لبلوغ الجنة والفوز بها، والرغبة هي القوة الكامنة والمحركة للنفس البشرية للفعل والتصرف. وجاء العدول كذلك في قول الملائكة في حال العباد لو كانوا رأوا النار (كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة) فتقدم المسبب (فرارا) على السبب (المخافة)، رغم أن الخوف هو الباعث على الفرار، وفي تقديم المسبب دلالة على شدة طلب النجاة ومظنة الهرب من النار.

ومن العدول في حوار الأحاديث القدسية، المخالفة بالانتقال من الجمع إلى المفرد لأغراض بلاغية، مثاله قوله ﷺ: ((إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربَّنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رَضِيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربُّ وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربِّ وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رِضواني فلا أسخطُ عليكم بعده أبدا))[1] فقد وقعت المخالفة بين صيغة الجمع التي تكلم بها أهل الجنة في قولهم (فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا...) وبين قولهم بالإفراد (فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك). فقولهم (يا

(١) صحيح البخاري: ٧٥٨١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٩٢، رقم ٥٧

ربِّ) بدلا من (يا ربنا) مع أنهم كانوا يتكلمون بصيغة الجمع قبلها، إشعار بأن الكلام صادر من كل واحد منهم منفردا، ودليل على كمال شعورهم جميعا بالرضى "وفيه دليل على رضا كل من أهل الجنة بحاله مع اختلاف منازلهم وتنويع درجاتهم، لأن الكل أجابوا بلفظ واحد هو أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك" (١) .

وفي حوار أهل الجنة مع ربهم يظهر أدب الحوار في الإجابة والسؤال بقولهم (لبيك ربنا ...) وقولهم (وما لنا لا نرضى يا ربُّ ...) (يا ربِّ وأي شيء أفضل من ذلك) فنداء الموجود وقت الحوار من باب استراتيجيات التضامن والتودد بذكر المنادى والتقرب إليه، فهم لم يعلموا شيئا أفضل مما هم فيه فاستفهموا عما لا علم لهم به، يقول ابن حجر في شرح هذا الحديث:" والحكمة من ذكر دوام رضاه بعد الاستقرار أنه لو أخبر به قبل الاستقرار لكان خبرا من باب علم اليقين، فأخبر به بعد الاستقرار ليكون من باب عين اليقين" (٢).

وقد تكرر المنادى بثلاث صيغ مختلفة في قول أهل الجنة (ربنا . يا ربُّ . يا ربِّ) وفي كل صيغة دلالة تميزها عن غيرها، فإسناد ضمير المتكلم (ربنا . ويا ربِّ) فيه تخصيص وتشريف وزيادة رغبة في الرعاية والرضا الإلهي، وفي قولهم (يا ربُّ) تخصيص القصد بندائه، وتعميم للخير، فلا ربَّ غيره ولا منعم متكرم إلا هو.

كما يتجلى في هذا الحديث ملمح من الملامح الأسلوبية للحوار في الأحاديث القدسية، وهو الإجابة عن السؤال بسؤال آخر جديد، يكون في موقعه أدل على المعنى من أن يُجاب عنه بالخبر المألوف، وبهذا يدخل ضمن العدول الأسلوبي، فينتقل الجواب من الخبر إلى الإنشاء بالاستفهام، وهو في قول أهل الجنة ردا على سؤال ربهم ((فيقول: هل رَضِيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربُّ وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربِّ وأي شيء أفضل من ذلك؟)) فكان الجواب بالسؤال أبلغ من الإجابة

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: كتاب التوحيد ـ باب كلام الرب مع أهل الجنة: جـ ٤، ص٤٣
(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها

بالإثبات، وأدل من أن يُجاب بالإيجاب. ومنه قوله تعالى للشهداء في الجنة ((هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أيُّ شيء نشتهي؟ ونحن نسرحُ من الجنة حيث شئنا!))[1]، ومثاله قوله ﷺ في إجابته على سؤال أصحابه ((هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟))[2].

ومن العدول عن خطاب المفرد إلى الجمع قوله ﷺ: ((أما قطع السبيل فإنه لا يأتي عليكَ إلا قليل حتى تخرج العيرُ من مكة بغير خفير، وأما العَيلة فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه ثم ليقفَنَّ أحدُكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمانٌ يترجم له ثم ليقولن له: ألم أُوتِكَ مالا؟ فليقولن: بلى ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولا فليقولن: بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتقين أحدُكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة))[3] فالخطاب بدأ بحوار المفرد (لا يأتي عليكَ) ثم عدل عنه إلى خطاب الجمع (حتى يطوف أحدكم بصدقته).

ومنه قوله ﷺ: ((ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم ... وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زَبْرَ له الذين هم فيكم تَبَعا لا يتبعون أهلا ولا مالا...))[4]، فعدل عن المفرد في قوله (الضعيف الذي لا زَبْرَ له) إلى صيغة الجمع في قوله (الذين هم فيكم تبعا). و(الزبر) العقل والصبر والانتهاء، فمن أهل النار الذين عدهم الحديث من لا عقل له ينهاه عن الانحراف نحو الشهوات، فنفسه تغلب عقله وهواه هو سيده " وأهل اللغة يقولون لا زبْر له أي: لا تماسك له، وهو في الأصل مصدر، والمعنى: لا تماسك له عند مجيء الشهوات، فلا يرتدع

(١) صحيح مسلم: ١٨٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص: ١٠٣، رقم٦٥
(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص: ١٣٤، رقم٨٨
(٣) صحيح البخاري: رقم ١٤١٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٧٤، رقم ١٢١
(٤) صحيح مسلم: رقم ٢٨٦٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٨ ـ ١١٩، رقم ٧٥

عن فاحشة ولا يتورع عن حرام، قلت: التماسك إنما هو من كمال العقل وحاصل بالصبر فيحمل على أحدهما ... والظاهر أن الضعيف وصف باعتبار لفظه تارة بالمفرد، وباعتبار الجنس أخرى بالجمع وأما الموصول الثاني بيان أو بدل مما قبله لعدم العاطف كما في الأصول المشهورة، وعليه كلام الأشرف حيث قال: (الذي) في قول الذي لا زبر له بمعنى الذين للجمع، وهو الذي جوز جعل قوله الذين هم فيكم تبع بدلا من قوله الذي لا زبر له" (١).

فيُقصد بالضعيف ضعفاء الدين الذين لا يحكمون عقولهم في التدبر وإنما تُسيرهم أهواء الدنيا وتقودهم شهواتهم، وذكر المفرد للدلالة على الجنس ثم عدل عنه إلى ذكر الجمع تنبيها لكثرتهم (الذين هم فيكم تبعا) وهو تفسير للضعيف الذي لا زبر له، فهم تبع لكل هوى لا يبالون بما يثبتون عليه من حلال أو حرام في مال أو أهل، ولا يرتدعون عن فاحش ولا ينزجرون عن محرم. أو هم الذين يعيشون عالة على أكتاف الغير ليس لهم هدف صالح في الحياة، فلا يبتغون حياة كريمة بكدهم للحصول على المال وبناء الأسرة وتربية الأهل، وإنما أخذوا الحياة سفها ولعبا، ولكثرة المنشغلين بالدنيا من بني آدم خوطبوا بالإشارة بالجمع تنبيها وزجرا لهم.

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، على القاري: جـ٧، ص٣٥

جـ الالتفات:

ومن خصائص الحوار في الخطاب القدسي (الالتفات) وتعريفه لغة من الفعل لفت وهو يدل على اللي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة " لفتَ وجهه عن القوم صرفه، والتفت التفاتا والتلفت أكثر منه، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه... واللفت: اللي. ولفته يلفته لفتا: لواه على غير جهته، وقيل: اللي هو أن ترمي به إلى جانبك. ولفته عن الشيء يلفته لفتا: صرفه" (١).

ويقول العلوي في معنى (الالتفات): " سُمي بذلك أخذا له من التفات الإنسان يمينا وشمالا، فتارة يُقبل بوجهه وتارة كذا، وتارة كذا، فهكذا حال هذا النوع من علم المعاني، فإنه في الكلام ينتقل من صيغة إلى صيغة، ومن خطاب إلى غيبة، ومن غيبة إلى خطاب إلى غير ذلك من أنواع الالتفات" (٢).

والالتفات في الاصطلاح هو " انصراف المتكلم من الإخبار إلى المخاطبة إلى الإخبار"(٣) وعرفه ابن قتيبة (٢٦٧هـ) بأنه " أن تخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب "(٤) وهو لم يُسمه بالالتفات وإنما ألمح إليه كأحد الملامح الأسلوبية الواردة في القران الكريم، وأورده في باب (مخالفة ظاهر اللفظ معناه)، وعليه فالالتفات يُعد نوعا من أنواع العدول الأسلوبي ويدخل فيه. وقال القزويني (٧٣٩هـ) "والمشهور عند الجمهور أن الالتفات هو: التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة [التكلم، والخطاب، و الغيبة] بعد التعبير عنه بآخر منها"(٥)، وقال عنه العيني هو: " والمشهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر من الطرق الثلاثة، وهي التكلم والخطاب والغيبة" (٦).

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: جـ٦ ـ مادة/ لفت
(٢) الطراز: جـ٢، ص٧١
(٣) المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام العكاوي: ص٢٠٨
(٤) تأويل مشكل القرآن: ص٩٣
(٥) الإيضاح، القزويني: ١٥٧
(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني: جـ٢/ ص١٤٦

وقد ذكر التفتازاني للالتفات قيدا هو شرط "أن يكون التعبير الثاني على خلاف مقتضى الظاهر ويكون مقتضى الظاهر سوق الكلام أن يعبر عنه بغير هذا الطريق وبهذا يشعر كلام المصنف في الإيضاح، وإنما قلنا ذلك لأنا نعلم قطعا من إطلاقاتهم واعتباراتهم أن الالتفات هو انتقال الكلام من أسلوب التكلم والخطاب والغيبة إلى أسلوب آخر غير ما يترقبه المخاطب ليفيد تطرئة لنشاطه وإيقاظا في إصغائه فلو لم يعتبر هذا القيد لدخل في هذا التفسير أشياء ليست من الالتفات منها نحو أنا زيد وأنت عمرو ونحن رجال وأنتم رجال" (١).

ويُعرفه ابن الأثير بأنه الانتقال من صيغة إلى صيغة، كالانتقال من خطاب الحاضر إلى الغائب، أو من خطاب الغائب إلى الحاضر، أو من الفعل الماضي إلى المستقبل أو من المستقبل إلى الماضي إلى غير ذلك (٢).

وتبعه العلوي في توسيع معنى الالتفات حيث أدخل فيه أنواعا من العدول الأسلوبي وذلك في قوله: "ولا شك أن هذا العلم مخصوص بهذه اللغة دون غيرها، ومعناه في مصطلح البلاغة، هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، وهذا أحسن من قولنا: هو عدول من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة، لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها"(٣).

فالالتفات جزء من نظرية العدول السياقية، لكون العدول يشمل كل الانحرافات الأسلوبية، ما جاء منها في تراكيب الجمل، أو العدول بين ألفاظ المعجم أو العدول عن حركات إعراب الكلمات، أو العدول بالتقديم والتأخير، أو العدول بالحذف، ولذلك فالالتفات يدخل في حيز العدول السياقي كونه عدول في استخدام الضمائر، فـ "كل التفات هو عدول ولكن ليس كل عدول هو التفات، فالعدول أعم من الالتفات " (٤).

---

(١) كتاب المطول، سعد الدين التفتازاني: جـ١، ص١٣١
(٢) ينظر: المثل السائر، ابن الأثير: جـ٢،ص: ١٦٨
(٣) الطراز: جـ٢، ص٧١
(٤) تجليات الالتفات في فضاء الخطاب القرآني، نوافل يونس الحمداني، ص١١

والالتفات أنواع منها الالتفات من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة، والالتفات من الغيبة إلى الخطاب، والالتفات من التكلم إلى الخطاب، والالتفات من الخطاب إلى التكلم، والالتفات من الغيبة إلى التكلم، ومن التكلم إلى الغيبة [١].

ومقاصد الالتفات البيانية تتنوع بحسب السياقات الوارد فيها فـ " يكون حسب موقعه في البلاغة وموارده في الخطاب ... ويكون إيقاظا للسامع عن الغفلة، وتطريبا له بنقله من خطاب إلى خطاب آخر... والرجوع من الغيبة إلى الخطاب كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢] ثم قال بعد ذلك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٣]، لأن ما تقدم من قوله: (الحمد لله) إنما هو للغائب ولو أراد الخطاب، لقال الحمد لك، لأنك أنت رب العالمين" [٤].

وفي هذا الالتفات تنبيه إلى مضمون هو أن العبادة أمر مخصوص وخالص لله تعالى، ومنه في الأحاديث القدسية قوله ﷺ: ((قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين قال: مجدني عبدي (وقال مرة فوض إليّ عبدي) فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل)) [٥].

ومثال (الالتفات) في الحوار الوارد في الأحاديث القدسية، قوله ﷺ في حديث الاحتضار وخروج الروح: ((فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من

---

(١) أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، عدنان عبد الكريم فاضل: المقدمة ص٥
(٢) سورة الفاتحة:٢
(٣) سورة الفاتحة: ٥
(٤) الطراز، العلوي: جـ٢، ص٧٢
(٥) صحيح مسلم: ٣٩٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٢٦، رقم ١٥٣

ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا أدري ...)) (١).

والرسول ﷺ هو راوي الحديث وناقله، وجاء السؤال على لسانه (ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم) لأنه في حواره حكاية لقول الملائكة للمقبور" والقائل هما الملكان السائلان المسميان بمنكر ونكير، فإن قلتَ لم لا يقولان رسول الله ؟ قلت: لئلا يتلقن المقبور منهما إكرام الرسول ورفع مرتبته فيعظمه تقليدا لهما لا اعتقادا" (٢).

ومن صور الالتفات في الحديث القدسي، الالتفات من التكلم إلى الغائب في قول راوي الحديث "بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله! قال: أنزلت علي آنفا سورةٌ فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر﴾ ثم قال: (أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نَهرٌ، وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير، وهو حوض تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيتُهُ عدد النجوم، فَيُخْتَلَجُ العبدُ منهم فأقول: ربِّ إنه من أمتي، فيقول: ما تَدْرِيْ ما أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ)) (٣).

فالالتفات جاء من التكلم في قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) إلى الغيبة في قوله (فصل لربك وانحر) فالله جل وعلا هو المتكلم المخاطب للنبي ﷺ، وكان على الأصل أن يقال (إنا أعطيناك الكوثر فصل لنا) وفائدة الالتفات هنا تستخرج من السياق وهي تخصيص العبادة لله تعالى فهو وحده المعبود ولا عبادة لسواه. وفي لفظ (إنا) دلالة على التعظيم وهيبةً للمتكلم،

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد: ٤/ ٢٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١٦، رقم٧٣
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني: جـ٢/ ص١٤٦
(٣) صحيح مسلم: ٤٠٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٤٢، رقم٩٤

وهو من الاستراتيجية التضامنية، إذ يضفى وقارا وهيبة واحتراما في خطاب المتكرم بالامتنان سبحانه وتعالى.

وكذلك من صور الالتفات في الأحاديث القدسية قوله ﷺ في خطبته: ((ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبدا حلالٌ، وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم ... وإن الله نَظَر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقية من أهل الكتاب))[1] فهنا في هذا الحديث أنواع من الالتفات تبدأ بالالتفات من الغيبة في قوله (ألا إن ربي أمرني) إلى التكلم في قوله (كل مال نحلته عبدا حلالٌ). ومن الالتفات قوله (وإني خلقتُ عبادي ... وإن الله نظر إلى أهل الأرض) وهو التفات من التكلم إلى الغيبة وكان الأصل (وإني نظرتُ إلى ...) وكان مقصد الالتفات الدلالة على الصدود والإعراض عن حال البشرية قبل البعثة المحمدية وبيان ما كانوا عليه من كفر وضلال.

وفي الحديث نفسه التفات من الخطاب إلى التكلم في قوله ﷺ: ((وقال إنما بعثتُكَ لأبتَليكَ وأبتلي بكَ وأنزلتُ عليك كتابا لا يغسله الماءُ تقرؤه نائما ويقظانَ، وإن الله أمرني أن أحرق قريشا...)) فالالتفات جاء من الخطاب في قوله (بعثتُكَ لأبتَلِيَكَ وأنزلتُ عليكَ) إلى التكلم في قوله (وإني أمرني ربي) وأصل التعبير (وأمرتُكَ أن تحرق قريش ...) فعدل عنه إلى التكلم المباشر ليكون مدخلا للحوار التالي بين الرسول ﷺ وربه تعالى، وبيانا لأهمية أمر الجهاد والدعوة إليه بدليل قوله (استخرجهم كما استخرجوك واغْزُهُم نُغْزِك وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشا نبعث خمسة مثْلَهُ). وضمير الجمع في قوله (نغزك . فسننفق عليك) فيه

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٨٦٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية: ص١١٨، رقم ٧٥

تعظيم للذات الإلهية ومعاضدتها ومساندتها للرسول ﷺ في نشر دعوته بتأييده وتثبيته، وهو من آليات الاستراتيجية التضامنية التي سبق تفصيلها في بداية هذا المبحث.

ومن أمثلة الالتفات من التكلم إلى الغائب، قوله ﷺ: ((أن ذكر رجلا فيمن سلف ـ أو فيمن كان قبلكم ـ قال كلمةً يعني أعطاه الله مالا وولدا فلما حضرت الوفاة قال لبنيه: أيَّ أبٍ كنتُ لكم؟ قالوا: خيرَ أب قال: فإنه لم يبتئر ـ أو لم يبتئز ـ عند الله خيرا، وإن يقدر الله عليه يُعذِّبه فانظروا إذا متُّ فأَحرقوني حتى إذا صرتُ فحما فاسحقوني...))[1] فعُدل من صيغة التكلم في قوله (أي أب كنتُ لكم) إلى الغيبة في قوله (فإنه لم يبتئر) أي لم يدّخر عملا خيرا عند الله ينجيه من عذابه، ودلالة الالتفات هنا هي تنبيه المتلقي إلى السبب الباعث لطلب الأب بحرقه وسحقه بعد الموت، وإبراز للمفارقة بين ظنون العبد وبين خوفه من الله، وهذه العناصر مجتمعة أبرزت عنصر المفاجأة وأوحت بواقعية الأحداث وقربت الموقف إلى ذهن المتلقى بالتشويق والمفاجأة.

وفي قوله ﷺ في حديث رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة: ((فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون الساق، فيكشفُ عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ...))[2] فعدل عن الخطاب بصيغة التكلم (أنا ربكم) إلى صيغة الغائب (هل بينكم وبينه آية تعرفونه) وفائدته التعظيم وبيان هول الموقف ورهبته.

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٤٢، رقم ٢٦

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٤، رقم ٨٨

ومن الالتفات من ضمير المخاطب إلى الغائب قوله ﷺ: ((إن الله عز وجل يقول: أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت شفتاهُ))[1] فانتقل الخطاب للعبد من ضمير المتكلم (عبدي) إلى ضمير الغائب (هو ـ شفتاه) العائد على العبد، تنبيها باختلاف الأساليب إلى مكانة الذاكرين وعظيم منزلتهم عند الله.

ومن الالتفات من الغيبة إلى التكلم، قوله تعالى: ((يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار))[2] فجاء خطاب الغيبة في قوله (يؤذيني ابن آدم) إلى التكلم في قوله (وأنا الدهر، لفائدة بيانية هي التحذير والوعيد من سب الدهر. وفي قوله ﷺ: ((انتدب الله لمن خرج في سبيله ـ لا يُخرجه إلا إيمانٌ بي وتصديقٌ برُسلي ـ أن أرجعه بما نال من أجرٍ أو غنيمة أو أدخله الجنة ولولا أن أشُقَّ على أمتي ما قعدتُ خلف سرِيّة، ولوَدِدْتُ أن أُقتَلُ في سبيل الله ثم أُحْيا ثم أُقتل ثم أُحيا ثم أُقتل))[3] وموضع الالتفات هنا قوله (لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي) فهو التفات من الغيبة في قوله (انتدب الله لمن يخرج في سبيله) إلى التكلم.

ونسق الكلام أن يكون (لا يخرجه إلا إيمان به) فجاء الالتفات لتخصيص الإيمان لله تعالى، وجاء الالتفات بغرض لفت الانتباه إلى أهمية المعنى المبلّغ للعباد، وهو خلوص نية الجهاد في سبيل الله إعلاء لكلمته ونصرة لدينه. ويتداخل الحوار وتتداخل الأصوات في نص الحديث، فبعد الخطاب الإلهي في قوله تعالى (لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجرٍ أو غنيمة أو أدخله الجنة) نسمع حوار الرسول ﷺ لأصحابه وللمتلقين جميعا بقوله (ولولا أن أشُقَّ على أمتي ما قعدتُ خلف سرِيّة، ولوَدِدْتُ أن أُقتَلُ في سبيل الله ثم أُحْيا ثم أُقتل ثم أُحيا ثم أُقتل).

---

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٢/ ٥٤٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦١، رقم ٣٦

(٢) صحيح البخاري: رقم ٤٨٢٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٣٦، رقم ١٥٨

(٣) صحيح البخاري: رقم ٣٦، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي:ص١٠٧، رقم ٦٨

وتظهر في الحديث إحدى خصائص لغة الخطاب القدسي، وهي استخدام أساليب كلام العرب في قوله (وأنا الدهر) فظاهر التعبير أن الدهر هو الله تعالى أو أحد أسمائه، ولكن المقصود هو أنه تعالى صاحب الدهر، ومسبب أحداثه. والجملة من الإجمال الذي أتى بعده تفصيل، وهو كذلك من الأساليب الشائعة في الكلام بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كقول الشاعر:

قالت وكنت رجلا فطينا ... هذا لعمرُ اللهِ إسرائينا [١]

أي ممسوخ بني إسرائيل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾[٢]، أي أهل القرية. ومن أمثلة تقارب لغة الحديث القدسي مع أساليب العرب قوله ﷺ: ((إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أوتي أهل التوراة التوراة فَعَملوا بها حتى انتصفَ النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين ...))[٣]. وفي الحديث تكرار لكلمة (قيراط) بصيغة (قيراطا قيراطا ـ وقيراطين قيراطين) " ليدل على تقسيم القراريط على العمال، لأن العرب إذا أرادت تقسيم الشيء على متعدد كررته كما يقال: أقسم هذا المال على بني فلان درهمًا درهمًا، لكل واحد درهم" [٤].

ومن الالتفات من الغيبة إلى التكلم، قوله ﷺ: ((إن ربَّك يعجبُ من عبده إذا قال اغفر لي ذنوبي، يعلمُ أنه لا يَغفر الذنوب غيري))[٥] فانتقل خطاب الغيبة في قوله (إن ربَّك

(١) البيت لأعرابي لم يذكر اسم صاحبه، ينظر: شرح ابن عقيل: جـ٢، ٦٢
(٢) سورة يوسف: ٨٢
(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٥٣٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص: ١٥٠، رقم١٠١
(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: كتاب مواقيت الصلاة:ص٣٣٢
(٥) حديث صحيح أخرجه أبو داود: رقم ٢٦٠٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٦٦، رقم٤١

يعجبُ من عبده إذا قال اغفر لي ذنوبي) إلى التكلم في قوله (يعلمُ أنه لا يَغفر الذنوب غيري) وهذا الالتفاف للتنبيه على سعة رحمة الله ومغفرته لعباده.

وكما يقع الالتفات من الغيبة إلى التكلم يقع كذلك من الغيبة للخطاب، كقوله ﷺ: ((كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله، فقال لأهله إذا أنا متُّ فخذوني فذرُّوني في البحر في يوم صائف [وفي رواية أخرى/ عاصف] ففعلوا، فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال: ما حملني إلا مخافتُكَ، فغفر له))[1] ففي قوله (كان ممن كان قبلكم رجل يسيء الظن بعمله) خطاب فيه التفات من الغيبة إلى التكلم في قول الرجل (إذا أنا متُّ فخذوني فذرُّوني في البحر).

ومن خصائص الحوار في خطاب الأحاديث القدسية، تكرار فعل القول ومشتقاته، كقال أو يقول الله عز وجل، ويُقال لهم، وقال ويقول الرسول ﷺ، وقال ويقول العبد، وقال جبريل، وقالت الملائكة، وقال ملَكٌ، وقالت الجنة، وقالت النار، وقال إبليس، وقال راوي الحديث نقلا عن رسول الله ﷺ، وقال الناس كذا ... الخ. وتكرار هذه الأفعال يدل على أن الحوار قد استوعب طبقات الخطاب كلها في نصوص الأحاديث القدسية، وأنه حوار واسع النطاق يقوم على التناوب، يتعدد فيه المشار إليه وتتعدد فيه الأصوات المتحاورة بانسجام، وتتسق في حواره جميع الأقوال المتداخلة أخذا وردا.

وفي هذا التداخل القولي دلالة على أن لغة الخطاب القدسي هي لغة مشافهة وإن وصلت إلينا بعد عصر التدوين مكتوبة موثقة بهدف حفظ الحديث ونقله من صدور الحفاظ إلى الأوراق في كتب العلم، فيظل محفوظا عبر الأزمنة والأمكنة. كما أن تداول فعل القول بكثافة

(١) صحيح البخاري: رقم ٦٤٨٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٤٢، رقم ٢٥

عبر سياقات الأحاديث القدسية فيه دلالة على صحة الرواية وثقة الرواة، وأنها أحاديث نقلت إلينا بسياقاتها التي وردت فيها بدقة وتثبت عبر السند المحكم عن الرواة والعلماء.

والمستهدف من هذه الخطابات القدسية التي تخللها الحوار المتعدد الأطراف والمتداخل الأصوات هو المتلقي قارئ النص، والمتلقي الضمنى والمتلقي الكوني في كل الأزمنة والمقامات، فكان الحوار وسيلة للدعوة والوعظ وإيصال المفاهيم التربوية بشكل غير مباشر، عبر خطاب موجه لشخوص لا يعرفهم المتلقي إلا أنهم يشبهونه في بشريتهم وآدميتهم التي تكرر أمرها في مواضيع عديدة من الأحاديث القدسية بقوله تعالى (يا ابن آدم) فيكون البشر كلهم سواسية في توجيه الخطاب وتبليغ الدعوة وتوصيل المقاصد والمضامين. وقد سبقت الإشارة إلى هذا الملمح الأسلوبي في الفصل الثالث من البحث.

د . التناص:

ومن الملامح الأسلوبية للحوار في خطاب الأحاديث القدسية (التناص) وهو مفهوم متصل بعلم النص، وترد كلمة التناص في لسان العرب بمعنى الاتصال" يقال هذه الفلاة تناص أرض كذا وتواصيها أي تتصل بها "[1] وتفيد معنى الانقباض والازدحام " انتص الرجل: انقبض وتناصى القوم ازدحموا " [2].

وهذه المعاني اللغوية قريبة من مفهوم التناص فتداخل النصوص قريب من معنى اتصالها وتداخلها ببعضها، و(التناص) اصطلاحا هو التداخل مع النصوص الأخرى، والتعالق معها "وهو تشكيل نص جديد من نصوص سابقة وخلاصة لنصوص تماهت فيما بينها فلم يبق منها إلا الأثر، ولا يمكن إلا للقارئ النموذجي أن يكتشف الأصل، فهو الدّخول في علاقة مع نصوص بطرق مختلفة يتفاعل بواسطتها النص مع الماضي والحاضر والمستقبل ويتفاعل مع القراء

(١) ابن منظور: مادة نصا
(٢) تاج العروس، الزبيدي: مادة نصص

والنصوص الأخرى" [1] إن القارئ الذي يستخرج التقارب الفكري واللفظي بين النص القرآني ونصوص الأحاديث القدسية يقبل على النص بذخيرة معرفية مسبقة، ليكتشف الجوانب المتصلة والمتداخلة بين النصين، فيرجع كل فرع إلى أصله، ويرد كل رافد إلى منبعه.

ومصطلح التناص يتداخل مع مفهوم (الحوارية) الذي يدعو إلى حوارية اللغة وأن الكلمة طاقة منفتحة وفعالة، تنشأ نتيجة التفاعل اللفظي بين كلمات الحوار الذي تتعدد فيه الأصوات وهو البعد اللغوي للكلمة وتقاطعها مع كلمات أخرى، وجذور مصطلح التناص ظهرت في إرهاصات علماء العربية ودراستهم (للتضمين والاقتباس) في النصوص. فهو مصطلح حديث لظاهرة قديمة وقف عليها علماء العربية ولكنها لم تتبلور عندهم كمنهج بحثي مستقل، ومن علماء العربية الذين التفتوا إليها السكاكي والقرطاجني والجرجاني [2].

وقد ذكر (ابن فارس) في كتابه (الصاحبي) ظاهرة من ظواهر النظم القرآني تتقارب مع التناص سماها (الاقتصاص) وعرَّفها بقوله: " أن يكون كلام في سورة مقتصا من كلام في سورة أخرى أو في السورة معها" [*] وفي ضوء العلاقة بين الاقتصاص والتناص أشار الدكتور ياسر عبد الحسيب رضوان إلى أن القرآن الكريم قد اشتمل على ظاهرة التناص الداخلي بين آياته الكريمة عندما استحضر بعض نصوص الآيات الكريمة ـ كلمة أو جملة أو بعض جمل ـ في نصوص آيات أخرى من السورة نفسها، أو في سورة أخرى لوجود علاقة ما بين النصين المقتص والمقتص منه، أو النص المحتاج إلى بيان والنص الذي يحقق هذا البيان [3].

كما ذكر أن المتشابهات القرآنية تتداخل مع مصطلح التناص لوجود تشابه وتناظر بين ألفاظ القرآن الكريم، وأشار إلى كتاب (مشتبهات القرآن) للكسائي (ت١٨٩هـ) " متشابه القرآن " الذي أحصى فيه متشابهات ألفاظ القرآن الكريم لفظا وتركيبا. وذكر أن من أنواع

---

(١) مفهوم التناص، المصطلح والإشكال، مليكة فريحي: ص٢٦
(٢) ينظر: المرجع السابق: ص٢٧
(*) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها: ص١٨١
(٣) ينظر: التناص القرآني ـ دراسة في أشكال العلاقة بين الآيات القرآنية الكريمة: المقدمة ص١١

المتشابهات في القرآن إيراد القصة الواحدة في صور شتى كما ذهب إلى ذلك الزركشي (ت٧٩٤هـ) في كتابه (البرهان في علوم القرآن) والسيوطي (ت٩١١هـ) في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) (١).

وعليه بالقياس، فالتناص موجود في الأحاديث القدسية بتقارب نصوصها وتداخل مفاهيمها مع بعضها، وكذلك في تشابه ألفاظها، وقد سبقت الإشارة إلى هذه الفكرة في الفصل الثالث من هذا البحث تحت موضوع التكرار. ويعد التناص من شروط النصية، نظرا لأهمية العلاقات بين النصوص في تحقيق مبدأ النصية. وفي الأحاديث القدسية نوع خاص من التناص في تقارب نصوصها من ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، فهناك علاقة حضور حرفي بين النصين تكون متطابقة أو شبه متطابقة في الألفاظ وتراكيب الجمل والمعاني.

فقد يوظف التناص القرآني في بناء نص الحديث كاملا، وذلك حين يأتي الحديث القدسي شارحا مفصلا لبعض آيات القرآن الكريم كما في حديث فضل سورة الفاتحة، يقول ﷺ: ((قال الله تعالى: قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين. ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي (وقال مرة: فوض إليّ عبدي) فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل)) (٢).

(١) ينظر: التناص القرآني ـ دراسة في أشكال العلاقة بين الآيات القرآنية الكريمة: المقدمة ص١١
(٢) صحيح مسلم: رقم ٣٩٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٢٦ ـ ٢٢٧،رقم:١٥٣

أما التناص الجزئي مع ألفاظ القرآن ففي قوله ﷺ: ((هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تُسدُّ بهم الثغور... قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار))[1] والحديث يتناص مع قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[2].

ومنه قوله ﷺ: ((سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة... قال رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ غرستُ كرامتهم بيدي وختمتُ عليها فلم تر عينٌ ولم تسمع أذنٌ ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)) [3].

وكذلك من أمثلته قوله تعالى للعبد في حديث البطاقة: ((أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة ...)) [4] والحديث يتناص مع قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[5]. ومنه قوله ﷺ: ((فيَلقَى العبد فيقول: أي فلْ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذَرْكَ ترأسُ وتربعُ فيقول بلى أي رب فيقول أفظننت أنك ملاقيَّ فيقول لا فيقول فإني أنساك كما نسيتني ...)) [6] وفيه تناص مع قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد: ٢/ ١٦٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٦٥، رقم ١٧١
(٢) سورة الرعد:٢٣ ـ ٢٤
(٣) صحيح مسلم: ١٨٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٩٦، رقم٦٠
(٤) حديث صحيح، أخرجه الترمذي: رقم ٢٦٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٣٣، رقم ١٨
(٥) سورة غافر: ١٧
(٦) صحيح مسلم: رقم ٢٩٦٨ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٢٤، رقم ٧٩

دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (١) .

ومن التناص في الأحاديث القدسية قول جبريل عليه السلام للنبي محمد ﷺ: ((إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ...))(٢)، وفيه تناص مع قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٣).

وقوله ﷺ: ((إن الله عز وجل قال أنا عند ظن عبدي بي إن ظن بي خيرا فله وإن ظن شرا فله))(٤) يتناص مع قوله تعالى ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (٥). وفي قوله ﷺ: ((إن الله عز وجل يقول أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت شفتاه))(٦) تناص مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾(٧).

ومن التناص قول العبد المنيب المستغفر لذنبه: ((رب أصبت ـ أو أذنبت ـ آخر فاغفره لي فقال أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء))(٨) وهو يتناص مع قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٩).

---

(١) سورة الأعراف: ٥١
(٢) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد: ١/ ٢٤٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٥٥، رقم١٠٦
(٣) سورة المائدة: ١١٥
(٤) حديث صحيح لغيره، أخرجه الإمام أحمد: ٢/ ٣٩١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٥٤، رقم٢٩
(٥) سورة الأحزاب: ١٠
(٦) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٢/ ٥٤٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٦١، رقم٣٧
(٧) سورة النحل: ١٢٨
(٨) صحيح البخاري: رقم ٧٥٠٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٦٣، رقم ٣٨
(٩) سورة القصص: ١٦

وفي قوله ﷺ: ((إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيُعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين))[1] والحديث في آخره يتناص مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[2].

وفي قوله ﷺ: ((إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أحدا))[3] والحديث يتناص مع قوله تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[4]، ومنه قوله ﷺ: ((... فيعرفونهم في النار بأثر السجود، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود...))[5] وهذا الجزء من الحديث يتناص مع قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[6].

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٢٤٤١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٧٤، رقم٤٦
(٢) سورة هود: ١٨
(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٨، وصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٩٢، رقم٥٧
(٤) سورة البينة: ٨
(٥) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٧، وينظر: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٩٩، رقم٦٣
(٦) سورة الفتح: ٢٩

وأمثلته في الأحاديث القدسية كثيرة كقوله ﷺ لصحابته: ((هل تدرون مم أضحك؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مُخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تُجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أُجيز على نفسي إلا شاهدا مني. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا. قال: فيُختم على فيه فيقال لأركانه انطقي. قال: فتنطق بأعماله قال: ثم يُخلى بينه وبين الكلام. قال: فيقول: بُعدا لكنَّ وسحقا فعنكن كنت أُناضل))[1] والحديث يتناص مع قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [2].

وكذلك قوله ﷺ في حديث الشفاعة ((... فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط واشفع تُشفع فأقول: يا رب أمتي أمتي فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار ...))[3] والحديث يتناص مع قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [4].

وفي قوله ﷺ: ((إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ...))[5] تناص مع قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[6] وكذلك في قوله ﷺ:

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٩٦٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٢٥، رقم٨٠
(٢) سورة النور: ٢٤
(٣) صحيح البخاري: رقم ٧٥١٠، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٤٤، رقم ٩٥
(٤) سورة الأنبياء: ٤٧
(٥) صحيح البخاري: رقم ٦٤٩١، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٤، رقم٤
(٦) سورة الأنعام: ١٦٠

((يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ...))[1] تناص مع قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[2].

وكما ورد التناص متداخلا بين ألفاظ الحديث القدسي وألفاظ القرآن الكريم، جاءت بعض الآيات القرآنية كشواهد مستقلة بنصِّها ضمن بنية نصوص الأحاديث القدسية، وترد كاستشهاد من الرسول ﷺ يؤكد توافق النصين وتطابق معانيهما، من ذلك قوله ﷺ في حديث الاحتضار: ((... فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث فيقولون: فلان بنُ فلان بأقبح أسمائه التي كان يُسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يُفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[3] فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[4] فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ...))[5] ولهذا الاستشهاد القرآني دور في بناء نص الحديث القدسي وتوضيح مفرداته وتقريرها.

---

(١) صحيح مسلم: ٢٦٨٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ٣٠، رقم١٥
(٢) سورة الشورى: ٤٠
(٣) سورة الأعراف:٤
(٤) سورة الحج:٣١
(٥) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد: ٢٨٧/٤، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١١١، رقم٧٣

ومن التضمين قوله ﷺ في حديث المعراج: ((... ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب ودعا لي بخير قال الله عز وجل: (ورفعناه مكانا عليا) ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ...))[1] وهذا الاستشهاد القرآني يُقوي مفاهيم النصوص القدسية، ويجعلها مفسرة لبعضها متكاملة، ويؤكد وحدة مصدرها ومُرسلها.

ومن الخصائص البلاغية للغة الحوار في الأحاديث القدسية، التمثيل وضرب المثل، وهو من خصائص لغة الحوار التصويرية التي تنقل المعنى العقلي المجرد إلى حسي ملموس. وللتمثيل وظيفة تبليغة وتداولية، وفي أهميته يقول الجرجاني: " واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا"[2] وعلى هذا فللمثل دور في تقريب المقصود، وبيان المعنى مجسدا ماثلا كحجة واضحة.

(١) صحيح مسلم: رقم ١٦٢، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ـ ١٥٩ ـ ١٦١، رقم١٠٩
(٢) أسرار البلاغة: ص١٦٧

ومن أمثلته في الأحاديث القدسية قوله ﷺ، في حديث تحريم الظلم: ((... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَطُ إذا أُدخل البحر))[1] فهو مَثَل مضروب لبيان سعة رزق الله وعظمته، وقد وظف المثل عناصر من واقع الحياة تألفها النفوس كالبحر والمخيط، لتقريب المعاني المعقولة، فلا يحتاج بني آدم للتظالم ولهم رب يملك خزائن السموات الأرض ولا ينضب ملكه، وإنما يزداد بكثرة السائلين والموهوبين.

ومن التمثيل في الأحاديث القدسية قوله ﷺ: ((إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صُلِّيت العصر ثم عجزوا فأُعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين فقال أهل الكتاب: هؤلاء أقل منا عملا وأكثر أجرا قال الله هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟ قالوا: لا فقال: فهو فضلي أوتيه من أشاء))[2].

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٥٧٧، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢٤١، رقم١٦٠

(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٥٣٣، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٥٠، رقم١٠١

ومنه قوله ﷺ في حديثه عن الكلمات التي أمر الله بها يحيى بن زكريا عليهما السلام: ((إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمُرَ بني إسرائيل أن يعملوا بها ... فقال: إنّ الله أمرني بخمسِ كلماتٍ أن أعمل بِهِنَّ وآمُرَكُمْ أن تعملوا بهن أولُهُنَّ أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وإنّ مَثَلَ من أشرك بالله كمثلِ رجلٍ اشترى عبدا من خالصِ ماله بذهبٍ أو ورقٍ فقال: هذه داري وهذا عملي فاعملْ وأدِّ إليَّ فكان يعملُ ويُؤدِّي إلى غيرِ سيِّدِهِ فأيُّكُمْ يرضى أنْ يكونَ عبدُه كذلك؟ وإنَّ الله أمَرَكُمْ بالصلاةِ فإذا صليتُمْ فلا تَلتفِتوا فإنَّ اللهَ يَنْصِبُ وجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ في صلاتِهِ ما لم يلتفتْ، وآمُرُكُمْ بالصيام فإن مَثَلَ ذلك كمثل رجل في عصابةٍ معه صُرّةٌ فيها مِسكٌ فكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أو يُعْجِبُهُ ريْحُهَا وإنَّ ريحَ الصائمِ أطيبُ عند الله من ريحِ المسك، وآمُرُكُمْ بالصدقة فإن مَثَلَ ذلك كمثل رجل أَسَرَهُ العدُوُّ فأَوْثَقُوا يدهُ إلى عُنُقِهِ وقدّمُوهُ لِيَضربُوا عُنُقَهُ، فقال: أنا أَفْدِيهِ منكُمْ بالقليلِ والكثيرِ فَفَدَى نفسَهُ منهمْ، وآمُرُكُمْ أن تذكروا الله فإنَّ مَثَلَ ذلك كمثلِ رجلٍ خرج العدُوُّ في أثرِهِ سِراعا حتى إذا أتى على حِصْنٍ حَصِيْنٍ فَأَحْرَزَ نفسَهُ منهم كذلك العبدُ لا يُحْرِزُ نفسَهُ من الشيطانِ إلا بذكر الله))[1].

والمجاز والتشبيه في الأحاديث القدسية ليس بالكثير، فأغلب حواراته جاءت سهلة رقراقة، وإنما رُصعت أحيانا بالمجازات والتشبيهات ومزجت بالتمثيل في المواقع التي تحتم تسليط الضوء عليها بالبيان والتوضيح بهدف الإفهام، كقوله ﷺ: ((أتاني جبريل بمثل هذه المرآة البيضاء فيها نكتة سوداء))[2]، وقوله ﷺ: ((... والذي نفسي بيده إني أرجوا أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنة. فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة. فكبرنا، فقال: أرجوا أن تكونوا نصف

(١) حديث صحيح أخرجه الترمذي: رقم ٢٨٦٣ ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص٢١٥، رقم١٤٦
(٢) حديث صحيح، أخرجه أبو يعلى: جـ٢٢٨/٧، رقم ٤٢٢٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٤٩ ، رقم ١٠٠

أهل الجنة. فكبرنا، فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثورٍ أسود)) (١).

وفي وصف عبور الجسر فوق جهنم يقول ﷺ: ((وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ... فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل)) (٢) وتشبيه الكلاليب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها، تمثيلا لها بما عرفوه في الدنيا، وألفوه بالمباشرة. وفي النص سؤال محذوف تقديره (ما قدر عظمها؟) فأتي الجواب المتضمن للمعنى والموحي بالسؤال في قوله (غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله) وفي هذا الجواب استدراك على تشبيه الكلاليب بشوك السعدان، للإشارة إلى أن التشبيه لم يقع في مقدارهما. فلا يعلم إلا الله قدر عظمهما (٣).

وفي قوله (فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل) الحِبّة بكسر الحاء وتشديد الباء، بذر البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول وجمعها حبب، بكسر الحاء وفتح الباء، وأما الحبة بفتح الحاء فهي ما يزرعه الناس، وجمعها حبوب (وحميل السيل) بفتح الحاء وكسر الميم، هو ما جاء به السيل من طين أو غثاء، وما حمله الغثاء من البذور خاصة وفي رواية من (حمئة السيل) وهو ما تغير لونه من الطين، وخص بالذكر لأنه يقع فيه النبت غالبا. وفي هذا التشبيه إشارة إلى سرعة نباتهم لأن الحبة أسرع في الإنبات من غيرها، وفي السيل أسرع، لما يجتمع فيه من الطين الرخو الحادث مع الماء، مع ما خالطه من حرارة الزبل المجذوب معه. ويستفاد من هذا التشبيه أنه كان ﷺ عارفا بجميع أمور الدنيا بتعليم الله تعالى له وإن لم يباشر ذلك (٤).

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٣٣٤٨، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١٢٣ ، رقم ٧٨
(٢) صحيح البخاري: رقم ٧٤٣٩، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص١٣٢ ـ ١٣٥، رقم٨٨
(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين: جـ١، ص٥٩٢ ـ ٥٩٣
(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: جـ ١١، ص٤٦٢

وكما ورد التشبيه والتمثيل في الخطاب القدسي، ورد المجاز في قوله تعالى: ((وأنزلتُ عليكَ كتابا لا يغسِلُهُ الماءُ تقرؤه نائما ويقظانَ))[1] ففي قوله (لا يغسله الماء) كناية عن حفظه في الصدور وخلوده عبر الأزمان لكونه محفظا في الصدور قبل الكتب، وقوله (تقرؤه نائما ويقظانا) أي محفوظا وقيل دلالة على يسره وسهولته. وهذه الأمثلة تدخل في مستويات الخطاب البلاغية وهي من المباحث التي تتكامل مع مستويات الخطاب في الأحاديث القدسية، وتحتاج لمزيد من البحث لاستكمال مباحث علم الحديث القدسي التي لا تنضب قداسة ولا تنتهي كرما وتفضلا.

****

(١) صحيح مسلم: ٢٨٦٥، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص ١١٨ ، رقم ٧٥

الخاتمة:

درس هذا البحث الأحاديث القدسية باستقراء المضامين وربطها بالعناصر المكونة للبنية اللغوية من حيث تركيبها ونظمها وأساليبها، وفي هذا إحياء لمنهج التطبيق اللغوي للقواعد والأحكام النظرية، وجمع إلى جانب هذا التوجه الأصيل علوم مناهج الدراسات اللغوية واللسانية الحديثة التي وضع أساسها علماء العربية الأوائل وطورها علماء الغرب وأقاموا لها مناهج ومدارس لتحليل النص والخطاب. وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١. تختلف الأحاديث القدسية عن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فهي نصوصٌ ألفاظها من الله تعالى وراويها هو النبي محمد ﷺ، فتختلف عن القرآن الكريم المنزل من اللوح المحفوظ بواسطة جبريل عليه السلام على النبي محمد ﷺ المعجز بلفظه والمتعبد به، وتختلف كذلك عن الحديث النبوي الذي لفظه من النبي ﷺ ومعناه من الله تعالى.

٢. الأحاديث القدسية تختلف في مضامينها عن الأحاديث النبوية الشريفة فهي لا تركز على التشريع والأحكام، وإنما تعرض أسلوبا راقيا للحياة في الأرض وتعرض صورا للرحمة والغفران في الآخرة وبعد الحساب.

٣. الأحاديث القدسية نص وخطاب في الوقت نفسه.

٤. الخطاب أعم من النص، والأحاديث القدسية تلقاها الناس وقت نزولها مشافهة عن الرسول الله ﷺ فكانت خطابا يتضمن المعاني والأفكار الشفوية وبفعل الكتابة والتدوين تحولت إلى نص مكتوب.

٥. تتميز الأحاديث القدسية بأنها تشكل أسلوبا دينيا في التربية فهي تركز على الروحانيات والوجدانيات، وتهدف إلى توجيه النفس نحو الخير والصلاح، وتهذيبها وتشويقها للمغفرة والرضوان.

٦. الأحاديث القدسية نصوص تتشابك فيها العلاقات بين البنى اللغوية والمضامين في نسيج محكم متداخل الأطراف، وقد شكل هذا وحدة نصية وتماسكا داخليا بين مضامينها.

٧. تكررت بعض الألفاظ في الأحاديث القدسية مثل (عبادي، ربي، ابن آدم، غفرتُ) وهذه الألفاظ ترتبط بالعبودية والربوبية والغفران.

٨. للأحاديث القدسية مقاصد كلية وأخرى داعمة للمقاصد الكلية، وتدور مضامينها حول مركز هو موضوع (المغفرة) وسبل تحققها وشرف نيلها، ويكشف الله بها عن واسع مغفرته وقبوله لتوبة عباده، وسرعة رضاه وفرحه بإنابتهم إليه.

٩. تخاطب الأحاديث القدسية البشرية جمعاء، وتستميل القلوب بالحب الإلهي، لتجعل العبد يرتقي في مدارج القداسة والتعفف والتقرب إلى الله.

١٠. ألفاظ الأحاديث القدسية بسيطة سهلة يفهمها العامة ويفهمها الخاصة وخاصة الخاصة من العلماء والمتدبرين لنصوصها ولكلٍ مِنهم أفق يتسع فائدة وعلما وهداية.

١١. يشكل الحوار نمطا واضحا وأسلوبا مُعتمَدا في كل نصوص الأحاديث القدسية، التي يدور الحوار فيها بانسجام وتلاحم بين أطراف كثيرة متداخلة، بين الله تعالى وسيدنا محمد ﷺ، والملائكة والأنبياء، والعباد، وغيرهم.

١٢. تعتمد جمل الحوار على أسلوب النداء والاستفهام والأمر، وتناسب هذه الأساليب مضامين الأحاديث القدسية التي يسعى العباد فيها إلى معرفة الغيبيات يوم القيامة ووقت الحساب، وأساليب التقرب إلى الله والمناجاة في العبادة، وحضور القلب وغيرها.

١٣. أسلوب الحوار في الأحاديث القدسية أعاد إليها خطابيتها وقت النزول والتلقي بالمشافهة، مما جعلها خطابا حيا نابضا ماثلا أمام القارئ يتفاعل معه ويتأثر به.

١٤. تستوعب نصوص الأحاديث القدسية تطبيق مناهج الدرس اللغوي الحديث عليها، ذلك أنها نصوص مقدسة بأسلوب بليغ محكم يعلو على المناهج بمختلف أنواعها وأساليبها، تقبل ما يتناسب معها وتطرح ما سواه.

١٥. دراسة الأحاديث القدسية وفق مستويات الخطاب اقتضت تقسيمها إلى مستويات نحوية تركيبية ومعجمية ودلالية وتداولية، وهذا التقسيم لا يفكك بنيتها النصية، وإنما يقوم على تجزئة مضامينها وصولا لفهم الكل وخصائصه.

١٦. شملت مستويات الخطاب في الأحاديث القدسية المخاطبين على اختلاف أجناسهم وأنواعهم من النبيين والملائكة والعباد، كما شملت العباد بكل أنواعهم وأجناسهم ومستوياتهم المعرفية والفكرية، وشملت أنواع القراء على اختلاف درجات تفاعلهم والتحامهم بالنص.

١٧. نحو النص هو امتداد لنحو الجملة ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وما يمتاز به نحو الجملة هو دراسة النص ككل متكامل، وفق نظرة شمولية منظمة.

١٨. علماء العربية الأوائل كانت لهم جهود تأسيسية لعلم النص ودراسة انسجام النصوص وتماسكها، فوجد عندهم السبك والحبك، والتأليف والتلاؤم والاقتران، والتعالق والنظم. وكلها لبنات أساسية في الدراسات النصية المعاصرة وفي تحليل الخطاب، إلا أن جهودهم كانت تطبيقية متفرقة في مباحث الكتب، فلم تكن لهم نظرية متكاملة لمعالجة النص بوصفه وحدة كلية.

١٩. الاتساق هو مظهر التماسك للبنية السطحية للنص، وهو يمثل التركيب النحوي، يقوم على ملاحظة ووصف وسائل التماسك والتلاحم بين العناصر المشكلة للنص، برصد الضمائر والإحالات والإشارات والحذف والتكرار والعطف وغيرها من الوسائل التركيبية.

٢٠. تقوم الروابط بدور الربط بين أجزاء النص وتركيب مقاطعه ونسج خيوطه ثم الوصل بين قضاياه ليصل النص إلى أتم درجات التماسك والاتساق.

٢١. الانسجام أعم من الاتساق لأنه يتجاوز حدود التعامل مع الروابط الشكلية بين الجمل إلى روابط غير شكلية كالعلاقات السببية والتتابع الزمني والعموم والخصوص والبينة الكلية للنص.

٢٢. الانسجام هو الترابط المفهومي بين النص والمتلقي، يركز على العلاقات الدلالية والتداولية ولا يتحقق إلى بوجود الاتساق النصي.

٢٣. للحديث القدسي بصمة أسلوبية مميزة له، فألفاظه كلها رحمة وعطف إلهي ومغفرة، وأساليبه تقوم على الملاطفة والاستمالة، فهو لا يُقسم ليلزم، ولا ينادي ليلبى، ولا يستفهم ليجاب، وقد مالت نصوصه إلى الاختصار من خلال الحذف، واعتماد الفراغات النصية التي تسمح بتفاعل القارئ مع النص والاندماج فيه.

٢٤. الزمن في الأحاديث القدسية يتحدد بالسياق والاستعمال، وهو زمن مفتوح يصلح للعبور في كل الأزمنة والأمكنة ولمخاطبة جميع النفوس والعقول، يستعمل فيه الماضي والأمر للدلالة على التحقق في زمن المستقبل ولثبوت أمر الغيبيات.

٢٥. يعتمد الربط المعجمي على التكرار والتضام في إحداث تماسك عناصر النص وترابطها في شبكة من العلاقات والتأليف بينها حتى تصبح نصا واحدا متكاملا.

٢٦. تحقق في خطاب الأحاديث القدسية مكونات العملية التواصلية من مرسل ومتلق ورسالة، مما يجعله خطابا تواصليا فعالا، مرسله هو الله تعالى، وراويه هو الرسول محمد ﷺ، والرسالة هي نصوص الأحاديث القدسية، والأداة التي صيغت بها الرسالة هي اللغة العربية.

٢٧. إن الدراسة التداولية تجمع بين التواصل والتفاعل، فمقتضى التداول أن يكون القول موصولا بالفعل، وهو ما دعت إليه الأحاديث القدسية، وما يتناسب مع مقاصدها.

٢٨. تقوم نصوص الأحاديث القدسية على استراتيجيات متنوعة تيسر عملية التخاطب، وتؤدي إلى تحقيق التفاعل والتأثير المقصود منها في مختلف أنواع المتلقين.

٢٩. البناء التبليغي في الحديث القدسي مزود بمقومات خطابية تواصلية واستراتيجيات خطابية، فاستوعب جميع إجراءات نظرية التلقي التي تم تأطيرها كنظرية في العصر الحديث، رغم أسبقيته الزمانية مما يدل على أن مصدره سابق للزمان والمكان المحصور بعلم البشر، كما اشتمل على أساليب خطابية أخرى لم يتسن للمعرفة البشرية الوقوف عليها وتحديد مدى قدرتها في تحريك النفوس والإقناع المستمر في كل زمان ومكان.

٣٠. يحتل المتلقي حضورا مكثفا في نصوص الأحاديث القدسية، فهو بؤرة الخطاب ومركزه.

٣١. اهتم علماء العربية في التراث النحوي بالبعد التداولي وذلك ضمن عنايتهم بأساليب الخبر والإنشاء والمعاني السياقية والدلالية الكامنة وراء الألفاظ والمعاني.

٣٢. اعتمدت الأحاديث القدسية أسلوب الحجاج القائم على الإقناع العقلي والإمتاع الوجداني.

٣٣. الأفعال الكلامية قوة إنجازية يؤديها المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة كالأمر والنهي والنداء والاستفهام وغيرها.

٣٤. إن تطبيق النظريات اللغوية الحديثة على دراسة النصوص المقدسة لا يعني إخضاع هذه النصوص المقدسة لآليات هذه المناهج البشرية المتغيرة والمتبدلة، والتي وجدت في أصلها لتطبق على النص البشري المحصور بالواقع البشري وإطاره الاجتماعي والتاريخي، ذلك أن النصوص المقدسة رغم صلتها بالواقع الذي نزلت فيه إلا أنها تُخضع الواقع لها وتهيمن عليه لإصلاحه وهدايته.

٣٥. إن منهج النصوص المقدسة أكبر من كل ضوابط المناهج الإنسانية المحدودة، وما تأتي به الدراسات الإنسانية إنما هو تحديدات نسبية تساعد على فهم هذه النصوص المطلقة في الزمان والمكان.

ومازال البحث في مستويات الخطاب في الأحاديث القدسية يحتاج لمزيد من التوسيع والتعميق، وذلك بمقارنة مستويات الخطاب فيه بمستويات الخطاب في النصوص المقدسة الأخرى (القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف).

أسأل الله أن يتقبل ما بذل في هذا البحث من اجتهاد في الفهم والتأويل، وأن يكون لبنة في صرح دراسة وفهم الأحاديث القدسية، وأن يتجاوز عما فيه من نقص في الفهم أو تكلف في التأويل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

٢. الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، عبدالرؤوف المناوي، الشارح محمد منير الدمشقي باسم (النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية)، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط وطالب عواد، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م

٣. إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف للنشر، القاهرة، مصر، ط٥، ١٩٩٧م.

٤. الإيضاح العقدي، أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، دار العلوم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٨م.

٥. الإيضاح في علوم الابلاغة ـ المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني محمد بن عبدالرحمن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

٦. أسرار البلاغة في علم البيان، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

٧. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٨م.

٨. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، بعناية صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.
٩. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق علي بن محمد العمران، الناشر مجمع الفقه الإسلامي، جدة، السعودية، ١٤٢٥هـ .
١٠. البديع في نقد الشعر، أسامة بن مرشد بن منقذ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
١١. البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٥٧م.
١٢. البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات بن الأنباري، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد ومصطفى السقا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٠م.
١٣. البيان والتبيين، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٧، ١٩٩٨م.
١٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ٢٠٠٤م.
١٥. تأويل مشكل القرآن، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٧٣م.
١٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
١٧. التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م.
١٨. التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، محمد بن عمر فخر الدين الرازي، الناشر دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

١٩. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ابن مالك، حسن بن قاسم المرادي، تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي سلمان، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٨م.

٢٠. الجامع لأحكام القرآن ـ المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د.عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

٢١. جواهر الألفاظ، قدامة بن جعفر البغدادي، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

٢٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

٢٣. الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠م.

٢٤. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق الدكتور عبدالحميد الهنداوي، ومحمد الشنقيطي، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.

٢٥. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن جعفر الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٠م.

٢٦. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي، تحقيق:عزت الدعاس، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٧م.

٢٧. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، محمد عيسى الترمذي، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

٢٨. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل عبدالله بن عبدالرحمن العقيلي المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار التراث للنشر، القاهرة، مصر، ط٤، ١٩٨٤م.

٢٩. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ـ المسمى (الكاشف عن حقائق السنن)، الحسين بن محمد الطيبي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز للنشر، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٩٧م.

٣٠. شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

٣١. شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش موفق الدين بن يعيش النحوي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

٣٢. شرح النووي على مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، محيي الدين يحيى النووي، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٣٣. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

٣٤. الصحاح ـ تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين للنشر، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٠م

٣٥. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف للنشر، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٥٢م.

٣٦. صحيح البخاري (المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار المنهاج للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية ط ٢، ١٤٣٠هـ .

٣٧. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ.
٣٨. الطراز ـ المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.
٣٩. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٨١م.
٤٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني محمود بن أحمد، تحقيق عبدالله محمود محمد، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
٤١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، الناشر: دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٨٦م.
٤٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.
٤٣. الفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٨م.
٤٤. فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، محمد بن أحمد بن رشد، تحقيق محمد عمارة، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٨٣م.
٤٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق أحمد عبد السلام، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.
٤٦. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٧م.

٤٧. الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط، ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان المالكي، تحقيق: د. صالح عبدالعظيم الشاعر، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٠م.
٤٨. الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٣، ١٩٨٨م.
٤٩. كتاب الأحاديث القدسية الأربعينية، علي بن سلطان القاري الهروي، خرج أحاديثه أبو إسحاق الأثري، مكتبة الصحابة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٩٢م.
٥٠. كتاب المذكر والمؤنث، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق د. رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٧٠م.
٥١. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تقديم: د. رفيق العجم، تحقيق د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبدالله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
٥٢. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٨م.
٥٣. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.
٥٤. اللمع في أصول الفقه، إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق: محيي الدين ديب ويوسف بديوي، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م.
٥٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ضياء الدين ابن الأثير محمد بن محمد الجزري، تحقيق كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

٥٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية عبد الحق الأندلسي، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

٥٧. المحصول في علم أصول الفقه، محمد بن عمر بن الحسن الملقب بالفخر الرازي، تحقيق: طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت ، لبنان، ط٣، ١٩٩٧م.

٥٨. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، على بن سلطان محمد القاري، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ٢٠١٢م.

٥٩. المستصفى في علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

٦٠. مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي أبو يعلى، تحقيق خليل مأمون، الناشر دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٦١. المطول ـ شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين مسعود التفتازاني، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠١٣م.

٦٢. معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب للطباعة للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٣م.

٦٣. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر للنشر والتوزيع، سوريا، ط١ ، ١٩٩٤م.

٦٤. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام جمال الدين عبدالله بن يوسف الأنصاري، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٨٥م.

٦٥. مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
٦٦. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٥، ٢٠٠٧م.
٦٧. المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية، ابن بلبان علي بن المقدسي، تحقيق: محيي الدين مستو والدكتور محمد الخطراوي، دار ابن كثير للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٨م.
٦٨. المقتضب، المبرد محمد بن يزيد، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، دار عالم الكتب للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
٦٩. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٦م .
٧٠. منهاج العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م.
٧١. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، علي بن أبي بكر الهيثمي، حققه وخرج نصوصه: حسين سليم أسد الداراني، وعبده على الكوشك، دار الثقافة العربية للنشر، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٠م.
٧٢. نتائج الفكر في النحو، السهيلي عبدالرحمن بن عبدالله، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
٧٣. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبدالرحمن السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

ثانيا: المراجع العربية

١. الإبداع الموازي ـ التحليل النصي للشعر، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠١م.

٢. الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية، محمد المدني، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط٢، ١٣٥٨هـ.

٣. الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس محمود الفجال، منشورات نادي الأحساء الأدبي، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٣م.

٤. استراتيجيات الخطاب ـ مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٥. الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدوارد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١١م.

٦. إشكالية التلقي والتأويل، سامح الرواشدة، منشورات أمانة عمان الكبرى، الأردن، ط١، ٢٠٠١م.

٧. إشكاليات القراءة وآليات التأويل، د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط٦، ٢٠٠١م.

٨. انفتاح النص الروائي ـ النص والسياق، د.سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠١م.

٩. الأحاديث القدسية جمعا ودراسة، د. عمر علي عبدالله، إصدار عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية، مكتبة العلوم والحكمة للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٠. الأحاديث القدسية الصحيحة، زكريا عميرات، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٤م.

١١. الأحاديث القدسية الصحيحة، للشيخ محمد متولي الشعراوي، جمعها الدكتور عادل أبو المعاطي، دار الروضة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط٢، ٢٠٠٢م.
١٢. الأحاديث القدسية (في الصحاح والسنن)، محمد عيد درويش، دار العلم الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٣م.
١٣. الأحاديث القدسية ومنزلتها في التشريع، د. شعبان محمد إسماعيل، دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٢هـ.
١٤. أدب الأحاديث القدسية، محمد الصايم، دار البشير للنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩٠م.
١٥. أدب الحديث النبوي، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.
١٦. الأربعون القدسية، اختارها وقدمها: د. عز الدين إبراهيم، وترجمها: دينيس جونسون ديفييز، دار الشروق للنشر، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٢م.
١٧. الأساس في السنة وفقهها، سعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٤م.
١٨. أساليب الإقناع في القرآن الكريم، بن عيسى باطاهر، دار الضياء للنشر، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.
١٩. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ـ تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع ، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
٢٠. أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، د. محمد عيد، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٨٣م.
٢١. الألسنية محاضرات في علم اللغة، نسيم عون، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٢. الأمثال القرآنية ـ دراسة في معايير النصية ومقاصد الاتصال، د. فتحي محمد اللقاني، دار المحدثين للبحث العلمي والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٣. أنظمة الربط في العربية، حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٨٣م.
٢٤. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، الشركة العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٦م .
٢٥. البلاغة العربية ـ أصولها وامتداداتها، د. محمد العمري، أفريقيا الشرق للنشر، المغرب، ط١، ١٩٩٩م.
٢٦. بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، عودة خليل أبو عودة، دار البشير للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٩٩١م.
٢٧. بنية الخطاب من الجملة إلى النص، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط١، ٢٠٠١م.
٢٨. البيان في روائع القرآن ـ دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، الدكتور تمام حسان، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٣م.
٢٩. تاريخ التراث العربي في علوم القرآن والحديث، فؤاد سزكين، نقله إلى العربية: محمد حجازي، الناشر إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٩١م.
٣٠. تجديد المنهج في تقويم التراث، الدكتور طه عبد الرحمن، الناشر المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
٣١. تجليات الالتفات في فضاء الخطاب القرآني، نوافل يونس الحمداني، الناشر: الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

٣٢. تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٧م.

٣٣. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د.محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٥م.

٣٤. تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي، نعيمة الزهيري، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٤م

٣٥. التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، الدكتور مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م

٣٦. التداولية في البحث اللغوي والنقدي، د. بشرى البستاني، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن، فرع العراق، ٢٠١٢م. التداوليات وتحليل الخطاب، د. جميل حمداوي، الألوكة للنشر، المغرب، ٢٠١٥م .

٣٧. التداوليات وتحليل الخطاب، د. جميل حمداوي، الألوكة للنشر، المغرب، ٢٠١٥م .

٣٨. التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند عبدالقاهر الجرجاني، صالح بلعيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٤م.

٣٩. التشابه والاختلاف ـ نحو منهاجية شمولية، د.محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

٤٠. التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، السيد أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط١، ١٩٩٦م.

٤١. تطور البحث الدلالي ـ دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

٤٢. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم للطباعة، قطاع الثقافة، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م.

٤٣. التناص القرآني ـ دراسة في أشكال العلاقة بين الآيات القرآنية الكريمة، ياسر عبدالحسيب رضوان، إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠١٣م.

٤٤. التوابع في الجملة العربية، محمد حماسة عبداللطيف، مكتبة الزهراء، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٨٧م.

٤٥. الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، د.عبدالله إبراهيم، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

٤٦. جامع الأحاديث القدسية ـ موسوعة جامعة مشروحة ومحققة ـ عصام الدين الصبابطي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٥م

٤٧. الجامع في الأحاديث القدسية، عبدالسلام محمد علوش، المكتب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

٤٨. الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود صافي، دار الرشيد، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٨٦م.

٤٩. الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، محمد ضاري، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

٥٠. الحديث النبوي الشريف وأثره في الوجهة البلاغية، كمال الدين السيد، دار اقرأ للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط١، ١٩٨٤م

٥١. الحديث والمحدثون، أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، محمد محمد أبو زهو، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، مصر، ط١، ١٣٧٨هـ.

٥٢. الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.

٥٣. الخطاب وخصائص اللغة العربية ـ دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط١، ٢٠١٠م.

٥٤. الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٩م.

٥٥. دراسات في السنة النبوية الشريفة، صديق عبدالعظيم أبو الحسن ومحمد نبيل غنايم، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٨٧م.

٥٦. دراسات في علم اللغة، كمال محمد بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٨م

٥٧. دراسات في علوم الحديث، د.إسماعيل سالم عبدالعال، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٥م .

٥٨. دراسات في النص والتناصية، محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري للنشر، حلب، سوريا، ١٩٩٨م.

٥٩. دراسة في مصطلح الحديث، إبراهيم نعمة الله النعمة، الناشر المكتبة المركزية لجامعة الأنبار، بغداد، العراق، ٢٠٠٠م.

٦٠. دراسات لسانية في الحديث النبوي، أحمد عارف حجازي، دار فرحة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦م.

٦١. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد بحيري، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٥م.

٦٢. دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث ـ دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية، عبد الفتاح عبدالعليم البركاوي، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٤١١هـ.

٦٣. دينامية النص (تنظير وإنجاز)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٠م.

٦٤. الرواية والإيديولوجيا في المغرب العربي (١٩٦٠ ـ ١٩٧٥ م)، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨١م.

٦٥. السياق وتوجيه دلالة النص ـ مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، عيد بلبع، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٧م.

٦٦. صحيح الأحاديث القدسية، حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط٢، ٢٠٠٧م.

٦٧. الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي، دار الصحابة للتراث للنشر والتوزيع، طنطا، مصر، ط١، ١٩٨٩م.

٦٨. العبودية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الأصالة للنشر، الإسماعيلية، جمهورية مصر العربية، ط ٣، ١٩٩٩م

٦٩. العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي، عبدالواحد حسن الشيخ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر، ط١، ١٩٩٩م.

٧٠. العلاماتية وعلم النص، إعداد وترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٧١. علم أصول الفقه، عبدالوهاب خلاف، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

٧٢. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، دار العروبة للنشر، الكويت، ط١، ١٩٨٢م.

٧٣. علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٩٧م.

٧٤. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٠م.

٧٥. علم لغة النص ـ المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، الشركة العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٧ م.

٧٦. علوم البلاغة ـ البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠٠٢م.

٧٧. علوم الحديث ومصطلحه ـ عرض ودراسة، صبحي الصالح، الناشر دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، ٢٠١٢م.

٧٨. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٢م.

٧٩. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٨م .

٨٠. في بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبداللطيف، دار القلم للطباعة والنشر، الكويت، ط١، ١٩٨٢م.

٨١. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١٧، ١٤٢٢م.

٨٢. في اللسانيات التداولية ـ مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.

٨٣. في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط٢، ٢٠٠٩م.

٨٤. في معنى القراءة ـ قراءات في تلقي النصوص، الطائع الحداوي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٩م.
٨٥. القارئ والنص: العلامة والدلالة، د.سيزا قاسم، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٢م.
٨٦. قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، محمد عبدالمطلب، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٥م.
٨٧. قراءة النص وجماليات التلقي ـ بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي ـ دراسة مقارنة، محمود عباس عبدالواحد، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٦م.
٨٨. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ـ بنية الخطاب من الجملة إلى النص، أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط١، ٢٠٠١م.
٨٩. لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط١، ٢٠١٠م.
٩٠. لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م.
٩١. لسانيات النص ـ نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، أحمد مداس، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط٢، ٢٠٠٩م.
٩٢. لسانيات النص: النظرية والتطبيق ـ مقامات الهمذاني أنموذجا، ليندة قياس، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٩م.
٩٣. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبدالرحمن، مكتبة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٨م.

٩٤. اللغة الثانية (في إشكاليات المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث) فاضل ثامر، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م .

٩٥. لغة الخطاب الدعوي، د. بشير عبدالله المساري، صدر ضمن سلسلة (كتاب الأمة)، التابع لإدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر، ١٤٣٢هـ.

٩٦. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٨م.

٩٧. اللغة وبناء الشعر، د. محمد حماسة عبداللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٠م.

٩٨. اللغة والخطاب الأدبي، سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

٩٩. مدخل إلى علم النص ومجالاته التطبيقية، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

١٠٠.المدخل المعرفي واللغوي للقرآن الكريم، د. خدية إيكر، سلسلة روافد٥٨، منشورات وزارة الأوقاف الكويتية، ط١، ٢٠١٢م.

١٠١. المرايا المحدبة . من البنيوية إلى التفكيك، د. عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، مطابع الرسالة للنشر . الكويت، ١٩٩٨م.

١٠٢. المصطلحات الأساسية . في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، د. نعمان عبد الحميد بوقرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.

١٠٣. المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د. محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٦٦م.

١٠٤. معاني النحو، فاضل السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١ ،٢٠٠٠م.

١٠٥. معجم الأحاديث القدسية الصحيحة، ومعها الأربعون النووية القدسية، علي بن سلطان القاري، إعداد وتحقيق: كمال بن بسيوني المصري، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، ١٩٩٢م.

١٠٦. معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس،١٩٨٦م.

١٠٧. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.

١٠٨. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٤م.

١٠٩. المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام فوال العكاوي، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٦م.

١١٠. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية للنشر، مصر، ط٤، ٢٠٠٤م.

١١١. المعنى خارج النص ـ أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، فاطمة الشيدي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠١١م.

١١٢. مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث، محمد عبد العزيز الخولي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٠هـ.

١١٣. مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٠م.

١١٤. مقالات في الأسلوبية، منذر عياشي، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ١٩٩٠م.

١١٥. منازل الرؤية، منهج تكاملي في قراءة النص، سمير استيتية، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٣م.

١١٦. من أسس علم اللغة، محمد يوسف حبلص، دار الثقافة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٤م.

١١٧. من الأنماط التحويلية في النحو العربي، محمد حماسة عبداللطيف، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩٠م.

١١٨. من بلاغة القرآن، د. أحمد أحمد بدوي، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥م.

١١٩. المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ـ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط١، ٢٠٠٦م.

١٢٠. المنهل الحديث في شرح الحديث، موسى شاهين لاشين، دار المدار الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

١٢١. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، خديجة الحديثي، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨١م.

١٢٢. النبأ العظيم ـ نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد عبدالله دراز، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٥م.

١٢٣. نحو النص ـ اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠١م.

١٢٤. النحو الوافي ـ مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٣، ٢٠٠٦م.

١٢٥. النحو والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠م.

١٢٦. النحو والدلالة ـ مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، محمد حماسة عبداللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٢٧. نسيج النص ـ بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، مكتبة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٣م.

١٢٨. النص والخطاب ـ مباحث لسانية عرفنية، الأزهر الزناد، دار محمد علي الحامي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١١م.

١٢٩. النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٥م.

١٣٠. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.

١٣١. نظام الخطاب القرآني ـ تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، عبدالملك مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط١، ٢٠٠١م.

١٣٢. نظام الربط في النص العربي، جمعة عوض الخباص، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.

١٣٣. نظرية النص الأدبي، عبدالملك مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط٣، ٢٠٠٧م.

١٣٤. النفي بين النظرية والتطبيق في الجملة الفعلية، محمد عبدالله الخباص، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٠م.

١٣٥. الوجيز في أصول الفقه، عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

١٣٦. الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٥م.

١٣٧. الوظيفة بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط١، ٢٠٠٣م.

ثالثا: المراجع المترجمة إلى العربية:

١. تحليل الخطاب، ج . ب. براون، وج. يول، ترجمة وتعليق: محمد الزليطني، ومنير تريكي . الناشر: دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٧م.

٢. حفريات المعرفة، ميشال فوكو، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٧م.

٣. الخطاب، سارة ميلز، ترجمة غريب إسكندر، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٢م.

٤. دور الكلمة في اللغة، أولمان، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، ١٩٨٧م.

٥. علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط٢، ١٩٩٧م.

٦. فعل القراءة . نظرية جمالية التجاوب في الأدب، فولفغانغ أيزر، ترجمة: حميد لحمداني والجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، الدار البيضاء، ١٩٩٤م.

٧. اللسانيات والرواية، فاولر روجر، ترجمة أحمد صبرة، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، مصر، ط١، ٢٠٠٩م

٨. اللغة والمعنى والسياق، جون ليونز، ترجمة عباس صادق، منشورات دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، ١٩٨٧م.

٩. مدخل إلى علم لغة النص، روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر، ترجمة إلهام أبو غزالة وعلي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٢، ١٩٩٩م.
١٠. مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينة، ترجمة فالح بن تشبيب، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٩م.
١١. مدخل إلى علم النص ـ مشكلات بناء النص، زتسيسلاف وأورزنياك، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.
١٢. مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية واللغوية المعاصرة، سارة ميلز، ترجمة عصام خلف، دار فرحة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٣م.
١٣. النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د.تمام حسان، عالم الكتب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٨م.
١٤. نظام الخطاب، ميشيل فوكو، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.

رابعا: الرسائل الجامعية:

١. الإحالة النصية ـ دراسة نظرية، شريفة بلحوت، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، الجزائر، ٢٠٠٥ ـ ٢٠٠٦م
٢. أثر الربط المعجمي في اتساق النص القرآني سورتا الرحمن والواقعة أنموذجا، عبدالمالك العايب، رسالة ماجستير، جامعة سطيف، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٤م.
٣. أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث القدسية عند ابن حجر العسقلاني، أحمد مصطفى الأسطل، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠١١م.
٤. أثر عناصر الاتساق في تماسك النص ـ دراسة نصية من خلال سورة يوسف، محمود سليمان الهوواشة، رسالة ماجستير، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠٨م.

٥. الأحاديث القدسية ـ دراسة أسلوبية، محمد متولي أحمد، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، مصر، ١٩٩٥م.
٦. الأحاديث القدسية ـ دراسة بلاغية، مروة إبراهيم شعبان، رسالة ماجستير في اللغة العربية والبلاغة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطسن،٢٠٠٧م.
٧. الأحاديث القدسية. دراسة في البنية اللغوية والنظم الأسلوبي، علي عبدالله النعيم، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، ١٩٩٤م.
٨. الأحاديث القدسية دراسة لغوية نصية، يخيت فوزي جاب الله، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة سوهاج، مصر، ٢٠٠٩م.
٩. الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية ـ باب الذكر والدعاء أنموذجا، حورية رزقي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة محمد خضير بسكرة، الجزائر، ٢٠٠٦م.
١٠. الأفعال الكلامية في سورة الكهف ـ دراسة تداولية، آمنة لعور، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة منتوري، الجزائر، ٢٠١١م.
١١. الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ـ سورة البقرة ـ دراسة تداولية، محمد مدور، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٤م.
١٢. الأمثال في صحيح البخاري، دراسة تداولية للأفعال الكلامية، وهيبة غضابي، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة محمد لخضر بسكرة، الجزائر، ٢٠١٣م.
١٣. بنية الزمان والفضاء في قصص الحديث النبوي، سهام سديرة، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسم اللغة العربية، القسطنطينية، الجزائر، ٢٠٠٦م.
١٤. البنية النحوية في القرآن المكي ـ دراسة في نحو النص ـ منى محمد الشمري، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ٢٠١٠م.
١٥. التأويل النحوي في الحديث القدسي، فلاح إبراهيم الفهيد، رسالة دكتوراه في اللغة وآدابها، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، ٢٠٠٦ م.

١٦. تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث ـ دراسة مقارنة في النظرية والمنهج، مهي محمود العتوم، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤م.

١٧. التماسك النصي في الأحاديث القدسية الصحيحة ـ دراسة في علم النحو النصي، رسالة دكتوراه، إسلام أبو النصر علي، كلية التربية قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة عين شمس، مصر، ٢٠١٠م.

١٨. التماسك النصي في سورة التوبة، دراسة تطبيقية في ضوء لسانيات النص، خالد خميس فراج، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٦م

١٩. التماسك النصي في الشعر العربي المعاصر ـ دراسة نصية نحوية لأدوات الربط، محمد جايل عبدالمعطي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥م.

٢٠. الحوار في الحديث النبوي الشريف ـ دراسة تحليلية بلاغية لأحاديث مختارة، علوة عابد الحساني، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٣٠هـ .

٢١. الخصائص التركيبية للأحاديث القدسية ـ دراسة في البنية التركيبية للحديث القدسي، أيمن حامد أحمد، رسالة ماجستير في اللغة والنحو، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ٢٠٠٤م.

٢٢. الخصائص التركيبية للحديث القدسي والحديث النبوي، دراسة نحوية دلالية موازنة، أسعد محمد الدق، رسالة دكتوراه في اللغة والنحو، دار العلوم، القاهرة، مصر، ٢٠١١م.

٢٣. الخطاب وأثره في بناء نحو النص ـ تطبيق على المعلقات السبع، عبدالمهدي هاشم الجراح، رسالة دكتوراه في اللغة العربية والنحو، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٢م.

٢٤. دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي، رسالة ماجستير، محمد عرباوي، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ٢٠١١م.
٢٥. الرابط اللفظي في لغة الحديث الشريف، حامد علي منيفي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٩م.
٢٦. العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم ـ دراسة في ضوء نحو النص ـ أحمد عزت يونس، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، القاهرة، مصر، ٢٠١٢م.
٢٧. قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، حامدة ثقبيات، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة مولود معمري، الجزائر٢٠١٢م.
٢٨. المتشابهات القرآنية ـ دراسة نحوية دلالية من خلال كتاب (درة التنزيل وغرة التأويل في بيان المتشابهات في كتاب الله العزيز للخطيب الإسكافي)، حسام عبدالله عبدالرحمن، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، القاهرة، مصر، ٢٠١١م
٢٩. المتلقي في الخطاب القرآني، حكيمة بوقرومة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٠م
٣٠. معطيات نحو الجملة ونحو النص في اتساق الخطاب ـ دراسة وتطبيق، أحمد عبد البديع غريب، رسالة دكتوراه، قسم النحو والصرف والعروض، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ٢٠١٣م.
٣١. المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ـ ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، ليلى كادة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٥م.
٣٢. نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، يحيى بعيطيش، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري، القسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٦م

٣٣. النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي . دراسة في نحو الجملة . الزايدي بودرامة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ٢٠١٤م.
٣٤. نظريات اللسانيات الحديثة وأثرها في تحليل التراكيب النحوية، عبدالمجيد رازق، كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة القاهرة، مصر، ٢٠١٣م.
٣٥. الوظائف التداولية في المسرح، ياسة ظريفة، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، الجزائر ٢٠١٠م.

خامسا: الدوريات والمجلات المتخصصة:

١. الاتساق في التراث العربي، د. نعيمة سعدية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خضير، الجزائر، العدد الخامس، ٢٠٠٩م.
٢. الإحالة في نحو النص . دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي، بحث نشر في كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية (العربية بين نحو الجملة ونحو النص)، كلية دار العلوم، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥ م.
٣. الإحالة النصية وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني، عبدالحميد بوترعة، مجلة الأثر،، الجزائر، العدد الثالث، ٢٠١٢م.
٤. الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه، محمد يونس، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، مجلد٦، العدد١، إبريل ٢٠٠٤م.
٥. الإحالة ودورها في اتساق قصيدة (ساعة التذكار) لإبراهيم ناجي، بو بكر نصبة. مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، العدد الأول، مارس٢٠٠٩م.
٦. أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وجهود أشهر اللغويين والنحاة في دراسته، د. عدنان عبد الكريم خليفات، مقال في مجلة كلية التربية، جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية، فبراير ٢٠٠٨م.

٧. الجمل المتوازية في ديوان أبي القاسم الشابي ـ دراسة نحوية دلالية، د. محمود محمد الجعيدي، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، مصر، العدد ٣٢، ٢٠٠٣م.

٨. الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، د. إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية جامعة الموصل، العراق، المجلد الثامن، العدد١٥، ٢٠١٤م.

٩. إسهام التضام في تماسك النص الشعري القديم ـ معلقة طرفة بن العبد أنموذجا، صالح حوحو، مجلة الأثر، الجزائر، العدد ٢٣، ديسمبر ٢٠١٥م.

١٠. الانسجام النصي وأدواته ـ مقال، الطيب العزالي قواوة، مجلة المخْبَر- أبحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري ـ الصادرة عن جامعة محمد خضير ـ الجزائر ـ العدد الثامن، ٢٠١٢.

١١. تحليل الخطاب والإجراء العربي ـ قراءة في القراءة، أ. نعيمة سعدية، مجلة الأثر، عدد ١١، وهو عدد خاص بأشغال الملتقى الدولي الثالث لتحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر،٢٠٠٧م.

١٢. تحولات الأفعال في السياق القرآني وأثرها البلاغي، د.عبدالله الهتاري، بحث منشور في مجلة الدراسات الاجتماعية الصادرة عن جامعة العلوم والتكنولوجيا، اليمن، العدد ٢٢، ديسمبر ٢٠٠٦م.

١٣. التكرار في الحديث النبوي الشريف، أميمة بدر الدين، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦ ـ العدد الثاني، سنة ٢٠١٠م.

١٤. التماسك النحوي أشكاله وآلياته ـ دراسة تطبيقية لنماذج من شعر محمد العيد آل خليفة، أ. العيد علاوي، مجلة قراءات، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، العدد الثالث، سنة ٢٠١١م.

١٥. التماسك النصي بين الدراسات البلاغية القديمة والدراسات اللسانية النصية الحديثة، أ. خولة بنت الدين ، مجلة (عود الند) الثقافية الشهرية، عمان، الأردن، العدد ٨٠، يناير ٢٠١٣م.
١٦. جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية ـ النص القرآني أنموذجا، سيروان الجنابي وحيدر جبار عيدان، بحث منشور في مجلة مركز دراسات الكوفة، العراق، العدد ٩، ٢٠٠٨م.
١٧. الجملة في النظام اللغوي عند العرب، عبدالمجيد العيساني، مجلة الآداب واللغة، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، العدد الخامس، مارس٢٠٠٦م.
١٨. الجمل المتوازية في ديوان أبي القاسم الشابي ـ دراسة نحوية دلالية، د.محمود محمد الجعيدي، مجلة آداب المنصورة، مطبوعات جامعة المنصورى، ٢٠٠٣م.
١٩. الخطاب بين الدرس اللغوي العربي القديم واللسانيات، عبدالحكيم سحالية، مجلة حوليات التراث الصادرة عن جامعة مستغانم، الجزائر، العدد ٩، ٢٠٠٩م.
٢٠. خطاب الحديث النبوي الشريف في ضوء نظرية الخطاب، نهلة الشقران، ورقة مقدمة في المؤتمر الدولي الثالث بجامعة الزيتونة، عمان، الأردن، ٢٠١٣م .
٢١. الخطاب والدلالة ـ قراءة في تأويل النص القرآني، مقال، د. منقور عبد الجليل، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد١٠٥، ١يناير ٢٠٠٧م.
٢٢. دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ـ مقاربة تداولية، د. حكيمة بوقرومة، مجلة الخطاب ـ الصادرة عن جامعة مولدي معمري، الجزائر، العدد ١٩، ٢٠١٥.
٢٣. دلالة العدول في صيغ الأفعال ـ دراسة نظرية تطبيقية، د.غياث بابو، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة تشرين، سوريا، العدد١٢، سنة ٢٠١٣م.
٢٤. الروابط اللفظية ـ تنظير وتطبيق، إبراهيم محمد خفاجة، مجلة مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية التابع لجامعة محمد الأول، وجدة، المغرب،٢٠٠٦م

٢٥. السياق والنص ـ استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي، أ.فطومة لحمادي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير، الجزائر، العدد الثالث، ٢٠٠٨م.

٢٦. طبيعة النص وعلاقته بسياق المقام ـ من منظور مايكل هاليداي ورقية حسن، د. شريفة بلحوت، بحث في مجلة الأثر الأدبية الصادرة عن جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، العدد١٦، سنة ٢٠١٢م.

٢٧. العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح، بحث نشر ضمن الكتاب التذكاري لقسم اللغة العربية ـ جامعة الكويت ـ ١٩٩٠م.

٢٨. العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية الشريفة، عبد المهدي هادي الجراح، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد٧٧، ديسمبر ٢٠٠٩م.

٢٩. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ـ الخطابة النبوية نموذجا، نادية رمضان النجار، علوم اللغة (دورية)، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، المجلد التاسع، العدد الثاني ٢٠٠٦ م.

٣٠. عناصر السبك بين القدماء والمحدثين، د. ناديا رمضان النجار، بحث ضمن كتاب (العربية بين نحو الجملة ونحو النص) في المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، فبراير ٢٠٠٥م.

٣١. في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم ـ دراسة نظرية، بشرى البستاني، ووسن المختار، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، العراق، العدد١، المجلد ١١، ٢٠١١م.

٣٢. قراءة أسلوبية في مستويات الخطاب، جابر حسين وهادي شندوخ، مجلة جامعة ذي قار العلمية، العراق، العدد٤، المجلد٣، ٢٠٠٨م.

٣٣. قواعد التماسك النحوي عند عبدالقاهر الجرجاني في ضوء علم النص، محمد الجعيدي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، مصر، أغسطس ٢٠٠٥م.

٣٤. لسانيات النص بين التنظير الغربي والإجراء العربي، نعمان بو قرة، مجلة الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، العدد٦٩، صيف ٢٠٠٥م.

٣٥. اللغة ودلالاتها ـ تقريب تداولي للمصطلح البلاغي (مقال)، محمد سويرتي، مجلة عالم الفكر، الكويت، يناير ٢٠٠٠م

٣٦. المركبات المتلازمة في الأحاديث القدسية ـ دراسة نحوية دلالية في الحذف، محمد طه عبدالخالق، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، المجلد الأول،٢٠١٠م.

٣٧. المصطلح النحوي والبلاغي في الموروث العربي، إدريس بن خويا، عود الند ـ مجلة ثقافية شهرية، الأردن، العدد٩٨، ٢٠١٤م.

٣٨. مفهوم التناص، المصطلح والإشكال، مليكة فريحي، مجلة عود الند ـ مجلة ثقافية شهرية، الأردن، العدد٨٥، ٢٠١٣م .

٣٩. من لسانيات الجملة إلى علم النص، بشير إبرير، مجلة التواصل الصادرة عن جامعة عنابة، الجزائر، العدد ١٤، ٢٠٠٩م.

٤٠. من مصطلحات اللسانيات النصية، مقاربة تحليلية، د. أسامة عبدالعزيز جاب الله، مقال ضمن منشورات رابطة أدباء الشام، ٧ شباط ٢٠٠٩م.

٤١.من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح، ضمن الكتاب التذكاري للدكتور عبدالسلام هارون، كلية الآداب، جامعة الكويت،١٩٩٠م.

٤٢. نحو أجرومية للنص الشعري ـ دراسة في قصيدة جاهلية، د. سعد مصلوح، مجلة فصول، مصر، المجلد١٠، العدد ٢، أغسطس ١٩٩١م.

٤٣. نحو قراءة جديدة للتراث العربي والإسلامي بالوقوف على تداولية الأفعال الكلامية، د.عمر بالخير، بحث مقدم في مؤتمر (خطاب التجديد في الدراسات العربية بين النظرية والتطبيق: حالة الحقل) بجامعة الإمام بونجول الإسلامية الحكومية في بادانج، أندونيسيا، ٢٨ ـ ٣١ أغسطس ٢٠١٣.

٤٤. نحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسية، د. نعمان بوقرة: مجلة علامات في النقد الصادرة عن النادي الثقافي بجدة، المملكة العربية السعودية، العدد٦١. ٢٠٠٧م.

٤٥. نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، نعمان بوقرة: مجلة اللغة والأدب، الجزائر، العدد١٧، ٢٠٠٦م.

٤٦. نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة، مازن الوعر، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد ٣٨٥، آيار، سنة ٢٠٠٣م.

٤٧. نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث، أحمد بوحسن، مقال ضمن كتاب ندوة (نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ١٩٩٣م.

٤٨. النقد والسياق ـ مقال، سالم عباس خدادة، مجلة العلوم الإنسانية ـ الصادرة عن جامعة البحرين، العدد١٩٩٩،٢م.

****

الفهارس الفنية

فهرس الأحاديث القدسية

الحديث	الصفحة
((قرصت نملة نبيا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت...))	٣٥، ٥٢٩، ٣٤٣، ٣٦٠
((يعجب ربكم من راعي غنم في رأس شظية بجبل يؤذن بالصلاة ويصلي...))	٣٥، ٥٢، ٢٣٧، ٢٤٩، ٣٣٧، ٤٠٥، ٥٣٤
((قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ...))	٣٦، ٢٠٧،، ٢١٧، ٥٩٧
((إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ...))	١٦٩، ٣٢٠، ٤١٢، ٥٧٩
((أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ...))	٣٧، ١٦٧، ٢٤٧
((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ...))	٤٠، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٨٤، ٣٠٣، ٤٠٥، ٤٢٥
((يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوما...))	٢٨٧. ٤٧٥
((لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقطت من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته ...))	٥٠
((يقول ربكم تبارك وتعالى: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى...))	٥١
((إن الرجل لترتفع درجته في الجنة، فيقول أنى هذا...))	٥١

((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ...))	٥٢، ١٧٢، ١٨٦، ٢٠٥، ٢٧٩، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢٥، ٣٤٧، ٣٦٧، ٤٤٣، ٤٨٧، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٨٣، ٦٣٠
((قال الله: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك))	٥٢، ٤٥٤، ٤٦٢، ٥٢٣، ٥٧٦
((حُوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يُخالط الناس...))	٥٢، ٢١٧، ٢٣٠
((إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني...))	٥٣، ٣١٤، ٣٦٤، ٤٤١، ٤٥٨
((إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم...))	٥٣، ١٨٨، ٢٢٣، ٣٠٤، ٣١٠، ٤٦٠
((يقول الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء))	٥٣، ١٧٠، ٢٢٩، ٥٤٧
((يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض))	٥٤، ١٧٩ ، ٢١٧
((يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار...))	١٧١، ٢٢١
((هل تدرون مما أضحك. قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال من	٥٤، ١٨٠، ٤١٠

مخاطبة العبد ربه...))	
((إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض فيأتون آدم فيقولون اشفع لنا إلى ربك فيقول: لسن لها....فيأتون فأقول أنا لها...))	٥٥، ١٧٠، ١٨٣، ١٨٤، ٢٤٣، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٨٩، ٢٩٦، ٣٤٦
((يقول الله تبارك وتعالى لأهل الجنة: تريدون شيئا ...))	٥٥، ١٧٨، ٣٠٠، ٦٣٤
((يقول الله تعالى لِأهون أهل النار عذابا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به...))	١٤٩، ١٨٠، ٣٤٠، ٣٧٤، ٥٥٦، ٦٠٤
((يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر ...))	٢٣٩، ٣٠٦، ٥٢٧، ٥٨٤
((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر ...))	٢٢٤، ٢٣٣، ٢٧٢، ٤٢٦
((كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك...))	١٦٥، ١٦٧، ٦٢٤، ٢٥٣، ٣٣٦، ٦٢٤
((انتدب الله لمن خرج في سبيله ...))	١٦٥، ٢٨٨، ٣٦٩، ٦٤٣
((يُؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة فيقول: اصبغوه صبغة في الجنة ...))	١٦٥، ١٧٩، ٢٨١، ٣١٨، ٣٢٥، ٣٧٤، ٤١٠، ٥٥٨
((إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتيَ به فعرّفه نعمه فعرفها...))	٦٦، ٢٩٣، ٤٤٤، ٥٨٨
((كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ...))	١٦٧، ١٨٦، ٢٥٢، ٢٥٥، ٣٨٠، ٦١٤، ٦٢٥
((ألم تروا إلى ما قال ربكم؟ قال: ما أنعمت على عبادي من	١٦٨، ٣١٧، ٣٥٥، ٤٨٦،

نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين ...))	٥٦٩
((يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد...))	١٦٨، ٢٧٦، ٢٨٩، ٢٩٨، ٣٢٦، ٣٣٧، ٤٤٠
((إن الله قال: إذا تلقاني عبدي بشبر تلقيته بذراع ...))	١٦٩، ٣٦٠، ٣٦٧، ٦٢٣
((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...))	٥٥، ١٧٦، ٣٠٥، ٤٤٠، ٥٤٥، ٥٦٣، ٦٢٢
((إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب قال: رب وماذا أكتب...))	١٧٠، ١٨٧
((العز إزاره، والكبرياء رداؤه...))	١٧٠، ٢٢٨
((إن عبدا أصاب ذنبا فقال: رب أذنبت ذنبا...))	٦٦، ١٧٧، ١٧٨، ٣٦٥، ٣٩٥، ٤١٥، ٤٦٣، ٤٨٥، ٥٤٧، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧
((لما نفخ الله في آدم الروح فبلغ الروح رأسه عطس...))	١٧٦
((خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس ...))	١٧٦، ٢١١، ٢٢٢، ٢٦٠، ٤٣١، ٥٧٠
((خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر ...))	١٧٦
((يا عبادي إني حرّمتُ الظّلم على نفسي وجعلتهُ بينكم محرما فلا تظالموا...))	٢١٧، ٢٥٤، ٣١٤، ٣١٨، ٣١٩، ٣٣٦، ٤٣٠، ٤٤٤، ٤٧٩، ٤٨٥، ٤٨٦، ٥٤١

((يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك...))	١٧٧، ٢٠٣، ٢٢١، ٣٣٩، ٣٤٧
((يؤتى بالرجل من أهل الجنة يوم القيامة فيقول الله عز وجل يا ابن آدم كيف وجدت منزلك...))	١٧٨، ١٧٩، ٣٤٠
((ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ...))	١٧١، ١٧٩، ٢٨٦، ٣٣٩
((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ...))	١٧٩، ٢٥٥، ٢٩٠
((أربعة يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة...))	٦٥، ١٧١، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٧
((أربعة يحتجون يوم القيامة ...))	٦٠٥
((إن أول ما يسئل عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له: ألم نصح لك جسمك ...))	٣١٣، ٣٣٣، ٦٠٤
((هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ... أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل ...))	١٨١، ٣١٠، ٣١٤، ٣١٥، ٣٢١، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٧٦، ٣٨٠، ٤٣٠، ٥٧٨، ٦٠٠، ٦٢٢
((إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها...))	١٨٦، ١٨٧، ٢٠٤، ٢٨٤، ٢٩٨، ٥٧٧
((إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم	٣٥، ٢٠٣، ٢٨٠، ٣٣٤، ٣٥٨، ٣٥٨ ، ٣٩٥، ٤٠٣

الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة...))	٤٨٢
((قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك...))	٥١، ٥٢٥
((أول ما يحاسب به العبد صلاته فإن كان أكملها ...))	١٨٤، ٢٠٥ ٢٦٦، ٣٤٣
((جاء رجل والنبي ﷺ في الصلاة فقال: الحمد لله حمدا كثيرا طيبا ...))	٢٠٧، ٤٥٩
((أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قُمتُ من الليل فتوضأتُ وصليتُ ...))	٢٠٧، ٣٢٠، ٥٦٤
((أرواحهم في جوف طير خُضْرٍ لها قناديلُ معلقة ...))	٢٠٨، ٣٠١
((أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسُئل أيُّ الناس أعلمُ؟ فقال: أنا فعتبَ الله عليه...))	٢٠٩، ٢٢٥، ٢٢٦، ٣٢١، ٥٨٩
((يرد عليّ الحوضَ رجال من أصحابي فيُحْلَئُونَ عنه ...))	٢٠٩، ٢٢١
((ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك، قال: وتفعلون...))	٢١٠، ٣٧٨، ٦١٧
((من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج... قسمت الصلاة بيني وبين عبدي...))	١٦٨، ٢١٠، ٢٥٠، ٤٢٨، ٥٣٢، ٦٣٩، ٦٤٨
((قال الله عز وجل: إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة ...))	٢١٨
((يقوم الرجل من أمتي من الليل يُعالج نفسه إلى الطهور وعليه	٢١٨، ٢٢٣، ٢٤٤، ٢٧٢

عُقد...))	
((ليس من عمل يوم إلا وهو يختم عليه...))	٢١٩
((ما مجادلةُ أحدكم في الحقّ يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أُدخلوا النار...))	٥٥، ٢٨٦، ٣٤٢، ٣٨٢، ٤٣٢، ٥٩٦، ٦١٧
((بينما أيوب يغتسل عُريانا خرّ عليه جَرادٍ من ذهب ...))	٢١٩، ٢٩٤، ٣٠٤
((تحاجّتْ الجنة والنار فقالت النار: أُوثرتُ بالمتكّبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخُلُني إلا ضعفاء الناسِ وسقَطُهم ...))	١٨٨، ٢٢٠، ٢٦٤، ٣٤٧، ٣٨٥
((قال الله عز وجل: يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفيك آخره))	٢٢٠، ٤٥٤، ٤٦٦، ٤٧٧، ٦٠٨
((يخرج من النار أربعة يُعرضون على الله عز وجل...))	٢٢١، ٣٠٥، ٣٣٠، ٤٧٧، ٦٠٨
((هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تُضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة.... أي ربِّ اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها ...))	١٨١، ٢٢١، ٢٦١، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٩، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٥، ٣٢٢، ٣٣٤، ٣٥٩، ٤٧١، ٦٠٢
((يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة ...))	٢٢١ ، ٢٣٠، ٢٣١، ٣٦١، ٥٩٦
((إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض	٢٣٣

...))	
((أنزلت علي آنفا سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر...))	٢٣٤، ٣٧٢، ٤٧١
((أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون ...))	٢٣٤، ٢١٩، ٥٩٧، ٦١٦
((لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة...))	٢٣٥
((ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذي الحجة...وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة: ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ...))	٢٣٦
((أبشروا هذا ربكم قد فتح بابا من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة يقول...))	١٧٠، ٢٠٩، ٢٣٨، ٢٥٠، ٣٤٣، ٤٢٦
((قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنة...))	١٦٤، ١٧١، ٢٤٢، ٢٧١، ٤١٠، ٤٧٦
((إذا سمعتم رجلا يقول: قد هلك الناس...))	٢٤٥
((يجيء الرجل آخذا بيد الرجل. فيقول: يا رب، هذا قتلني ...))	٢٤٩، ٢٩٠
((قال الله عز وجل، إن أمتك لا يزالون يقولون: ما كذا؟ ...))	٢٥٠، ٣١٢، ٣٣١
((أتاني جبريل بمثل هذه المرآة البيضاء فيها نُكتة سوداء قلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الجمعة جعلها الله عيدا لك ولأمتك ...))	٥٥، ٢٥٢، ٢٧٨، ٤٠١، ٤٦٤، ٥٤٨

((سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة...))	٢٠٩، ٢٧٦،٣٣٨، ٢٥٥، ٢٢٥، ٢٢٦، ٣٢١، ٣٥٧
((إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفهُ ويستُره فيقول: أتعرف ذنب كذا...))	٢٥٩، ٣٥٦، ٣٩٤، ٤٤٨، ٥٣٦، ٥٦٦، ٥٨١
((يا أبا ذرٍ هل تدري أين تغيب هذه؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تغرب في عين حامئة تنطلق حتى تخرّ لربها عز وجل ساجدة تحت العرش...))	٢٦١، ٣٠٩
((تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئا؟ قال: لا...))	٢٦٥
((ألا إن ربي أمرني أن أُعلّمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا...))	٤٧٠، ٦٣٥، ٦٤١
((أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال: أوليست فيما شئت ...))	٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٩، ٣٤٠
((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما...))	٢٨٧، ٤٧٥
((إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه ...))	٢٩٠، ٣٢٣، ٤٧٧، ٤٧٨
((آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتَسْفَعه النار مرة...))	٢٩١، ٣٨١، ٦٢٠
((جلس جبريل إلى النبي ﷺ، فنظر إلى السماء، فإذا مَلَكٌ	٢٩٤

ينزل ...))	
((إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة))	٢٩٥، ٣٠٣
((إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه))	٣٣٩، ٣٩٣، ٥٣٤
((إذا أنا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائف...))	٢٩٦
((أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت شفتاه))	٣٣٩، ٤٢٩، ٤٧٦، ٦٥٣
((إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة... ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة...))	٢٩٩، ٣٦٢، ٣٧٤
((يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب...))	٣٤٠
((إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر...))	١٨١، ٣١٤، ٣١٥، ٣٧٦، ٣٨٠، ٤٣٠، ٦٢٢
((إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس...))	٢٥٩، ٣١٦، ٤٥٨، ٦٤٤، ٦٥٥
((يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة))	٥٢، ٣١٧، ٣٣٢
((أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطتُ عملك))	٢٦٩، ٣٣٦، ٣٢٤، ٣٨٤، ٣٩٢، ٥٢٩، ٥٧٨

((إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر، قال: يقول الله عز وجل: صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر...))	٣٢٧، ٤٢٨، ٤٣٨، ٦٣٣
((قال الله تبارك وتعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ...))	١٦٢، ٣٢٨، ٤١٢
((إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها...))	٢٢٩، ٤٥٨
((كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده ...))	٣٠٢، ٣٣١
((قال إبليس: يا ربِّ ليس أحد من خلقك إلا جعلت له رزقا ومعيشة فما رزقي ...))	٣٣٣، ٥٦٧، ٦١٧
((أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي ...))	٣٣٨
((إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني. قال: فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل: ألحياة تريد))	٣١١، ٣٤١
((إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي ...))	٣٧٥، ٤٧٠
((يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ...))	٣٨٢، ٣٩٤
((قال الله عز وجل: سبقت رحمتي غضبي))	٤٨٤
((يا ابن آدم قم إلي أمش إليك وامش إلي أهرول إليك))	١٧٧، ٣٩٣، ٤٦٢
((قال رجل لم يعمل خيرا قط إذا مات فحرقوه ...))	٣٣٣، ٣٩٢

((إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار ...))	٣٩٤، ٤٢٧، ٦٣٠
((إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة...))	٣٣٣
((آخر من يدخل الجنة رجل يمشي مرة ويكبو مرة...))	٢٩١، ٣٨١، ٦٢٠
((إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم...))	٣٢١، ٣٦٠، ٣٧٠، ٤٤٩، ٦٣٤، ٦٤١، ٦٥١
((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر...))	٤٧٠، ٥٢٤، ٦١٣
((لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى))	٤٦٦، ٥٧٧
((لا يأتي ابن آدم النذر بشيء ...))	٣٣١، ٤٦٦
((انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام ...))	٤٣٩، ٤٦٠، ٥٢٧
((لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة...))	٤٦٤
((لما أنزلت على الرسول ﷺ: ﴿لله ما في السموات وما في الأرض...))	٤٦٨
((المتحابون في الله على منابر من نور...))	٥٤٧
((كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله...))	٥٣٥، ٥٨٧
((أتاني الليلة آت من ربي فقال: صلِّ في هذا الواد المبارك ...))	٥٢٣
((أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل...))	٥٧١، ٥٧٢، ٦١٣

((جئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من الأرض ...))	٥٨٨
((بينا أنا عن البيت بين النائم واليقظان ... وأتيت بدابة أبيض دون البغل ...))	٥٧١
((أما قطع السبيل فإنه لا يأتي عليك إلا قليل ...))	٦٣٥
((أنه ذكر رجلا فيمن سلف قال كلمة يعني أعطاه الله مالا وولدا ...))	٦٤٢
((يا أبي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف ...))	٤٦١
((إن ربك يعجب من عبده إذا قال اغفر لي ذنوبي...))	٦٤٥
((إن الله أمر يحي بخمس كلمات ...))	٤١، ١٧٠، ٢٧٣، ٣٦٥، ٤٠٩، ٦٥٥
((يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة...))	٤١
((فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ...))	٥٧٢
((أن ذكر رجلا فيمن سلف . أو فيمن كان قبلكم . قال كلمةً يعني أعطاه الله مالا وولدا...))	٦٤٢
((قال الله عز وجل: إذا هم عبدي بحسنة ...))	٢١٨
((إني لأعلم آخر أهل الجنة ....))	٣٨١، ٤٦٠

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الصفحة
﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ سورة النازعات: ١٥	٢٨
﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ سورة الأنبياء: ٢	٢٩
﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ سورة البقرة: ٣٠	٢٩
﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ سورة ص:٢٣	٩٠
﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ سورة ص:٢٠	٩٠
﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ سورة النبأ، الآية ٣٧	٩٠
﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ سورة النمل: ٦	١٣٨
﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ سورة البقرة: ٣٧	١٣٨
﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ سورة النو: ١٥	١٣٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ سورة المائدة، الآية: ٣٦ ، ٣٧	١٤٩
﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ سورة الأنعام: ٢٨	١٤٩
﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ	١٤٩

الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ سورة الزمر: ٤٧	
﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ سورة آل عمران: ٧	١٥٠
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ...﴾ سورة الأنعام: ٤٦	١٩٣
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ سورة الانعام: ٣٥	١٩٤
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ سورة آل عمران: الآية ١٦٩	٢٠٨
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ سورة البقرة: ١١٤	٣١٣
﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ سورة الصافات: ١١٧ ـ ١١٨	٣٤٥
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ* وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ* وما يَسْتَوِيْ الأَحْيَاءُ ولا الأَمْوَات﴾ سورة فاطر: ١٩ ـ ٢٢	٣٩٠
﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ* وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ سورة النجم:٤٣ـ ٤٤	٣٩٠
﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ سورة التوبة: ٨٢	٣٩١
﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ سورة الرعد: ٢٦	٤٤٥
﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة	٤٥٣

الأعراف: ٢٦ . ٢٧	
﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ سورة فصلت: ٤٠	٤٦٤
﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ سورة الأعراف: ٨٥	٤٦٦
﴿لله ما في السموات والأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ سورة البقرة: ٢٨٤	٤٦٨، ٤٧١
﴿إنا أعطيناك الكوثر* فصل لربك وانحر* إن شانئك هو الأبتر﴾ سورة الكوثر: ١.٣	٤٧١، ٦٤٠
﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ سورة الحشر: ٧	٤٩٤
﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ سورة آل عمران: ١٤٠	٤٩٤
﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ سورة الشورى:٤٤	٥١١
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ سورة الكهف: ١١٠	٥٢٧
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ سورة الأنعام: ٣٨	٥٣١
﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ سورة البقرة: ١٤٣	٥٣٧

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ سورة النساء:٤١	٥٣٧
﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ سورة النساء:٨٦	٥٧٤
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة: ٣٠	٥٨٣
﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ﴾ سورة طه: ١٢٦	٦٠٤
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ سورة الإسراء: ١٥	٦٠٦
﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ سورة الكهف: ٣٧	٦١٢
﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ سورة المجادلة: ١	٦١٦
﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ سورة النحل: ١٢٥	٦١٦
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ سورة: الحج:٣	٦١٦
﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ سورة المؤمنون: ١٥	٦٢٧
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة الفاتحة:٢	٦٣٩
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ سورة الفاتحة: ٥	٦٣٩

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ* سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ سورة الرعد:٢٣ . ٢٤	٦٤٩
﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ سورة غافر: ١٧	٦٤٩
﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ سورة الأعراف: ٥١	٦٥٠
﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ سورة المائدة: ١١٥	٦٥٠
﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ سورة الأحزاب: ١٠	٦٥٠
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ سورة النحل: ١٢٨	٦٥٠
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ سورة القصص: ١٦	٦٥١
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ سورة هود: ١٨	٦٥١
﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ سورة النور: ٢٤	٦٥١
﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ سورة الأنبياء: ٤٧	٦٥٢
﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة النور: ٢٤	٦٥٢
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ	٦٥٢

مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ سورة الأنبياء: ٤٧	
﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ سورة الأنعام: ١٦٠	٦٥٣
﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ سورة الشورى: ٤٠	٦٥٣
﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ سورة الأعراف:٤	٦٥٣
﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ سورة الحج:٣١	٤٨٢ . ٦٥٣

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث النبوي	الصفحة
((كيف يقدّس الله أمة لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم))	٣٠
((عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس))	٣٠
((إن الله يؤيد حسان بروح القدس))	٣٠
((لا تكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي . قال همام أحسبه قال . متعمدا فليتبوأ مقعده من النار))	٤٢
((كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تُفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا))	٣٥٤

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٤
التمهيد . الأحاديث القدسية لغة واصطلاحا	٢٦
المبحث الأول: الحديث لغة واصطلاحا.	٢٧
المبحث الثاني: (تعريف الأحاديث القدسية وتدوينها)	٣٢
. تعريف الأحاديث القدسية.	٣٢
. الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم.	٣٣
. الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي.	٣٤
. صيغ الأحاديث القدسية.	٣٤
. الخلاف حول ألفاظ الأحاديث القدسية.	٣٦
. تدوين الأحاديث القدسية.	٤٢
. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث.	٤٣
.كتب الأحاديث القدسية.	٤٥
المبحث الثالث (نصوص الأحاديث القدسية):	٤٨
. مضامين الأحاديث القدسية.	٤٨
. مدونة نصوص الأحاديث القدسية الصحيحة.	٥٧
الفصل الأول (الخطاب بين التلقي والنحو الوظيفي)	٨٨

المبحث الأول: الخطاب لغة واصطلاحا.	٨٩
المبحث الثاني: (تطور مفهوم الخطاب)	٩٥
أ ـ الخطاب في الفكر اللغوي العربي القديم.	٩٥
ب ـ الخطاب في الدراسات اللسانية الحديثة.	١٠١
المبحث الثالث: (الحديث القدسي بين الخطاب والنص)	١١٠
ـ الفرق بين الخطاب والنص	١١٠
ـ الحديث القدسي نص وخطاب.	١١٥
ـ النص القدسي في مراتب الخطاب.	١١٦
ـ النحو الوظيفي والخطاب.	١٢٠
ـ الخطاب ونحو النص.	١٢٧
المبحث الرابع: (التلقي في الأحاديث القدسية)	١٣١
عناصر الخطاب (المرسل، المتلقي، الرسالة، السياق والمقام، العلاقات التخاطبية).	١٣١
ـ نظرية التلقي في الخطاب.	١٣٣
ـ أنواع المتلقين في الأحاديث القدسية.	١٣٨
المبحث الخامس: مستويات التحليل اللغوي للخطاب.	١٥٢
الفصل الثاني (المستوى النحوي للخطاب):	١٥٩
المبحث الأول: الخطاب والتركيب	١٦٠
أ ـ دراسة نظرية للمستوى النحوي في الخطاب.	١٦٠

ب ـ البنية التركيبية للخطاب.	١٦٣
جـ ـ التراكيب ومستويات الخطاب.	١٧٦
د ـ الاتساق النحوي في الخطاب.	١٨٨
هـ ـ دور الروابط النحوية في اتساق الخطاب.	١٩١
المبحث الثاني: الاتساق بالروابط النحوية في الأحاديث القدسية:	١٩٦
أولا ـ الاتساق بالإحالة:	١٩٧
أ. الربط الإحالي بالضمائر	٢١٢
ب ـ الربط الإحالي باسم الإشارة	٢٤٧
جـ ـ الربط الإحالي بالاسم الموصول	٢٦٢
د ـ الربط الإحالي بأدوات المقارنة	٢٧٥
ثانيا ـ الاتساق بالأداة:	٢٨٢
١ ـ الربط الإضافي	٢٨٣
٢ ـ الربط السببي	٢٨٩
٣ ـ الربط بأدوات الاستدراك	٢٩٣
٤ ـ الربط بأدوات الشرط	٢٩٥
٥ ـ الربط الزمني	٣٠٢
٦ ـ الربط التضميني ويشتمل على:	٣٠٦
أ. الربط بألفاظ القول	٣٠٦

ب ـ الربط بأدوات الاستفهام	٣٠٨
جـ ـ الربط بأدوات الحصر	٣١٦
د ـ الربط بأدوات النداء	٣١٧
هـ ـ الربط بأدوات القسم	٣٢٤
و ـ الربط بأدوات النفي	٣٢٦
ثالثا ـ الاتساق بالحذف: الحذف الاسمي، الحذف الفعلي، الحذف الجملي.	٣٣٦
رابعا ـ الاتساق بالاستبدال: الاستبدال الاسمي، الاستبدال الفعلي، الاستبدال القولي.	٣٤٣
خامسا ـ الاتساق بالتوازي التركيبي	٣٤٥
الفصل الثالث (المستوى المعجمي للخطاب):	٣٤٩
ـ المبحث الأول: دراسة نظرية للمستوى المعجمي.	٣٥٠
ـ المبحث الثاني (أدوات المستوى المعجمي):	٣٥٢
١ـ التكرار في الأحاديث القدسية.	٣٥٢
٢ـ التضام في الأحاديث القدسية.	٣٨٧
الفصل الرابع (المستوى الدلالي للخطاب)	٤١٣
ـ المبحث الأول: دراسة نظرية للمستوى الدلالي في الخطاب.	٤١٤
ـ المبحث الثاني: أدوات الانسجام الدلالي في الأحاديث القدسية	٤٢٢
ـ المبحث الثالث ـ (السياق في الأحاديث القدسية):	٤٣٧
ـ السياق اللغوي الداخلي.	٤٣٧

. السياق المقامي الخارجي.	٤٥٥
. المبحث الرابع: العلاقات السياقية في الأحاديث القدسية.	٤٧٢
. المبحث الخامس: السياق والخطاب في الأحاديث القدسية.	٤٨٤
الفصل الخامس (المستوى التداولي للخطاب في الأحاديث القدسية)	٤٩٠
. المبحث الأول: تعريف التداولية.	٤٩١
. المبحث الثاني (العناصر التداولية في الخطاب):	٥٠٢
أ. الأفعال الكلامية	٥٠٢
ب . متضمنات القول	٥٠٨
جـ . الاستلزام الحواري	٥٠٩
د الملاءمة	٥١٣
هـ . القصدية	٥١٤
. المبحث الثالث ـ أصناف الأفعال الكلامية في الأحاديث القدسية:	٥١٦
١. الإخباريات	٥١٩
٢ . الوعديات	٥٢١
٣ . التوجيهيات	٥٢٣
٤ . الإيقاعيات	٥٣٢
٥ . البوحيات	٥٣٣
. المبحث الرابع (التراكيب النحوية المتداولة في الأحاديث القدسية):	٥٣٩

أ) الأفعال الكلامية المباشرة: النداء، الاستفهام.	٥٣٩
ب) الأفعال الكلامية غير المباشرة: الوعد والوعيد بأسلوب الأمر والنهي.	٥٤٧
الفصل السادس (استراتيجيات الخطاب في الحديث القدسي)	٥٦٠
ـ المبحث الأول (استراتيجيات الخطاب في الأحاديث القدسية):	٥٦١
أولا. الاستراتيجية التضامنية	٥٦٤
ثانيا. الاستراتيجية التوجيهية	٥٧٤
ثالثا. الاستراتيجية التلميحية	٥٧٩
رابعا. الاستراتيجية الإقناعية	٥٨٧
ـ المبحث الثاني: الحجاج في الأحاديث القدسية	٥٩٤
ـ المبحث الثالث (الخصائص الخطابية في الأحاديث القدسية):	٦١١
أ. الحوارية	٦١١
ب ـ العدول	٦١٩
جـ ـ الالتفات	٦٣٧
د ـ التناص	٦٤٦
الخاتمة	٦٥٩
المصادر والمراجع	٦٦٥
الفهارس الفنية	٦٩٧